عبد الكريم الفيلالي

التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير

الجزء العاشر

إن الأمة التي لا تعرف ماضيها تتمزق في حاضرها
وتعرف الذل والتحقير والبخس والإهانة في مستقبلها
المؤلف

التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير

عبد الكريم الفيلالي

الطبعة الأولى
20 اغسطس 2006

الجزء العاشر

رقم الإيداع القانوني
2006/1287
5 يونيو 2006

الترقيم الدولي
(ردمك) 2-0-8702-9954
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

للطبعة
شركة بن سالم للطباعة
23 ش رشدي - عابدين - القاهرة
هاتف: 002023925376

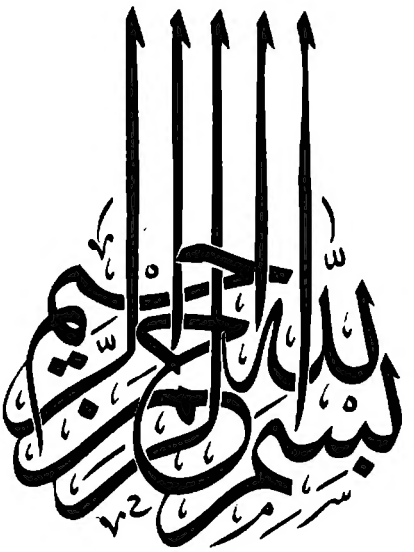
بسم الله الرحمن الرحيم

تتمة الباب السابع والعشرون

الفصل الرابع والسبعون بعد المائتين

شيخ الإسلام وإنقاذه للمغرب

بتأييده لبيان إعلان الحرب ضد النازية والمحور

عندما أشعلت نيران الحرب سبتمبر 1939 وكان محمد الخامس بعد لم يتجاوز الثلاثين سنة(74)، وإن كان قد مضى عليه منها ما يقرب من الإثني عشر عاما في الملك، وإذا كان هذا السن المبكر وقتها لا يمكن لصاحبه أن يتحمل مسؤلية النهوض بشعب بله إعلان الحرب بإسمه إلى جانب الحلفاء ضد المحور مالم يكن له وحوله من الرجال ذوي الكفاءات من يستعين بمشورتهم فإن محمد الخامس كان يتوفر عليها في تشخيص شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي ومحمد لمعمري الزواوي وهنا يصدق المثل القائل رجل كالف، وألف كاف.

عرفنا تاريخ المغرب السياسي أنه في هذه المرحلة لم يكن بجانبه ولا قريبا منه بالقلب والنفس والجسد، سوى اثنان من الرجال الأول المعلم محمد لمعمري الزواوي، الذي كان له بعد المربى عبد الدار مرجان الحبشي أكبر الأثر في تربية محمد الخامس وسلوكه وتمسكه الديني المبكر، والرجل الثالث الذي تقرب منه وتمكن بعلمه ومواهبه وصدق

---

(74) ولد يوم 23 رجب 1327هـ عام 1909 وتوفي رحمه الله يوم السبت 10 رمضان 1381هـ =1961/2/28.

في هذا الزمن 1932 ساقني القدر ضمن أسرتي التي شردها الاستعمار الفرنسي من تافيلالت عام 1932 وبعد الحرب الضروس، والتي اعقبها البغي والظلم والتشريد وقتها انتهى المطاف بالمشردين إلى حيث كانت عناية ورعاية محمد الخامس التي ضمضت الجراح وجبرت الخواطر وأعادت إلى النفوس آمالها في الحياة الكريمة، وضمنها كان الطفل الذي عرف من عناية الملك الشاب ما عوضه كل ما حرمه منه الاستعمار الفرنسي الخبيث، ناهيك وأن الطفل لما يبلغ السابع من العمر، وفي هذا السن كان يعرف كل شيء ويعي كل ما يسمع ويرى، ناهيك وأنه عرف من حب وإقبال محمد الخامس وعطفه ما لم تعرفه غير قلة قليلة جدا خصوصا وأن الطفل مبكرا كان يحفظ ويجود من آي الذكر الحكيم ما يعجز الكبار، وكان هذا بفضل رعاية الأبوين وعناية فقيه الأسرة محمد بن كروم رحمه الله.

إخلاصه أولا، وثانية بحكم صداقته التي تجاوزت كل حد مع الرجل الأول هو شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، الذي إقتنع أنه إذا ما سلم رأس الأمة صلح كل شيء لا في المغرب بل هي قاعدة أكدها التاريخ.

وعندما أجبر محمد الخامس على خوض معركة الحرب كان قد مضى على وجود شيخ الإسلام بجانبه وألصق به من ظله نحو العشر سنوات لم يحدث فيها ما يستوجب الرأي والمشورة إلا وكان الرجلان لا ثالث لهما وحتى إذا ما حاول المرجفون أن يضيفوا إليهما من مفترياتهم ما يصنعون طمعا في الاستعلاء فإنه لا يخرج عن الافتراء الذي لا حجة معه، خصوصا وأن الفرنسيين كانوا لذلك بالمرصاد، هم وأذنابهم وعملاؤهم الذين دسوهم حتى داخل القصر، زيادة على المقري ومن حوله في وقت كان من السهل فيه شراء الضمائر.

كان محمد الخامس في هذه المرحلة في شرخ الشباب قوي النفس والعقل، سليم الطوية راسخ الإيمان متين التدين طبعا ووراثة ومنشأ حتى أن كل الذين كانوا داخل قصره لا يجدون وسيلة يتقربون بها إليه إلا التمسك بالدين وحسن الخلق وأحسن السلوك، وذلك ما جعله يتخذ من محمد لمعمري المسلم الصادق، أقرب الناس إليه ومن شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي خير مرشد وموجه ومستشار، ومقابل تلك الثقة وذلك التعلم كان على شيخ الإسلام أن يجتهد حتى يكون رأيه في المستوى، وقد كان رحمه الله لا يعتمد بصيرة العقل ومعطيات المعرفة والعلم فقط، في أي مجال من مجالات الحياة بل كان وكما رويت من قوة إيمانه يستخير الله في كل عمل ذي شأن يريد الإقدام عليه، وقد أدركت ذلك منه رحمه الله حيث كان كلما طلبت منه الرأي في موضوع ما من المواضيع التي كانت تستوجب مني إتخاذ موقف أعتبره فاصلا في حياتي كان لا يبخل على ولكن يؤكد علي باستعمال الاستخارة وهي عبارة عن القيام بأداء ركعتين(75) ودعاء

---

(75) راجع د.الإسلامية جـ 2/84-87 وما فيها من مصادر على أن ما ورد من البدع يعتبر غير معتمد كفتح المصحف، والجذاذات أو ما يستعمله الفرس، وان الاستخارة طهارة وصلاة وتلاوة ودعاء معلوم.

وهذا هو دعاء الاستخارة كما رويته عنه حرفيا رحمة الله عليه:

بسم الله الرحمن الرحيم اللاهم إني أستخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللاهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني =

معين كما ثبت في الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

لم يكن للمغرب بحكم نظامه وطبع شعبه وواقع موقعه بد من إعلان الحرب بإسم الديمقراطية ضد المحور والنازية، لأنه لو لم يفعل لكانت الكارثة التي يتمناها خصوم المغرب صاحب المركز الاستراتيجي والإمكانات التي كان لابد للحلفاء من الاستيلاء عليها واستعمالها قهرا وبحكم ما لفرنسا من وجود في المغرب معترف به دوليا، والذي لو ظهر من جلالة الملك ما يعتبر دفعا للحفاء أو ضدهم لتحول المغرب إلى مستعمرة تشتد عليه قبضة المستعمرين بمساعدة الحلفاء، وقد رأينا ما فعل بمحمد المنصف الذي فقط رام الحياد وطالب به، وقبل أن يفترى على المغرب من طرف المقيم الخائن والمستبد نوجيس، كان محمد الخامس قد قرر ألا يظهر المغرب المتربص به من الأسبانيين وحلفائهم الألمان، بغير ما يتفق وحقيقة الواقع والمعتقد، فيما يتعلق بمناصرته للديمقراطية وعداوته للنازية، بل وللحرب التي تعني إستعباد الشعوب وإذلالها، وكان يهدف بلا شك أنه إذا ما انضم المغرب إلى الحلفاء فإنه لا يقصد أكثر من الرغبة في نيل حريته واستقلاله، وفعلا فقد أعلن محمد الخامس إنضمام المغرب للحرب مع الحلفاء ضد المحور، وذلك بتاريخ1939/9/3 حيث أذيع إعلانه الذي ورد فيه ما أوردته جريدة السعادة وقتها وبنفس التاريخ.

«إنه إبتداء من هذا اليوم الذي إتقدت فيه نيران الحرب والعدوان إلى اليوم الذي يرجع فيه أعداؤنا بالذل والخسران يتعين علينا أن نبذل لفرنسا وحلفائها الإعانة الكاملة ونعضدهم بكل ما لدينا من الوسائل غير محاسبين ولا باخلين.

ويخبرنا دوجلاس فيما كتب عن التطورات السياسية في المملكة المغربية ص 63 أنه» عندما نشبت الحرب في اغسطس عام 1939 توجهت بعثة تتكون من أربعة من

= ودنياي ومعاشي وعاجل أمري وآجله فقدره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه وقدر لي الخير حيث كان ورضيني به.

وأكرر أنني أوردت هذا الدعاء كما رويته عنه لأنه سيكون له كل الأثر في مواقف محمد الخامس السياسية منذ إعلان الحرب 3 سبتمبر 1939 إلى يوم 20 غشت 1953 والذي طالما ردد ذلك في مجالسه الخاصة وحث عليه بنشوة وارتياح يقول محمد لعمري الذي كان هو الآخر بفعل ما عرف به من إيمان ويقين رحمه الله، "إن سيدي محمد ما أقدم على عمل ذي شأن إلا بعد استخارة.

الوطنيين؟ إلى المقيم العام لتؤكد له تعاون الشباب المغاربة معه في حالة نشوب القتال في شمال افريقيا" ويخبرنا غيره «ظريف محمد في الأحزاب السياسية ص 31" أن البعثة كانت من أعضاء الحزب الوطني: محمد غازي وأحمد الشرقاوي إضافة إلى محرر سابق في صحيفة المغرب هو أحمد بن غبريط "الرباطي" وإذا صح هذا فإن هؤلاء لا يعتبرون من النازيين لان نجيس وهو المقيم العام وقتها كان نفسه وميله مع حكومة فيشي كما سبق وكما سنرى وأنه لولا الصرامة التي واجه بها محمد الخامس الموقف فإن نوجيس أراد أن يفعل باليهود وبأمر من حكومة فيشي الشكلية وتذلل بيرلاڤال وجان فرانسوادرلان للألمان، ما فعله هؤلاء باليهود في كل البلاد التي استولوا عليها، وكان المفتي بصراحة الإسلام في حماية المواطنين مهما كانت ديانتهم لأنهم أهل ذمة إلخ هو شيخ الإسلام الذي كان هو وزير للعدل وقتها.

وإذا كان هذا الموقف لم يكن منه بد، والذي كان المتربصون يتمنون عكسه حتى يؤكدوا للحلفاء ما كان قد شاع وانتشر من أن شمال إفريقيا كلها مؤيدة للألمان، وبذلك كتب المرحوم شكيب أرسلان إلى صديقة الدكتور الطيب الناصر المصري كما رأينا قبل ولم يكن مخطئا بل إن محمد الخامس حتى يبرهن للقريب والبعيد إلتزامه للديمقراطية وإيمانه بها خطى خطوة جريئة والفضل فيها كذلك يرجع إلى استشارة شيخ الإسلام، وتلك هي حمايته لليهود الذين يعتبرون في بلاد الإسلام أهل ذمة(76)، بل إن محمد الخامس حال بينهم وبين خصومهم من الفرنسيين الذين تطوعوا كخونة لشعبهم وبلادهم ثم أصبحوا عملاء للألمان الذين طلبوا دارلان بدمائهم نزولا عند رغبة بيتان، الذي أصبح يعمل جاهدا لترضية سادته الجدد من الألمان، خصوصا وأن هيتلر كان قد ذهب أشواطا

---

(76) أهل الذمة أو الذميون مفرده ذمي وهو إشارة إلى اليهود أو النصارى في بلاد الإسلام، وهم أهل العهد أو أهل الكتاب، وتقابلهم دفع الجزية مقابل فرض الزكاة التي تجب على المسلم ومقابل تلك الجزية تجب حمايتهم راجع كتاب الروضة السليمانية وما حصل في عهد المولي سليمان من إعتداء الشراردة على حارة اليهود بفاس وقت أن كان السلطان في حرب آيت أمالو بالأطلس المتوسط، وما حصل من رد فعل ضد الشراردة حتى من الشعراء كما سجل ذلك أبو القاسم الزياني في كتاب الروضة المذكور، بل وفي الرسائل 5 من المولى إسماعيل إلى ولده المامون ص 43 ط 1967 بحيث أن اليهود في تاريخ الدولة المغربية لم يعرفوا إلا العدل وحسن المعاملة رغم فضائح بعضهم وقت ظهور الاستعمار. وبعد الاستقلال وما اكتشفت من مخازي مجرمي اليهود وأحمد رضا كديرة تلك التي طارت بها الركبان ورددتها الصحافة راجع الأسبوع الصحفي عدد 402 بتاريخ 1996/1/26.

بعيدة في القضاء على اليهود وقتلهم بالجملة ظلما وعدوانا بدافع ما عرف ونشر لهم من أفكار ومعتقدات عن اليهود(77) واحتكارهم للاقتصاد وتآمرهم في بلاد الألمان.

ومما يؤكد أن الاختيار الذي أقدم عليه المغرب كان عقائديا هو أنه منذ اللحظة الأولى وبعد جولة سريعة كانت فرنسا زيادة على الدعاية الألمانية التي غزت النفوس كما رأينا، سقطت بل أكثر من هذا، عندما حصل الغزو الألماني لفرنسا كان العالم كله قد خبر أن عدد الألمان واستعداداتهم كانا أقوي من الفرنسيين وأشد، فقد كان عدد الألمانيين 80 مليونا وعدد الفرنسيين نصفهم، وكان الفرنسيون الذين حصنوا أنفسهم بخط ماجينو الذي نصبوا عليه المدافع يحسبون أنها ستحصد الألمانيين حصدا تتناقص معه أعدادهم، لكن سرعة الألمان في إنتاج الدبابات بعد تجربة غابة "فارنت" التي تفوقت فيها الدبابات الفرنسية على الألمانية دفع إلى إنتاج أربعة آلاف دبابة ألمانية شاركت في آخر المعارك، وتلك هي التي سحقت خط ماجينو والذي لم يكن يغطي كل الحدود الفرنسية وإنما كان يمتد فقط علي نصفها من "بال" إلى "مونميدي" و"لو نجوى" حيث تبدأ الحدود البلجيكية، خلافا لما في الخرائط الأنجليزية التي كانت تصور خط ما جينو وأنه ممتد من بحر الشمال إلى الحدود السويسرية، لكنه لم يكن غير وهم سراب عندما اخترقه جيش الجنرال فون ويتزلين" حيث قسم جنود الجبهة الفرنسية بالشمال الشرقي وما تبقى من خرافة خط ماجينو حطمه سلاح الطيران الذي لعب دورا هاما في جنوب ساربروكن، وأخيرا بقرب كولمار، وميلهوزن، وهكذا كانت الثقة العمياء التي وضعتها القيادة الفرنسية العليا في هذا الخط وتحصيناته يقول "جوردون وايتفيلد" أنه إحدى المآسي التي نتج عنها إنهزام فرنسا 1940م(78).

وليست فرنسا فقط هي التي تمرغت في الوحل وديست بأحذية الألمان بقسوة قاسية وعنف عنيف، بل أوربا شرقا وغربا كلها عرفت ولمدة سنتين متتاليتين قبل أن تخوض أمريكا المعركة، هزا عنيفا أرعبها وضعضع كيانها، وهذه يوميات الغزو الألماني

---

(77) راجع كتاب أدولف هتلير لأحمد محمود الساداتي ص 74ـ120 المطبعة الرحمانية 1934م ثم كتاب هرمان روا شنج الرئيس الأسبق لمجلس شيوخ دانزج الفصل 16 السحر الأسود والأبيض ص 309ـ337 ـ 350 مكتبة النهضة المصرية بدون تاريخ وفي الأدب الصهيوني لغسان كنفاني ط بيروت 1967.

(78) راجع كتابه "ماذا حدث لفرنسا ص 20 ترجمة عبد الباسط جميعي المحامي ط اللطائف؟

ولمدة سنتين عاشهما العالم المتمدن في مرارة أشد هولا وأكثر آلاما من 1939/9/3 إلى آخر شهر سبتمبر 1941م، ومع ذلك لم يغتر شيخ الإسلام ولم يتأثر بتهريج الإعلام النازي، بل لو حصل غير النهج الذي سلكه شيخ الإسلام لكان المصير غير المصير والناس غير الناس بل وقتها تغنى الكبار والصغار بشجاعة الشيخ الإمام وصائب رأيه، لكن قبح الله النفعيين من مسلمة اليهود واعلاج النصارى، بل وأبناء المطلقات الذين أصبح لهم رأي في سياسة عهد الاستقلال وسياسة الإفلاس التي يتزعمها أمثال أحمد رضا كديرة عميل الفرنسيين وعدو المغرب والمغاربة، ونعود إلى واقع المرحلة التي نادى فيها شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي بمعاداة النازية المنتصرة ومناصرة الديمقراطية المنهزمة وقتها.

ففي أوائل سبتمبر غزا هتلير بولونيا، وبعد ذلك بيومين أعلنت كل من فرنسا وبريطانيا الحرب على ألمانيا، وفي 1939/9/17 غزت روسيا شرق بولونيا وفي 9/27 سلمت بولونيابدون قيد أو شرط وفي 11/20/ بدأت الحرب الروسية الفنلندية التي انتهت في 1940/3/13، ومن 1940/4/9 إلى 6/2 غزت ألمانيا بنجاح كلا من الدانمارك والنرويج والبلجيك. وهولاندا، ولوكسمبورج، ونجحت بريطانيا في سحب قواتها من الفلاندر، وفي6/10 أعلنت إيطاليا الحرب على فرنسا وبريطانيا، وفي 1940/6/24 قبلت فرنسا شروط الهدنة الألمانية الإيطالية وفي 6/28 إنتزعت روسيا بسارابيا وشمال بوكوفينا من رومانيا، وفي 1940/7/3 هاجم الأسطول لبريطاني قوة كبيرة من الأسطول الفرنسي وأتلف معظمها في وهران، وقد كان لهذا أثره في مذكرات دى كول(79) كما أشرنا وفي1940/8/8 إبتدأ الهجوم الجوي على بريطانيا واستمر طول شهر سبتمبر ولكن ألمانيا لم تنجح في كسر شوكة بريطانيا ومن 8/19 إلى 1940/9/14 إحتلت إيطاليا الصومال الذي كان خاضعا لبريطانيا، وزحفت على حدود مصر الغربية إلى سيدي البراني، ومن9/17 إلى 1940/11/24 نجحت ألمانيا عن طريق الضغط والتهديد الدبلوماسي في ضم

(79) ولذلك سيعمل على إنشاء الجمهورية الثالثة التي ستكون مدتهامابين 1940/9/4 و7/10/ 1948 وإذا كانت ربوع شمال إفريقيا هي التي أنقذت فرنسا، وبواسطة إمكاناتها تمكنت من الإنضمام إلى الحلفاء، فإنها سوف تعرف من فرنسا ومن غطرسة جنرالاتها الجبناء ما لم تعرفه شعوب أوربا من التوتون قديما .

كل من اليابان والمجر ورمانيا وسلوفاكيا إلى المحور، وفي 1940/10/28 اعتدت إيطاليا على اليونان عن طريق ألبانيا، وفي 1940/12/9 ابتدأ هجوم القوات البريطانية لصد الزحف الإيطالي ورد القوات الإيطالية إلى ليبيا.

ومن 1/5 إلى 1941/2/6 استمر الزحف البريطاني في ليبيا فاستولى البريطانيون على البردية وطبرق ودرنة وبنغازي، وقبل أن نتناول ما آل إليه وضع خريطة البحر الأبيض المتوسط، في هذه المرحلة نستمر في إتمام هذه اليوميات التي أوردناها للدلالة على أن المغرب رغم كل الانتصارات التي حققها المحور والإنهزام الذي عرفته فرنسا فإنه بفضل استعداد ملكه وريادة شيخ الإسلام استمر في إنتصاره للديمقراطية وحربه للنازية(80) عن خبرة وكامل إدراك للواقع.

وفي يوم 1941/3/2 إنضمت بلغاريا إلى المحور وفي 3/11 منه أقرت أمريكا قانون التأجير والإعارة، وفي 3/27 منه قام الجيش اليوغوسلافي بحركة انقلاب ألغت إنضمام يوغوسلافيا إلي المحور وتسلم الملك بطرس مقاليد الأمور وحقوق الملكية، ومن 2 إلى 1941/4/13 اشتركت القوات الإيطالية والألمانية في حرب البريطانيين من بنغازي إلى الحدود المصرية، ومن 4/6 إلى يوم 1941/5/1 غزت ألمانيا يوغوسلافيا واليونان، واضطرت القوات لبريطانية إلى الإنسحاب من اليونان، وفي 1941/4/13 وقع ميثاق الحياد بين روسيا واليابان، ومن 4/19 إلى 1941/5/22 إصطدمت القوات البريطانية في العراق بالجيش العراقي، وفي 5/19/أيضا فر "الهرهيس" إلى ابريطانيا وفي 20 منه سلم الدوق داوستني الحبشة للأنجليز ثم عاد أيضا هيلا سلاسي إلى عرشه، ويومه بدأ جنود المظلات الألمان يهبطون في جزيرة كريت لغزوها، ويوم 27 منه أيضا أغرقت وحدات الأسطول لبريطاني البارجة بسمارك، وفي 31 ماي دخلت القوات لبرطانية بغداد، وفي1941/6/1 أعلنت بريطانيا نبأ سحب قواتهامن كريت وفي 8 منه زحفت القوات لبريطانية وقوات الجنرال دوكول على الأراضي السورية واللبنانية، وفي 1941/6/22 أعلن

(80) راجع مذكرات ثعالب الصحراء : بول كارل جـ 1ـ2 دار العلم بيروت 1969 ومذكرات رومل ثعلب الصحراء، دار إحياء التراث العربي 1970 بيروت ومذكرات ونستن تشرشل تعريب رفيق عطوى الشركة اللبنانية للكتاب بيروت 1968.

هتلير الحرب على روسيا السوفياتية(81)، وفي 1941/7/7 إحتلت قوات الولايات المتحدة الأمريكية جزيرة إيسلاندا، وفي 12 منه وقعت شروط الهدنة بين قوات فيشي وقوات بريطانيا والجنرال دي گول أمام مدينة عكا، وفي 10 منه وافقت فرنسا على احتلال اليابان للقواعد البحرية والجوية في الهند الصينية، وفي 1941/8/25 إشتركت القوات الروسية والبريطانية في الهجوم على إيران، وأعلن وقف القتال في 1941/8/28(82).

وهكذا تسابقت الحوادث وتمزقت فرنسا من شدة الضربات العنيفة التي وجهها إليها الألمان من جانب، وبما حل برجالات جيشها من ذعر أفقدهم الصواب، حتى أصبحت فرنسا القوية بحلفائها والتي أذلت ألمانيا 1919 قد فقدت ما كان لها من قوة لتصبح مجرورة بحبل فتلته أنامل الجنرال الوطني دي غول حتى يربطها بقوة الحلفاء الذين إرتمى في ساحتهم طالبا النجدة ومستجيرا يمتعض منه تشرشل.

وقتها وفي هذا الوضع كانت منطقة البحر الأبيض المتوسط قد تغيرت خريطتها السياسية بسبب دخول الإيطاليين في الحرب، فهم الذين كانوا يملكون من المراكز ما يمكن أن تشل حركة الحلفاء جميعا وتجعل من البحر قسمين، وتدخل في صميم القارة الإفريقية بقطاع يهدد أملاك إمبراطورتين، وهذا ما دفع الفرنسيين للتمسك بإقليم فزان من القطر الليبي على أساس أنه على الطريق الجوى بين مدغشقر وفرنسا، كما أن بريطانيا ركزت على إنتزاع لإيطاليا من مستعمرات في الصومال والحبشة، ومهما يكن فإنه بمجرد ما عقدت الهدنة ظهرت حركة الفرنسيين الأحرار التي ترأسها الجنرال دي غول الذي كان بعد ندائه 18 يونيه 1940 قد أعلن تأسيس الجمهورية الثالثة يوم 1940/9/4 وهو الذي أخذ يسعى لجمع الشمل فكان أول من إنضم إليه هو الجنرال كاترو بالهند الصينية ولكن موقف اليابان حال دون إستمراره فغادرها، واتجهت الأنظار إلى منطقة قريبة فكانت مستعمرة الكونغو أول المقاطاعات التي إنضمت إلى الحركة، وبذلك أصبح لفرنسا أمل في أن تجد لها مكانا على مائدة الحلفاء، ولذلك تغير إسم فرنسا الحرة إلى فرنسا المقاتلة و بمن ياترى هل بأبناء فرنسا الجبناء الذين كانوا يتساقطون في المعارك

(81) راجع بلا شوف بوبيليف ليبيتسكي في كتابه " مسيرة النصر ص 150–154 ط روسيا 1979.
(82) المصادر السابقة.

كأوراق الخريف أم بأبناء المستعمرات؟ أو ليس دي غول هو الذي حاول مرارا أن يسمح له بالجلوس مع روزفيلت وستالين وتشرشيل، وكان الأولان بكيد من الثالث يعترضان على وجود فرنسا لأنها سلمت ولم تحارب، ولذلك إتجهت إرادة فرنسا "الحرة" إلى تحمل أعباء القتال في أي جبهة، فكانت عدتها فرق المتطوعين وجنود المستعمرات التي حاربت في صف لبريطانيين، ومن سوريا ولبنان إنطلق ضباط البر والبحر والجو الذين كانوا يخترقون حدود فلسطين، للإنضمام، إلى قوات فرنسا المحاربة، كما ظهرت قوات في ميدان سوريا ولبنان، ثم على الحدود المصرية، في بئر حكيم، حين إستبسلت قوة أمام قوات تفوقها عددا من جنود المحور، إلا أن العملية الحربية التي رفعت معنويات جيوش فرنسا المقاتلة في هذا الوقت غير المبكر هي تلك العملية التي وجهت لفرنسا المقاتلة بزحفها من بحيرة تشاد عبر الصحراء الكبرى وانتهت إلى فزان والتي كانت من أعظم حركات حروب البادية، قوامهاأبناء الأفارقة.

كانت مقدمة هذه الحركة عملية من أخطر العمليات التي مرت في تاريخ حروب البادية، ولكنها أشبه بحركة كشفية منها بعملية حربية، فقد قام من الجانب الفرنسي ضابط إسمه "جان كولونا دورنانو" من ضباط قوات البادية الفرنسيين، واشترك معه ضابطان بريطانيان إجتمعا في القطاع الجنوبي، حيث تلتقى الحدود بين المستعمرات الإيطالية والفرنسية وحدود السودان وكان هذا في يوم 1941/1/4 وفي 11 منه تمكنت هذه القوة المخاطرة من تدمير مطار مرزوق والسودان بعد أن سقط الضابط الفرنسي "كولونادورنانو" تحت وابل رصاص الطليان، وتعرضت بعد هذه الحملة واحة كفرة بليبيا والجزء الجنوبي من فزان، لعدة هجمات سنة 1942 لكن الذي سوف يخفف عنها ويمكن لها هو نزول قوات الحلفاء في شمال إفريقيا، حيث نزلت بالجزائر بتاريخ 1942/11/7 وفي اليوم التالي نزلت بالدار البيضاء حيث دمرت الأسطول الفرنسي الذي كان خائن وطنه وشعبه الجنرال نوجيس المقيم العام بالمغرب، قد حاول تحريكه ضد الحلفاء بل حاول نوجيس(83) وبعد الخيبة التي منى بها إبعاد محمد الخامس عن العاصمة الرباط، وحتى

(83) انتهى المطاف بهذا المقيم إلى شبه التشرد، وبعد موت محمد الخامس رأيته بحي التواركة وقد جاء يلتمس الصدقة من رفيقه في السلاح عبد الحفيظ بن الحبيب الذي أصبح وقتها مديرا للتشريفات ثم جنرالا.

يقال إنه خصم للحلفاء وقت أن صدر أمر من حكومة فيشي ونفذه نوجيس بتوسيع العمليات الحربية، وإذا كان هذا الموقف أيضا لا بد من إستشارة شيخ الإسلام الذي كان في صميم المعركة، فإن رأيه كان هو الإصرار على عدم المغادرة كما أصر ومعه في نفس الرأي محمد المعمري على عدم السماح للإقامة العامة بتنفيذ تعليمات حكومة فيشي العسكرية، وإذا ما كان محمد الخامس مطمئن لكل ما يقدم عليه، فإنه في الساعة التي أعلن فيها إحتلال باريز 1940/6/22 كان وبجانبه شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي يدشن الزيادة في الثانوية الإدريسية الإسلامية بفاس، تلك الثانوية التي عرفنا عطاءها بفضل توجيهات شيخ الإسلام الذي تعتبر في مذكراته وذكرياته المنطلق والميدان الذي عرف أول توجهاته السياسية قبل جامعة القرويين والتي أثمرت في العشرينات بفضل الدروس التي كان يلقيها بها تطوعا وهو في منصب القضاء.

ومهما يكن فإنه رغم ما عاشه المغرب من صراع، وما كانت الدعاية فيه لصالح المحور تفعله في النفوس، إلى درجة أن بعضهم كان يهمس همسات مزعجة ضد الإخيتار الذي أعلن عنه محمد الخامس، وكان المرشد هو شيخ الإسلام الذي عززه بخطابه الذي أذيع على الملأ داعيا إلى محاربة النازية والديكتاتورية حتى النصر، ورغم ما عاشه العالم من تلك الفترة التي سجلها قبل جولات الألمان فيها ولمدة سنتين، فإنه سرعان ما تكشف الموقف عن إنتصار الحلفاء حيث أنزلت قوات الأمريكان خسارة كبيرة بالمحور في ساحل شمال إفريقيا، كما أسر من قوات المحور (45000) خمسة وأربعون ألف جندي ثم إنقلبت إيطاليا ضد ألمانيا بالفرصة التي أوتيها ملك إيطاليا ثم إنقض على موسوليني بعد الثورة التي أعلنها قادة الفاشية ضده في اجتماع مجلسهم الأعلى يوم1942/7/24 بسبب فساد السمعة التي جرها عليه إنشغاله بالعشيقة كلاريتا" وبعد القبض على موسوليني وإقالته، عين مكانه بادو ليو(84) الذي وقع الهدنة مع الحلفاء الذين

(84) بادوليو بثرو "171ـ1956" ماريشال إيطالي إشترك في الحرب العالمية 1 وعين حاكما على ليبيا "1929ـ1939" وأتم غزو الحبشة "1936" م.ع. 301 ط 1965 وفي عهده وعهد كزاتسياني عرف الشعب الليبي العظيم ما أطلق عليه "اشبردگ" وهو حشر المآت بل الآلاف من الليبيين في العراء محاصرين بالأسلاك الشائكة. مما أدى إلى قتل المآت بل الآلاف ظلما وعدوانا.

إنضمت إيطاليا إلى صفهم، ورغم إختطاف المظليين النازيين لموسوليني وإعلانه الجمهورية في شمال إيطاليا فإن عقله كان قد تسرب إليه الخراب الذي أحدثته فيه إمرأة إسمها كلاريتا، التي جرت عليه الفضيحة والدمار، إلى أن أعدم وأعدمت معه، ثم حملا معا في سيارة كانت تجمع جثث الموتى من الفاشيين المقتولين بأيدي الوطنيين، وفي قرية دونجو، حيث بقي موسوليني وعشيقته القتيلين في الطريق تحت وابل من المطر زهاء ساعتين، وبعدها أفرغت السيارة حمولتها في حظيرة للسيارات، وكانت الحمولة سبعة عشر جثة، وكانت هذه الجثث 15 من الوطنيين الذي قتلهم الفاشيون إرهابا ومالبثت جثتا موسوليني وكلاريتا أن علقتا في السقف ثم تركتا معرضتين لنقمة الجماهير، وتلك عاقبة الغدر والخيانة .

وهكذا انقلبت صفحة التاريخ لنكتب عليها أن ألمانيا هوجمعت في بلادها ومدنها الصناعية كمدينة بلوستر، برومانيا كمستودع للزيت، وفتحت جبهة غربية في أوربا لتموين قوات الألمان ضد الروس، وعين إيزنهاور وهو الألماني الأصل قائدا عاما لقوات الحلفاء، وهرب نوجيس المقيم العام بالمغرب بطريقة وسمته بالذل والعار إلى أخريات حياته، حيث أصبح وقد أنهكته الشيخوخة مغتربا في أرض البرتغال وغيرها يتردد على العملاء من رفاقه في السلاح، بالمغرب، البكاي وعبد الحفيظ بن الحبيب وغيرهما، وقد أصبح الشعب الذي أذله نوجس يتمتع بحريته واستقلاله يجهله ويحتقر الجبناء من أمثاله.

وإذا علمنا أن الذي عين مكانه هو «جابريال بيو» الذي كان بالشام، حيث قام هو الآخر بأخس وأحقر دور قام به إستعماري خبيث، وأن أول ما فكر فيه بعد التعيين بالمغرب، هو اتهام بعض الوطنيين بالتعاون مع المحور، وكأنه لم يتناول قط ملفا ولا تقريرا قبل الذي كان قد وضعه الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور(85) الذي

(85) قال أحدهم لو أن فقط مذكرات كل الذين كانوا يكتبون في مجلة رسالة المغرب بدءا من أحمد زياد وعبد الكريم غلاب و ع القباج والذي فقط في ترجمة المولى الحسن "1290ـ1311" تعرض لمضايقات الرقيب عبد الوهاب بن منصور التلمساني الفرنسي الجنسية حين كتب أحدهم حول تاريخ ولاية العهد فاضطر إلى أن يرمز لاسمه بـ "س.س.م" وآخر بـ "ابن أكتم" وغيرهما بـ "الصاحب" وآخر "أبو عمر" إلخ ولو توفر هؤلاد فقط على شجاعة العتابي العامل بجريدة العلم والذي أخبرنا عن نكاية رقابة ابن منصور وما كان الوطنيون يعرفون من مضايقاته التي بزت فاليرا وغيره من الفرنسيين لكان تاريخ المغرب السياسي قد تزود بوثائق كان لا بد من تدوينها، حتى تعرف الأجيال المقبلة ما قاساه جيل النضال.

كان وقتها يشغل منصب الرقيب على الصحافة الوطنية بإدارة الشؤن السياسية بعد عودته من المنطقة الشمالية كما سبق وكما سنتبين كيف تم لي إكتشاف ذلك التقرير.

ومهما يكن فإن فرنسا في هذه المرحلة فقدت الرشد في مختلف طبقاتها في أحزابها المتفرقة ورجال جيشها الذين إنهارت معنوياتهم ثم تفرقوا شيعا، خصوصا الذي كانوا إلى جانب حكومة فيشي، ثم أصبحوا مع الحلفاء وتحت رحمة المعمرين الذين إغتصبوا كل إمكانات المغرب العربي الكبير، والذين كانوا لا يتورعون في ارتكاب أفظع الفظائع، وبها كانوا يشيرون على الجنرالات الذين فقدوا أعصابهم ثم أصبحوا لا يعرفون غير البطش والتنكيل بكل من تشم فيه رائحه الإعتزاز بوطنيته والعمل من أجل التمكين لها، وإذا علمنا أن ذلك ما حصل بعد بتونس التي تعرفنا على مصير ملكها الوطني محمد المنصف باي، وفي كل من سوريا ولبنان اللذين تعرضا لهجوم القوات البريطانية والفرنسية بقيادة دي غول في يوليو 1941م وإذا كان تهور جابريال بيوهو الذي عجل بنهاية الفرنسيين في لبنان وسوريا بما قام به من بطش واعتقالات صعد فيها إلى إعتقال رئيس الجمهورية بشارة الخوري في 1943/11/11(86) ورئيس الوزراء رياض الصلح، وغيرهما من رجالات البلدين ونوابهما، كماعطل الدستور بطريقة دلت على مدى التدهور الذي آل إليه خلق وتفكير غابريال بيو وأمثاله من الذين عرفوا ركل الألمان على ظهورهم وإذاما كان ينتظر من جابريال بيو أن يفعل مثل ذلك وهو الحاكم المطلق في بلد كالمغرب القريب من فرنسا، والتي لها به من القوات ما تؤمل بواسطتها أن تسهم أكثر مع الحلفاء ضد المحور وهي مرفوعة الرأس، لأن معنويات أبنائها كانت قد إنهارت، وقيمة جنرالاتها وأميرالاتها قد إنحطت، وسمعة سياسييها بل وكتابها ومفكريها قد فسدت، وحتى يكون الإعتماد على أبناد المستعمرات ومنها الأشداء في المغرب الذي كان جزاؤه من فرنسا

(86) في هذه المرحلة لعب أحمد اليزيدي صنو محمد بو شعيب اليزيدي المجند وقتها في الجيش الفرنسي كمرتزق، لعب أخس دور ضد إخواننا في سوريا ولبنان، وأخيرا وبعدما عرف المغرب أعنف المعارك ضد الاستعمار اندس في وسط الوطنيين في مجلس شورى المقيم حيث أصبح عضوا فيه باسم الغرفة التجارية بالرباط التي كان وقتها يتاجر في النخالة بشارع تمارة، وفي عهد الاستقلال أصبح "وزيرا" للدفاع حيث أسس له شركة التأمين التي ضمت إليها الإدارة ومرافق الدولة وبذلك ساهم في نشر الوباء الذي عم بعد فأهلك الحرث والنسل باسم التأمين ولسوف تعمل أبحاث المستقبل في مختلف المجالات للكشف على ما جره أمثال هذا النوع على الشعب المغربي من هزيمة في مرحلة ما بعد الإستقلال..

التي عرفت ذل أحذية الألمان وفي الوقت الذي وقف المغاربة ملكا وشعبا إلى جانبها في محنتها - جزاء سنمار، وعلى يد غابريال بيو الذي أعد برنامجا مهولا أتى به على البقية الباقية مما قام به سلفه نوجيس، وذلك حتى يحطم ما كان للمغاربة من آمال في الميثاق الأطلنطي الذي وضعه "فرانكلين روزفيلت ووافقت عليه بريطانيا كما سنرى بعد.

وماذا كان سيفعله بيو وزبانيته بالمغرب والمغاربة لو لم يكن الموقف كما رأينا وعرف الحلفاء والعالم الغربي والشرقي، بل وبشهادة كبار رجالات الحرب العالمية الثانية، حول بسالة المغاربة الذين رفعوا الضيم على الفرنسيين.

لقد كان غابريال بيو وبتصرفاته الخرقاء بحق، المثال القوي البرهان على أن الفرنسيين لا وفاء لهم ولا ضمير، وعلى تاريخ فرنسا السياسي الذي صنعه في مغربنا العربي الكبير أمثال نوجيس وبيو، واستيفا، ودارلان،وكاترو، ومن سبقهم، مثل استيج وبونصو، أن يتحملوا ثقل هذا الحكم المطلق الذي ما هو في الحقيقة إلا نتيجة ما تقدم لهم وما سيراه بعد المغاربة عموما في كل من المغرب الأقصى والجزائر وتونس وفزان، حتى بعد الانتصار الذي تحقق للحلفاء، وبجانبهم المغاربة الذين إنما فعلوا ما فعلوه تعلقا بالحرية وأملا في الوعود التي وعدوا بها، هم وغيرهم من الشعوب التي أوقعها سوء الطالع تحت نير الاستعمار عموما والفرنسي بالأخص، ذلك الاستعمار الذي رأينا كيف جرد المغاربة من كل شيء بل وكيف صادر الأراضي بدون مقابل، وعمل على التفريق والتمزيق، هذا عربي وآخر بربري، ثم عمل على نشر الجهل والتمكين له بوسائل لم تعرف إلا في عهود التوتون والرومان وغلاة الفرنسيين.

لكن ماذا عن الرائد الذي قط ماإنخدع ولا إغتر حتى بتلك الوعود التي أذاعها الحلفاء وطبل ونفر لها حاملوا راية الإعلام في الغرب، تتقدمهم أمريكا، لقد رأينا كيف أن شيخ الإسلام محمد بن العربي كان وكأنه رسول الإنقاذ الذي بعثه القدر لجمع الشمل وضم الصفوف وتوجيه القطار إلى الأمن والحب والتوادد والتراحم. ولم تكن من وسيلة في تلك المرحلة غير وسيلة العمل على نشر المعرفة ودفع المغاربة إلى الاعتماد على أنفسهم في تعليم أبنائهم بنشر مدارس التعليم الحر الذي بدأه في المرحلة الثانية من مراحل النهوض بالتعليم بأول مدرسة بفاس هي المدرسة الحسنية بزقاق الحجر 1942 والتي كانت إلى جانب مدارس محمد الخامس بعد بالرباط 1946 وغيرها في عموم المغرب

المنطلق الذي عرف المغاربة به كيف يتعاونون ويتضافرون من أجل البعث الجديد ولمواجهة العهد الجديد كذلك.

كان شيخ الإسلام ولمدة أكثر من عشر سنوات مضت على وجوده بالعاصمة الرباط، قد أصبح منزله منتدى الوطنيين القادمين إلى الرباط لسبب من الأسباب. كما هو كذلك لمختلف رجالات المدينتين سلا والرباط علماء وشباب، الكل يتردد على مجلسه، وفي مختلف الأوقات وبلا أدنى حرج، وفيه كانت تلتقي الطبقة الواعية من مختلف الاتجاهات، الأمر الذي شدد عليه الازدحام عندما استبان للجميع أن ما سبق له من رأي ضد المحور، كان هو الصواب والتوفيق، وزاده إقبالا عندما رأى الناس كذلك أنه رائد الاتجاه الجديد الذي هو الاقبال على التعليم والذيَ هو الوسيلة الوحيدة للتكوين والتوحيد وضم الصفوف.

كان هذا في الوقت الذي إنشغل فيه غابريال بيو بتدبير مؤامراته والذي تقول رواية الخبير أيضا أن شيخ الإسلام أشار على العاهل أن يولي كل إهتمامه لفكرة نشر التعليم، وأن يهمل تصرفات المقيم بيو ويتجاهله إن هو أراد له أن يهلك، لأن من أراد لعدوه أن يهلك وكما كان شيخ الإسلام يؤكد دائما، عليه ألايشعره أنه مهتم بعداوته، بل عليه أن يهمله كأنه غير موجود، وذلك ما فعله العاهل، خصوصا وأن مركزه حتى في نظر الأمريكيين سادة الموقف وزعيمهم روزفيلت كان أقوى، ومع ذلك ورغم تصرفات بيو التي ستكون غاية في التهور والعنف، فإن محمد الخامس الذي كان يتمتع بظروف تدفعه إلى رد الفعل لم يقم بأي عمل من شأنه أن يجرح شعور الفرنسيين المحطمين معنويا وماديا، رغم إقبال روزفيلت وإشادة هوبكنز وإيزنهاور، وتذلل دي غول وتشفي تشيرشيل الحاقد على الفرنسيين، وكل ما حاول محمد الخامس إستغلاله بذكاء هو ما أقام الحلفاء حوله الضجة الكبرى وقالوا عنه ميثاق الأطلنطي وبنوده الثمانية التي تبين بعد أنها لم تكن في الواقع غير وسيلة من تلك الوسائل التي اعتاد الإعلام الغربي أن يخدر الشعوب بواسطتها، والتي حين يظهر للناس أنها هراء ولغومشكوف عادت دول الاستعمار لتفتري على العالمين بأكبر كذبة أطلق عليها منظمة الأمم المتحدة كما سنرى بعد 1945 ثم ميثاق حقوق الإنسان 1948 مع ان حقوق الإنسان لا تزال مهضومة وخصوصا في بلاد الدكتاتوريات التي حل الجهل والغباء والبغي والفساد فيها محل المستعمر.

الفصل الخامس والسبعون بعد المائتين

محمد الخامس والمطالبة بالاستقلال

بعد إعلان الميثاق الأطلسي

عندما نزل الحلفاء بشمال إفريقيا كانت القيادة الأمريكية هي صاحبة السيادة على الموقف سياسيا بل وعسكريا، وكان الرئيس الأمريكي وقتها هو روزفيلت فرانكلين1882ـ1945 "ومساعداه هو بكنز وإيزنهاور كما كانت قيادة بريطانيا بيد تشرشيل ونستون1874 ومونتكومري؟ وقيادة الفرنسيين بيد الجنرال دي غول 1890ـ والجنرال جيرو" 1879ـ1949"(87) وذلك بعد مقتل دارلان الذي لم يكن موضع تقدير تشرشيل بسبب عدائه لابريطانيا منذ 1940م(88).

وإذاكان المغرب وكما رأينا قد دخل معركة الحرب ضد المحور من أول وهلة، وإذا كان مركزه قد نال تقديرا واعتبارا في مذكرات كل رجالات الدول ذات الشأن، وبالأخص أمريكا، وإذا كان قد ساهم في الحرب بأكثر من ستمائة ألف رجل 600000 العدد الذي اعترف الفرنسيون بنصفه مما دفع بالجنرال دي غول بعد إنتهاء الحرب أن يمنح "باسم فرنسا؟!" وسام صليب الحرية إلى العاهل المغربي محمد الخامس، وكأنه كان ينتظر الجزاء من فرنسا المحطمة على ما قدم شعبه في حين أن المغرب وغيره من أقطار شمال إفريقيا وحسب منطق الرأي السليم لم يكن لها بد من الإقدام على ما أقدمت عليه، والتي كانت تهدف من ورائه الوقوف في وجه الفاشية والانتصار للديمقراطية، وخصوصا

---

(87) راجع تراجم هولاء في الموسوعة العربية ط1965 : روزفيليت (89 وهوبكنز 1913 وإيزنهاور 284. وبافون 98 وتشرشل 519. ودي غول شارل 825 وجيرو هنري 677

(88) راجع مذكرات تشرشيل ترجمة عطوى ص 165 ط 1968 ثم ترجمة إخترنا لك ص 141 ومذكرات رومل ط 1970 ومونتكومري في ثعالب الصحراء مصدر سابق ثم الأرض والرايخ مصدر سابق ص 84 نشر برلين 1941.

بعد التصريح بالمبادئ التي دعى إليها روزفيلت ثم الاتفاق على ميثاق الأطنلطي، ولقد أشار محمد الخامس في غيرما مناسبة أيام الحرب إلى أن خير ما يقدم من الحلفاء إلى المغرب هو حريته واستقلاله، خصوصا وأن ما كان ينشر ويذاع باسم الحلفاء هو أن الحرب العالمية الثانية سيكون إنتصار الدول الديمقراطية فيها يعني التصفية الضرورية للإستعمار بجميع أشكاله، خصوصا وأن الرئيس روزفيلت الذي دخلت دولته بكامل ثقلها في الحرب ضد المحور وقتها، كان قد أعلن في رسالة وجهها إلى الكونجرس يوم6/1/1941م أنه يجب إذا ما إنتصر الحلفاء أن تسود المبادئ والحريات الأربع التالية:(89).

1) حرية التعبير. 2) حرية العبادة. 3) التحرر من الحاجة. 4) التحرر من الخوف، وقد جمعت هذه المبادئ في ميثاق الأطنطي، بل روزفيلت هو الذي سجلت له القولة المأثورة والتي دونها ولده أليوط في مذكراته، والتي تعنى المغرب كما سنرى وهي التي قالها روزفيلت جوابا على سؤال ولده الذي سأله : إن كانت المستعمرات ملكا لفرنسا. وكان السؤال في الدار البيضاء، وبعد العشاء الذي تناوله محمد الخامس على مائدة الأمريكي، والحديث الذي دار بينهما حول المغرب، الذي كان يعيش تحت النفوذ الفرنسي ويحسبه أليوط ضمن الممتلكات الفرنسية، ثم سأل والده إن كان كذلك، حيث قال أليوط : قل لي يا والدي إني لا أرى الأمور بوضوح، فإني تعرفت على مقدار أهمية هذه المستعمرات ـ ويعني أقطار المغرب الكبير ـ ولكن أليست هذه البلاد ملكا لفرنسا؟!، فكيف يمكننا أن نتحدث عن إرجاعها"؟".

ومن صيغة السؤال يدرك أن السائل الذي لم يكن جاهلا ولا ساذجا وإنما الدافع له إلى أن صاغه على الشكل الذي رأينا، هو ما وقف عليه ورآه من تصرفات الفرنسيين واستبدادهم بكل الأمور صغيرها وكبيرها، حتى أنه لولا الظروف والبؤرة التي تردت فيها فرنسا لماتم ذلك اللقاء الذي نتج عنه هذا السؤال، الذي كان جوابه هذه القولة المأثورة:

---

(89) مضى نصف قرن على طرح هذه المبادئ والإشهار لها ولما تتمكن من طبع وسلوك حكام شعوب العالم "الثالث" بل بدأ الأمريكيون يحلون مكان الاستعمار القديم اعتمادا على قوتهم وفوضى سلوك الروس الذين لا عهد ولا أمل من شيوعيتهم المخالفة لطبع الإنسان الحضري، وكما يؤكد لنا المفكر العظيم عباس محمود العقاد في كتابه الشيوعية والإنسانية، والذي حكم بزوالها وشتات جموعها.

كيف يمكنك أن تقول : إنها ملك لفرنسا.؟ كيف يكون المغرب الذي يسكنه المغاربة ملكا لها.. وهل يحق لفرنسا أن تملك غير أرضها؟ فبأي منطق وبأي قانون وبأي قاعدة تاريخية يمكن ذلك؟" ذلك هو مضمون الوعد وهذه الروح التي عمل الإعلام على نشرها بين الشعوب حول أمريكا ورئيسها روزفيلت وقتها، بل ذلك هو الوعد الذي قطعه الحلفاء على أنفسهم في الميثاق الذي أبرم بين كل من روزفيلت كرئيس للولايات المتحدة، وونستن تشرشيل كرئيس لوزراء بريطانيا، يوم 1941/8/14(90) والذي أطلق عليه ميثاق الأطلنطي، وذلك عندما اجتمعا في عرض البحر على مقربة من شاطئ تيوفوندلن، وقد أعلن هذا البيان الذي تضمن وثيقة المبادئ الثمانية التالية :

1) أن الدولتين لن تطالبا بأي توسع إقليمي "؟؟؟"

2) عدم إجراء أية تعديلات إقليمية إلا وفقا لرغبات الشعوب المعنية والمعبر عنها تعبيرا حرا"؟؟

3) إعادة حقوق السيادة والحكم الذاتي لأولئك الذين حرموا منها قهرا "؟؟؟"

4) جعل التجارة والمواد الأولية للعالم في متناول جميع الدول "؟؟؟؟"

5) تعاون جميع الأمم للعمل على تحسين مستوي العمال وتوفير التقدم الاقتصادي والتأمين الإجتماعي للناس جميعا.

6) إقرار سلام يضمن للناس جميعا في جميع البلاد التحرر من الخوف والعوز"؟؟؟"(91).

---

(90) في تاريخ هذا اليوم وبعد شهر قبل سنة مضت كان دي غول قد أعلن تأسيس الجمهورية الثالثة التي استمرت من 1940/9/4 إلى يوم 1948/7/10 ولم يجد ملجأ ولا مساعدة تقدر وتحسب على فرنسا في تاريخ تحريرها إلا من المغرب العربي الكبير الذي سوف ترى شعوبه من فرنسا أخس وأفظع معاملة كما سنرى. فعلى العملاء والأذناب والأصهار أن يتدبروا الاختيار، وأن يدركواهم والمولدون سفاحا من أبنائهم أنه لاخير لهذه الأوطان في أي ارتباط ولو معنوي "فرانكوفوني" مع فرنسا الاستعمار، التي مهما أمل المتفائلون لم ولن يعرفوا من سياستها خصوصا وأوروبا عموما غير استغلال الأغنياء وأصحاب النفوس الصغيرة الذين يتسلطوا على شعوبهم وأن فرنسا وغيرها لا تعترف ولا تحترم غيرالأقوياء حسا ومعنى، وأكبر مثال للأغنياء هو دولة وشعب اليابان التي مهما عملت قوى الغرب فالواقع يؤكد لنا سخرية وازدراء اليابانيين بالجميع أمريكا وأوروبا، واليابانيون هم الذين كانوا بالأمس القريب إلى جانب النازية والمحور، بيد أنهم اليوم يزعجون أمريكا بله أوروبا بقوة اقتصادهم وذلك أهم رد فعل على ما فعله طيش ترومان بمدينة هيروشيما بعد الحرب كما سنرى في تعليق لاحق (94).

(91) م ع 1796 ط 1965.

7) حرية التجارة العامة.

8) التخلي عن استخدام القوة ونزع سلاح الأمم التي تهدد أو قد تهدد بالعدوان"؟؟؟" وقد تعهدت الدول التي وقعت على إعلان ميثاق الأمم المتحدة أيام الحرب في 1/1/1942 وعددها 26 باستثناء فرنسا يقول دي غول(92) بمرارة ـ وذلك بمراعاة مبادئ ميثاق الأطنلطي، والتي قيل إنها حلت محل عصبة الأمم بمقتضى ميثاق سيوقع يوم 26/6/1945م، وهو الذي وقع في سان فرنسيسكو من طرف 51 دولة وأصبح نافذا في24/10/ ثم 11/4 من نفس السنة.

وإذا كان الميثاق يتكون من ديباجة و111 مادة أولها مقاصد الأمم وآخرها المادة التي نصت على اللغات الرسمية التي وضع بهاالميثاق وهي الصينية والفرنسية والروسية والأنجليزية والإسبانية إلخ ومجموع المواد نصت على المساواة بين جميع الأعضاء وفض المنازعات الدولية بالوسائل السلمية، والامتناع عن التهديد بالقوة أو استخدامها ضد الاستقلال السياسي لأية دولة أو سلامة إقليمها. وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لأية دولة.

كما تكونت الأمم المتحدة من الفروع التالية " الجمعية العامة، ومجلس الأمن، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي، ومجلس الوصاية، ومحكمة العدل الدولية، والأمانة العامة، لكن الجمعية العامة ومجلس الأمن لم يجتمعا لأول مرة إلا في يناير من عام 1949 إلخ.

كان الذي تزعم فكرة ميثاق الأطلنطي طبعا هو الرئيس الأمريكي روزفيلت، وإذا كانت تلك نظرته للأمم والشعوب، وكما وصفها لولده أليوط، ومنها المغرب الكبير الذي علم ورأى مواقف شعوبه ضد الفاشية، فإنه حين حل بشمال إفريقيا فعلا إتصل بكل من محمد الخامس والمنصف باي، وكانت فرصة اللقاءآت بينه وبين محمد الخامس بالخصوص، مما أتاح لمحمد الخامس أن يركز على مفهوم ميثاق الأطلنطي المشار إليه، ويأخذ به شبه وعد من رئيس الولايات المتحدة، الذي يظهر من خلال نصائحه لمحمد الخامس بعد فيما يتعلق بالمغرب وثرواته، أنه وكما ورد في مذكرات ولده أليوط، أن

(92) في مذكراته مصدرسابق ص 295 ط 1964.

روزفيلت كان بحق يقصد صدق النصيحة، وذلك فيما كتب حول الإجتماع الذي جمع بينهما في الدار البيضاء ما بين 14ـ26 /1/1943(93) ولكن روزفيلت مات قبل نهاية الحرب فخلفه شخص صهيوني كان أشد حقدا على الإنسانية جمعاء وهو "هاري ترومان" صاحب قنبلة هيروشيما يوم 1945/8/6(94) ومحقق مشروع دولة إسرائيل ضد العرب في فلسطين، بل والمساير لدول الاستعمار تمكينا لاستعباد الشعوب المستضعفة، وكأنه لا يمت بصلة إلي ما ورد في مطلع إعلان الاستقلال الأمريكي 1776، ومهما يكن فقد تناول كثير من الذين كتبوا حول موضوع إتصال محمد الخامس بالرئيس روزفيلت خصوصا اللقاء الذي تم بعد المؤتمر المشار إليه، وذلك في العشاء الذي أقامه الرئيس على شرف العاهل بتاريخ 1943/1/21م، وما تبعه من لقاءات، لكن أوثق ما يستدل به على ما راج في هذا الاجتماع هو ما ورد في مذكرات، أليوط، ابن الرئيس روزفيلت الذي كتب بلاتصنع ولا توجيه من أحد، بل كتب مذكراته حول والده وفيها ورد حول محمد الخامس ما يؤكد أنه كان المهتم كثيرا بحرية واستقلال بلاده، وحرية شعبه إلى درجة التحسر والألم، وأنه لا يستطيع كتمان آلامه وحسراته على واقع شعبه وبلاده تحت وطأة الاستعمار الفرنسي وطغيانه.

يقول اليوط في كتابه عن والده الذي سماه "هكذا كان أبي" وحول ليلة من ليالي

---

(93) راجع م.ع ص 1769، وما كتبه دمحمد صلاح الدين وزير خارجية مصر حول نكران الجميل من الأمريكيين الذين كان المغرب أول دولة إعترفت لهم بالاستقلال عام «1202هـ» 1787 وذلك فيما نشر بمجلة روزليوسف عدد 1317 ص 8 والواقع أن الفكر الواعي وقتها كان لا يعطي أي اهتمام لقول روزفيلت العابر لأن أمريكا لم تكن بالنسبة لعقدة أديب التي كانت لها في نفس الجنرال دي غول غير ح ليفة حرب إنتهت وبانتهائها حصل تحول غير جميل عبر عنه دي غول في مذكراته جـ 1/290ـ343 ط بغداد 1964 مصدر سابق.

(94) كانت دولة اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية قد إنتهت إلى قوة دولية، كانت قد إنتصرت لألمانيا ضد إنجلترا، واستولت على كثير من المستعمرات الأنجليزية وغيرها، ولذلك ما كاد ينصب ترومان الذي تولى الحكم بعد روزفيلت والذي غامر ببرنامج السلاح المتطور والقنبلة الذرية التي كانت موضع جدل بين الأمريكيين حتى وجه إثنين منها ضد اليابان فقنبل هيروشيما يوم 1945/8/6م مما جعل دولة اليابان تحت رحمة الحلفاء، لكنها بمضي الزمن وحيوية شعبها سوف تصبح قوة اقتصادية تهدد أوروبا وأمريكا معا، ولا تقف إلا باتحاد القوتين لمواجهات صادراتها الصناعية والمتطورة يوما بعد يوم، بل والتي هي قادرة على التخريب الإقتصادي للشعوب بأتفه الأشياء التي تعتبر من الكماليات وضمنها لعب الأطفال التي تصنع حتى من علب السردين المصدر من المغرب وقد وقفنا عليها، مما يحط من قدر التسلط والإستبداد، ويعلي من شان الديمقراطية التي تؤهل للرشد وقوة الاستعداد.

أبيه في المغرب أثناء الحرب وفي مدينة الدار اليضاء، التي شهدت هي الأخرى مؤتمر آنفا الذي أصبح له ذكر في ملحمة التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير وفي مختلف المعاجم.

"في تلك الليلة لم نتناول كوكتيلا قبل العشاء، ولم نشرب النبيذ مع الأكل، ولم يحتو برنامج العشاء على لحم الخنزير، فقد كان السلطان وريث الورع والتقوى ضيفنا للعشاء في تلك الليلة.(95) "فقط هذا الوصف التلقائي الصادق يكفي ليتعرف العالم من هو محمد الخامس وكيف كان خلقا وسلوكا."

وصل السلطان مع نجله ووريث عرشه مصحوبين بالصدر الأعظم ورئيس التشريفات وكانوا جميعا لابسين أزهى الحلل ومرتدين جلاليب الحرير البيضاء والناصعة، ويحملون الهدايا للرئيس، سوارين من الذهب الخالص وتاج رفيع من الذهب لوالدتي، وألقى والدي نظرة على التاج ثم رفع بصره إلي وغمزني بطرف عينه، إذجال فكرنا صدفة حول نفس الخاطر، تصورنا والدتي مترئسة أحد الإحتفالات بقصر الرئاسة وقد وضعت على رأسها هذا التاج الرفيع...

وابتدأ العشاء وقد جلس السلطان على يمين والدي وتشيرشيل على يساره، وكان هذا الأخير شديد النشاط، أما الجنرال دي كول فقد وصل ظهر ذلك اليوم، وأخبرنا بأنه تناول طعام الغداء مع الجنرال جيرو، ثم توجه لزيارة البيت الذي ينزل به تشرشيل، ولكن لم يطل بنا الحديث حتى أخذ الغضب يستولي على تشرشيل، ما الذي أزعجه ياترى؟

إن والدي والسلطان كانا يتبادلان الحديث حول ثراء طبيعة المغرب والإمكانات العظيمة(96) لاستثمارها، وكانا يقضيان وقتا ممتعا، خصوصا وأن معرفة أبي بالفرنسية

---

(95) وامغرباه أية مكرمة أحسن وأفضل من السلوك الذي يرفع المرء مكانا عليا من الجميع، إشهد أيها التاريخ وسجل أن محمد الخامس كان بحق مثال المسلم المومن الصادق العزم السليم السلوك القوى الإيمان بالله وبدينه ومثله.

(96) واليوم حق لنا أن نقول للقوم وللتاريخ تعالى يا أليوط مع من شئت من قومك "مورفي" وأفيريل هاريمان" وغيرهما لتروا ما نصيب عامة الشعب المغربي منها وقد مضى على استقلاله أكثر من ثلاثة عقود أثرى فيها الدخلاء وخصوم الشعب من خونة الماضي القريب، بل وازواج بائعات الهوى من أوروبيات وفرنسيات مواخير آخر الليل وأولادهن الذين أصبحوا قوة تكونت في بحر الثلاثين سنة ثم أصبح لهم الشأن في مختلف مرافق الدولة في =

وهي لغة لا يحسنها تشرشيل، كانت تسهل عليه التحدث في شان رفع مستوى المعيشة بين المغاربة ـ الأمر الذي آلم تشرشيل ـ كما تحدث عن أنه لا سبيل إلى تحقيق ذلك إلا باستبقاء الجزء الأوفى من ثروة المغرب داخل البلاد. وأبدى السلطان رغبة عظيمة في أن تخصص الولايات المتحدة لبلاده أية إعانة ممكنة لرفع مستوي الحالة الصحية والثقافية بالوسائل الحديثة، وبين له والدي أن تحقيق ذلك يستوجب على السلطان ألا يسمح للشركات الأجنبية بالحصول على إمتيازات تبتز بها ثروة البلاد، وحاول تشرشيل في تلك الآونةأن يغير مجري الحديث، إلا أن السلطان عاد بلباقة إلي إستئناف الكلام في الموضوع، فوجه سؤالا عما ينصح به والدي فيما يتعلق بالحكومة الفرنسية في المستقبل،؟ فأجاب والدي بحماس وهو يلعب بالشوكة بأنه لا شك في أن الوضعية فيما بعد الحرب ستكون مخالفة تماما لوضعية ما قبل الحرب خصوصا في الشؤن المتعلقة بالاستعمار.. فسعل تشرشيل وعاد مرة أخري يحاول تغيير مجرى الحديث، إلا أن السلطان تخلص منه في أدب جم ليسأل والدي عما يعنيه بأن الوضعية ستكون مختلفة إختلافا تاما(97).

وألقى والدي ملاحظة عابرة حول الصلات القديمة القائمة بين الممولين الفرنسيين ولبريطانيين، والتي ترمي إلى المحافظة على شركائهم إلى الأبد بقصد إستغلال ثروات البلاد المستعمرة، وبعد ذلك تخلص إلى الحديث عن إمكانات وجود آبار البترول في المغرب؟. وأبدى السلطان إهتماما عظيما بهذا الموضوع، وصرح بأنه على أتم إستعداد لبحث مثل هذه الإمكانات للمحافظة على ما تدره من أرباح لمصلحة بلاده ثم هز رأسه في ألم وحسرة لعدم وجود الرجال الأكفاء من العلماء القادرين على القيام بهذا العمل،

= الوقت الذي أصبح الأحرار الذين حرروا المغرب وقاوموا الاستعمار مهمشين، بل مضطهدين بقوة الحديد والنار. سجل أيها التاريخ ثم ردد قوله تعالى : وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين "الآية وقوله تعالى" وإذا اردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها... الاية.

(97) إنها بساطة وسذاجة الأمريكي أمام خبث ونذالة الصهيوني الأنجليزي، ذلك ما يصوره لنا أليوط أصدق تصوير، ثم بربك كيف نتخيل الملك العظيم محمد الخامس من خلال ما كتبه أليوط ابن روزفيلت وليس لروح المغربي أي أثر عليه.

وعدم وجود المهندسين بين مواطنيه المغاربة، وعدم وجود الإخصائيين القادرين على إستثمار هذه الثروات دون الإلتجاء إلى طلب المعونة الأجنبية.. وتململ تشرشيل في كرسيه قلقا"؟؟".

واقترح والدي بأنه من الممكن تدريب مهندسين وعلماء مغاربة بإتفاقات خاصة، مثل إتفاقات التبادل الثقافي تعقد مع بعض كبريات جامعاتنا في الولايات المتحدة، وهز السلطان رأسه بالموافقة، ولو لم تكن مقتضيات اللباقة لتم في ذلك الوقت والمكان إعطاء السلطان أسماء وعناوين الجامعات المشار إليها مع عناوينها، وواصل والدي الكلام في الموضوع وهو يلعب بكأس الماء وقال إنه من السهل على السلطان أن يبرم عقدا مع بعض الشركات الأمريكية التي تتولى تنفيذ البرنامج لاستثمار ثروة البلاد كما يريد السلطان، وذلك على أساس أجر مخصص أو على أساس ربح مقدر بنسبة مئوية، وأكد والدي أن مثل هذه الاتفاقات ستكون لها الفائدة الكبرى، لأنها ستمكن حكومة المغرب المستقلة من المحافظة على سيطرتها على مصادر الثروة، ومن الحصول على أعظم قدر من الأرباح التي تدرها، وأن تستردها نهائيا حيتما يصل الأجل المحدد لذلك.

ونفخ تشرشيل وحاول أن لا يسمع إلى الحديث، وكان العشاء ممتعا للغاية خرج منه الجميع، عدا واحد من المدعوين،"يعني تشرشيل" في منتهي السرور وحينما نهضنا من المائدة قال السلطان لوالدي حينما تنتهي الحرب سيتوجه إلى الولايات المتحدة بطلب المعونة لتحقيق استثمار ثروات البلاد، وتألق محياه وهو يقول : سيكون لبلادي مستقبل زاهر"(98) ولسوف يلاحظ القارئ أن ماورد في هذه المذكرات سوف ينعكس على خطب محمد الخامس لزمن غير قصير خصوصا خطب عيد العرش وتدشين فتح المدارس الحرة التي سوف يشهر فيها بواقع المغرب والمغاربة الذين لم يتكون منهم في الفترة التي قضاها الفرنسيون بالمغرب ولا مهندسان اثنان بل ولا أطباء حتى البيطريين منهم ...إلخ

يمكن لقائل أن يقول إن الموت لم يمهل روزفيلت الذي كانت تنم لهجته على حسن نواياه، لأن بلاده قبل عرفت ذلك الاستعمار، ولم يكن لها في عهده مستعمرات مثل

---

(98) راجع هذه مراكش لعبد المجيد بن جلون 29.226 ط القاهرة 1949 جريدة الأمة التطوانية مصدر سابق ودوجلاس مصدر سابق وتاريخ المغرب لروملاندو وسلطان مراكش ترجمة عبد المجيد بن جلون 25.22 ط 1952.

تشيرشيل الذي صور لنا أليوط مدى خبثه الناتج عن روح الصهيونية التي لم يخفيها سواء في سلوكه وحتى في مذكراته، ومع ذلك، فقد أثبت التاريخ والواقع أن أمريكا لاعهد لسياستها ولاوفاء، ولاخير للشعوب الواقعة تحت نير الاستبداد والاستعباد في سياستها الإستغلالية، التي أكد التاريخ والواقع، أنها إنما تعتمد على التمكين للحاكم المستبد الذي يذل الشعب المتظلم إلى أن ينكشف ويهان فترمي به في بؤرة الذل والاحتقار الأبدي وفي عصرنا كم لها من ضحايا شرقا وغربا وذلك ما حصل لها في الفتنام، وسوف تراه في الفلبين التي تسلط عليها المجرم ماركوس، وفي إيران التي منذ عهود الأكاسرة ما رأى شعبها طغيانا واستبدادا مثل ما يراه من الشاه العميل محمد رضا بهلوي الذي يكفي أن تراجع مذكراته مع فوزية فؤاد وثريا أصفندناي، وغيرهما. كما يكفي مراجعة مذكرات شقيقته ورئيس وزرائه هويدي وغيرهم، فأمريكا هي التي مكنت لفرنسا بعد في المغرب كما سوف نرى.

هذا مع العلم أن أغلب التصريحات من المسؤلين في دولة ما من التصريحات التي أشاعت الأمل في النفوس، ودعت إلى تحرير المستعبدين وإنصاف المتظلمين كانت أكثر من المسؤلين الأمريكيين، لكن الذي أثبته التاريخ أنها كانت تصريحات مفتعلة على الطريقة الأمريكية في الإعلام من أجل الاستهلاك فقط، وتحايلا على الرأي العام الأمريكي الجاهل لكل ما حوله.

ومهما يكن فإن خبر الاجتماع ما كاد ينشر ويعرف في المغرب العربي بل وتعرف تصريحات روزفيلت وغيره من رجالات الدول وقتها، حتى حصلت حركة في الجزائر بعد أقل من شهر على إجتماع محمد الخامس روزفيلت المشار إليه، إذ في 1943/2/10 إتفقت كل الهيآت السياسية بالجزائر ثم إنضوت في جبهة قومية موحدة وضعت لها برنامجا مشتركا يهدف إلي إقامة جمعية تأسيسية جزائرية منتخبة بالاقتراع العام لإقامة جمهورية ديمقراطية إشتراكية، وكانت هذه الأهداف قد إنتشرت في أوساط الشعب الجزائري الذي تطوع السياسيون من رجاله لنشر أهداف ميثاق الأطنلطي المشار إليها حتى يطمئن الحلفاء إلى أن مبادئهم هي المحرك والدافع إلى ما اتفقت عليه الأحزاب الوطنية في الجزائر ناهيك وأن هذه الأهداف كانت موضوع بيان أصبح الوثيقة

الأولى للشعب الجزائري كله، وهي أهداف تتفق مع ميثاق الأطلسي التي وإن كانت فرنسا هي الدولة التي لم توقع عليه بشهادة الجنرال دي غول في مذكراته المشار إليها قبل.

ومهما يكن فإن الأحزاب الوطنية في الجزائر كما كان الشأن في المغرب قد تعلقوا بما ورد في الميثاق الذي نصت المادة الثالثة منه على أن كل شعب له الحق في اختيار حكومته، وأنه لا اعتبار لنظام حكم يفرض بالقوة، وتلك كانت حالة الجزائر وقتها ومنذ أكثر من مائة عام أي منذ 1827م كماسبق بحيث حرم الشعب بالقوة من ممارسة حقوقه السياسية والتمتع بسيادته، لهذا كانت الجمعية التأسيسية المطلقة السلطة وحكومة الجمهورية الحرة للجزائريين أعز أماني الشعب وصدى موافقا لميثاق الأطلنطي.

وقد إعتمد الجزائريون في إقامة جمعيتهم التأسيسية على جميع المواثيق المكونة للقانون الدولي وقتها، وأهمها ميثاق الأطلنطي، وميثاق سان فرنسيسكو، وميثاق الأمم المتحدة المنتظر، وإعلان حقوق الإنسان والتي كلها كانت مستوحاة من ميثاق الأطلنطي وتصريحات زعماء الدول المتحالفة خلال الحرب العالمية الثانية، تصريح المارشال ستالين في نفمبر 1942 وروزفيلت وحتى تشيرشيل كان قد صرح في 1940/11/9 بقوله المفتعل حيث قال "إنه مامن شك أننا نقاتل كي نتيح للشعوب مواصلة التقدم وحكم أنفسها بأنفسها"؟"؟ ونفس التصريح صدر عن المارشال شين كاي شيك بتاريخ 1943/7/7 «وكورد لهل» وزير خارجية أمريكا بتاريخ 1943/9/13 إلخ. لكن الواقع وما رأيناه في تونس من تصرفات جوان وكذا من جاء بعده وهو "ماست" المقيم العام في تونس هو العكس فقد شرع هو الآخر في التمكين لحكمه المطلق المباشر، بحيث وضع من التشريعات ما جعل أوامره فوق الجميع وأنه الرئيس الحقيقي لجميع المصالح الإدارية مما اعتبر تقهقرا وتراجعا حتى في الإصلاحات التي كانت قد أدخلت على يد سلفه فينو عام 1936 بل حولها ماست إلى ما كانت عليه في عهد بيرطون، وحتي يضمن لهذا الاستبداد أن يتمكن، اعترف بالحزب الشيوعي الذي أصبحت له جريدة تعرف بـ"المستقبل الاجتماعي»، كما أذن لحزب الإصلاح بالعودة إلى العمل برئاسة حسن گلاتي، وكان لحزب الدستور القديم نشاطه المحدود، لكن عودة بورقيبة من روما بعد

إطلاق سراحه ورفاقه من سجن فرنسا في نفمبر 1942 كما سبق وما حصل من نفي محمد المنصف 1943م وما عرفته البلاد من حملة الإضطهاد ثم إنتشار دعاية الحلفاء وما حصل وقتها من تظاهر حكومة التحرير الفرنسية وتصريحات المسؤلين فيها إلى جانب الديمقراطية، وتحرير الشعوب؟ دفع بالحبيب بورقيبة ورفاقه إلى القيام بنشاط مكثف وجولات في مختلف جهات البلاد كان لها أثرها في ظهورحزبه على بقية الأحزاب التي فقط وحتى بعد حادثة الباي إكتفوا بالاحتجاج، بيد أن الحزب الحر الدستوري الجديد وبما قام به رجاله من نشاط أدى إلى بعث شامل سينتج عنه التصريح المشترك بتاريخ1944/10/30اقتداء بوثيقة المطالبة بالاستقلال الذي حصلت عليه سوريا ولبنان والذي حركته الجمعية القومية الجزائرية في 1943/2/10 والوثيقة التي صيغت في المغرب في 1944/1/11 والتي قدمها محمد الخامس إلى الإقامة العامة لترفعها إلى الحكومة الوطنية كما قدمت إلى سفراء وقناصل الدول كما سنرى.

وهكذا فعلى غرار هذه الحركة التي قامت في الجزائر والمغرب قامت بعد سنة أخت لها في تونس وإن كانت ليست على نفس النهج بل فيها تراجع حيث طالبوا بالحكم الذاتي الذي حسبه المغترون التونسيون أقرب إلى تحقيق الهدف، بيد أن التاريخ بعد عرفهم وعرف الجميع في المغرب العربي الكبير، أن الحق يؤخذ ولا يعطي، ذلك أن الحزب الحر الدستوري الجديد حين إستأنس من نشاطه القدرة على ضم الصفوف وجمع الشمل، تقدم خطوة إلى الأمام حيث صاغ التصريح المشار إليه في صيغة المطالبة بالاستقلال الداخلي، وكان إلى جانبه في هذا المطلب مسايرة كل من الحزب الدستوري القديم، وحزب الإصلاح، ومختلف المنظمات غير الحزبية، مثل منظمة المثقفين المحايدين، وأعضاء المجالس المنتخبة، ورجال التعليم والطلبة الزيتونيين والمدرسين بالمدارس حيث وقعت على الطلب بالاستقلال الداخلي لجنة عرفت بـ "لجنة الستين"(99) وذلك بتاريخ

(99) ولسوف نرى كيف سيتأثر بهذا في المغرب محمد بن الحسن الوزاني الذي سوف يحاول التفاوض بلا تفويض من أحد من أجل ذلك مع الجنرال جوان عام 1947 لكن هذا الأخير وبخبث سوف يردها في وجهه ويقول له بلا تردد إن الذي يمكنه الخوض في هذا المجال لابد أن يتقدم به إلى السلطان فهو الذي يحق له التحدث باسم المغرب في هذا الموضوع.

1945/2/22م لكن الإدارة الفرنسية في تونس وعلى رأسها المقيم "ماست" قابلت هذا المطلب بنفس الطريقة والأسلوب، ومع ذلك بقيت تلك الوثيقة وكما سنرى هي المطلب والشعار الذي إعتمده الحزب الحر الدستوري بزعامة الحبيب بورقيبة إلى أن تغيرت المفاهيم في كل ربوع شمال إفريقيا والمغرب العربي الكبير، بل إفريقيا عموما، وبلاد المستعمرات بسبب الثورة المغربية التي سيفجرها محمد الخامس يوم 20 غشت 1953 والتي بعدها ستنتزع شعوب المغرب العربي الكبير إستقلالها بحد السيف، وبهاتقتدي شعوب كثيرة كما سنرى.

لكن كيف بدأت المعركة التي دامت عشر سنوات كلها صراع بين المغاربة والفرنسيين، ومن الذي كان رائد هذه المعركة وخلفها يغذيها بالعمل والصبر والثبات وقوة الأمل بين رجالات المغرب العربي الكبير، في المغرب والجزائر وتونس وليبيا، وبالتالي الباعث للوعي من أجل تحرير إفريقيا، وجميع المستضعفين المستعمرين بالفتح، أو كما قال جمال عبد الناصر في محاضرة له بنادي هيأة التحرير بميدان عابدين يوم1953/8/25 "إن الذين يحسبون أن بثورتنا طردنا ملكا وبثورتنا نناصر ملكا هو محمد الخامس ملك مراكش المجاهد عليهم أن يدركوا أننا نؤيد موقف رجل بهر العالم وأيقظ الهمم».

كان يوم السبت –29 مايو 1943– يوما مشهودا في تاريخ الحرب العالمية الثانية إذ وصل في ذلك اليوم الجنرال دي جول إلى الجزائر للاجتماع بالجنرال جيرو. وها هما الجنرالان يغادران المطار بعد وصول الجنرال ذي جول، وقد سار خلفه الجنرال كاترو

السيد عبد الرحمن بن محمد بن سعد التازي ابن خالة ابراهيم بن عبد الله الوزاني كنيته أولاد عبادة أسس مدرسة حرة بتازة ثم انطلق وكون له جماعة لمقاومة الفرنسيين

السيد هلال بن محمد بوزماوي من مواليد 1305هـ بآزرو

الجنرال كلارك والأميرال دار لان يوقعان معاهدة الدفاع

في انتظار الغزو.. هتلر يجتمع بلافال وباستيانيني في أواخر مايو 1943 اجتمع الهر هتلر بالمسيو لافال رئيس حكومة فيشي والمسيو باستيانيني وزير خارجية إيطاليا في مركزقيادته للمشاورة. وهذه الصورة عن مجلة المصور عدد 979 بتاريخ 1943/7/16

الامبرال تون والمارشال بيتان

الرجل الذي استعمل كل الوسائل لانقاذ فلسطين والفلسطينيين الحاج أمين الحسيني الذي أنقذه محمد الخامس من أسر الفرنسيين

الدكتور تقي الدين الهلال عمل مع شكيب أرسلان لفائدة الألمان

المارشال بيتان تحت رحمة هتلير أكتوبر 1940

أهالي مارسيليا يرغمون على إخلائها اشتراك رجال البوايس الفرنسي ورجال فرق الهجوم الألمانية في إرغام000 40 من سكان مرسيليا على إخلاء منطقة الميناء توطئة لتوسيع الميناد وبناء قاعدة للغواصات النازية... وهذا فريق من أولئك السكان وقد حملوا أمتعتهم مبتعدين عن مساكنهم تحت إشراف بوليس فيشي ورجال فرق الهجوم القهرية

عبد الخالق الطريس رحل إلى برلين واتصل بالألمان فحكم عليه بالإعدام من الفرنسيين وقد توفي رحمه الله تحت وطأة الحرمان في شهر ماي 1970

موسولني والملك عمانويل

دوكول مع الجنرالين كونيك ولوكليرك والمقاومين

وفي يناير سنة 1943 تم مؤتمر الدار البيضاء بعد نزول قوات الحلفاء في شمال أفريقا. وتجمع هذه الصورة بين تشرشل ودي جول وروزفلت وجيرو في مؤتمر الدار البيضاء

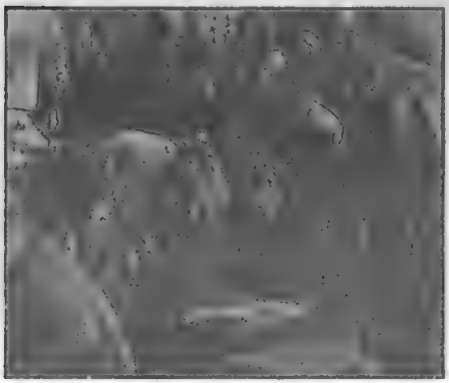

دي جول يزور "مراكش" المغرب حيثي تحتم التقاليد المراكشية تقديم الحليب والتمر للضيف، وها هو الجنرال دي جول يشرب الحليب الذي قدمته له فتاة مراكشية وإلى يمينها أخرى تحمل طبقا من التمر. وبهذه المناسبة نقول إن الاتجاه اليوم هو تعيين دي جول رئيسا للدولة الفرنسية الحرة والذي حرر فرنسا؟ هل الرجال من أبنائها أم أبناء المغرب الكبير 1943 مجلة المصور

تشرشل في الجزائر

زار المستر تشرشل الجزائر وجبل طارق وتونس في طريق عودته من أمريكا إلى انجلترا. وقد التقطت له هذه الصورة عند وصوله إلى الجزائر وقد سار إلى يمينه الجنرال دوايت إزنهاور- قائد قوات الحلفاء في شمال أفريقا- الذي كان في استقباله. وقد انتهز المستر تشرشل فرصة وجوده بشمال أفريقيا فزار الجيوش البريطانية والأمريكية في تونس وقضى يومين في تفقدها. وقد حضر كذلك الحفلات التي أقيمت عقب اتفاق الجنرالان جيرو ودي جول على تأليف الحكومة المركزية في الجزائر.

محمد المنصف باشا
باي البلاد التونسية

تحررت فرنسا لتكسر
سواعد الذين حرروها

صالي حزان اليهود بتافيلالت بأرفود وهو الذي تقدم لمحمد الخامس حين زيارته لتافيلالت 1940 ثم قال له بالحرف حررتنا من الموت الله يطول عمرك وينصرك على عديانك. حميتنا ربي يحميك فأصبحت أغنية يرددها اليهود وقتها مصحوبة بالضرب على الدف

سياسة فرنسا في مراكش

كما يبسطها الجنرال جوان المقيم العام

مؤتمر صحفي في باريس

باريس في ٢٥ - لمراسل الاهرام الخاص - حضر كثيرون من الصحفيين المؤتمر الصحفي الذي عقده الجنرال جوان المقيم العام الفرنسي في مراكش امس في دار وزارة الخارجية .

الحماية ليست ابدية

وقد تكلم الجنرال مدة ساعتين عن الحالة في مراكش وبسط المهمة التي تمت في خلال ٣٥ سنة اي في اثناء مدة الحمايه . ولم يتورع عن الانتقاد . وقد قال ان الحماية ليست ابدية وانها تعد ملغاة في اليوم الذي تبلغ فيه مراكش رشدها ويصبح فيها رجال الادارة ورجال الاختصاص من الوطنيين .

الاصلاحات التي تمت في مراكش

وتكلم الجنرال مطولا عن الاصلاحات التي نفذها في الاشهر الثمانية الماضية منذ عين مقيما عاما . ثم اقام الدليل على وجوب تعديل النظام الفيديرالي بانشاء دولة ديمقراطية تستند فيها سلطة السلطان الى مجلس وزراء

مراكش والجامعة العربية

ورد الجنرال جوان على سؤال في صدد مراكش وجامعة الدول العربية فقال ان تسعة اعشار السكان يجهلون وجود هذه الجامعة التي اتجهت اليها انظارهم من الوجهة الثقافية وان يكن عملها السياسي غير ظاهر تماما .

وقال عن حزب الوزاني : ان هذا الحزب وضع مشروعا لدستور البلاد وقدمه الي . فنصحته بأن يقدمه للسلطان ، لانه رئيس الدولة ولان استشارته واجبة . وهو يقول اريد هذا او ذاك فانقل ارادته الى الحكومة الفرنسية .

وقد اثار مشروع الوزاني مباحثات طويلة مع الحزب . فان بابي مفتوح لجميع الناس ، حتى لاعضاء حزب الاستقلال .

حاجة مراكش الى اختصاصيين

وسأله احد الصحفيين الامريكيين : هل يمكن تحقيق الاستقلال قريبا فرد الجنرال جوان بقوله :

عن جريدة الأهرام 1949/1/26

المغاربة وكيف كان الاستعمار الفرنسي يتخذ منهم جنودا أو يصور أشكالهم؟؟ للتعجب ناسيا أنهم الذي هشموا أحذية الألمان التي أهانت بركلها وجوه الفرنسيين والفرنسيات

هؤلاء الذين حرروا فرنسا من ذل الألمان وبعد ما حرروها أمعنت في استعبادهم والقسوة في استعمارهم وتقتيلهم في اسطيف وكالمة بالجزائر والدار البيضاء بالمغرب وساقية سيدي يوسف بتونس إنه التاريخ الذي يريد عملاء الاستعمار في المغرب العربي أن ينسى

المسيو رونيه ما سيجلي المسؤول عن الشؤون الخارجية
المسيو أندريه فيليب عضو اللجنة والمسؤول عن الداخلية
اللجنة الفرنسية لتحرير فرنسا وقد كانت من سبعة أعضاء
تنقص هنا صورة الجنرال جيرو وصورة جان مونيه

الى كل المسلمين الفرانسيين "؟!"

فرانسا خسرت معركة لكن فرانسا لم تخسر الحرب

فرانسا قهرت بقوة لم تكن تحسب حسابها، ولكن ليس هناك شيء خسر . ليس هناك شيء خسر لان هذه الحرب حرب عالمية . وفي العالم الحر توجد قوات عديدة حرة لم تسلم للعدو . وفي يوم ما ستقضي هذه القوات على الاعداء قضاءاً مبرماً . وعليه فيجب ان تكون فرانسا متمثلة في ذلك اليوم المشهود ، يوم النصر لتنال عزها وعظمتها ورفعتها من جديد . هذا هو مبدئي ، هذا هو مبدأ الوحيد .

ولذا يلزمني لهذا السبب أن أنادي كل الفرانسيين وكل المسلمين الفرانسيين للاجتماع حولي أينما كانوا للعمل ، للتضحية وللرجاء .

ان وطننا في حالة يائسة فلنحارب كلنا لانقاذه فلتحيى فرانسا .

الجنرال دوكول
رئيس فرانسا المحاربة

١٨ يونيه سنة ١٩٤٠

الرئيس الفرنسي الذي لم يقبل الطاعة للعدو
(الجنرال دو كول) صاحب نداء الشرف حوله

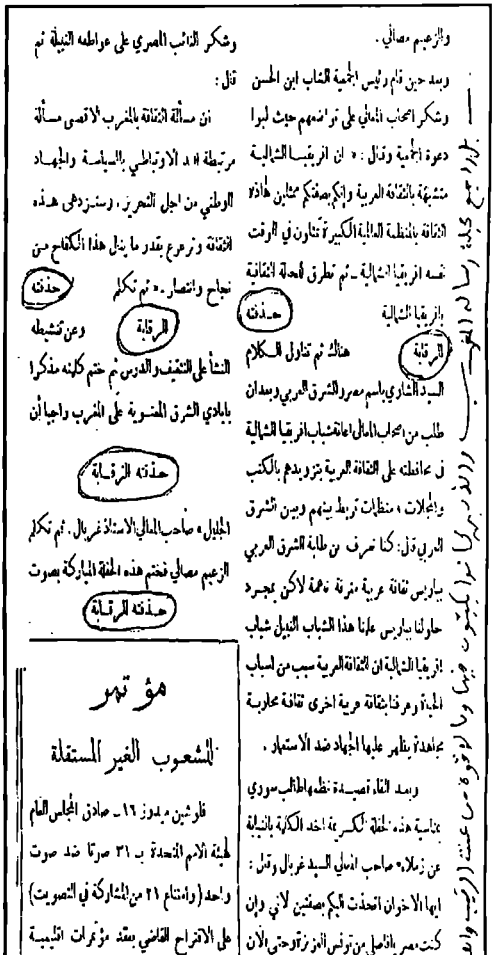

والزعيم مصالي.

وبعد حين قام رئيس الجمعية الشاب ابن الحسن وشكر اصحاب المعالي على تواضعهم حيث لبوا دعوة الجمعية وقال: «ان افريقيا الشمالية متشبهة بالثقافة العربية وانكم بصفتكم ممثلين لهذه الثقافة بالمنظمة العالمية الكبيرة تمثلون في الوقت نفسه افريقيا الشمالية - ثم تطرق للحالة الثقافية بافريقيا الشمالية

حذفته

الرقابة

هناك ثم تناول الكلام السيد الشاوي باسم مصر والشرق العربي وبعد ان طلب من اصحاب المعالي اعانة شباب افريقيا الشمالية في محافظته على الثقافة العربية بتزويدهم بالكتب والمجلات، منظمات تربط بينهم وبين الشرق العربي قال: كنا نعرف من طلبة الشرق العربي بباريس ثقافة عربية مترفة ناعمة لاكن بمجرد حلولنا بباريس علمنا هذا الشباب النبيل شباب افريقيا الشمالية ان الثقافة العربية سبب من اسباب الحياة وعرفنا بثقافة عربية اخرى ثقافة محاربة مجاهدة يظهر عليها الجهاد ضد الاستعمار.

وبعد القاء قصيدة نظمها طالب سوري بمناسبة هذه الحفلة الكريمة اخذ الكلمة بالنيابة عن زملاءه صاحب المعالي السيد غربال وقال: ايها الاخوان اتحدث اليكم بصفتين لاني وان كنت مصريا فاصلي من تونس العزيزة وحتى الآن [illegible]

وشكر النائب المصري على عواطفه النبيلة ثم قال:

ان مسألة الثقافة بالمغرب الاقصى مسألة مرتبطة بالحد الارتباطي بالسياسة والجهاد الوطني من اجل التحرير، وستزدهي هذه الثقافة وترعرع بقدر ما ينال هذا الكفاح من نجاح وانتصار.» ثم تكلم

حذفته

الرقابة

وعن تنشيطه النشأ على التثقيف والدرس ثم ختم كلمته مذكرا بايادي الشرق المعنوية على المغرب راجيا ان

حذفته الرقابة

الجليل، صاحب المعالي الاستاذ غربال. ثم تكلم الزعيم مصالي فختم هذه الحفلة المباركة بصوت

حذفته الرقابة

مؤتمر

للشعوب الغير المستقلة

فلوشين ميدوز ١٦ - صادق المجلس العام لهيئة الامم المتحدة بـ ٣١ صوتا ضد صوت واحد (وامتناع ٢١ من المشاركة في التصويت) على الاقتراح القاضي بعقد مؤتمرات اقليمية للشعوب الغير المستقلة

صفحة من تاريخ:

مولاى الحسن

١٣١١ — ١٩٩٠

بويع عاهل المغرب الكبير مولاي الحسن في فترة اخذت عوامل الانحلال والضعف تتسلل الى اجزاء المملكة وكيانها، واضطلع باعباء الملك والمغرب اذ ذاك يكاد تعصف به الخطوب، وتستحكم فيه حلقات المكاره فمن ثائرة بعض القبائل الضاربة هنا وهناك والتي يهيجها للوثوب وانتقاض الطاعة اطماع النهب ومغانم السلب الى تحفز الدول (حذفته الرقابة) للتوسع والانتشار، فكانت اولى جهوده متجهة قبل كل شيء صوب تسكين تلك القبائل وارجاعها لحظيرة الطاعة وتوحيدها تحت راية واحدة راية السلطان الذي بيده الحكم الشرعي والسلطة النافذة والسيادة المطلقة، وكان لا يفتأ يجمع قوته ويوفر عتاده ويرسل تجريداته المتعددة لاخضاع الثائرين وخضد شوكة المنتقضين، حتى استوثق له الامر في بضع سنين. ووطد الامن في القبائل، واشاع الطمانينة في نفس القريب والبعيد، وجعل من هذه الربوع مملكة مشدودة الاركان متماسكة الاطراف

وقد بلغ به سهره على مملكته ورعايته لامنها واطمئنانها مبلغا لم يحتفظ معه لنفسه براحة، ولا ركن يوما الى الاستمتاع باريكة الملك ورفاهية العيش وملذات الحياة، فقلما كان يقيم في عاصمة ملكه اكثر من نصف شهر ثم يرحل عنها متنقلا جوابا بين اطراف المغرب لتفقد احواله وصيانة كيانه! وربما كان يدركه العيد في اثناء تنقله فيحط الرحال ريثما يقيم لموسمه ما يليق به من شعائر ثم يزم المطايا ويلوي العنان الى حيث الهدف المقصود والغرض المنشود

إنها بصمات الرقيب الذي كان شديد الوطأة على الصحافة الوطنية الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور. راجع رسالة المغرب التي كان يشرف عليها محمد غازي وعبد الكريم غلاب. لعل الذين قدموه ليصبح موسخ المملكة هم بحق خصوم الشعب وتاريخ مقدسات الشعب بل وتاريخ المملكة. وهذ. هو الدليل على حقيقة موسخ المملكة في ترجمة مولاي الحسن حدفته الرقابة

وعن فضائح وفظائع الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور ومدى إخلاصه للاستعمار الفرنسي كرقيب على الصحافة الوطنية راجع رسالة المغرب الأعداد من السنة الأولى إلى السادسة ذو القعدة 1366 صفحات 84-154-155-158-166-168-180-202-203-208.

وجلها تعنى تاريخ الدولة العلوية

يا أحذية الألمان أدركينا !

رحم الله هتلر ... وحيا جنوده البواسل الأبطال !..

فلو لم تهزمهم خطاياه لطلب أحذيتهم الغليظة تطأ رقاب الفرنسيين حتى اليوم ... ولارتفع سيف البغي والجبروت من فوق رقاب المسلمين في مراكش والجزائر وتونس وغيرها من الأوطان الواقعة بين مخالب هؤلاء اللصوص الجبناء !..

فاننا لا نكاد نذكر فترة ارتفع فيها سيف الفرنسيين عن أعناق الغرب في شمال افريقيا الا تلك الفترة التي جنا فيها الفرنسيون وزعماؤهم تحت أقدام هتلر الجبار وجنوده الغلاظ الأكباد !

ففي تلك الفترة نام الشعب المراكشي الباسل ونامت معه شعوب تونس والجزائر على ترتيل أنشودة التحرر والاستقلال بعد النصر المنشود ... بل اندفعت هذه الشعوب الأصيلة العريقة نحو الميدان تنازل الألمان وتطيح بالطليان ، وتنقذ ألوف الأسرى من الفرنسيين الجبناء الأنذال ، فمات منهم خلال الحرب الماضية مايزيد على مليون ونصف مليون جندي عربي ، يساوي كل واحد منهم جيش فرنسا كله الذي انهار امام الطوفان الالماني في بضعة أيام !..

ان فرسان مراكش ومشاة الجزائر وتونس هم الذين أبقوا فرنسا قائمة حتى الآن ... ففي الحرب الكبرى الأولى لم يفلت زمام النصر أبدا من يد جنودهم الشجعان ... وموقعة « فردان » التي يتغنى بها الفرنسيون لانتصارهم فيها على الألمان لم يكن الفضل فيها للجنود الفرنسيين ، بقدر ما كان لفرسان مراكش العظام ، وهذا أمر لم يستطع أن ينكره عليهم قائد المعركة في ذلك الحين المارشال بيتان !..

فيا جبناء الأمس ، ويا أنذال اليوم ... ماذا دهاكم حتى نسيتم فضل العرب عليكم وعلى آبائكم وأجدادكم !..

نحن نعرف أنكم لم تنسوا هذا كله ، ولن تستطيعوا أن تنسوه ولو أردتم ... ونعرف عوقب الفرنسيون من أجلها أشد العقاب في حربين متعاقبتين لها جذورها التي تمتد الى عصر نابليون .. ذلك الرجل الجبار الذي اصطدم بالاسلام في مصر فأراد أن يحطمه فتحطم على صخرته وارتد منفيا ذليلا

العم سام — يا خبر اسود ، هو هتلر رجع تاني ؟!

كعصفور مهيض الجناح .

أنظر اليه حين اتخذ من الازهر منارة الاسلام الكبرى اسطبلا لخيوله ومراحيض لجنوده وانظر اليه حين اعتقل العلماء وطارد رجال الدين ، وصادر المصاحف ومنع الناس من الاجتماع لذكر الله كما يفعل الجنرال جوان في هذه الايام .

ان ابتسامة عريضة بدت على فم التاريخ في ذلك الحين كانت هي الجواب البليغ على الامبراطور نابليون العظيم !

وهكذا طرد نابليون من مصر ثم انكسرت شوكته ، ثم مات ذليلا ، وبقي الازهر مرفوع الرأس ، وبقي القرآن جوهرا لا يفنى ، وبقي الاسلام ثابتا مستقرا في مكانه يؤدي رسالته الخالدة ، ويحفظ التوازن بين العقل والروح في هذا العالم الشقي المكدود !

هذا هو التفسير الصحيح للسياسة الفرنسية في شمال أفريقيا ، ومن قبل ذلك في والكتب التي تصدر في العالم العربي ، ومحرم عليهم أن يزوروا أو يزاروا ، ومحرم عليهم أن ينتقلوا من المدن الى الريف ومن الريف الى المدن ، ومحرم عليهم أن يتعلموا أو يتعبدوا أو يتحرروا .. ولكن ليس غرما عليهم أن يموتوا لكي تعيش فرنسا ويعيش الفرنسيون !

ان العالم العربي ليموج اليوم بالسخط على فرنسا والذين يؤيدونها وشعوب هذا العالم مجمعة على ضرورة قطع علاقاتها بفرنسا والمطالبة بتدخل الهيئات الدولية لوقف المذبحة الدموية المفروضة على المسلمين في شمال افريقيا ان كانت لهذه الهيئات بقية من كرامة أو بقية من حياء .. وفي غير هذا المكان يرى القراء أن الحكومات العربية متجاوبة الى حد كبير مع الشعوب في هذا الاتجاه

فيا أحذية الالمان ادركينا ، لكي تضعي حدا لغطرسة الجنرال جوان الذي ولى الادبار امام الالمان بالأمس ولم يتحرج اليوم أن يرفع السلاح على العزل من الرجال والنساء والاطفال !!

ابو الخير نجيب

وليس هذا كل امر عاهل المغرب العظيم، فقد كان الى ايمانه القوي بوحدة المغرب وسلامته ينزع الى استكمال هذا الايمان بقوة مادية تحرس الكيان وتصون السياج ؛ وكان بذكائه العجيب وبصيرته النافذة وذهنه الوقاد ويقظته الخارقة يدرك حق الادراك إن الامة المغربية في دور انحلال تحتاج الى تهذيب واصلاح ويعوزها تطور في مناحي السياسة والاقتصاد والاجتماع ؛ وكان يعلم ما يتجه نحو البلاد من اطماع الدول الاجنبية المتشوفة الى ازدرادها . فهذه المانيا التي غمرت ديار المغرب بمنتوجات مصانعها بارخص الاسعار تطمح الى الاستيلاء من طريق التجارة وما كان قصدها تجاريا بحتا - كما يبدا لبعض الناس اذ ذاك ، وانما التجارة وسيلة كانت تفضي في النهاية الى غرس جذور الاستعمار والوقوع في ربقة الاستعباد، ويظهر هذا جليا فيما ملكته من اراض ومعادن بناحية اكادير المشهورة ، وهذه انجلترا وهي معروفة بحيلها ودهائها كان ظاهر اهتمامها بالمغرب اقتصاديا وباطنه انتهاب الفرص للاستحواذ عليه وجعله موقعا حربيا يدرأ الغارة من الساحل الشمالي المطل على البحر الابيض المتوسط حيث مضيق جبل طارق وحصنه العتيد

اما فرنسا وقد تم لها السيطرة على الجزائر وتونس فان هفتها ظلت تتجلب

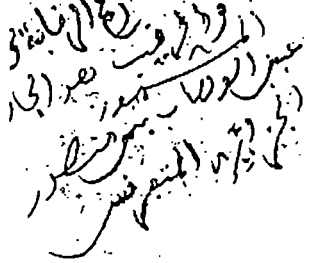

حذفته الرقابة

واسبانيا وهي ثالثة الدول التي كانت تفغر فاها أجوف لابتلاع ما استعصى عليها من المغرب بعد اهتضام مدن ريفه وقراه ، والاجهاز على منطقة واسعة من حجزائه لبثت حقبة من الزمن تتحين الفرصة لتنشب براثنها وتبسط ظلها ، وبشفيمها صلة قديمة في التاريخ ، ورحم موصولة في الغابر ، ووصلة الجوار وقرب المزارا

محمد الخامس رحمه الله يستقبل الحبر الأكبر لمدينة فاس واحد ممثلي
الجالية الاسرائيلية الذين انقذهم محمد الخامس من نقمة الألمان

الباب الثامن والعشرون

الفصل السادس والسبعون بعد المائتين

محمد الخامس والاتصال مع الحلفاء الذي نتج عنه حزب الاستقلال للمطالبة بالاستقلال

من شدة ألم ما يعيش المرء ويرى هو الافتراء على التاريخ والتطاول من المندسين المجرمين في شهر يناير من كل سنة وحتى خونة الماضي وعملاء الاستعمار الفرنسي يتطاولون على تناول الكلام في موضوع وثيقة الإستقلال بطريقة يقصد منها مثل ما صنع بقافلة المقاومة التي نصب عليها الدخلاء والعملاء والمفلسون وبقايا جيوش الفرنسيين، حتى تعرف التزوير ويقحم في صفوفها الخونة والمجرمون وقد حصل، وحتى تصبح محقرة في أعين أحرار المغاربة، في حين أن القوم نسوا أنهم مهما زوروا وافتروا فإن التاريخ لم ولن يضل، والحقيقة مهما تلبدت الغيوم لم ولن تضيع(100) لأنه إذا كان للباطل جولة فإن للحق صولة.

من بين الذين أقحموا في لوائح المقاومة عشرات بل مآت الخونة المكشوفين وإذا كان ليس هذا مجال ذكر أسمائهم فلا أقل من ذكر إسم واحد أذكر أنه وضع الحديد في معصمي ثم قادني إلى مكتب رئيس الناحية بمدينة وجدة التي كنت فيها أعمل معلما عام1947 بمدرسة الحزب التي كان يشرف عليها المرحوم مصطفى المشرفي ثم مدرسة ابن العربي الضرير وفي بهو الإدارة وأثناء انتظار إدخالي على الاستعماري الحاقد برونال(101) قال لي الخائن المجرم وقتها، والمقاوم اليوم بفضل مصاهرته لآل أفقير، وهو

---

(100) بل نفس الطريقة فعلهاالقوم بالانتخابات التي زورت لفائدة الخونة وعملاء الاستعمار الذين لقح بهم البرلمان منذ أول انتخاب 1963 واستمر تقديمهم حتى عام 1970 ـ 1992 1993/6/25م بل حتى 1997/11/14 ودار لقمان على حالها تزوير وتشهير.

(101) عين برونال رئيسا لمدينة وجدة وناحيتها من أجل التنكيل بالوطنيين بعد ذيوع تهمة المحور عام 1942 ومعه إمبارك البكاي بن لهبيل في قسم الاستعلامات كما كان المراقب بأبركان هو "كيرو" وقبيل وبعد الاستقلال أصبح أمبارك ولد لهبيل بطل طروادة، الأمر الذي يحار في تحليله العقل ثم يردد أقل العارفين وماذا فعل.

الحقير المعروف بجرائمه ضد المواطنين في مدينة وجدة ونواحيها "الطاهر الزاوش" قال لي وبالحرف يوم 2 أكتوبر 1947 وعلى الساعة الثامنة صباحا "أنتم الشياطين اللي فسدتو لبلاد.." ثم استرسل على وتيرة ما كان يسمعه من سيده برونال الذي ماكدت أدخل عليه، ويقدمني إليه خادمه الطاهر الزواش حتى صاح في وجهي مرددا أسوأ عبارات الفحش والسباب التي تعلمها من هداوة "هيبيي" المغاربة الذين كان يعاشرهم من أجل الكتابة عنهم حتى قتل بيد الفداء.

حقا لقد فعل الاستبداد في عهد الاستقلال بمثل المغاربة وبروح تضامنهم وغيرتهم ووطنهم وأخلاقهم ونخوة الصالحين منهم ما لم يفعله عهد الإستعمار ولو ب 10٪ حتى إن كل شيء فيه تحطيم ومهانة وإذلال لهذا الشعب أصبح مباحا، ولا أحد يقف في وجهه وفي وجه رائده الشيطان الأعور وإخوانه ورفاقه الأقرع والأسود والاعرج ثم قزم الرباط وصنائع الاستعمار الجديد الذين استأسدوا ولم يجدوا من يصارحهم بواقعهم أو يقاومهم، بل الكل يردد : دع السفينة تسير فالمجال أمامها فسيح، وفي المحيط متسع.

عرف المغرب في عهد استقلاله الكثير من الكوارث التي تتكون عنها الكثير من العقد، والكل في غفلة عن الأسباب التي لا تزداد إلا كثرة وفحشا، وإذا لم يعمل على تداركها بالفكر النير والرأي السليم، فإن الزمان ومهماتعددت عوامل الفساد والتمزيق المصطنعة كفيل بأن يضع لها الحد ثم يعرجه مجرى التيار في الاتجاه الذي ينتهي بالسفينة إلي شاطئ السلام، حيث الحق والعدل والخير والحب والجمال، وتلك سنة الكون وطبيعة الحياة.

وأما ما يكتبه وينشره بعضهم من إفتراء على التاريخ تدميرا للعقول وتزويرا للحقائق، فإن مسؤلية كشفه وكشف عورات المجندين له يجب أن يضطلع بها الأحرار الذين إحتفظوا برؤسهم بعد إقتطاف الرؤوس، وهم وإن كانوا اليوم قد أصبحوا قلة، لكنها ثمينة مثل الأحجار الكريمة، وينطبق عليها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنقسمت بنو إسرائيل إلى إثنين وسبعين فرقة، وتنقسم أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة" والمجال وإن كان صعبا فهو مفتوح لمن أراد أن يكون من الفرقة الناجية.

هذا التمهيد إندفعت إليه بسبب ما قرأت ورأيت مرات ومرات حتى برامج "التلفاز" حول وثيقة المطالبة بالاستقلال إلى درجة أنه كاد تاريخ أسبابها ودوافعها والرجال الذين وثقوها ومن تبعهم من الذين حملوا اللواء من أجل الإنتصار إليها والتمكين لها بين المواطنين وتربية الأجيال من أجل تحقيقها، كاد يضيع ويندثر بما كتبه الجاهلون أو المقلدون بحسن نية، وبدافع الروح الوطنية التي دفعت بهم إلى تقليد المتوارث الذي أصبح له مجال حتى في مختلف الدراسات دينية وأدبية واجتماعية وحصيلتها هو السبب في تأخير الشعوب والجماعات، بل جماعة أخرى تكتب وهي أيضا قريبة من السابقة لأنها تعتمد ما تجد أمامها من"المصادر" غير الموثقة بلا أمانة ولا بأقلام ذوي الكفاءات، بل هي إما من المتطفلين الذين إندفعوا باستنتاجاتهم الطازجة أو من وراء ذي غرض هادف لاستعمالهم مطية، ومن أجل المساهمة في بناء المجد المزيف على حساب تاريخ شعب وأمجاد أمة، وهولاء من الجيل الصاعد أغلبهم بحسن سليم مقاصدهم سرعان ما يدركون ويتنبهون فيتراجعون وتتعدد كتاباتهم بطريقة متناقضة حتى لا يستهدفوا للنقد المزري، وقليل هم الذين يهتدون للإطلاع على الرأيين المتناقضين للشخص الواحد منهم(102).

---

(102) راجع كتاب الحركات الاستقلالية للمرحوم الاستاذ علال الفاسي ولو فقط ما بين ص 297 ـ305 ط1948 وما اقتبسه الاستاذ عبد الكريم غلاب فيماكتب عن تاريخ الحركة الوطنية من نفس كتاب الفاسي ثم بدل بعض صياغته وذلك في جـ 1/من 307 إلى ص 336 طبعة أولى بالشركة المغربية بالبيضاء ثم جـ 1/من ص 245 إلى ص 266 ط 2 مطبعة الرسالة بالرباط، ثم قارنه أيضا مع ما ورد في كتاب هذه مراكش للمرحوم عبد المجيد بن جلون ص 30ـ229 وكلا من غلاب وعبد المجيد بن جلون لسان صدق وأمانة، بل قارن ما كتبه ذ غلاب أيضا مع ماورد في كتاب المغرب الأقصى للمهدي بن بركة قبل الحماية ـ عهد الحماية ـ إفلاس الحماية ـ الطبعة العربية بالقاهرة عام 1951 ص177ـ180. ثم راجع التطورات السياسية في المملكة المغربية تأليف "دوجلاس آي اشفورد". ترجمة د عائد سليمان وآخر ص 79ـ85 وروم لاندو في تاريخ المغرب، القسم الخامس الفصل الثاني ص 259 ـ 73 البيضاء 1963 على أن ما أورده الأستاذ غلاب رواية عن شقيقه الطاهر غلاب مما يعني المظاهرات والقتلى وما حكاه المؤلف نفسه بلا شك خانتمها الذاكرة ثم خلطا في الأسماء والوثائق ونسبه زيد وعمرو في الوقت الذي نحن أحياء وقد عشنا الحوادث وعشرات الرفاق لا يزالون على قيد الحياة من فاس بل من مراكش إلى بني يزناسن ومنهم عبد الرحمن اربيحة الزريقي الذي خطب يوم الاثنين 29 يناير بعد عبد الوهاب الفاسي أمام المحراب وتحت الثريا وأثناء خطابه. ذبح الجاسوس الجزائري اسماعيل الذي كان على بعد ثلاثة أمتار مني وعشرة أمتار من المحراب وأن الذي ذبحه بعدما حاول الفرار ثم أعيد مجرورا بعمامته وهو في طريقه لباب الشماعين هو احد العراقيين وليس الاسحاقي عبد العزيز ولا غيره كما عشت ورأيت.

أما الطبقة الملعونة ذات الماضي الملوث الذي تفوح نتانته، والتي تريد أن تقتحم الصفوف بوجه غير الوجه الحقيقي وثياب غير ثياب المسرح الذي شبت وترعرعت فيه، فهي تلك الرسمية اليوم التي عز عليها أن ترى نفسها مكشوفة العورة معرضة للسخرية والإزدراء من الكبير والصغير، حتى وإن هي تلبست ودلست ثم اندست وتمكنت حتى صعدت مع الصاعدين وزورت مع المزورين، ثم تمولت مع المتولين، وتحكمت مع المتحكمين، لكنها تعرف أن العورة منها مكشوفة والعيون مبصرة، والعقول واعية وهذه الطبقة الملوثة ذات الماضي الوسخ يتزعمها في الكتابة والنشر بواسطة المطبعة الملكية الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور، وزميله في الصنعة المگعور عبد الهادي بوطالب وقد كتب كل منهما من الترهات مايعرفان قبل غيرهماانه الزور والافتراء والبهتان، وأكثر الثاني الذي فضحه الله عند الجميع حتى إنه حسب إنما يكتب للأجانب ما قال عنه شهادات الزور والوجوه الملوثة المشوهة جـ 157/93/2 وهو عبارة عن أفكار مشوشة بالاقتباس المرعوب الموسوم بعدم الادراك ولا وحدة الموضوع والافتراء على أعظم موقف في حياة الملك العظيم محمد الخامس رحمه الله حتى انني فكرت لو لا التمزق المصنوع الذي يحياه الشعب المغربي في رفع دعوى ضد الرجل امام القضاء غيرة علي تاريخ الوطن ومجده المقدس لأن عمل الرجل المدفوع وصاحبه الزنيم هما حسب شهرتهما، القبيحة آخر من يكتب في هذا الموضوع، وما فعلا إلا ريبة لأنهما يريدان أن تطمس العيون وتدمر العقول بتزوير ما يكتب وينشر لهما من افتراء وزور وبهتان تلك المفتريات التي من أجلها نحن لها بالمرصاد خدمة للحق وتمكينا للفضيلة التي من أجلها جاهد المجاهدون وضحى المناضلون.

وبعد ماذاعن وثيقة المطالبة بالاستقلال التي من أجل تقديمها سمى حزب الاستقلال الذي قالوا إنه حل مكان الحزب الوطني.

لا أريد هنا أن أجرح بعض ذوي الماضي الوطني النظيف الذين أعرف أنهم يعرفون الحقائق، كل الحقائق حول الموقف لكنهم حرفوا ما كتبوا عن ضعف وهم قاصدون، وكل ذلك من أجل أن يحوزوا النار حول خبزهم حتي ينضج لعيالهم وقد حصل، لكن التخمة فعلت فعلها في أجسادهم التي تعفنت فقط بما فضل على خصوم

الجميع من فتات موائد الفجار، وبئس الحياة، تلك التي تجر الذي يلهث وراءها متنقلا من مزبلة إلي أخرى، كالكلب بحثا عن العظام التي يقضم منها ما يشوه منه المظهر والمخبر إلى أن يدركه السعر ثم يهلك مع الهالكين، ليتحول ماديا إلى سماد وطين، وفي التاريخ يذكر ضمن قافلة المنافقين المتقلبين، هذا النوع هم الذين يخجل المرء من ذكر أسمائهم وعرض ما كتبوا في هذا الموضوع بل نتركهم ونتفرغ للموضوع لأنهم لم يفعلوا عن قصد إلا من أجل هدم مابناه الذين لهم معهم حساب لكن هيهات ثم هيهات.

تعرفنا على حالة البلاد عندما فصل المقيم ثم فر وهو المستبد الجنرال نوجيس الذي قال إنه جئ به ليخمد صوت اللطيف لكن المستغاث به حسب أنه بواسطة اللطيف أخمد صوت ولده الذي قتل بحادثة في باريز وهو ما"تنبأ" به عبد العزيز بن ادريس العمراوي بفسحة النجارين بفاس حين سأله نوجيس مستهزئا. "إلى أين يمتد هذا اللطيف" فأجابه عبد العزيز رحمه الله بديهة "إلى باريز" وبعد أيام جاء خبر موت ولده في حادثة فنسبها إلى اللطيف الذي قال قبل إنه سيكتم أنفاس مرددیه. وهكذا لم يغادر البلاد فرارا إلا بعدما شاهد بوادر السلطة الشرعية تعود إلي صاحبها الذي أنقذ اليهود وحكم رأيه في إعلان الحرب على المحور واجتمع بقطبي الحلفاء روزفيلت وتشرشيل من غير واسطة رغم أنف عقد الحماية المفروض.

لقد انتهى نوجيس وتلك نهاية الاستبداد من أي كان، حيث غادر المغرب يوم1943/6/5 والعهد عهد حكومة المنفى أو الجمعية الوطنية برئاسة الجنرال دي غول التي كان مركزها في الجزائر، وقد حل مكان نوجيس كما رأينا من هو أشد منه نحسا على بلاده وقسوة على المغاربة، وهو غابريال بيو الذي عرفته تونس وسوريا ولبنان، وعرفت من ظلمه، وبغيه ما هو مسجل على صفحات تاريخ فرنسا الأسود في المشرق العربي(103)، ذلك التاريخ الذي سجل لها ما تركت من قنابر قوية الاشتعال شديدة التدمير والمتمثلة في دستور لبنان الذي ركزت فيه سلطان الأقلية المارونية على حساب

(103) راجع فقط مجلة المصور المصرية عدد 997 بتاريخ الجمعة 1943/11/19 ص 6 ثم العدد بتاريخ43/5/14 إذ فيها صور عن حل البرلمان ونفي وسجن الوزراء وتشريد المواطنين في لبنان وبحق فقد كان غابريال بيو قاسيا مع الحقد الكبير ضد المغاربة والمسلمين عامة. وقد نفث ما في صدره ضد السوريين واللبنانيين.

الأكثرية المسلمة، والذي حين تنفجر قنابره لاتبقى ولاتذر..

لقد كان تعيين غابريال بيو بالمغرب عن قصد ومن أجل أن يطبق فيه ما سبق له من تجارب في البلاد المشار إليها، خصوصا وأن محمد الخامس في نظر الفرنسيين تجاوز الحد بحضوره مأدبة العشاء التي أقامها على شرفه روزفيلت والاتصالات التي تكررت بينهما ما بين 14ـ1943/1/22، و"تطاول" فتحدث عن آماله وآمال شعبه في الحرية والاستقلال، والتطلع إلى الإستفادة من العلاقة المنتظرة للمغرب مع الأمريكان إلخ. ومن أجل ذلك تطاول بيو على ما كان قد تبقى لمحمد الخامس من سلطات، ولم يعتبر بواقع فرنسا ولا بما ينتظر من نتائج الحرب التي بدلت المفاهيم عند الجميع إلا في مفهوم الفرنسيين الذين بنوا سياستهم على العنف ونظريات العسكريين، ورغبات المعمرين الإقطاعيين، وتوجيهات تجار البنوك من "الأمبرياليين والرأسماليين "القابعين في كواليس بنك باريز والأراضي المنخفضة وشركة "لوينا" وممثلها "إيبينا"؟؟

ولعل الذي أغرى غابريال بيو بالتطاول علي سلطات محمد الخامس هوما أوحى إليه به جماعة المعمرين الذين كانوا وراء نوجيس من أن الاتصالات الجديدة لمحمد الخامس وما جد في كل من الجزائر من تأسيس للجمعية القومية، وفي سوريا ولبنان التي أعلن فيها كاترو مكرها استقلال القطرين بتاريخ 1941/9/27 حيث أجريت الإنتخابات في يوم 7/26 من نفس السنة وفاز رجال الكتلة الوطنية، واجتمع مجلس النواب يوم 1943/8/17م وانتخب شكري القوتلي رئيسا للجمهورية، وفارس الخوري رئيسا لمجلس النواب، ومع ذلك لقي الشعب العربي في كل من سوريا ولبنان من رذالة الفرنسيين ما عاد عليهم بالبخس والتحقير ثم تردد صداه في المغرب إلي جانب ما سجلناه من تصريح لشيخ الإمبراطورية لبريطانية الفيلد مارشال "شميطس" حول نهاية صولة فرنسا وزوال سلطانها، وحتى يقطع بيو الطريق على هذه المؤثرات رأينا كيف كان قد بدأ عمله لأول وهلة بتحقيق الاتهامات التي كان قدمها الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور إلى إدارة الشؤن السياسية ضد من أسماهم بالمتصلين مع المحور، وحتى يدخل الجميع في دوامة الإنشغال بما يحدثه من فتن كان عليه أن يبدأ المعركة مع محمد الخامس، وهنا أيضا يأتى دور الرائد المنقذ والمشير الذي هو شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، والذي تقول رواية محمد لمعمري الذي كان وقتها رئيس التشريفات فقط،

وأحمد بن مسعود مدير الكتابة الخاصة لمحمد الخامس، أنه مدة سنوات الحرب وقبل يناير 1944 كان لا يمضي أسبوع من غير أن يعقد العاهل مع شيخ الإسلام إجتماعات يحضرها الأول الذي هو محمد لمعمري فقط(104)، وقد كانت تطول كثيرا إلى درجة أن المقري كان ينزعج منها وربما يقول محمد لمعمري كان يرفع بذلك ملاحظاته إلى الإقامة العامة، التي ربما كان تضايقها من تلك الاجتماعات هو الذي دفع غابريال بيو إلى تصرفه وتطرفه.

وهنا جاء رأي شيخ الإسلام بوجوب أن يكيل محمد الخامس الصاع صاعين للمقيم وكانت الفكرة أولا أن يتقدم بطلب استبدال عقد الحماية في رسالة بإسمه فقط، تقدم إلى المقيم غابريال بيو ليرفعها إلى الحكومة الوطنية، وينص فيها على وجوب التفاوض من أجل تحقيق الاستقلال بعد نهاية الحرب وانتصار الحلفاء، لكن الفكرة لم تنضج وتركت إلى أن ينظر في الموضوع ويدرس بعمق، وفعلا فقد كان لما عرفته أمريكا عن المغرب وهي سيدة الموقف، وقد عاشت ما أمدها به المغرب وحلفاؤها ـ باسم عاهله ـ من موقع إستراتيجي هيأ لدباباتهم الأربعة آلاف وطائراتهم الألفين . بل وبمساهمة رجاله في القضاء على المحور في شمال افريقيا بالاستيلاء على تونس وبنزرت كل ذلك كان له أثره في الموقف مما شجع على العمل من أجل التخلص من قلة أدب المقيم العام بيو وتطاوله.

واشتدت المعركة بين العاهل والمقيم مما دفع بشيخ الإسلام أن يخرج بها من

---

(104) بقي لنا من بين الأحياء الذين عاشوا تلك المرحلة وكان صديقا شخصيا لمحمد الخامس وهو الذي كان وليس غيره الواسطة بينه وبين بقية الوطنيين وهو محمد الغزاوي الذي تختزن ذاكرته الكثير من تاريخ الحركة الوطنية التي كان من الذين وفقوا بالانضمام إليها وتكوين الصداقة مع الأستاذ علال الفاسي وغيره من الإخوان كما يقول محمد لغزاوي نفسه حيث بدأت المذاكرات بينه وبين علال منذ شهر دسمبر 1933 وبمنزل المرحوم أحمد بوعياد أول صديق مغربي للمرحوم شكيب أرسلان منذ 1920 وصهر محمد لغزاوي بعد 1940 إذ هو والد زوجته كنزة التي هي الأخرى تحتفظ ذاكرة طفولتها بعلاقة والدها التاجر بمنشيسطر من أرض الأنجليز مع شكيب أرسلان وهو في لوزان من أرض سويسرا أما علاقة شكيب مع الحاج الحسن بوعياد، فقد تعرفنا على ما كتب حولها أكثر من واحد ومن ج الحسن نفسه بل إن محمد لغزاوي كان هو الذي حفظ للأستاذ علال كرامة أهله بعد نفيه بالانفاق عليهم بواسطة محمد بن شقرون "الطناش اللاروب" ولذلك سوف نرى بعد أنه حين يعود علال من منفاه عام 1946 يختار لنزله وأسرته دار محمد الغزاوي في حي "مونفلوري بفاس بل إن دور محمد الغزاوي الخطير وكما سنرى هو الذي سنتعرف عليه بعد في مجلس شورى الحكومة وفي صدامه مع الجنرال جوان يوم 1950/12/12 وهو الصدام الذي أشعل الفتيل والذي كان وراءه محمد الخامس كما سنرى من موقفه وموقف الوطني الغيور محمد الزغاري رحمه الله في حياته.

الصمت الذي كان يغم عليها إلى درجة أن أحدا قط ولا حتى الصحافة وإن كانت وقتها تخضع للرقابة المشددة التي كان يمارسها العميل الدخيل بل الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور والتي لم تكن تصدر منها كوطنية غير مجلة رسالة المغرب، التي حتى آخر عدد صدر منها قبل صدور وثيقة المطالبة بالاستقلال وهو العدد 5 من السنة 2 تاريخ 10 محرم 1363هـ/ 7-1- 1944م، بل ومنذ صدور أول عدد منها في شهر سبتمبر1943 إلى نفس التاريخ المشار إليه قبل لا نجد قط موضوعا يتناول الحاضر السياسي وقتها أو الإشارة إليه، وذلك في الوقت الذي كانت رعونة بيو وخبثه قد بلغا نهاية ما يستطيعه المرء من التحمل، ووقتها ومن دار شيخ الإسلام بحي "مرسة" بالرباط حيث كان ملتقى كل الوطنيين إنطلقت فكرة التشهير بترهات غابريال بيو، والعمل على كشفه ولو بالتصادم مع الفرنسيين، وإذا لم يكن في هذه المرحلة التي يشهد العالم أن المغرب أقوى منهم مقاومة ضد الفاشية وإلى جانب الديمقراطية، فمتى تكون المطالبة بالحق المعتدى عليه، وتلك تصريحات شيخ الإسلام التي رددها غير واحد من جيل التحرير وقتها.

تحولت المعركة إلى ما يشبه المواجهة بين الإقامة العامة وجلالة العاهل، وذاع وانتشر خبرها، ولقد كانت الفئة المختارة من المغاربة بحق في المستوى، خصوصا وأن محمد الخامس كان قد قطع خطوات في سبيل تكوين الشعب بواسطة الخطة التي أوحى بها شيخ الإسلام، وهي خطة نشر المدارس الحرة في مختلف المدن والقرى، وكان السبق بحماس فوق العادة قد تميزت به مدينة الرباط التي سوف يتجند أهلها كبيرهم وصغيرهم، يتقدمهم محافظ المدينة المرحوم حمادي القباج الذي سيتجند لإتمام المشروع الذي اعتبر أحسن هدية تقدم لمحمد الخامس من أهل الرباط وهي مدرسة جسوس 1933 والمدرسة الغازية أحمد الشرقاوي والمحمدية ثم مجمع المدارس التي أطلق عليها إسم "مدارس محمد الخامس" وهي المشروع الذي تجمع حوله مختلف الأفراد والجماعات، كما كان ما يشبهه من المشاريع في كل من سلا(105) وفاس ومراكش كما رأينا من خلال

---

(105) ساهم كل أهل مدينة سلا سنة 1946 حتى الأرامل بل والفقراء الذين لامال لهم ساهموا في بناء المدرسة بسواعدهم وإذا ما أسندت إدارتها لشخص طرقي غير أهل للأمانة هو أبو بكر القادري تبين أنه إتخذ من الوطنية شبكة صيد ونصب واحتيال، فإنه في عهد الاستقلال باعها إلى الدولة بمآت الملايين، وتلك لعمري منه ومن=

دراستنا لموضوع "شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي والدعوة إلى التعليم الحر" بحيث عم الاتصال والتنشيط وشاع في الناس واقع العلاقة التي تردت بين العاهل والمقيم وما كاد عهد عيد العرش يقبل وهو بتاريخ 18 نفمبر 1943 والذي بحق كان علي غير العادة بحيث عمت الأفراح وبشكل فيه نكاية للإقامة العامة، جميع المدن الكبيرة وفي المقدمة الرباط وسلا وفاس والبيضاء، وكانت العادة أن يلقي العاهل خطابا يستعرض برنامج السنة المقبلة وما تحقق في السنة قبلها، وكان الشعب وحسب وسيلة الإثارة والتنشيط الذي عم بواسطة كل الواعين وقتها، ينتظر من العاهل أن يكشف الستار عن حدة الصراع القائم، والحرب الباردة التي فرضها غرور وطيش المقيم غابريال بيو، لكن شيئا من ذلك لم يحصل ومر العيد بسلام، وتلك حكمة من براعة السياسة والنهج الذي سلكه العاهل بإهماله للموضوع، وفيها بلاشك قبس من توجيه شيخ الإسلام(106) الذي ما تجند أحد مثله في تلك الفترة التي عمل فيها، وبكل ما أوتي من الجميع، وتعلق الجميع، وتذكر في هذه المرحلة جامعة القرويين التي أصبح عام 1942 وباقتراح من شيخ الإسلام يدير إدارتها محمد الفاسي وهو من الرعيل الأول للوطنيين والذي بحق كان له نشاط سياسي وطني أعطى ثماره في فترة جد وجيزة، وكان صاحب الفضل في بعث رسالتها هو شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي سهر على تحقيق برنامج إصلاحها وتنظيمها كما سبق.

وبعد عيد العرش أي بعد 1943/11/18 بدأت الإتصالات السرية بين محمد الخامس

غيره من "الزعماء" الذين سلكوا طرقا أخرى للحصول على المال الحرام قمة الخيانة التي فتحت الباب على مصراعيه للخونة والعملاء الذين إندسوا ثم إستولوا وسيطروا وبالتالي فعلوا بإمكانات الشعب ما فعلوا مما نعيش ونرى من تحول خطير في حياة المغرب والمغاربة، بل وهذا ما دفع بنا إلى اقتراح قانون "من أين لك هذا» أيام نيابتنا على منصة البرلمان يوم 1964/10/15ثم نوقش في لجنة العدل والتشريع بتاريخ 1964/11/30 كما تؤكد الوثيقة المنشورة في الكتاب، لكن الدولة مقابل ذلك وبعد حالة الاستثناء التي دامت خمس سنوات بلا مبرر وفي الفترة التالية لانتخاب البرلمان 1970 أرسلت إلي وزيرها الذي هو وزير الدولة وقتها محمد لغريسي المعروف أحمد العلوي كمنافس لي بدائرة أرفود بلا حق ولا مبرر والذي قال وعلى رؤس الملأ وفي مكان لاصلة له به من قريب ولا من بعيد صوتوا على من شئتم .. أنا اللي أرسلتني... وغادي نطلع..) إلى غير ذلك مما قاله مما ابرقت به إلى الجهات العليا وقتها ولا مجيب..

(106) أشرنا قبل إلى الطريقة التي كان يشير بها شيخ الإسلام على من كان له خصم ويريد له أن يهلك، عليه بإهماله وعدم الإكتراث بكل ما يصدر عنه .

وكل الرجال الوطنيين حتى يتعرف على حقيقة وواقع الأفراد والجماعات ذوي الفعالية وبدأت إتصالاته أولا وقبل كل أحد، وذلك ما كانت تفرضه الظروف بجماعة قدماء الثانوية الإسلامية الإدريسية بفاس، والذين هم من غراس شيخ الإسلام منذ 1916 كما سبق ثم بجماعة الحزب الوطني، وجماعة بعض علَماء القرويين وغيرهم من العلماء الذين كانو في كل من الرباط وسلا ومكناس يترددون على القصر في المناسبات، وذلك حتى يدفعهم لتكوين هيأة تتقدم للمطالبة بالاستقلال:

وهنا تقف أقلام المؤرخين منتظرة من يكشف لها عماكان يدور في الأحاديث التي كان العاهل يجريها مع كل الذين اتصل بهم ولا أحد منهم كتب شيئا من ذلك في حياته مما يفيد رغم أنهم جميعا وبدون استثناء كانوا من القادرين على تدوين المذكرات التي عرف المغاربة فيها بالعقم والكسل، لكن أغنى المذكرات وأكثرها إلماما بمواقف محمد الخامس وعلاقته بالرعيل الأول من الوطنيين بعد مذكرات محمد لمعمري أولا وشيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي ثانيا هي مذكرات محمد بن محمد الغزاوي الذي كان بحق الصديق الشخصي لمحمد الخامس والذي ارتبطت علاقته به منذ ما قبل الملك كما يعرف أهل الحمى حيث كان والد محمد الغزاوي وهو المرحوم السيد محمد الغزاوي الأب ناظر أوقاف فاس الجديد، وفي نفس الوقت المكلف بالشؤن الاقتصادية للقصر الملكي، فكان الوالد يرسل ولده لقضاء بعض الشؤن بالقصر الملكي ومنها ما يتعلق بشؤن الأمير سيدي محمد بن يوسف المولود عام 1909 ومحمد الغزاوي الابن مولود عام 1906م وإذا كان تقارب السن يمكن للتفاهم والتقارب في المفاهيم، فإن دماثة خلق محمد الغزاوي وما عرف به مما أصبح له طبعا جعله يحظى بالقبول من الأمير الذي أصبح بعد ملكا عام 1927 وحتى إذا ما توفي محمد الغزاوي الأب عام 1936 كان من الطبيعي أن يحل مكانه فيما يتعلق بشؤن القصر الملكي بفاس، ولده محمد الغزاوي المعروف من العاهل. إذ كان محمد الغزاوي وقتها ومنذ 1928 أصبح يخوض في مجال الاقتصاد بتأسيسه : شركة مواصلات الغزاوي" فإنه أسند مهمة شؤن القصر إلى شقيقه ج إدريس الذي كان يتردد على القصر أسبوعيا كما وعيت، والذي كثيرا ما كان ينقذني وغيري من الأطفال من تأديب المربى عبد الدار" مرجان الذي كان يشتد علينا بالضرب الشديد كلما حصل من

شقاوة طفولتنا ما يستوجب ذلك. وإذا كان محمد الخامس في هذه المرحلة وهو العاهل المتوج يعيش نوعا من الحصار الشديد من إدارة الحماية، فإنه بعد الزيارة الملكية لمدينة فاس عام 1934 وما عرفته هذه السنة مما عرف بالكتلة الوطنية وما صاغته من مطالب الشعب المغربي التي أيدها العاهل وما سبقها من مكيدة الظهير البربري 16 ماي1930 والتي أبعد أثناءها العاهل تدبيرا في زيارة مصطنعة لباريز حتى يتمكن الزنيم الوصي المفروض محمد المقري من توقيعه كل ذلك وقد مضى على العاهل في الملك نحو الستة عشر عاماً نقل أثناءها شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي عن قصد من القضاء بمدينة فاس إلى رئاسة الاستيناف بالرباط 1928 حيث أصبح إلي جانب محمد لمعمري خير مستشار للعاهل، الأمر الذي كان يستوجب أن يتم الاتصال بين السلطان ورجال الحركة المستجدة التي كل أفرادها من مدرسة شيخ الإسلام، وكما سبق ورأينا قبل فإن محمد الغزاوي كان من بين جماعة الثانوية الادريسية التي ظهر نشاطها السياسي في ثوب ثقافي عام 1919 برئاسة طيب الذكر محمد الزغاري أمد الله في حياته، وزاده يقينا ووفاء على يقينه ووفائه.

كان محمد الغزاوي هو الذي عرف جل الذين ظهروا على السطح وقتها عرف بهم للعاهل بدءا من محمد الفاسي ومرورا بالآخرين الذين كان العاهل من حين لآخر يرسل إلى بعضهم قبل أن تتمكن الالفة بين جماعة قدماء الثانوية الادريسية وجماعة الحزب الوطني الذي تأسس سطحيا عام 1937 وبعد حوادث بوفكران وتدريب الوطنيين على معرفة من هم الفرنسيون الاستعماريون وبداية التحركات السياسية التي كان على العاهل أن يتعرف عليها ويتابع تحركاتها، وقتها كان محمد الغزاوي قد تعرف على كل الوطنيين المتحركين في الميدان ومنهم علال الفاسي الذي عرفه عليه صهر محمد الغزاوي بعد وهو المرحوم أحمد بوعياد ابن المرحوم الحاج العربي بوعياد أول من سن قراءة اللطيف بجامع القرويين وقت فرض الظهير البربري 1930 فهو الذي عرف محمد الغزاوي على علال الفاسي قصد أن يساعده واخوانه بقدر من المال شهريا، وقد حصل من وقتها يقول صاحب المذكرات التي لم تنشر، في هذه المرحلة أصبح وبدافع ما كان يحصل بين العاهل وخديمه من مذاكرات عامة التطرق لموضوع الوطنية والوطنيين الذين كان يعرف

بهم شيخ الإسلام كلما سئل في الموضوع، وحتى إذا ما قامت ثورة مكناس وحصل النفي والسجن والاضطهاد كان العاهل وقد مضى عليه متوجا عشر سنوات متفرغا للمعرفة من أكرم من كان حوله من أهل الفضل والخير والعلماء ، يتقدمهم محمد لمعمري وشيخ الإسلا م محمد العربي العلوي، وحتى إذا ما حلت المرحلة التي نحن بصدد تاريخها وهي مرحلة التخطيط لتكوين حزب الاستقلال الذي جاءت تسميته عفوا كما سنرى ومن أجل المطالبة بالاستقلال كانت جماعة من الرجال قد تم نضجها وتكوينها، وهي عندي يتقدمها الرجل المثالي النزيه المتخلق محمد الهاشمي الفيلالي الغرفي الانصاري الذي كان منزله أول مكان خرجت منه فكرة السياسة الوطنية التي نشأت عن السلفية. كما في ذاكرة الأستاذ علال الفاسي وما قرره أكثر من مرة.

في المرحلة التي تلت ما بعد اللقاد الذي تم بين العاهل والحلفاء ظهرت فكرة تكوين جماعة المطالبة بالاستقلال، وكان الذين عرفوا بنشاطهم قلة من الرجال الذين كان عليه أن يتعرف عليهم شخصيا فكان الدليل على جماعة هو شيخ الإسلام، وعلى أخري هو محمد الغزاوي الذي تحول إلى رسول بين العاهل والجماعة التي كان لها من الاستعداد ما يؤهلها للقيام بالمهمة بيد أن الاتجاه الذي إتجهت نحوه مفاهيم القوم هو تحقيق فكرة الإصلاحات التي لاتزال عالقة بالمفاهيم منذ ما بعد تقديم مطالب الشعب 1934/1936م، هذا في الوقت الذي كان العاهل قد استقر تركيزه على المطالبة بالاستقلال الذي لم تكن جماعة الوطنيين تعتقد أن العاهل يمكنه أن يغامر ويطالب به، فيخلق لنفسه من المتاعب ما هو في غنى عنها، تؤكد مذكرات محمد الغزاوي ان رغبة الجميع كانت هي المطالبة بالإصلاحات، وأذكر أنه أكد هذه الفكرة بواسطة التلفاز في الاستجواب الذي تم بمناسبة ذكرى عريضة الاستقلال يوم 11 يناير 1990 وهو أحد الموقعين عليها حيث قال كانت الاصلاحات هي مطمح الجميع وقت الاستشارات الملكية من أجل تقديم العريضة وحتى إذا ما نقلت الفكرة فكرة الاصلاحات إلى العاهل، وكان الذي نقلها عن الجماعة الذين كانت اجتماعاتهم بمنزل الاستاذ عبد الكريم بن جلول التويمي بـ"ديور الجامع بالرباط" وهو صاحب المنزل ومحمد غازي ومحمد اليزيدي بوشعيب والمهدي بن بركة، وعبد الرحيم بوعبيد وعمر بن عبد الجليل ووقتها كان محمد الخامس وعن قصد انتقل إلى

القصر الملكي بالدار البيضاء. فكان محمد الغزاوي هو الصلة بينه وبين الجماعة، وقبل أن يرحل كان قد أخذ العهد على كل الذين ذكرت أسماؤهم بالقسم على المصحف الكريم. بأن يبقى كل ما يبوح لهم به سرا لا يعلمه غير الذين يتفق معهم على معرفتهم له إلى أن يحين الوقت، وهذا هو القسم الذي حوره عن غير قصد الاستاذ عبد الكريم غلاب في تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب جـ2 ص 271 ط 1الرباط مارس 1976 والذي حين قرأه محمد الغزاوي استشاط غضبا لتحويره غير المقصود إذا القوم اقسموا له وليس هو الذي أقسم... وهو ما يتفق والمنطق إذ ما قيمة القوم حتى يقسم لهم الملك....

ورغم كل هذا يظهر علينا هرة مدارس القرويين عبد الهادي بوطالب الذي غره أنه أصبح «مستشارا» ونسي أنه في عرفنا وهو شيء لا ينقص من قداسة رمزيتنا أن الدولة تستعمل من المغاربة من تريد لما تريد يهوديا كان أم مسلما. لكن الذي لا نسمح به ولا نتهاون فيه هو أن يقتحم أي ملوث الحمى وأن يزعم لنفسه وهو الساقط في عيون المغاربة ما ليس له أهل، ومن ذلك ما خرج علينا به عبد الهادي بوطالب فيما كتب عن "ذكرياته وشهاداته ووجوهه التي اسقط منها جماعة مدرستي الشراطين والعطاريين يتقدمهم أحمد بن الحسن العلوي الذي كانت الغيرة والحمية تدفعه إلى الشتم والركل عند ما يعلم أن صاحبه الذي ينفق عليه ماله ذهب إلى حيث لا يريد.. بوطالب هذا بلا خجل ولا وجل يقول لنا فيما نشر من بهتان جـ2/91-157 أن محمد الخامس كان يصطفيه لكيت وكيت، وانه كان يرسل له أحمدبن سعود ليحضره، هذا في الوقت الذي يخبرنا انه حل بالمعهد المولوي ولأول مرة في الأسبوع الأول من شهر أكتوبر 1943 وأقول : قسما بالله لو لاحب الظهور من محمد الفاسي الذي كان يريد القول وأن إدارته للقرويين أنتجت ما انتجت خصوصا وان بوطالب كان قد تخرج منها ولمايتجاوز الخامسة والعشرين فلولا هنكلية محمد الفاسي وطيبوبته ووجد من يعرفه بحقيقة بوطالب لما ابتلى به الحمى، ومع ذلك فإنه لما تمضي خمس سنوات حتى كان ما كان فاخرج طريدا، وبخزي عام 1948 مما جعل منه شريرا رصدناه في القاهرة، وكيف سمم هو وغيره محمد بن عبد الكريم الريفي لكنه انفلت ولما نفعل به ما فعلناه بزميله في الصنعة السودي المعتوه الذي عرف الصفعات واللكمات بمدخل جريدة الاهرام عام 1952.

كان لابد من هذا الاستطراد والاقحام للذي يتبجح ويفتري ومثل هذا وأنكى ما هو مكتوب في حق الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور الذي أصبح هو الآخر يكتب ويردد "قال لي محمد الخامس وقلت إلخ، بل كل ناعق وشاهق من كلاب المزابل وضع في أعلى الربوات مكشوف العورة ويحسب أن العقول ضاعت والابصار عميت، وأنه يستطيع أن يقول ما يشاء ويفعل ما يريد، وما علم أنه بذلك يحاول المس بأقدس مقدس في تاريخ المغرب المعاصر.

ومهما يكن فإن الذي يعرف بواسطة الدراسة الميدانية وما قرره غير واحد ممن ساهموا في كتابة الوثيقة هو أن مذكرة المطالبة بالاستقلال كتبت في منزل محمد الزغاري بالمطاحن الإدريسية بفاس وضربت على الآلة الكاتبة بالفرنسية التي تطوع بها محمد لغزاوي والتي حجزت هي الأخرى، وكان الذين وثقوها بالإضافة إلى محمد الزغاري، أحمد أبا حنيني، وأحمد لحمياني ختات، وإدريس لمحمدي، وعبد الكريم بن جلون التويمي وعمر بن عبد الجليل التلمساني، واختيار هذا المكان كان مقصودا مبالغة في السرية وبتخطيط للبعد عن جواسيس الإقامة العامة، خصوصا وأن الذين كان يمكنهم تحرير الوثيقة وتوثيقها باللغة الفرنسية ثم ترجمتها بكفاءة لم يكونوا من سكان العدوتين بل الحاج أحمد بلا فريج الذي طلب إليه أن يدخل إلى المغرب كان وقت الاحتفالات بعيد العرش بعد لا يزال لم يدخل إلى طنجة التي حل بها في العشر الأواخر من ديسمبر 1943 ثم بقي مترددا قبل أن يدخل إلى الرباط لأنه أخبر أن إسمه من بين الذين تحقق الإقامة العامة في تهمة إتصالهم بالمحور، حسبما ورد في التقرير الناتج عن إلقاء القبض على عبد الرحمن بن سعد التازي ثم التقرير الذي تطوع بوضعه التلمساني المتفرنس وقتها بل الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور، وهذا كان وقتها يعمل بإدارة الشؤون السياسية كرقيب على الصحافة الوطنية ومن مهمته أن ينبه المسؤلين الفرنسيين من رؤسائه إن هو علم بوجود بلافريج في الرباط وقد حصل ولذلك وبطريقة جد حكيمة أبعد كل نشاط وقتها عن العاصمة، حتى جلالة العاهل إنتقل وبطريقة هادئة إلى الدار البيضاء وفيها سيقدم عليه محمد لغزاوي بالوثيقة حتى يراجعها ويأمر أن يصرح فيها وبالتصريح الواضح الجلي، بالمطالبة بالاستقلال حيث أضيفت لفظة

الاستقلال بعدما كانت الوثيقة مبنية فقط على فكرة المطالبة باستبدال معاهدة الحماية بأخرى تتفق وما يليق بالمغرب ودولته ذات السيادة وأن تكون له علاقة خاصة مع فرنسا،

وضعت الوثيقة أصلا باللغة الفرنسية ثم ترجمت إلى العربية(107) وكانت المراجعة الأخيرة لها من طرف جلالة العاهل بمساعدة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي ومحمد لمعمري الزواوي رحم الله الجميع، وحتى هذه اللحظة لم يكن حزب الاستقلال قد ولد.

لما تم الاتفاق على صياغة الوثيقة حدثت فكرة وهي باسم من تكتب وبواسطة من سترفع إلى العاهل ليقدمها إلى المقيم الذي يرفعها إلى الحكومة الفرنسية المؤقتة التي كان مقرها بالجزائر، وبالتالي تقدمها جماعة إلى قناصل كل من أميركا وبريطانيا. وروسيا فأشار بعضهم إلى أنه ما دامت الوثيقة خاصة بالمطالبة بالاستقلال فمن الأحسن أن نطلق على جمعنا إسم حزب الاستقلال"(108) وتضاربت الأقوال حول إسم المقترح الأول من بين الجماعة الذين وثقوا، فمن قائل أحمد باحنيني، لكن أكثر الأصوات في جانب أن المقترح اسم حزب الاستقلال هو الحاج أحمد بلا فريج، ولعل الذي يؤكد ذلك هو تفتح الرجل على حركات المشرق العربي، وقد سبق له العمل مع شكيب أرسلان الذي كان يعتبره ولده، بل قرة العين، وبذلك كان يعبرله في مراسلاته التي أوردها ابن لونة فيما زعم وكتب عن والده. وأشير هنا إلى أنني تلقيت تأكيدا من أحمد أبا حنيني أنه الذي اقترح، بيد أن أكثر من واحد ينفي ذلك وينسبه إلى بلا فريج، ومنهم المرحوم المهدي بن بركة والسيد عبد الرحيم بوعبيد، وللأسف نجد بعضهم يتكلم عن خلايا حزب الاستقلال في هذه المرحلة مع العلم أن هذه الخلايا لم يعمل على تكوينها إلا في سنة1946، وما بعدها، وبيدناحتى اليوم المناشر التي وزعت وفيها الأمر بذلك.

وفعلا رفعت العريضة التي أعتبرت النسخة الأولى منها بالفرنسية إلى جلال الملك

---

(107) كان الذي نسخها بالعربية وقد أستدعى للقيام بتلك المهمة لجمال خطه هو عبد الوهاب الفاسي الأزعر والمعلم وقتها وبمؤشر ضعيف لمادة الصرف بمرحلة التعليم الابتدائي بالقرويين وإنما أراد له النفع ابن عمه المدير.

(108) لم أرد هنا وقد تلقيت قولين مختلفين حول من أطلق إسم "حزب الاستقلال" على الجماعة التي قدمت العريضة. وقدكانت من عناصر مختلفة كمارأينا، لم أرد خلق صراع بين هؤلاء وأولئك من الذين كل منهم يدعي وصلا بليلي واكتفيت بذكر بلا فريج الذي في جانبه أكثر الأصوات وأن الإقتراح كان منه، وقد عرفنا ان بلافريج حتى نهاية شهر ديسمبر 1943 كان بعد لم يدخل الرباط.

الذي قدمها بدوره كصفعة نارية إلى المقيم العام غابريال بيو، حتى يرفعها إلى حكومته، كما قدمت إلى قناصل الدول المذكورة، أما النسخة المترجمة إلى العربية، والتي وقع عليها جماعة هم نفس الوطنيين 66 بما فيهم كذلك جماعة الموثقين والذين سنذكر أسماءهم، فهي شكلا غير التي قدمت إلى الشعب في مختلف المدن الكبيرة.

كان يوم تقديم عريضة الاستقلال بإسم حزب الاستقلال هو 11 يناير 1944م وإذا علمنا أن نفوس أكثر الفرنسيين ومنهم غابريال بيو الذي مارس تجربة العنف في كل من سوريا ولبنان، كانت تغلى بالشرر ضد الأحرار المغاربة الذين كانوا يفرحون ويبتهجون للضربات العنيفة التي كانت توجهها النازية لفرنسا، كما بدأت عداوة الاستعماريين الفرنسيين لشخص محمد الخامس قبل سنة ومنذ يوم 21 يناير 1943م وهو اليوم الذي إلتقى فيه محمد الخامس بالرئيس روزفيلت كما سبق بل وهو اليوم الذي ظهرت فيه فكرة وجوب إتخاذ الوسائل من أجل تحقيق الإستقلال، كما رأينا من خلال فتح المدارس وإعداد النفوس، ولذلك إتخذ شهر يناير وللذكرى هو شهر تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال. وحتى نتصور الجو والطريقة التي أنشئت بها عريضة المطالبة بالاستقلال، وكذا الجهات التي ستكون لها فعالية في هذه المرحلة لابد لنامن العودة قليلا إلى الماضي القريب من تلك المرحلة التي أطلق فيها إسم حزب الاستقلال على الجماعة الذين قدموا العريضة، وإن كان ماضي القوم وحاضرهم والمستقبل سيكشف لنا وإن التزم بعضهم بالعمل في دائرة الحزب، فإن غيرهم لم يفعلوا، ذلك أنه كان على محرري وثيقة المطالبة بالاستقلال، أن يفعلوا ما فعلوه ما دام الحزب الوطني قد حل منذ إلقاء القبض على الأستاذ علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني وغيرهما، وأصبح أي نشاط سياسي عرضة للتنكيل منذ 1937/10/25 حيث أصدر المقيم العام نوجيس قراره بالمنع والاضطهاد فعرفت مدن المغرب وقراه نوعا من الإرهاب الفرنسي لا تزال مرارة ذكره في نفوس جيل النضال وقتها، والذي عم كلا من وجدة وتازة وبركان وفجيج، وفاس، ووزان، وسيدي قاسم، والقنيطرة، وسلا والرباط، والبيضاء والجديدة وآسفي والصويرة وسطات ومراكش، وبلغ الذروة في كل من بني يازغة وآيت يمور، وتادلة، والقنيطرة وسلا، وتلك هي المدن التي سيتجدد فيها الإضطهاد والعنف، لأنها كذلك هي التي سوف تؤيد وثيقة

المطالبة بالاستقلال وتشد الأزر، إما بتوجيه الوفود منها إلى القصر الملكي بالرباط كما سنرى، أو بالمظاهرات العنيفة ضد الاضطهاد العنيف من إدارة الحماية.

لا يمكن لأحد من المعاصرين أو الذين أرخوا لتلك المرحلة، أن يقول لنا أنه بعد حملة الجنرال نوجيس وما تبعها من فترة الحرب أن أحدا ما من الذين كان لهم فضل المحافظة على الاستمرارية منذ ظهور الحركة السلفية ومرحلة العمل السياسي بواسطة التعليم الحر بفاس والرباط ومراكش منذ 1920م، أمكن أن يقوم بقليل ما أو كثير من النشاط السياسي في المرحلة ما بين 1937-1943م، غير ذاك الذي ظهر من خلال ما دعى إليه شيخ الإسلام من إستئناف نشاط الدعوة إلى التعليم الحر بتشييد المدرسة الحسنية 1942 بزقاق الحجر بفاس والعبدلاوية بالبيضاء والمحمدية بالرباط وازرو وتازة وغيرها كما سبق وهي المدارس التي أطرها شيخ الإسلام بواسطة بعض مواطنيه المتعلمين من أهل مدغرة إنقاذا لبعضهم من بيع صكوك الغفران والتجوال بين قبائل البربر، فكانت تلك المدارس وغيرها انقاذا لبعضهم من التشرد والادعاء المقيت، بل كانت أيضا كمنطلق ثم مدارس محمد الخامس التي تحققت بعد وما تبعهما، وتلك هي الوسيلة التي بعثت التطلع والأمل في النفوس بل والتي جمعت من جديد(109) ويقول المهدي بن بركة حول الحزب بعد أنه جمع:

1) عناصر الحزب الوطني. 2) رؤساء وأعضاء المجالس الإدارية لجمعيات قدماء تلاميذ مدن فاس، ومكناس وسلا والرباط، ومراكش، وأزرو، ووجدة وآسفي (110)، وقد كانت ممثلة رسميا فيما كان يسمي وقتها بمجلس شورى الحكومة.

3) عدد من الشخصيات البارزة في الحركة القومية التي كان يرأسها محمد بن الحسن الوزاني ويعني هنا ابراهيم الكتاني ورشيد الدرقاوي.

4) عديد من الشخصيات المغربية كالمفتين والقضاة الشرعيين والمدنيين وكبار الموظفين المخزنيين، وأساتذة جامعة القرويين، والمعاهد الكبرى"؟" وأساتذة المدارس

(109) راجع كتاب المغرب الأقصى للمرحوم المهدي بن بركة ص 78 ط القاهرة 1951 والحركات الاستقلالية للأستاذ علال الفاسي ص 284 ط القاهرة 1948.

(110) ولسوف نتعرف على ذلك من خلال أسماء الذين وقعوا عريضة الاستقلال.

الثانوية، ومعلمي المدارس الحكومية والحرة".

وبعد الاتصالات المكثفة بين كل تلك العناصر وما تم بين ممثليها وجلالة العاهل بواسطة شيخ الإسلام ومحمد الغزاوي تارة ومحمد الفاسي ومن جهة ثانية تم الإتفاق على وضع وثيقة المطالبة بالاستقلال التي صيغت بعد المراجعة والتصحيح كما يلي:

"إن حزب الاستقلال الذي يضم أعضاء الحزب الوطني السابق وشخصيات حرة(111): يتقدم بما يلي حيث أن الدولة المغربية تمتعت دائما بحريتها وسيادتها الوطنية، وحافظت على إستقلالها ثلاثة عشر قرنا إلى أن فرض عليها نظام الحماية في ظروف خاصة.

وحيث أن الغاية من هذا النظام والمبرر لوجوده هو إدخال الإصلاحات التي يحتاج إليها المغرب في ميادين الإدارة، والعدلية، والثقافة، والاقتصاد، والمالية، والعسكرية، دون أن يمس ذلك بسيادة الشعب المغربي التاريخية ونفوذ جلالة الملك.

وحيث أن سلطات الحماية بدلت هذا النظام بنظام مبني على الحكم المباشر والاستبداد لفائدة الجالية الفرنسية، ومنهاجيش الموظفين(112) الذي لا يتوقف المغرب إلا على جزء يسير منه، وانها لم تحاول التوفيق بين مصالح مختلف العناصر في البلاد.

وحيث أن الجالية الفرنسية توصلت بهذا النظام إلى الاستحواذ على مقاليد الحكم واحتكرت خيرات البلاد دون أصحابها.

وحيث أن هذا النظام حاول بشتى الوسائل تحطيم الوحدة المغربية، ومنع المغاربة من المشاركة الفعلية في تسيير شؤن بلادهم، ومنعهم من كل حرية خاصة أو عامة.

وحيث أن الظروف التي يجتازها العالم هي غير الظروف التي أسست فيها الحماية وحيث أن المغرب شارك مشاركة فعالة في الحروب العالمية بجانب الحلفاء، وقام رجاله أخيرا بأعمال أثارت إعجاب الجميع في فرنسا وتونس، وصقلية، وكورسيكا، وإيطاليا، وينتظر منهم مشاركة أوسع في ميادين أخرى، وبالأخص لمساعدة فرنسا على تحريرها"؟؟؟

---

(111) في النسخة التي وضعت بالفرنسية زيادة. كما رويت عن غير واحد من واضعيها. ومما يلاحظ على الترجمة العربية التي كتبت بخط "عبد الوهاب" الفاسي رحمه الله أنها خلو من التاريخ سواء العربي أو العجمي .

(112)راجع اعلاه.

وحيث أن الحلفاء الذين يريقون دماءهم في سبيل الحرية إعترفوا في وثيقة الأطلسي بحق الشعوب في حكم نفسها بنفسها وأعلنوا أخيرا في مؤتمر طهران سخطهم على المذهب الذي بمقتضاه يزعم القوي حق الاستيلاء على الضعيف.

وحيث أن الحلفاء أظهروا في شتىَ المناسبات عطفهم على الشعوب الإسلامية ومنحوا الإستقلال لشعوب غيرها ممن هو دون شعبنا في ماضيه وحاضره

وحيث أن الأمة المغربية التي تكون وحدة متناسقة الأجزاء تشعر بما لها وبما عليها من واجبات داخل البلاد وخارجها تحت رعاية ملكها المحبوب، وتقدر حق قدرها الحريات الديمقراطية التي يوافق جوهرها مبادئ ديننا الحنيف، والتي كانت الأساس في وضع نظام الحكم بالبلاد الإسلامية الشقيقة.

يقرر ما يأتي:

أ) فيما يرجع للسياسة العامة : أولا أن يطالب باستقلال المغرب ووحدة ترابه تحت ظل صاحب الجلالة ملك البلاد المفدى سيدنا محمد بن مولانا يوسف نصره الله وأيده.

ثانيا أن يلتمس من جلالته السعي لدى الدول التي يهمها الأمر الإعتراف بهذا الاستقلال وضمانه ولوضع إتفاقيات تحدد ضمن السيادة المغربية ـ ما للأجانب من مصالح مشروعة.

ثالثا : أن يطلب انضمام المغرب للدول الموافقة على ميثاق الأطلسي والمشاركة في مؤتمر الصلح.

ب) فيما يرجع للسياسة الداخلية:

رابعا : أن يلتمس من جلالته أن يشمل برعايته حركة الإصلاح التي يتوقف عليها المغرب في داخله ويكيل لنظره السديد إحداث نظام سياسي شورى شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية" الإسلامية بالشرق(113) تحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب وسائر طبقاته، وتحدد فيه واجبات الجميع والسلام.

---

(113) لعل الدعاية التي غزت المغرب وقتها كانت من مصر التي دشن التزوير فيها الملك فؤاد وبلغ به الذروة ولده فاروق بواسطة البرلمان 1924 والذي يعرف التاريخ مأساته ومأساة الدستور في مصر من 1923 إلى 1952 ومثله العراق في ظل عبد الإله ونورى السعيد إلخ

وأما الذين وقعوا على هذه المطالب من مختلف مدن المغرب وعددهم ستة وستون(114) فهم كما يلي:

أحمد بن الحاج الطاهر مكوار	أحمد لحمياني ختات!!!!!
الحاج الحسن بوعياد!	محمد السودي! (بالفتح)
الهاشمي الفيلالي!!	أحمد بن دلة!
محمد غازي!	أحمد بن بوشتى؟
عبد الحميد بن ج أحمد "الزموري"	عبد العزيز بن إدريس العمراوي!
أحمد بلافريج (115)!!!	الحسن بن جلون
محمد بن العربي العلمي	عبد الكبير الفاسي بن المهدي!!

---

(114) هناك مآت بل آلاف من أسماء الذين نالوا شرف السبق مثل هؤلاء لكنهم لم يحظوا بوضع أسمائهم على الوثيقة التي نشرت وإن كانوا قد وضعوها على وثائق قدمت للعاهل وقتها ونالهم من الاضطهاد في سبيل ذلك مانالهم احتسابا.

(115) بلا فريج هذه العائلة في الرباط حسبها أبوجندار في مقدمة الفتح ص 194ط الرباط 1345 من أهل الأندلس، وهذاالإسم تعرف به عائلات في الجزائر شرقاوتونس في سوسة ومنستير، كما تعرف به عائلات في فلسطين والشام، لكن العلاقة بين هذه العائلات هي التي في حاجة إلى البحث والتوثيق. ومهما يكن فأسرة بلافريج في الرباط أسرة خاملة الذكر كانت والذي ظهر فيها هو :الرجل الفاضل الحاج أحمد بلا فريج الذي يعتبر من الرعيل الأول الذي تلقى بذور الوطنية المغربية، في شبابه فقد ولد عام 1908 بمدينة الرباط ـ وفيها كان تعليمه الأولي كما ارتحل إلى باريز ثم تلقى دراسته العالية في مصر، وفي باريز أشرف على إدارة مجلة المغرب التي كانت تصدرها الحركة الوطنية بالفرنسية، وقد أبلت بلاء حسنا في كشف الكثير من أساليب الاستعمار الفرنسي ورعونته، إذ كانت لسان حال الوطنية في هذه الفترة كما سبق أن بينا، وكما أنشأ بالتعاون مع مجموعة من الشباب الذي كان يؤم فرنسا للدراسة "جمعية الثقافة العربية" وأيام وجوده بمصر ساهم في تأسيس جمعية الشبان المسلمين التي كان على رأسها الوطني الغيور الفريق محمد حرب باشا، وجمعية الهداية التي أسسها رجل المغرب العربي محمد لخضر حسين التونسي القفصي الذي نصبته الثورة المصرية شيخا للأزهر بعد قيامها وهو الذي عرفنا كيف نستثمر ذلك الماضي المشرف للرجل. كما كانت علاقة بلافريج قبل بشكيب أرسلان قوية ولما عاد بلا فريج إلى المغرب أسس بمساعدة زوجة خاله معهدا للتعليم كان ولا يزال نموذجا للمعاهد الوطنية وهو الذي نسبه لخاله حيث يعرف بـ"معهد جسوس".

أما تاريخ وطنيته وجهاده داخل المغرب فقد شارك في نشاط "كتلة العمل الوطني" والحزب الوطني الذي أنتخب كاتبا عاما له، وأثناء الحرب العالمية الثانية وجد بلافريج خارج المغرب حيث كانت علاقته كما أشرنا قوية مع الأمير شكيب أرسلان، وإذا كان هذا الأخير وكماعرفنا من أكثر المتحمسين للمحور وضد الفرنسيين فإن بلافريج لم يكن دونه حماسا من أجل تحرير المغرب، وقتها كان مقامه ما بين سويسرة وطنجة إلى أن حل وقت المطالبة بالاستقلال حيث دخل من طنجة إلى الرباط أخر شهر ديسمبر 1943 ليكتب له التوقيع ووقتها ألقي عليه القبض إعتمادا على التقرير الذي كان قدمه الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور إلى إدارة الاستعلامات عام 1941 وقد تحرك =

أحمد بن شقرون؟
أبو الشتاء الجامعي!!!!
محمد بن عبد الرحمن السعداني
محمد بن الجلالي بناني
عبد الهادي الصقلي
أحمد بن أبا حنيني
ناصر بن الحاج العربي!!!
محمد الحمداوي!!
عبد السلام المستاري
عبد الله ابراهيم!!!!!
محمد بن الخضير

محمد الغزاوي!!!
محمد اليزيدي "بوشعيب"؟
الحاج عثمان جوريو!!!
محمد البوعمراني!
قاسم بن عبد الجليل!
أحمد اليزيدي
إدريس لمحمدي(116)
عمر بن شمسي!!!
محمد الديوري!
مالكة الفاسية...؟

= عام 1942ـ1943 ثم عام 1944 كما جرته إلى النفي إعترافات المرحوم عبد الرحمن بن سعد التازي الذي وسمه كلب المزابل عبد الهادي بو طالب بالكلب 148/2 والواقع أنه أشرف منه لكنه ضاع ، والذي قال عنه ابن منصور أنه تلمساني كذلك.

هذا وقد بقي بلافريج معتقلا في كورسيكا إلى عام 1946 حيث أطلق دي غول سراحه ليستأنف نشاطه بحكمة وتبصر وعدم إدعاء، ولما اشتد نشاطه ضد فرنسا أمرت بإلغاء جواز سفره ومنعه من الدخول إلى طنجة التي كان يقيم فيها من قبل فتحولت إقامته إلى مدريد حيث مكنته الباكستان من جواز سفر مكنه من المشاركة في عرض قضية المغرب أمام جمعية الأمم المتحدة وفي سبتمبر 1955 كان ضد مقررات «إكس ليبان» كما عشت وعرفت وبعد الاستقلال كان بلافريج أول وزير خارجية للمغرب المستقل ثم رئيسا للحكومة لمدة أقل من 7 أشهر من يوم 5/12 إلى يوم 1958/12/24م وبالتالي فإن تعلق بلافريج بالعرش وبمحمد الخامس كان وكما عشنا وعرف الناس إلى درجة الهيام، حتى إن موقفه القوي والعنيف ضد مؤتمر «إكس ليبان» بتاريخ سبتمبر 1955 كان السبب الذي دفع مسلمة اليهود وأعلاج النصارى المندسين إلى التنكر له يوم وجدوا الفرصة كما سنرى بعد من خلال ما قبيل عودة محمد الخامس من المنفى والصراع الذي عرفته تلك المرحلة، وكذا بعد الاستقلال وموت محمد الخامس حيث أصبح وغيره من الوطنيين عرضة لإنتقام خونة الماضي حيث وضع حد لأمانته للحزب التي دامت من 1944، وذلك في مؤتمر الحزب يوم1960/1/11.

(116) توفي إدريس المحمدي يوم 1969/2/8 .انتقاما من الله لفسقه ومجونه الذي كان لا يتورع في التظاهر به وذلك إثر حادث سيارة دهمته ليلا في شارع محمد الخامس بالرباط وهو يترنح معربدا من السكر الذي كان مدمنا عليه ثم نقل فاقدا للوعي إلى فرنسا التي عاد منها جثة متعفنة مخلفا وراءه أسوأ الذكر و أوسخ المذكرات التي يحفظ التاريخ منها الكثير في قصة الشيطان الأعرج راجعها ضمن وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي المصادرة بالخزانة الملكية.

عمر بن عبد الجليل؟	محمد الفاسي!
مسعود الشيگر!!!	أحمد المنجرة
عبد الله الرجراجي!	محمد الرفاعي
عبد الرحيم بوعبيد!	عبد الله بن عمر
الطاهر زنيبر "الاحدب"	محمد الفاطمي الفاسي
عبد الكريم بن جلون التويمي!	عمرو بن بناصر الزموري!
عبد الجليل القباج!	امبارك بن أحمد
عبد الوهاب الفاسي	الجلالي بناني
أبو بكر الصبيحي!	الحفيان الشرقاوي
المهدي بن بركة!!	عبد القادر حسن مراكش!!
أحمد الشرقاوي "الرباطي"!!	الحسين بن عبد الله الورزازي
الصديق بن العربي!!	محمد بن عزو!
قاسم الزهيري!!	العيساوي المسطاسي!
محمد البقالي"السلاوي"!!	عبد الكبير الفاسي بن عبد الحفيظ*
محمد الجزولي!!	

هؤلاء الذين نشرت أسماؤهم، أما غيرهم من الذين وقعوا على عرائض أخري رفعت أيضا إلى جلالة الملك فهم بالمآت إن لم نقل بالآلاف وقد إمتلأت بهم السجون والمنافي وكانوا من كبار العلماء وعلية القوم، لو أردنا ذكر أسماء بعضهم لملأت صفحات، لكن لا يجمل بنا أن نمر مر الكرام على ذكر إسمين عظيمين ألحقت بهما في سرداب محكمة باشا مدينة فاس بوادي الفجالين يوم 1944/2/2(116ب) وهما العالمان الجليلان أحمد الشبيهي الحسني ربيب العالم الجليل عبد الرحمن بن القرشي ومثله رفيقه في المنفى إلى قرية الطاوس بالجنوب المغربي المرحوم الشيخ محمد بن عبد الرحمن العراقي

(116ب) كان معهما في السرداب الحاج أحمد بن شقرون عميد كلية الشريعة بجامعة القرويين حاليا لكنه أطلق سراحه ولم يبعد معهما إلى المنفى بالطاوس جنوب المغرب.

* ولقد اسقطت لأنه أي عبد الحفيظ من الذين دشنوا جريمة الغدر وخيانة الأمانة في عهد الاستقلال.

الحسيني أسكنهما الله فسيح جناته، ومثلهما كثيرون جدا من بركان وبني يزناسن شرقا وفجيج جنوبا إلي مراكش وسوس(117) بل هناك من أعدموا في سبيل الانتصار للمطالبة بالاستقلال ممن سنتعرف عليهم بعد وذلك بعد أن نتعرف علي موقف الوطنيين بشمال المغرب والذين كانوا تحت النفوذ الإسباني والدولي بطنجة وتطوان فبعد 49 يوما أمكنهم أن يوجهوا رسالة تضامن إلى جلالة العاهل مؤرخة بـ 4 ربيع الأول عام 1363هـ =1944/2/29م وقعها جماعة يتقدمهم عبد الخالق الطريس، والتهامي الوزاني، وأحمد غيلان ومحمد الطنجي، ومحمد طنانة، ومحمد أفيلال، والحاج محمد الشرقي، والحاج محمد الصفار وحسب واقع الظروف التي كانت تعيشها منطقة الشمال التي مزقها الاستعمار إلى فرنسى في الجنوب وإسباني في الشمال، ودولي في منطقة طنجة، لا يمكن للمؤرخ أن يحكم على من كان وقتها إلى جانب الفئة المطالبة بالاستقلال، أو الذي كان ضدها، فلقد أكدت الحوادث بعد أن مدينة طنجة كانت تتوفر على جماعة واعية كان لها أبلغ الأثر في التمكين لروح المقاومة والدفع بالثورة إلى الأمام إثر حوادث 1953 بل ومنذ ما بعد الزيارة الملكية للمدينة 1947/4/9 كما سنرى وقيل إن هناك عريضة تضامن مع عريضة حزب الاستقلال قدمها انصار الحزب القومي الذي أسسه قبل محمد حسن الوزاني رحمه الله وحتى إذا كانت فإنها لم تكن في الوقت المناسب وإن كنت لم اتعرف عليها ولعل بدافع الصراع العنيف وما كان لحزب الاستقلال من نفوذ لم تعرف تلك العريضة ولم تنشر قبل بالطريقة التي نشرت بها يوم 11 /1/1994 في جريدة لإتحاد الاشتراكي ص 5 ولاداعي للرد على وقاحة وهراء المدعي عبد الهادي بوطالب الذي نسب لنفسه أن محمد الخامس رحمة الله عليه خاطبه في موضوع عدم توقيع القوميين على

(117) كان أبو بكر الصبيحي المتوفى في حوادث الصخيرات يوم 10 يوليوز 1971 قد اهتم بتراجم الموقعين على وثيقة الاستقلال وإذا هو لم يفعل فقد قام بنفس العمل الأستاذ محمد خليل بوخريص ط النجاح 1995م مع العلم أن هذا التوقيع لم يقتصر وقتها على النخبة التي كانت الوسيلة والقوة الصالحة للانطلاقة من جديد، وحتي لا يحصل للقافلة أية عرقلة في الطريق، وأما عن عامة الشعب فقد وقعت في كل مدينة، بل في كل حي كثير من اللوائح والتي بحق أدهشت الفرنسيين وحطمت ما كانوا يبيتون، وإذا كانت القافلة بعد قد واصلت السير بحزم وعزم وثبات فما ذلك إلا من حسن قيادة الرائد العظيم محمد الخامس الذي شهد العالم ويشهد التاريخ أنه رغم مالاقاه من محن وآلام في الطريق، فإنه لم يضعف ولم يضطرب بل واصل السير بالقافلة إلى أن تحقق النصر، ولله العزة ولرسوله وللمومنين.

الوثيقة إلى غير ذلك مما أورده فيما سماه مذكرات الرأي العام 93/6/30 ص 5 وأوسخ منه ما كتبه مما نشر باسم الندوة الدولية حول محمد الخامس ص 133ـ45 ط 1987.

ولو أن عبد الهادي بوطالب قص علينا كيف طرد من المعهد المولوي 1948 وما أسباب الطرد لكان خيرا له من ذلك الهراء الذي لم ينقص من قدر أعظم ملك عرفه العالم الإسلامي العربي في عصره ولن يرفع من قدر منحط عرف الكبير والصغير من المغاربة أوسخ موبقاته وفضائحه.

على أن مذكراته في هذه المرحلة لم تكن تتعدى مدرسة العطارين وسكانها يتقدمهم أحمد بن الحسن العلوي التازناقتي، وماله من شعر في الموضوع نحفظه خصوصا القصيدة التي مطلعها :وذي أدب بارع إلخ.

ومثل هذا ما نشره المسمى المهدي ابن لونا مما اسماه وثيقة 1943/2/13 الذي له هو الآخر وأبوه مذكرات فاضحة مع الاسبان محفوظة بوزارة الخارجية وفي مذكرات الأستاذ علال الفاسي والذي نسي أن ما قام به الوطنيون في الشمال لم يكن ضد الإسبان وإنما كان نكاية في فرنسا التي شيعوها في شبه جنازة في تابوت محمولة على الأكتاف ثم أشعلت فيه النار، وكل ذلك كان بدافع ماأبداه الإسبانيون من رغبة في أن يقف المغرب على الحياد لأن هوى الاسبان كان مع المحور، ولا داعي للغور في الأوحال التي دس فيها بيك بيدير مادس قبل، وماأوحى به إلى آخرين كان منهم عبد السلام بن لونا التلمساني الأصل، والذي كان لا يعنيه من العمل السياسي إلا الربح العاجل وقد تحقق له وما ظهر من ولديه في لبنان وزنقة لبريهي ووكالة المغرب أنه لو بقي في المغاربة نخوة لكان ما كتبه كل من المهدي بنونة وعبد الهادي بوطالب والجاسوس المشهو عبد الوهاب بن منصور حول محمد الخامس كافيا لمحاكمتهم، لكن سوف يأتي الوقت الذي أتفرغ فيه للكتابة حول كل من لقلاق تطوان وهرة العطاريين وطريد رحمة الله من تلمسان ان كان في العمر بقية إن شاء الله لأنهم تطاولوا على ما ليس لهم، ونسوا ان محمد الخامس يمثل نوعا من القداسة من تطاول عليه بالكذب يصفع على القفا.

قدمت وثيقة المطالبة بالاستقلال إلى جلالة الملك كما ستقدم أيضا إلى المقيم العام غابريال بيو، حتى يرفعها إلى الجمعية الوطنية التي كانت تمثل الحكومة الفرنسية،

برئاسة الجنرال دي كول، كما قدمت إلى سفراء وقناصل الدول الكبرى أمريكا وبريطانيا في المغرب وروسيا في الجزائر.

كان يوم تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال الذي هو يوم 11 يناير 1944 يوم له ما بعده في تاريخ المغرب السياسي، وإذاعلمنا أنه قبل سنة كان اللقاء قد تم بين محمد الخامس وروزفيلت بتاريخ 1943/1/21 فإن أثر ذلك اللقاء وما تولد عنه في نفوس الخونة والجبناء من الفرنسيين مدنيين وعسكريين، تمثل في تصرفات غابريال بيو المتطرفة ضد الشعب المغربي وملكه الذي كان على رأس القافلة وفي مقدمتها، خصوصا وأنه ما كادت المطالب تقدم إلى جلالة الملك حتى أمر باجتماع وزرائه يوم 13 يناير 1944 وذلك من أجل تدارس تلك المطالب(118)، وإذا هو ضم إلى الاجتماع بعض كبار القواد الذين كان منهم العبد الابق التهامي الجلاوي والهاشمي العيادي وغيرهمامن محافظي باشوات المدن الذين أبدوا تأييدهم المفتعل لموقف جلالة الملك، فإن موقف جماعة الوزراء و"المناديب" كان مذبذبا بل متخاذلا باستثناء واحد إنضم إلى جانب شيخ الإسلام وهو أحمد بن عبد الرحمن بركاش بالكاف المعطشة، أو برقش كما يوقعها وهو المتوفى رحمه الله عن سن تجاوزت المائة مضت من عمره كما قيل بتاريخ الاثنين 1994/10/31، ولقد خلد تاريخ ذلك اليوم موقف شيخ الإسلام وما كان له في ذلك المجلس من صولة، الأمر الذي بعث في المجلس روحا تقمصه جل الحاضرين من محافظي المدن وعمداء البادية ما عدا قلة بما فيهم العبد الآبق التهامي الجلاوي الذي ستظهر الأيام حقيقة أصل ابن الراعي عديم الأصل والمعروف بـ"ولدتا طبيبت" باللهجة البربرية المعبر عنها بينهم طيبيبت".

وبفضل موقف شيخ الإسلام أمكن لجلالة الملك أن يشير على جميع الذين أندمجوا

---

(118) وفي نفس التاريخ 1944/1/13م كان الجنرال ذي غول بمدينة مراكش التي اجتمع فيها بعد اللقاء مع تشيرشيل الذي كان في ضيافة الجلاوي التي عوده عليها وعلى ماتتصف به من السرية التي لم تكن فضائحها الخلقية خافية على الخدم والتي تزري بتشيرشيل المنحرف خلقيا والجلاوي الحقير معا، ومع هذا الأخير أيضا اتصل الجنرال كاترو الذي طوعه للموقف الساقط الدنيء الذي لا يختار له غير الجلاوي السيء الخلق والذي سينتهي إلى لعنة الله والناس، كما سيدفع به يوم النزع الأخير وبعد أن يجر على المغرب الويل والثبور إلى لعنه لفرنسا والفرنسيين الذين زعم المجرم أنهم غرروا به، بيد أن أصله الخبيث لا ينتج إلا الخبيث، وللأسف فقد عرف المغرب بعد الاستقلال الكثير من الجلاويين الذين ستكشفهم الأيام ويفضحهم التاريخ، وتلعنهم الأجيال المقبلة عبر التاريخ وتعاقب الأيام يتقدمهم الشياطين الخمس وأحقرهم قزم الرباط أحمد رضا كوديرا.

بشكل مشجع بأن يخصصوا لهم أياما يقيمون أثناءها بالرباط يتدارسون الوثيقة وما فيها من المطالب مع الجماعة التي أصبحت تكون حزب الاستقلال، وفعلا إنفض المجلس على موعد بمنزل باشا الرباط عبد الرحمن باركاش الذي كان له ولولده بل ولأسرته موقف مشرف، وكان منزل شيخ الإسلام القريب من منزل باركاش المدرسة المكونة والقوة الدافعة لرفع المعنوية وتقوية روح الإقبال.

وفعلا اتفق الجميع بعد أيام من الدراسة والنقاش، على أنه لم يعد مجال لاستمرار ما يفرضه عقد الحماية على الدولة والشعب، وأن الظروف مواتية للمطالبة بالاستقلال.

واتفق الجميع أيضا على تكوين وفد يقدم تلك المطالب باسم الأمة المغربية إلى السفير المقيم الذي هو غابريال بيو حتى يرفعها بدوره إلى الحكومة المؤقتة التي كان مركزها بالجزائر، وهنا أيضا يسأل القارئ من الذي كان سيد الموقف وممن تكون هذا الوفد؟ لقد تكون من شيخ الإسلام ومعه أحمد بن عبد الرحمن برقش، وتقول الرواية التي نقلت إلى جلالة العاهل في حينها، لقد كان الموقف جد حرجا، وكانت المعركة ساخنة يقول أقرب مصدر إلتقط ما تردد من الصدى وقتها وهو محمد الرشيد ملين(119) شفاه الله وعين وفد من الهيأة الوزارية كان من بين أفراده وزير العدلية، ومندوب(120) المعارف، وذهب الوفد إلى الإقامة العامة فاستقبلهم ممثل فرنسا ومقيمها العام "مسيو" بيو وكانت جلسة حادة تصادم فيها بعنف السفير الفرنسي بيو مع وزير العدلية المغربي شيخ الإسلام، وافترق الطرفان وقد بلغ التفاقم أقصاه، ورفع المقيم العام العريضة إلى حكومته التي كانت مستقرة وقتذاك بعاصمة الجزائر ومعها تقرير مسهب كانت نتيجته أن وصل إلى الرباط في يوم 28يناير 1944 :مسيو: ماسيگلي مبعوثا من لدن الحكومة الفرنسية للتفاهم مع السلطان، واستقبل صاحب الجلالة المبعوث الفرنسي الذي بلغه نظرية الحكومة، وهي تتلخص في أن فرنسا لا يمكنها إلا أن تنظر بعطف لمطامح الشعب المغربي خصوصا وأن الوقت وقت حرب، من المصلحة المشتركة أن يسود الهدوء البلاد وأن تعود الطمأنينة إلى النفوس على أن الحكومة الفرنسية ستعمل على إرضاء المطالب

(119) نضال ملك جـ 1 ط الرباط 1956 ص 21 ـ 22.

(120) هما شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي وأحمد باركاش.

المغربية المشروعة وسوف لا تعمد إلى اتخاذ وسائل زجرية ضد أي أحد"؟؟(121).

سبق لنا أن تعرفنا على تصرفات غابريال بيو في سوريا ولبنان وتونس، وأنه رغم موقف حكومته وما قدم به مندوبها فإن بيولم يستسغ ما ظهر من إجماع المغاربة ملكا وشعبا، وما كاد يتحرك في الاتجاه المعاكس، حتى وجد من الدوافع ما يبرر به تنفيذ مخططه الذي رفعه إلى الحكومة المؤقتة، والذي ضمنه تقريرا كان قد صيغ مماأخبر به الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور والناتج عن قضية عبد الرحمن بن سعد، ومانتج عما أنتزع من هذا الأخير وغيره بوسائل التعذيب الفظيعة وذلك من إتهامات كثيرين بالتعامل مع المحور، وإذاكان في مقدمة الذين ذكرهم تقرير الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور الذي تعرفنا عليه قبل وكما سنعرف في الفصل التالي هو الحاج أحمد بلافريج صديق الأمير شكيب أسلان الذي كان لا أحب له أكثر من الألمان فلتكن بداية الحملة بإلقاء القبض عليه ثم إبعاده خارج البلاد إلى كورسيكا بعدما ألقي القبض على شيخ الإسلام الذي فصل من منصبه كوزير للعدل ثم أبعد إلى قرية لقصابي على بعد أربعين كيلومترا شرقا من ميدلت(122).

---

(121) شارل أندري جوليان في كتابه عن افريقيا الشمالية تسير ط تونس 1976 ص 381 قال غير هذا فالرسالة التي حملها ماسگلي من دي غول - وقد كان قبل اسبوعين بالمغرب - كلها رعد وبرق لم يبق لها غير أن تغرق بالزوابع، لأن المغرب لم يعترف بما قدمته فرنسا في سبيل "التهدئة" وتقدم المغرب، وما يقدمه المغرب اليوم إلى جانب فرنسا هورد لذلك الجميل إلخ، وأندري جوليان في إعتباري ضعيف الحس التاريخي ومتقلب الآراء حول الموقف الواحد، ولنا معه جولة بعد إن أمكن، وهنا في رأيه هذا تشم منه رائحة رأي جماعة المستعمرين بالمغرب والذين ألفنا منهم ترديد نفس القول : التهدئة وما يتبعها من ألفاظ رخيصة في ان كل ما عرفه المغرب من حروب قبل وبعد فرض الحماية كان السبب فيها سياسة فرنسا واستعمارها بل نسي هو وغيره أن يقولوا لنا ان الجنرال ليوطي وقتها 1914 باسم التهدئة حمل المغرب قرضا قيمته 200 مليون، وما هي إلا مساهمة في تكاليف الحرب زيادة على خسارة 150000 من الرجال مما أنقذ فرنسا ومكنها من الانتصار إلخ إن فضل المغاربة على فرنسا والفرنسيين هو أكبر كثيرا مما يتشدقون به من زعم، وكل ما فعلوه في المغرب لم يكن من أجل المغاربة، بل كانت الغاية منه دوام واستمرار الاستعمار، ورفع مستوى الاقتصاد الفرنسي هذا بالإضافة إلى أن فرنسا لم تتبرع على المغرب ولو بوتد، بل كلما حققته من عمران وعبدت من طرق ونظمت من إدارة كان بأموال المغاربة الذين سرقتهم واثقلت كاهلهم بل كيف كان المغرب يوم كانت الحشرات تسرح في راس لويس 14.

(122) ومنها نقل إلى مدغرة يرافقه المصطفى صديقه المفضل، وهو المولود عام 1923 والذي كان وقتها قد حصل على الإجازة في القانون "الكفاءة" ثم إختار النفي مع والده وبحق كان له الرفيق والصديق الأمر الذي مكن لحب المصطفى من نفس والده فوق العادة، ذلك أنه أقبل علي النفي ولم يفارق والده طرفة عين اللاهم إلا سنة 1953 =

لكن متي بدأ تنفيذ برنامج المقيم غابريال بيو وماأقدم عليه من عنف عنيف، وقسوة قاسية، ولماذا كان بعد أسبوعين ونصف على تقديم المطالب؟ هل لأنه كان ينتظر موافقة الحكومة الفرنسية التي عرفنا رأيها بواسطة "مسيو" ماسيگلي، أم لأنه كان طبعا من رجال الاستعمار الفرنسي الذين تمرسوا على القسوة والعنف والاضطهاد، ثم هو وجد الجو المساعد بما أحيط به وقتها من زبانية مماثلة، واستعلامات وعملاء زينواله ما كان يريد بتسليط الأضواء على تلك التقارير التي كادت تهمل، وهي تقارير الاتهام بالنازية لعدد من كبار الوطنيين الذين أدرج أسماءهم الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور في تقريره الذي إحتفظ لنا به كل من اغريما لدى ثم القبطان دومنيك ولوبنياك، وهم الذين وجدت خطوطهم وما علق به كل منهم على النسخة المنتزعة من التقرير(123) الذي إعتمدته إدارة الشؤون السياسية التابعة للإقامة العامة وقتها، وذلك هو السر المجهول في تاريخ تلك المرحلة من التاريخ السياسي للمغرب الأقصى، الذي تعرض ولا يزال منذ عهده بالاستقلال للتضليل وإتلاف الحقائق والوثائق حتى إنه مبالغة في ذلك وباسم الحرية التي أوقفت على الصنائع والمفلسين. رأينا ومن نكد الدنيا أنه بمناسبة الذكرى السنوية لعريضة المطالبة بالاستقلال جئ إلى التلفاز يوم 1985/1/11 بالجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور بلاخجل ولا وجل ومعه صنف من الذين هم أبعد الناس حتى عن روح الوطنية ليعرفوا المغاربة وبواسطة التلفاز عن حقيقة ما عرفه المغرب في تلك المرحلة وهم الدخيل لكرتلي الأصل وحفيد بقايا مرتزقة جيوش الانكشارية بتلمسان أيام حكم الاتراك أحمد عصمان(*) الخ، ومثله المعطي بو عبيد الذي لا ماضي له يذكر بل اللاعب على الحبلين، وثالثهم الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور التلمساني أيضا والذي زمن العريضة كان حربا على العريضة ورجال العريضة بالإضافة إلي أنه قبل كان

= حين أبعد والده إلى أرض سوس "تيزنيت" ثم أكره المصطفى على عدم مرافقته، إلخ أما محمد والعربي أخوي المصطفى فقد حرما من إتمام الدراسة بسبب الظروف التي صنعها الاستعمار الفرنسي لوالدهما، وبذلك تكون أسرة شيخ الإسلام ذكورا وإناثا قد دفعوا ثمن إختيار الأب العظيم الذي قط ما فضل أولاده على أولاد المغاربة جميعا، وبذلك كان يعبر في كل مناسبة، وحين يلاحظ عليه بعضهم انه لم يترك لهم ثورة ولا إلخ.

(123) راجع ترجمة شيخ الاسلام قبل في كتابنا المغرب ملكا وشعبا ط القاهرة 1957.

(*) راجع ما سبق وما يأتي من الهو امش.

يحمل معول الهدم كرقيب على الصحافة الوطنية، وهو الوظيف الذي كان لا يحتله وقتها إلا الفرنسي أو الذي كان يحمل الجنسية الفرنسية، ومع ذلك قال وبلا خجل ولا وجل ما قاله واللذين سبقاه يوم 1985/1/11م مما أثار غضب كل الأحياء من المواطنين والوطنيين الذين أدركوا أنها مؤامرة مقصودة لإتلاف معالم وحقائق تاريخ تلك المرحلة التي لم يعرف الناس الكثير من أسرارها، وهذا بعضها ضاربا صفحا عن تحليل الوثيقة التي عرف موثقوها بحق كيف يركزون مقاصدهم، والتي كانت الظروف تدفع غابريال بيو وزبانيته إلى رد الفعل حالا وبعنف عنيف وقسوة قاسية. لكن لماذا لم يكن ذلك إلا بعد ثلاثة أسابيع ذلك ما سنتعرف على جوابه في الفصل التالي الذي يعتبر من الفصول الجديدة في تاريخ المغرب السياسي المعاصر.

(*) لقد جيء باحمد أُصْمانْ من ملجأ خيرى إلى المعهد الملكي بواسطة الأستاذ محيي الدين المشرفي الحسني المفتش العام وقتها بمندوبية العارف وأحمد عصمان هذا هو الذي فعل بما خلفه دهاقنة الاستعمار وبواسطة السمسار المحول الذي فضحه وفضح غيره زنيند مالم يفعل كبار الناقمين من السابقين منه ولا 10٪ بل حتى أصبح من يريد الترشيح في الانتخابات البرلمانية لا حق له إذا لم ينتمي لحزبه أو حزب غيره كما حصل معي وأحمد أصمان لكريتلي الأصل هذا أكبر فهو ولد محمد لعوج الذي قدم من الجزائر الى المغرب كمرتزق ضمن جيوش الاستعمار حيث انتهى به المطاف وقد أدى المهمة مع جيوش الاحتلال إلى حيث استوطن مدينة تازة التي عمل بها كاسكافي زمنا وفيها ولد أحمد اصمان بحي لقْلوع ومنها انتقل، محمد إلى مدينة وجدة التي عرفناه بها يوم كان يبيع شميعا تافي دكان فارغ جوار جامعها الأعظم، ومن أراد أن يتعرف على أحمد أصمان وعلى وطنيته المزيفة التي أصبحت وبالاعلى مجتمعنا ومقدساتنا عليه أن يقرأ اعترافاته وما كتب حين شارك في الندوة الدولية حول محمد الخامس 16-1987/11/20 وانه باعترافه يوم أبعد محمد الخامس عن عرشه 1953 توجه أحمد اصمان وقتها إلى فرنسا للدراسة، لكنه نسي أن يقول على حساب من؟ وهو ابن المعدم الذي ألقي به في ملجإ خيري عليه بالاتصال بالمنطقة الشرقية من المغرب وما أصبح عليه أهلها الذين نصب حاكما على مدينة وجدة صنوه ولما تقاعد جاء بابن أخيه الذي كل رأس ماله عاملا بسيطا بوكالة أسفار، لم يقتصر كرمه على ذلك بل رفع ابن البوسطاجي المتفرنس بوعمود الذي كان عصمان يقتل الجوع أحيانا معه، فأصبح بوعمود وهو المعلم البسيط في أحط مستوى وبسبب مروره الخاطف على سوق الجزارين من المرشحين للسؤال الذي لابد له ولغيره منه وهو من أين لك هذا ومنه «عمارات حي أكدال التي أصبح بها من أثرياء المغرب ... أحمد أصمان الدخيل هذا هو الذي جيء به يوم 1985/1/11، إلى التلفاز ليحدث أشباه المغاربة عن وثيقة المطالبة بالاستقلال نسي أن يحدثهم عن ممتلكاته التي سارت بها الركبان من وجدة مرورا باكبر الكبائر ذوات الشوارع في البيضاء إلى إجادير ومزارعها ومن الرباط إلى كاب نيگرو مرورا بمدينة أصيلا وفضائح 300 هكتار بها. الخ.

الفصل السابع والسبعون بعد المائتين

السر المجهول عن أسباب حوادث 29 يناير 1944*

قدمت عريضة المطالبة بالاستقلال من طرف موقعيها بإسم الحزب الذي أوحى به الظرف والمناسبة، ثم اقترح إسمه أحدهم فنال القبول من الجميع وقتها وهو اسم حزب الإستقلال الذي أطلق لأول مرة على الجماعة التي تجمعت وتآلفت، وهي جماعة الحزب الوطني الذي تعرفنا عليه قبل، وجماعة الثانوية الادريسية بفاس وغيرهم من الذين نظموا صفوفهم ثم أصبح تنظيمهم الجديد يعرف بالقصد والهدف الذي صمم القوم على تحقيقه وهو الإستقلال فأصبح حزبهم يعرف باسم حزب الاستقلال الذي قدمت العريضة باسمه يوم الثلاثاء 11/1/1944م ومن ذلك التاريخ إلى يوم 28 منه لم يحصل أي تحرك ضد المواطنين عموما، ولا ضد الذين وقعوا على المطالب في مختلف مدن المغرب، لا من الإقامة العامة التي مقرها بالعاصمة الرباط ولا من الجهات الأخرى بالأقاليم حتى التي كانت تحكم عسكريا وقتها، مثل مكناس ووجدة والجنوب كمراكش، بل لم يقع ولا أدنى تحرك ضد الوفود الكثيرة التي كانت تتوارد بجموعها على القصر الملكي بالرباط حاملة

(*) من مذكرات المؤلف التي صادرتها الشرطة من خزانته قبل نشرها بتاريخ 1968/6/14م بل والذي بقي التفتيش في خزانتي بواسطة واشراف عميدين هما الإقليمي للأمن السيد هابي الطيب، ومدير امن العاصمة السيد عبد السلام لمزايتي.

وكوكبة من رجال الشرطة ومعهم موظفون إداريون مدة ثلاثة أسابيع يبحثون في خزانتي عن كل ما هو مخطوط بيمني والسبب هو أنني أولا لما سئلت 1963 عن الجبهة التي أسست وقتها قلت رأيي فيهاوفي متزعمها العميل المشهور أحمد رضا كديرة الذي وضع له المرحوم الحاج أحمد الشرقاوي المدير السابق لمدارس محمد الخامس ملفا من خلال الوثائق كخائن رشحه به للمحاكمة ضمن لائحة الخونة بيد أنه نصب كوزير ضمن المفاوضين ثم وزيرا للدفاع يقول جَ أحمد وعندي كان ملفه ضمن الملفات 4226 التي كلفني محمد الخامس بدراستها ووضع تقارير حول ما يدرس منها حيث كنت أقدم له تلك التقارير مرتين في الأسبوع الاثنين والخميس والملف طلبه مني محمد الخامس فسلمته له بيدي أما السبب الثاني فهو رفضي المشاركة في تأليف الحزب الذي رشحت لتأليفه مع ادريس لحمدي1967 سنة وهو وقتها المدير العام للديوان الملكي وأخيراً الكتاب الذي عرف قبل النشر والذي يعني الشياطين الخمس: الأعور والأقرع، والأعرج، والأسود، وقزم الرباط وغيره.

عرائض التأييد مما أغرى المواطنين ثم دفع بهم إلى الغليان، وزاد في حماسهم عندما علموا أن قيادة الموقف أصبحت بيد العاهل الذي نقل ما قاله وبالحرف أول وفد، إلى آذان المواطنين في مختلف المدن، ناهيك وأن مختلف الوفود التي كانت ترد على الرباط وحتى من سلا قبل توجهها إلى القصر يقودها الذين تجندوا لذلك كان جلها يمر بمنزل شيخ الإسلام بحومة "مرسة" وكانت الغاية من ذلك هو التحقق من الهوية بواسطة أحد الرجالات الوطنيين من الجهة التي قدم منها الوفد، وبذلك تمكن الشيخ من وسيلة البعث بالتوجيه الذي كان يزود به تلك الوفود حتى لا تحدث ما يخل...

ولمدة أسبوعين ونصف كانت مدينتي الرباط وسلا عموما والحمى الملكي "بحي اتواركة" بالأخص، كأنها في عرس عظيم، رغم ظروف الحرب وصعوبة المواصلات، بل كانت المدينتان وعلى غير عادتهما قد عرفتا تجمعات في مختلف البيوتات التي كانت تستقبل الواردين، بل وفي المساجد والشوارع والحدائق والازقة، وحيث التجمعات التي أصبحت غير عادية في المدينتين، لا حديث للناس على غير الاستقلال الذي يجب أن يتحقق بحكم الظروف المستجدة سواء بالنسبة لفرنسا التي لم تعد في نظر المغاربة وقد تتبعوا ما حل بها وما عرفته من إحتلال الألمان، ثم هي وإن تحررت بفضل مجهود الحلفاء، فإن للمغاربة عليها فضل وجميل يجب أن يكون جزاؤه استقلال بلادهم، مثلما تحررت سوريا ولبنان وكلاهما كانتا تحت الإنتداب الفرنسي الذي عرفتا بسببه الويلات والتطاحن عليهمامن حكومة فيشي وفرنسا الحرة، حيث دارت معارك اللطاني والكسوة، والقنيطرة بدءا من 1940/6/12(124).

(124) راجع مذكرات دى كول ص 255 ط بيروت 1964 ترجمة خيري حماد، ومجلة المصور المصرية مصدر سابق 43/8/27 من أشد فصول هذه المرحلة 1944/1/11 من التاريخ السياسي المعاصر هذا الفصل الذي سوف تحكى هوامشه قصة هوايتي مع الوثائق وأسرار الوثائق زمن الطفولة المبكر بالقصر الملكي بفاس، والتي لما آن زمن تحريكها وكتابة التاريخ السياسي من خلالها وخلال المستجد من أمثالها مما حصلت عليه في وزارة الداخلية بعد الاستقلال والتي كانت هي الأخرى بدافع الجهل في طريقها إلى حيث صدرت الأوامر بحرقها، فأنقذتها لأجد فيها من الأسرار ما يرعب وبذلك جرت علي وعلى خزانتي التي احتلتها الشرطة ثلاثة أسابيع كما صودر لي وقتها كثير من الوثائق وبعض مؤلفاتي بأوامر ظالمة ومن وراء القانون ظنا من أصحابها أنهم بذلك يحققون رغبة لسادتهم في إعدام ما هو مدون في حقهم من مخازي، وموبقات وفضائح وخيانات، لكن هيهات ثم هيهات، لقد نقل من خزانتي إلى الخزانة الملكية حوالي مائة ألف وثيقة مخزنية عليها طابع خزانتي جمعتها زمن الطفولة 1939 من مسخن الحمام بالقصر الملكي بفاس كما اغتصبت من خزانتي مجموعة من وثائق وزارة الداخلية لعهد الحماية والتي هي الأخرى أمر الجهل بحرقها.. لولا أنني أنقذتها بمحض الصدفة كما سنرى، وأهمها ما يعني الجاسوس المشهور، موسخ المملكة عبد الوهاب بن منصور، كما حصل السطو على مؤلفاتي التي لم تنشر والتي قيل إنها تخل بالأمن العام.

وإذا كان المقيم الفرنسي وقتها بالمغرب غابريال بيو هو الذي كان مندوبا ساميا بسوريا وله فيها جولات ظلم وجبروت ضد رجالات القطرين الشقيقين، ساهم في تأجيج نيرانها الجنرال فوجير قائد القوات الفرنسية بالشرق الأوسط، ومساعدة الجنرال إرلابوز، فإن السوريين واللبنانيين بالتالي حصلوا على استقلال بلادهم، مما كان يزيد في إقدام الواعين من المغاربة، ويدفع بهم إلى الحماس أكثر، خصوصا وأن الذي أعلن ذلك الاستقلال كان هو الجنرال كاترو، ممثل حكومة فرنسا الحرة بتاريخ 27/9/ 1941م، وذلك بعدما أعلن الغاء نظام الإنتداب واعتبار سوريا ولبنان دولتين مستقلتين، وأقرت بريطانيا العظمى ذلك الاستقلال وضمنت تنفيذه، واعترفت به الدول المتحالفة(125)، فكان ذلك أيضا من عوامل دفع المغاربة ملكا وشعبا إلى المطالبة بالاستقلال.

لكن لماذا لم تقابل السلطات الفرنسية بالمغرب كل ما حصل وقتها توا بالقوة خصوصا والأيام زمن حرب في الوقت الذي نراهم واجهوا أقل من تلك المواقف بالشدة والعنف، بل عرف المغاربة ولمدة أسبوعين ونصف من الحرية وعلى غير العادة ما جعلهم يتصلون ويتحمسون حتى أمكن للمبشرين العاملين لفائدة الدعاية النازية في شمال المغرب وبسبب ماجد نحو الجنوب، أن يوزعوا نشراتهم في مختلف المدن حتى إنتهوا إلى الرباط التي حاولوا أن يطلقوا منها صوت إذاعتهم(126) من جديد، رغم العلم أنهم مراقبون ومهددون بوجود من يترصدهم بإدارة الإستعلامات، ويعرف أسرارهم، لكن الواقع وظروف فرنسا دفعت إلى الاعتقاد أن كل ما يمكن القيام به في سبيل المطالبة بالاستقلال مباح، حتى أصبح الناس يتساءلون ويؤولون.

لماذا لم تقم الإدارة وأجهزة القمع فيها بأي تحرك، ولا برد الفعل بعنف عنيف، كما هي العادة في أقل من هذه المواقف وقد مرت؟، هل لأن المقيم العام غابريال بيو أخذ

(125) راجع الصور في مجلة المصور المصرية 1943/8/27.

(126) كان الذي أنشأ هذه الإذاعة السرية هو ابراهيم الوزاني وكما أخبر بذلك المخبر الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور في "أعلامه للمغرب العربي" جـ 184/1 ط المطبعة الملكية بالرباط 1975م وقد كان هو الذي أخبر فيما كتب قبل من تقرير بين فيه نشاط كل من عبد الرحمن بن سعد موزع المناشر وابراهيم الوزاني وعبد الخالق الطريس وغيرهم من أهل الشمال ضد الحلفاء عموما وفرنسا بالأخص، حتى أنهم كما أوضح شيعوا الوجود الفرنسي، في شبه جنازة كما سبق شارك فيه أهل تطوان وما حولها نكاية في الفرنسيين حيث أشعلوا في نعشها النار إلخ ولعله كان من وراء كل ذلك جماعة بيك بيدير.

درسا مماسبق له في الشرق الأوسط؟ أم لأن قائد تحرير فرنسا الجنرال دي غول كان متزنا وضد العنف والاضطهاد؟ بل هل لأن غابريال بيو دخله شك في أن من وراء البيان تأييد الأمريكيين الذين كان خيالهم يثير الأحلام في النفوس حتى أن التهامي الجلاوي أرسل خليفته العربي السليماني إلى طنجة عند القنصل الأمريكي يستعلم له إن كان للاولين دخل، وستكشف أقرب الأيام أنهم لا وفاء لهم ولا عهود، بل تحيرت السياسة الفرنسية في الموقف الذي يجب إتخاذه، خصوصا وأن الذي يقود المعركة إنما هو محمد الخامس الذي سوف يعمل المقيم غابريال بيو بعد إطلاعه على أن يغتصب منه آخر ما تبقى له من سلطات، وذلك شيء لم يفعله ولا مقيم قبله، وإنما كانوا ومنذ عهد ليوطي، يتسترون وراء اقتراح القوانين التي لا شرعية لها من غير أن تكون بإسم السلطان، ثم يحتالون بمختلف الوسائل من أجل استصدارها، بل شاع وذاع بين الفرنسيين ولفترة أسبوعين ونصف أن السلطان ما أقدم على ما أقدم عليه من إجتماعات موسعة مع المسؤلين في حكومته، وما فعل الذين يتزعمون التنظيم الجديد ما فعلوا مما حول مدينتي الرباط وسلا إلى شبه خلية نحل، لولا أن وراء الجميع قوة، بل تساءل الفرنسيون في الإقامة العامة، هل هناك من أكد للسلطان أنه محمي بالمعاهدات الدولية، بل وبمعاهدة الحماية نفسها، ثم هو يريد إستعمال هذا الحق عندما أصبحت إتصالاته المستجدة قوية مع الأمريكيين أقوى حلفاء الحرب، وأن غابريال بيو إن هو فعل شيئا وقام برد الفعل يحدث ما يفسد الجو وتدور الدائرة عليه ويصبح موقفه حرجا كما كان موقف رؤسائه أمام الأنجليزيين، حين حاولوا ضدهم في سوريا ولبنان، فكان لتشرشيل عكس ما تظاهر به إيدن في الأول، من موقف كرد فعل سجل مرارته دي كول بتاريخ 1940/6/6 بل وصفه بـ"أفظع الذكريات وأكثرها بعثا للألم(127) وإذا ما حصل تدخل من الأمريكيين سادة الموقف فلسوف تكون الفظاعة أنكى، والمهانة أشد إلخ.

ومهما يكن فإن كل الذين كتبوا حول هذه المرحلة من تاريخ الحركة الوطنية سكتوا عن الأسبوعين ونصف المشار إليهما، ولم يقل لنا أحد لماذا لم تتحرك الإدارة الفرنسية

(127) راجع المذكرات المشار إليها 1940ـ1942 من ص 133 إلى 296 خصوصا من ص 248 ترجمة خيري حماد ط بيروت 1964.

أمام ذلك الموقف، الذي حرك الشعور الوطني، ثم دفع به نحو التطور بشكل لم يحققه ما عرف المغرب قبل من مواقف، منذ ما بعد الظهير البربري إلى عهد الكتلة والحزب الوطني1934ـ1937.

لقد تبين بعد ومن خلال ما خلف الفرنسيون من وثائق بإدارة الاستعلامات من إدارة الشؤن السياسية بوزارة الداخلية(128)، أنهم في هذه المرحلة كانوا قد جندوا قوافل من الجواسيس والعملاء لجمع المعلومات حول علاقة السلطان الجديدة مع الأمريكيين ثم علاقته مع الوطنيين الذين ظهروا في تلك الفترة التي تخلف لنا عنها من بين ما تخلف ملف ضخم يحتوي على حوالي 143 ورقة من الحجم الكبير، فيها من البيانات الكافية حول كل فرد من الذين وقعوا عريضة 11/1/1944 وعن تعلقاته واهتماماته قريبة كانت أم بعيدة حمراء كانت أم سوداء، وبعضها كانت مما وضع لضبط أحوال بعضهم منذ عهد بعيد، أيام بونصو ونوجيس بالنسبة لجماعة من فاس، وفي عهد نوجيس وبيو بالنسبة لجماعة الرباط، ومكناس، وسلا، والقنيطرة، وتازة، ووجدة، وبركان الشمال، ثم ركز الذين عملوا على جمع المعلومات التي بالملف المذكور على كل ما يعني الأشخاص الذين كانوا يتواردون على منزل باشا الرباط في الأيام 14ـ15ـ16/ 1944والذين كانت إجتماعاتهم بأمر من جلالة الملك مشتركة بين بعض المسؤلين الذين كانوا قد شاركوا في المداولة التي حصلت يوم 13/ يناير باشراف جلالته حول وثيقة المطالبة

(128) حصل تامر على كل ما خلف الفرنسيون من وثائق في الإدارة المركزية وفي مختلف الجهات، بالاتلاف والإحراق، وأحيانا عن قصد وبتدبير من العملاء الموجهين لذلك من أجل طمس معالم تاريخ تلك المراحل التي وإن هم فعلوا في المغرب ففي استطاعة الباحث أن يكشف بعض ما هوأشد من خلال ما هو خارج المغرب وقد بدأ المغاربة يفعلون بواسطة الأبحاث الجامعية في مجال الدراسات التاريخية فالويل والثبور لخونة الماضي وعملائه الذين يتزعمهم في مجال طمس وإتلاف حقائق الماضي القريب ماضي الاستعمار وفظائع المستعمرين عميلهم محمد ولد خنافة الشركية المعروف بـ"أحمد العلوي" وما هو إلا محمد ولد أحمد بن عبد القادر لغريسي الذي حسب وقد ضحكت له الأيام أن يدوس كل القيم لأنه يحسب أن الزمان توقف وله أن يحول التيار كما يشاء خدمة لسيده وولي نعمته مخدومه السابق المسيو بانيو أحد أعمدة قلم المخابرات الفرنسيين بل وإذا هو حل محل ماس فإن له أن يأمر ذوي النفوس الضعيفة يتقدمهم عبد العزيز الفاسي عميل الإقامة العامة ان يقول ما يشاء، ثم يفتري بلاحسابا مادام الشعب وأغلبيته الجاهلة الغافلة في نظره سريعة التصديق ثم هو بكامله سريع النسيان كما يقول ويردد، وذلك ما غرر به وبأمثاله ثم دفعه في غلو إلى العمل على اعتناق كل مذاهب الهدم التي بدأ يظهر مفعولها في التحول ورد الفعل الخطير والسريع جدا، وبالطريقة التي لم يكن قط أحد يتصورها ولا حقق الفرنسيون منها10٪ مما تحقق في عهد الاستقلال.

بالاستقلال، وجماعة الوطنيين الذين أصبحوا في طليعة التنظيم الجديد بإسم حزب الاستقلال.

لقد عرفت مختلف المدن التي يسكنها الذين وقعوا على عريضة المطالبة بالاستقلال حركة جد فاحصة في السر، قامت بها أجهزة المخابرات التابعة للأمن بإشراف المراقبين الفرنسيين التي لم تقتصر في البحث عن هوية الموقعين، وإنما كذلك عن كل من تحمس للموقف ويتوقع أن يكون له دور في تنشيط فكرة المطالبة بالاستقلال وإثراء الفكر الوطني، وتؤكد الوثائق التي بالملف المذكور أن التعليمات كذلك نصت على البحث باهتمام عن جل الذين يتعاطفون مع المحور، سواء بحديثهم مع الآخرين، أو بعض الذين كانوا يرسمون الصليب المعكوف على الجدران، والذي إنتشرت رسومه نكاية في الفرنسيين، خصوصا في المدينة الجديدة بفاس والقنيطرة، حيث صورت بعض الجدران وتوجد صورها بالملف المذكور، وإذا علمنا أن إجماع الحلفاء كان قد عرف بعدم التسامح مع كل من تشم فيه رائحة التعاطف مع المحور ولو فقط مع دعايته، وما كان له من إعلام واسع ووقع في نفوس المتظلمين ضد همجية الفرنسيين والأنجليز، ندرك أهداف التخطيط الذي كان يدبر بواسطة الحملة التي خصصت لها أجهزة المخابرات ما أمكنها من القوة والوسائل، وما جندت لها من العملاء الذين رغم كل وسائل الإغراء فإنهم كانوا بالنسبة للظروف وفي تلك الفترة قلة حوالي60٪ منهم جزائريون يحملون الجنسية الفرنسية، ففي شرطة الأمن، من زواوة، وفي المخابرات والترجمة من تلمسان وندرومة أكثر، ثم من جهات مختلفة من شرق الجزائر، وللتاريخ فقد كان بعضهم يتعاطف بحماس مع الشعور الوطني إلى درجة أن فشل بعض الحملات الساحقة التي كانت تدبر من طرف الفرنسيين في الخفاء كان السبب في فشلها تنبيهات بعض الذين كانوا يعملون بالإدارة من الجزائريين تراجمة ومخبرين، على أن بعضهم أيضا كانوا أشد خبثا وقسوة من الكرس والفرنسيين والألزاس واللورين الذين عرف المغاربة منهم ما عرفوا.

كل هذه المعلومات وغيرها مما يتصل بترجمة بعض الذين وقعوا على عريضة الاستقلال ثم تراجعوا وأثبت الفرنسيون تراجعهم وهما إثنان من فاس فقط حتى لا أشوش على الأوفياء - وهؤلاء في إعتبار المتسامح تشفع لهم تلك اللحظة التي تناولوا فيها

القلم، ثم وقعوا على وثيقة المطالبة بالاستقلال، هذه المعلومات إستقيتها من ملف واحد نجا من بين مآت وآلاف الملفات التي خلفها الفرنسيون بوزارة الداخلية ثم ضم إليه ملفات مختلف الجهات من المغرب، والتي تمثل مرحلة لها إعتبارها في تاريخ المغرب السياسي المعاصر، لكنها تعرضت للزوال حيث حكم على بعضها بالإعدام إتلافا وتمزيقا وإحراقا لوثائقها بالنار وذلك بتآمر من المفلسين الأغبياء، ثم من القاصدين الذين في أفواههم ماء، بل اكتشفت بعد ومن خلال البحث الميداني الذي يربطني مع الخزانة العامة بالرباط أنه فعل بالوثائق التي تثبت وتؤكد خيانة المتعاونين مع الاستعمار ضد المغرب والمغاربة ومن خلال الصحافة خصوصا في أحرج الفترات 1950ـ1955ـ هي الأخرى حكم عليها بالإعدام في الخزانة المذكورة(129).

لكن كيف أمكن للملف المشار إليه أن ينجو من بين مآت وآلاف الملفات التي ساقها الجهل والخيانة وسوء القصد إلى ذلك المصير المحزن الأليم، والاعتداء الذي يتقزز منه الشعور الوطني، والذي لا يقدم عليه إلا جاهل غبي، أو من ثبتت خيانته ويخشى الفضيحة، ثم هو لا يكن لهذا الشعب غير الحقد والكراهية، ولتراثه العداوة والبغضاء، إقتداء بسادته من الاستعماريين الذين لهم مع هذا الشعب حساب.

ولعل تلك الملفات التي يعتبر زمن إعدادها مرحلة من تاريخ المغرب السياسي لم ولن تعود، وبالتالي هي وغيرها لها قصة أعتبرها من صميم مذكراتي السياسية، لأنني، اكتشفت من خلال ما دبر لها وباتفاق جماعة من المرابين، الذين تقاسموا المأمورية فيما بينهم بعد الاستقلال وفاء للمستعمرين السابقين، كيف وأن المغرب وقتها في فترة من

---

(129) كان هذا في الفترة التي تولى فيها عبد الرحمن الفاسي إثر موت محمد بن العباس القباج. على أن هذه الخزانة عرفت الصيانة والنمو مدة إدارة عبد الله الركراكي أحد الموقعين على عريضة الاستقلال رحمه الله بل أذكر أنني استعنت ببعض الوثائق التي كانت بالخزانة العامة عام 1958ـ1966م، ولما عدت إليها بعد لم أجدها، حيث كان إتلافها عن قصد وسابق إصرار، ولم يكن يعنيني منها فقط كشف عورات الأغبياء التافهين المحقرين خصوم الحق والعدل الذي كان رمزه العاهل العظيم محمد الخامس رحمه الله، أولئك الذين أعمى الله أبصارهم وطبع على قلوبهم بقدر ما كان يعنيني المحافظة على مرحلة من تاريخ هذا الشعب المسكين والنبيل في تعلقه بالعرش وعاهله محمد الخامس الذي حل منه مكان الرمزية المقدسة، ثم حقق به ما عجزت عن تحقيقه شعوب لم يكن لها مثل ما عرف المغاربة من ملوك وطنيين صادقين كان واسطة عقدهم محمد الخامس المتآمر من بعده على كل ما حقق لهذا الشعب في مجال إصلاح العقيدتين الدينية والسياسية، لكن هيهات هيهات، فقد رفعت الأقلام وجفت الصحف.

أشد أيامه إنشغالا بالعمل خلف رائده العظيم محمد الخامس وفي عهد الانتقال وقتها اندس في أعلى المراكز من إدارته وبتدبير ماكر جماعة من مجرمي الماضي القريب، وبيدهم من معاول الهدم التي امتدت إلى صرحه فأحدثت به من الثغرات مالا يمكن ترميمها إلا بعد زمن طويل تتقدم فيه العلوم والمعارف التي تمكن العارفين من معرفة وسائل البحث والكشف، فتتناول المواقف من خلال ما تتوفر عليه من تلك الوثائق بعد ما تكشف عنها في الجهات التي يمكن أن تتكرر فيها تلك الوثائق خارج المغرب وفي خزائن الآخرين(130).

---

(130) لقد انتشرت قصة اكتشافي للملف الخطير الذي فاحت رائحة إغتصابه وغيره من مخطوطات ومؤلفاتي التي اتهمت هي الأخرى بالإخلال بالأمن العام قبل نشرها"؟" حيث صودرت من خزانتي التي هوجمت واحتلت من 5/24/ إلى يوم 1968/6/14 بواسطة كوكبة من رجال الفزع على رأسها رئيس أمن إقليم الرباط "هابي الطيب والعميد عبد السلام المزايتي» ثم مجموعة من العمداء الذين عبروا جميعا عن إستيائهم بأقوى عبارات الرثاء وهم "عزت ومحمود عرشان ورمزي" والذين تعرفت على أسمائهم من مساعديهم لكن الأوامر كانت من المدفوع وهو الشيطان الاعرج ورجل الدولة والذي وشى له مؤنسه ومضحك مجالسه أن بخزانة عبد الكريم الفيلالي إلى جانب الملف الخطير الذي يعرف قصة الشيطان الأعرج.. وهي تعنيه ضمن ماكتبت حول قافلة الشياطين الخمس "الذين من بينهم" الأعور والاقرع والاعرج والأسود وقزم "الرباط" ومن أجل ذلك ركب الصعب واستغل النفوذ المختلس مدفوعا بإنفعالاته الحيوانية كما يندفع السكير المحموم من غير أن يدري أنه إنما هو مسخر لأغراض المتبلد كان السطو على مائة ألف وثيقة تحولت مع غيرها إلى الخزانة الملكية، أنني أنتمي إلى القصر وكلها من وثائق الماضي القريب والبعيد لولا النفور من أوكار المؤامرات وتم التخطيط الذي قدمته إلى العاهل الراحل محمد الخامس طيب الله ثراه قصد استثمارها بعد تكوين خزانة ملكية لعرف الناس الكثير بل أصدق وأحسن مصدر لتاريخ المغرب عموما وفي عهد الدولة العلوية قبل وفي عهد الحماية بالأخص، ناهيك وأنها توفرت على ما لم يوجد في تراث المغرب المعاصر وكلها عليها طابع خزانة عبد الكريم الفيلالي، ولجمع تلك الوثائق قصة طريفة وجميلة إعتبرها من أحسن ذكريات حياتي وقد أشرت إلى بعضها إذ يرجع تاريخ إهتمامي بها إلى عهد الطفولة حيث كانت نواتها تلك التي جمعتها من بين محروقات مسخن حمام القصر الملكي بفاس، ذلك المسخن الذي إلتهم زمن الجهل والانحطاط عشرات القناطر والأطنان من تلك الوثائق خصوصا أيام الشتاء حيث لا حطب ولا محروقات تجلب لتسخين حمام القصر الملكي بفاس الذي ضم تراث المرينيين والسعديين والعلويين إلى عهد التآمر قبيل الحماية وقتها كانت تطلق يد "الفرناطشي" المسخن الذي هو "الجلالي الحياني" ليجلب من المخازن المهملة والمتداعية سقوفها التي يمتد تاريخها من عهد العلويين الأول وما قبله إلى عهد المولى عبد الحفيظ وأخرى إلى عهد السعديين ومن قبلهم وهي تلك المخازن التي كانت ما بين: دار لالة مينة وهي بنت أحمد المنصور السعدي - وبوطويل ثم باب البوجات ومشور اشويردات" حيث كانت تجلب تلك الوثائق وحتى الصناديق المهشمة التي كانت مدخرة فيها، والتي تعرضت للتفكك والبلى بعامل الزمان والإهمال، وفعل الأرضة والحشرات، وفي ذلك دليل على ما آلت إليه أحوال القوم، وما فعله الجهل والإفلاس والغباء بتراث المغرب الذي أصبح حتى الذي نجا منه في حاجة إلى من يحركه بأمانة وكفاءة ورغبة ونزاهة ووفاء، وكلها رغم الحرب القاسية التي عرفتها الأجيال الصاعدة ستتوفر حسب المعطيات وعامل الزمان الذي يتجه عكس رغبة إرادة القوم المعتدين والمغرورين، والمهم هو أن يبقى ما نجا منها من النار من غير أن تلعب به الأهواء والأغراض. كما بقيت منذ بدأت جمعها حتى بلغ تعدادها في خزانتي أكثر من =

وهكذا ففي الملف صورة مصغرة حول المجتمع الذي كان يجمع بين الخونة والمغرضين الذين لا راحة لهم في غير الدس والكيد والتآمر حتى ولو أدى الأمر بينهم إلى تآمر الأخ على أخيه، وكل ذلك من أجل تحقيق الأهداف التي لا تخرج عن دائرة الوحشية

= مائة ألف أنفقت في سبيلها الجهد والمال بحب وتعلق وهواية، وفي سبيل تنظيمها عمليا أكثر من عشر سنوات، حتى أصبحت وحسب الموضوعات والتاريخ في متناول البَاحث في السياسة والاجتماع والحرب والأدب، والتشريع، والاقتصاد بالإضافة إلى تراجم الرجال المعروفين في تاريخ الدول التي تعنيها الوثائق قديما، والمواقف الحاسمة التي عرفها المغرب حديثا، وقد وقف على كل ذلك الاستاذ محمد الهادي المنوني الذي سالت عبراته لأنه أحضر بأمر للفحص على أنه لا يفوتني هنا أن أسجل كيف ومتى كانت تلك البداية التي تحققت بعد من تاريخها وأنها كانت عام 1939م وأنا لم أتجاوز سن الثانية عشرة سنة من العمر، وكان السبب كلمة سمعتها من مؤرخ مدينة مكناس المرحوم عبد الرحمن بن زيدان قالها لمعلمي الثالث الطيب بن أحمد العلوي الذي كان يراجع لابن زيدان بعض ما كان يكتب في مؤلفاته، وفي زيارة من تلك الزيارات وجده يكتب رسالة في النصف الأبيض من وثيقة من تلك الوثائق الخالي من الكتابة ثم رمى بالنصف المكتوب، حيث تلقى الفضلاة وما يكنس من الكتاب وما ان استقر المقام بابن زيدان وطال حديثه مع المعلم حتى قال وقد تناول الورقة المكتوبة "هذا لبراوات أمولاي الطيب فيهم فايدا كبيرة للتاريخ من الأحسن تجمعهم" قال ذلك وهو لا يدري أن مسخن الحمام يستهلك يوميا منها القناطير في فصل الشتاء ولسنوات مضت، وإذا المعلم لم يكترث بما سمع، فإنني من يومها بدأت الجمع، وكلما وجدت لذلك سبيلا، أجمع وأرتب وأضع في الصناديق التي قاسيت من أجل ملئها، تارة يرميني "الفرناطشي" بحجر وأخرى يجري ورائي ثم يضربني بقسوة إلى أن اكتشفنا وسيلة لترويضه ومسامحته، فكانت تارة، قدح من خليع القديد وأخرى خبرة. وغيرها سكر، وكنت انتشي عندما أملأ ما بين ذراعي مرة وثانية في اليوم الواحد، وإذا تفوقت على الأقران بحفظ القرآن مبكرا فإنه كان عندي من الوقت ما يكفي فراغا لا رتب تلك الوثائق في الصناديق التي بلغت سبعة. ثم ركن من بينها كلها وثائق مما يعني عهود الدول الماضية وعهد الدولة العلوية إلى ما قبيل الحماية بما فيها أسرار الذين تآمروا على المغرب من خلال مجتمع فاس الذي انتهى في فترة ما بعد موت أحمد بن موسى إلى أحط الدرجات اجتماعيا وسياسيامما دفع بعضهم إلى فعل كل شيء في سبيل الحصول على المال الذي اغترفوا منه الكثير بل منهم من باع المغرب صراحة حين أسندت له الدولة القيام بمهمة تمثيل المغرب، وتمكن من الوصول إلى أعلى درجات المسؤلية آخر عهد م عبد العزيز، وأذكر أنني في عهد الاستقلال كتبت تقريرا حول وجوب كتابة التاريخ من خلال تلك الوثائق خصوصا تاريخ الدولة العلوية الذي هو في نظري لم يكتب بعد كما يجب أن يكتب ثم قدمته ملحمد الخامس رحمه الله كما نبهت على بقية الوثائق التي لم تحرق في بقية القصور ووقتها أيضا أخذ مني نسخة من ذلك التقرير الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور ولذلك وحينما بدأت المؤامرة على خزانة عبد الكريم الفيلالي باسم ان فيها ما يخل بالأمن العام تجندت أسلحة خونة الحاضر من أبناء خونة الماضي، الذين فاحت رائحتهم ورائحة أعمال آبائهم مماسيدونه التاريخ عليهم من خلال تلك الوثائق التي طال زمن تعاملي معها بهواية وحب حتى أصبحت أعي بعض ما فيها وان فقدت وعبثت بها الأيدي الملوثة وهي الوثائق التي لم يكن يملكها أحد ولن تتوفر عليها خزانة غير خزانة عبد الكريم الفيلالي المفتوحة للباحثين والتي أصبحت حديث المجالس المرعب للخونة والعملاء الذين موه أبناؤهم بما افتروه على التاريخ والناس حتى كادت الحقائق تنعكس في مفاهيم المحدثين، ولا من يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر. وانتشرت النيران حين ذاع وانتشر خبر الملف الذي وضعه الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور لادارة الاستعلامات الفرنسية في عهد الحماية أيام رقابته على الصحافة الوطنة حول المتعاونين مع المحور من المغاربة وما هم غير الذين كانوا يتوصلون بالنشرة التي كان يوزعها صاحبه إبراهيم الوزاني كما رأينا وسنرى.

إن الحديث حول الملف الخطير وكيف تم العثور عليه قصته كما يلي(131):

يوم 2 يوليوز من عام 1958 عدت من مهجر الدراسة والنضال بالقاهرة وذلك بعد جولة دراسية وسياسية دامت11 سنة كان لها أبعد الأثر في حياتي، بدأت من المغرب إلي الجزائر ثم تونس وليبيا ومصر وامتدت إلي أرض الباكستان باسم المغرب الذي مثلته في عدة مؤتمرات إقليمية ودولية ومنها المؤتمر الذي انعقد في كراتشي في التاريخ من1/1/1955 إلى10 منه وكان التمثيل باسم حزب الاستقلال. وإذا كان قد تقرر من طرف العاهل العظيم محمد الخامس رحمة الله عليه وأنا ربيب نعمته أن يكون عملي بالديوان الملكي قبل عودتي من القاهرة إلى المغرب بأكثر من سنة حيث تلقيت من ضمن المراسلات مع مدير الديوان مسعود الشيكر أن مكتبي فارغ وينتظرني وبعد العودة والسكن بالحمى الملكي ما كدت استقر وأتعرف على الجو وما أحيط به العاهل المتآمر عليه من قريب وقتها والذي بسبب ذلك قيل في حقه ما قيل ونشر في صحافة الشرق مما واجهنا به المرحوم جمال عبد الناصر يوم قمنا مجموعة من الطلبة بتقديم احتجاج ضد ما كتبه أحمد حسن الباقوري(132) في مجلة الهلال المصرية بتاريخ 1956/4/30 تحت عنوان : محمد بن يوسف "النسر الأبيض كما رأيته" وما دس فيه من سم زعاف إثر عودته من المغرب الذي وجد به سعيد رمضان الذي قدم ليخطب بالعاهل وقتها دسيسة من رجال حزب الشورى وحزب الاستقلال معا وتلك لعمري بقايا مؤشرات مؤتمر إكس ليبان التي جرت الفاسد المريض سعيد رمضان وهو المحكوم عليه بالأعدام في قضية هنداوي دوير ومحاولة اغتيال عبد الناصر بمنشية البكري في الاسكندرية 1954 مما اعطى لما كتبه الباقوري صفة غير التي يستحقها ورغم ما وقف عليه وما عاشه من تعلق صادق من الشعب بمحمد الخامس فقد كان ما كتبه الباقوري وما صرح لنا به جمال عبد الناصر الدافع

(131) أشير إلى أن لهذه الاستطرادات غاية بعيدة وهدف مقصود.

(132) كان الدافع لما ورد في المقال هو التملق والنفاق اللذين عرف بهما أحمد حسن الباقوري مع رجال الثورة وهما الوسيلة التي مكنته من وزارة الأوقاف زمن الثورة بعد ما إنسلخ من منظمة "الإخوان المسلمين" التي كان لقادتها موقف مغاير لموقف رجال الثورة راجع مذكرات المؤلف بالخزانة الملكية.

لتـــأليـــفي كـــتـــاب "المغـــرب ملكا وشـــعـــبـــا"(133) كـــمـــا حـــاولت بواسطة

(133) طبع بالقاهرة عام 1957، وأدون هنا أنه ما كاد محمد الخامس يحل بفرنسا وتتقرر عودته إلى المغرب حتى خطط المغرضون وعملاء الاستعمار لإحاطته بجماعة من ذوي السوابق المعروفين بعملهم إلى جانب الاستعمار، فمثلا أصبح بإدارة التشريفات.

1) الترجمان أحمد بن عبد السلام بناني ربيب نعمة ادريس بن بوشتة وهو مترجم سابق عمل مع الباشا بوجمعه المسفيوي ببني ملال في جمع ضريبة الترتيب ولما اكتشفت عليه السرقة طرده فتلقفه الطيب بن محمد المقري، وكان محافظا بمدينة الدار البيضاء، ثم سلمه إلى والده محمد الصدر الذي استعمله كترجمان، وفي ذات الوقت كان يعمل مخبرا مع إدارة الشؤن السياسية بوزارة الداخلية التي كان له بها رقم سري 12A عرفه بعد وزير الداخلية لحمدي وأطلعنا عليه 1959 وقد بدأ عمله بالتشريفات مع مبارك البكاي 1955 فوجدها القاصدون بعد فضيحة إكس ليبان فرصة حيث دسوه لغرض مقصود وقد حصل، كما صرح بعضهم في مراسلاته مع آخر... وهي مراسلة انتهت إلي.

2) عبد الوهاب بن منصور وهو جاسوس فرنسي مشهور، أصله من تلمسان، وقد كان ضمن المتجنسين بالجنسية الفرنسية استعمله الفرنسيون في أحقر وأحط درجات التجسس كرقيب على الصحافة الوطنية، ولما اكتشف أمره وأصبح معرضا للفتك هرب إلى تلمسان، حيث عمل في مدرسة دار الحديث التابعة لجمعية العلماء فعرف بما ألفه من أذى للوطنيين وتجسس عليهم كما تحفظ مذكرات أعضاء جمعية العلماء وهو الذي حذرني الشيخ البشير الابراهيمي من الاتصال به عام 1948 كما يعرف ذلك مدير دار الحديث وقتها صالح بن رمضان، وفي عهد الثورة الجزائرية أوشك الفدائيون أن يقتلوه لولا أنه هرب بواسطة بودخيل ولد ج مصطفى الذي شغل بعد استقلال الجزائر منصبا سياسيا بسوگر من القطر الجزائري، ولعل لقصة التهريب حكايات وحكايات داخلية إلخ وسنتعرف بعد على مهمته كرقيب على الصحافة بشهادة غلاب وغيره .

3) محمد ولد احمد بن عبد القادر لغريسي المعروف باحمد العلوي وهو شخص عميل عرف باندفاعه المفضوح في الخمسينات حين تعرض لمحاولة الإبعاد من فرنسا بدافع فشله في الدراسة التي قضى عشر سنوات دون أن يحقق لا قليل ولا كثير، وحتى يتفادى الإبعاد أسلس الانقياد للعمل في قلم المخابرات الفرنسي وكان نشاطه أكثر وقت اشتداد الأزمة بعد 25 فبراير 1951 حيث استعمل معه ترويض الكلاب فاصبح يقول تقرير حزبي ورد من باريز إلى القاهرة وفيه النص على أن الرجل أصبح يعمل لصاح المخابرات الفرنسية بإشراف مسؤل كبير فرنسي إسمه "بانيي: "القفة على حد تعبير علال الفاسي، وبمقابل قدره ثمانية عشر ألف فرنك شهريا وبعد توالت التقارير وفيها من الأدلة ما يكفي على تكاثر الذين دفعهم الضعف والبطالة والانحراف الخلقي إلى العمل في ميدان المخابرات مع الفرنسيين ومنهم إلى جانب محمد ولد الشركيه :"احمد العلوي"آخرين... وهذا أصبح في عهد الإستقلال يشرف على قسم الصحافة بالديوان الملكي وهو الذي لما قدم للقاهرة رفقة ولي العهد في عيد الجلاء 17-24 يونيه 1956 سلمته ما جمعته من الصحف في سنوات حول نضال محمد الخامس وما عرفه من صراع ضد الاستعمار مما يكون متحفاً مشرفاً. وهو حمولة عشر كيلوغرام من "قصاصات الصحف بيد أنها أعدمت، وإذا كانت الصحافة قد قاطعت الوفد بتوجيه من الحزب وقتها ويدافع مؤثرات مؤتمر إكس لي بان وكانت الأوامر مشددة من علال الذي غادر القاهر ليلة وصول الوفد يوم 17 غادرها يوم 16 فإنني لم ألتزم وكتبت شبه كتيب كنشرة حول ولي العهد من خلال تاريخ العرش وترجمة محمد الخامس وتعرضت لذكر الاستعمار الفرنسي فلاحظ على ومن غير سابق اتصال وقد حسبني من الذين يستمعون القول ويخنعون "أذكر الاستعمار فقط بلا فرنسي"؟! ووقتها عادت بي الذاكرة إلى ما ورد في التقرير الوارد من باريز قبل، بل ووقتها أدركت المقصود من تلك البداية وكيف ستكون النهاية. خصوصا وقد انضم إليه المهدي ولد عبد السلام ابن لونا التلمساني الماسوني أو كما يسميه علال لقلاق تطوان وقد كان ما كان مما يتقزز منه الشيوخ.

مراسلات(134) مع العاهل ـأحتفظ بالجواب عنهاـ منها البعد بسياسة المغرب الخارجية عما يثير الحساسية المصرية بغير قصد.

أقول ذلك هو الواقع الأليم الذي حال بيني وبين العمل في ديوان ولي نعمتي وأحب شخص إلى نفسي محمد الخامس الذي صدمت حين وجدت بالقرب منه وفي ديوانه أمثال الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصو الذي تعرفت على خيانته منذ 1948 كما سنعرف بواسطة المرحوم محمد البشير الإبراهيمي بمحضر المشايخ العربي التبسي والشيخ العباس بن جَ الحسين بن منصور صاحب التقارير التي اشعلت النار يم 29 يناير 1944 وخيرالدين وعبد الرحمن شيبان، كما وجدت بالتشريفات أحمد البناني كاتب المقري سابقا، والذي اطلعت خلسة على من دسه في مراسلة وردت إلى القاهرة بتاريخ 1956/3/20. بل من العجب العجاب أنه لا أحد من المثقفين المغاربة يجهل خيانة الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور التي يطعن بها الكثير منهم في الوضع وتكفي مراجعة مذكرات بعض المحررين سابقا في كل من رسالة المغرب كما سبق، ثم في جريدة العلم بدءا من قاسم الزهيري وعبد الرحيم غديرة وأحمد زياد، ومحمد بن الراضي، وعبد الكريم بن ثابت، والصديق بن العربي، وعلي بركاش وعبد العزيز بن عبد الله فالاحياء من هؤلاء وغيرهم يتذكرون اليوم بمرارة أيام "البراكة" وأن رقابة عبد الوهاب بن منصور الفرنسي الجنسية وقتها وحقده على الوطنية والوطنيين، كان أشد وأعنف من رقابة القبطان :دومنيك ولبنياك ولم يكن شبيها به غير زميله محمد التمسماني المحكوم عليه حتى اليوم بالحرمان الأبدي من كل الحقوق المدنية، ويكفي أن يقول المرء إن الفرنسيين المستعمرين أول ما فكروا فيه قصد تجميد الفكر المغربي والقضاء على تطلع المغاربة هو أنهم شرعوا لذلك تشريعا خاصا وفقا لظهير 28 أبريل 1914 والذي عدل بتاريخ 1919/2/9 و1920/11/20 ثم جدد بتاريخ 1945/3/22

عن الرقابة يقول الأخ عبد الكريم غلاب السبعي الحسني الصغروشني في تاريخه للحركة الوطنية 303/1 ط1987/2 وذلك أثناء حديثه عن الصحافة الوطنية "لكن الرقابة

(134) احتفظ بها، وهي من مدير الديوان الملكي المرحوم مسعود الشيكر ويأمر من صاحب الجلالة أولها عدد 564 بتاريخ 1956/3/10 إلخ.

ظلت مفروضة على الصحف الوطنية بخاصة وبشكل عنيف، فكانت الصحف تصدر وكثير من أعمدتها بيضاء تحمل عنوان حذفته الرقابة، كانت الرقابة تحذف المقالات والتعليقات، والأخبار، والصور، والكلمات، وأحيانا أوصاف الرجال، ووظائفهم، ولم تكن تحذف فقط ما يمس مهاجمة نظام الحماية، أو معارضة سياسة الإقامة العامة، بل كانت تحذف تعليقات عادية، وحتى التي تتصل بموضوعات خارجية كالوحدة الفرنسية مثلا، وتعليقات الصحف الفرنسية واخبار عن الحالة السياسية في تونس، وأخبار عن المغرب العربي، وتنقلات بعض قادة هذه البلاد، وتحذف كلمات معينة مثل كلمة : الاستقلال، وحزب الاستقلال، والأمين العام لحزب الاستقلال، وتطورت فأخذت تحذف كلمة :ولي العهد، وشيخ الإسلام، وحتى البلاغات التي كانت تصدر من الديوان الملكي كانت تؤجل أو تحذف، وتحذف كلمات حتى من البرقيات التي يرسلها الديوان الملكي إلى بعض الشخصيات السياسية مثلا، وأحيانا كانت الرقابة تحذف قصيدة شعرية أو جزء من قصيدة... إلخ.. ومن الرقيب ياأخي عبد الكريم؟ لقد أفصح عنه عامل بسيط في جريدة العلم لكنه وطني غيور إنه العتابي في ج.ع ص 16 بتاريخ 1971/9/11 ومن يكن غير عبد الوهاب بن منصور بل الجاسوس المشهور وقد اشار اليه العتابي وإلى المنصب الذي يشغله والذي لاحقته عناية الإقامة العامة حتى تبقى الروابط كما ترجو وتريد، ولماذا لم يذكر إسمه واسم محمد التمسماني المحكوم بحرمانه الأبدي من حقوق المواطنة، إنه التاريخ الذي يقول للمحسن أحسنت وللمسئ أسأت ومجاملة الخونة أعلى درجات الجبن والنفاق و أنت عندي حاشاك، ثم حاشاك أبا عن جد.

وأعود فبعد ما استطعت إقناع محمد الخامس رحمة الله عليه وأنا ربيب نعمته بعدم العمل في الديوان أرسلني برغبة منه إلى وزارة الداخلية التي التحقت بها نزولا عند رغبته في منصب مكلف بدراسة بعقدة حسب رغبتي يوم1 غشت 1958م. وكان القصد منه هو دراسة مجموعة من ملفات الخونة والمتعاونين، وهي الملفات التي وضعها ودون الاتهامات بها في مجموع التراب الوطني مفتشو حزب الاستقلال، أقوى حزب وطني وقتها، والذي كان العاهل يكن للأوفياء من رجاله كل ود وتقدير وحب، لكن للأسف كان سوء تصرف بعض المستجدين في ميدان الثروة المرتشين من بعض المفتشين وطغيانهم

الجامح بعد مقررات إكس ليبان سببا في بداية الإنحدار إلى الهاوية التي تردى فيها ظلما أصدق حزب وطني تدنس بأعمال ما إندس فيه من مسلمة اليهود وأعلاج النصارى الذين إستغلوا سذاجة وبساطة الجماهير الناقصة الوعي التي هاجت ولم تتسامح مع الخونة المتعاونين، وفي تلك الحمأة أستغل إسم العاهل الذي كان قد صرح بعدم مؤاخذة أحد من خونة الماضي، لأن في المؤاخذة زيادة على الانشغال بهم وبفتح باب الانتقام الذي لا يجر إلا المتاعب بضياع أسر وتشريد أبرياء، لكن إلحاح المفتشين ودوام إجتماعاتهم بمركز الحزب من 1956 إلى آخر 1958 وإثارتهم عواطف الموتورين من الوطنيين الذين إصطلوا بنيران الخونة والمتعاونين أعطى للموضوع نفسا أصبح من الصعب إهماله وإلا ينتج عنه من أمثال حادث سوق أربعاء الغرب ومأساته التي أشار بها عمر بن عبد الجليل التلمساني لتصفية حسابه مع صاحبه ابراهيم الزهاني وأسرته الذي حكم عليه بدفع فدية أربعين مليون فدفع منها 33 رغم توسطه بالوزير المرحوم محمد المختار السوسي الذي توصل إليه بواسطة الفقيه محمد بن بوبكر التطواني ومحمد بن عمر الشرقاوي والقاضي ابن المامون البدراوي ومع ذلك دفع، ولا ننسى أن ابن عبد الجليل كان عام 1926 يعمل بمزارع ابراهيم الزهاني كمهندس فلاحي ولم يحترف قط حرفة في حياته وأخيرا أسس البنك الشعبي يقول زميله في الصنعة بوبكر القادري فيما كتب عنه من رثاء يوم ذكرى تأبينه ص 48 ط الرسالة 1988 وبوبكر هذا هو الذي باع مدرسة النهضة بمدينة سلا والذي يرشحه التاريخ هو وولده خالد ليسألا : من أين لك هذا ضمن قافلة المرشحين إلخ

وفي أقل من 24 ساعة ما بين اليومين الأول والثاني من شهر غشت المذكور استلمت وبأمر من وزير الداخلية إلى كتابته الخاصة(135) ما كان تحت تصرفه من ملفات المرشحين للتطهير وكان الوزير الوطني النظيف المرحوم مسعود الشيكر مدير الديوان

---

(135) كان الكاتبان فيها محمد الحنصالي وأحمد الفاسي الذي يشغل اليوم مدير المكتب الوطني للوثائق وهما اللذان سلماني الملفات بلا عد وقد كانت في صندوق من حديد. خاصة بمكتب الوزير، فأحصيتها وكتبت ورقة بذلك سلمتها للوزير وكان عدد الذين صدرت في حقهم أحكام بواسطة لجنة التطهير 207 وذلك يوم 1958/3/20 وبمقتضى الظهير عدد 58-103 بتاريخ 6 رمضان 1377 هـ = 1958/2/27م.

الملكي سابقا، والذي كان له إحساس خاص تجاه الموقف ورأي خاص كذلك لم يرد أن يطلعني عليه حتى لا يوصف بالميل، والذي ربما إن عرفته لا أتفق معه عليه فيكون ذلك بداية الخلاف مع شخص إختاره العاهل لهذه المهمة التي حتى الوزير نفسه يجهل ما وراءها، وما القصد من القيام بالعمل الذي سينجزه "المكلف بدراسة" الذي أحدث له هذا المنصب الذي لاعلاقة له بفرع من فروع إدارة الوزراة سياسيا كان أم إداريا، خصوصا وكانت التعليمات بكيفية إنجاز العمل كانت من العاهل مباشرة في الوقت الذي أمر الوزير بتسليم الملفات إلى الفيلالي زائد الاشراف على صحيفة العهد الجديدة التي كان يديرها مصطفى بن أحمد العلوي.

كان للملفات التي تناولتها بالدراسة أسوأ الأثر في نفسي نحو جماعة من المرابين الذين تقمصوا الشخصية الوطنية ثم هم في عهد الهيجان إنتحوا جانب الزعامة التي إغترت بما إرتدوه من مسوح وما إستعملوه من وسائل التقرب، ثم أخذوا يبيعون صكوك الغفران من أجل الحصول على المال بما في ذلك شرف الزعامة بماضيها القريب والبعيد في النضال والجهاد بكل أمانة وخلق وإخلاص، أصبحت ولا نفور لها من السماسرة الذين أصبحوا يحرقون في محرابها كل صفات الشرف ومعاني الخير والحب والجمال، التي كانت شعار الجميع بالأمس، كما يحرق البخور لسحر المومسات في بيوت الدعارة عند خيرا بوجو وخيرا بو عمايرو، وكان على رأس القوم محمد بن شقرون السطاتي. الذي فجأة ظهرت عليه آثار الثروة التي ذاع خبرها وانتشر.

بدأت دراسة الملفات التي في الأغلب وضعت بدافع ورغبة، وللقيام بالمهمة في أحسن الظروف، كان علي أن أتفرغ لدراسة تلك التي لم يحكم على أصحابها من طرف "اللجنة" التي كلفت بذلك، والتي أصدرت حكمها 1958 في حق حوالي 207 ممن أدينوا من طرف اللجنة التي لم تكن موفقة بالنسبة لأمثال المدني بن الحسني والعباس لمراني وهما لم يفعلا أكثر من التوقيع كرها على البيعة بلا قول ولا عمل ولا زعيق ولا نباح، كما فعل آل الفاسي وفي مقدمتهم عبد السلام، والطاهر والبشير، وعبد المجيد، والصديق وعبد الحفيظ بن المجذوب أخزاهم الله أربعة منهم إخوة هم أبناء عبد الله المعروف بفحش خيانته والباقي أبناء عمومتهم، وقد سجلت جرائد السعادة ولافجي، ولوبتي ماروكان"

أسماءهم وأقوال بعضهم البذيئة في حق العلماء الذين رفضوا بيعة إبن عرفة.كما سنرى.

كان علي أن أدرس كل ملف على حدة وأن استعين بإمكانات الوزارة التي وضعت رهن الإشارة والتي كان من السهل الحصول بواسطتها على أبعد ما ينتظر للكشف،إذا هي حركت بمعرفة وتدبر وحسن إستعمال، وقد بلغت الحدة نفسيا وقتها إلى درجة أنني أخيرا شعرت أن تلك الانفعالات النفسية ما لم تستفرغ وبالطريقة التي تعودت عليهاأيام النضال فستكون عاقبتها على صحتي أضر، وفعلا وحتى أشعر المدبرين بحقيقة أمرهم بدأت الترويح بكتابة مقالات سياسية نقدية شبه توجيهيه تحت عنوان "التوجيه في النقد الاجتماعي" بجريدة العهد الجديد1958-1959 والواقع أنها كانت للتشهير والهدم للانتهازيين حتي يمكن لما يستجد من البناء أن يكون على أرض صلبة ونظيفة(136). ومثلها ما خصصته من محاضرات بواسطة الإذاعة باسم "التربية السياسية" يوم الإثنين و"التربية الإسلامية" يوم الخميس، بحيث دامت الكتابة والمحاضرات، بل والتطوع لإلقاء بعض المحاضرات التوجيهية في بعض الأقاليم لمدة سنتين ونصف 1958-1960 إلي أن توفي محمد الخامس رحمه الله.

وازداد تذمري حين وقفت على حقائق تدين بعض المجرمين المتلبسين من خونة عهد

---

(136) رتبت تلك المقالات ثم صغتها في كتاب أطلقت عليه إسم : عبرات على وطني لكنه هو الآخر صودر والتي يجذ تاريخ صدورها في مكان آخر من هذا الكتاب ولعله من خلال بعض العناوين لتلك المقالات تدرك المقاصد والأهداف فمثلا "مهلا أيها السفهاء" وعفواأيها الزعماء" وإلى وزراء عهد الاستقلال" و"النار حول الخطب"، و"الإسلام وخطباء الجمع في المغرب" كانت بسبب خطبة عبد السلام الفاسي يوم الجمعة على منبر جامع أهل فاس بالحمى الملكي التواركة وقد كان هو المكلف بمكتب الشكايات التابع للقصر في الوقت الذي كان الأولى بالرجل أن يختفي ولا يحرج نفسه ونحن معه لأن ظهوره كان يخرج ألسنة الحق والكراهية على ما سبق له ولقومه في ميدان الخيانة، وبالتالي فإن تلك الألسنة بخروجها أحيانا كانت تتجاوز الحد الذي كان من الواجب أن تقف دونه وبالطبع كان الذي يتقزز ويتألم من ذلك التجاوز هم السدنة والأوفياء، وفعلا رحم الله العاهل العظيم رغم ما بدا من دس المنافقين فقد إنتصر لما ورد في المقال ثم وضع حدا لخطب الرجل الذي من حب الفرنسيين له قيل أنهم هربوه إلى حيث كان صنوه البشير والمثيل له في الجديدة ثم خصصوا لحمايته من رصاص الفدائيين قوة مانعة لكنهم لم يستطيعوا حذف ولا طمس ما تخطه الأقلام ويدونه التاريخ الذي يقول للمحسن أحسنت وللمسئ أسأت، وقد كان يعرف هذا كل أولئك الذين أجرموا في حق المغرب والمغاربة ملكا وشعبا، وهم المرتدون الذين حكم رسول الله بكفرهم صراحة في الحديث "إذا بويع أمير ثم خرج عليه أمير فاقطعوا رأس الذي خرج ومن بايع الثاني فقد كفر" الحديث.

الاستقلال الذين نصبوا من أنفسهم متهمين وقضاة، يتهمون بالخيانة من أرادوا ويحكمون بما يشاؤن على كل من لم يفتد نفسه بما يفرض عليه من المال الذي تفتحت شهية المحرومين المتلبسين لجمعه بشكل لم يحققه الذين قضوا حياتهم في التجارة والفلاحة وكان المستبد الأول هو عمر بن عبد الجليل الذي أسس البنك الشعبي بالأموال التي جمعت من الخونة وباسم منكوبي الشمال ثم باسم مساعدة الجزائر كذلك والتي كانت تجمع من مختلف جهات المغرب، كما جمعت التبرعات بالحلي والذهب لذلك ولا حسيب ولا رقيب بحيث ظهرت رؤوس أموال من نوع جديد، أصبحت بيدهم كل الإمكانات والامتيازات، مما فتح الباب على مصراعيه ليقتدي بهم اللاحقون من خونة الماضي بعد أن يتضافروا وتدور الدائرة ثم يصبح خونة الأمس هم سادة الحاضر وجلادي الشعب ومعذبيه بقسوة قاسية وعنف عنيف، وحتى تعرف الأجيال أسباب النكسة وقد أصبح الذين حرروا المغرب من الاستعمار تحت رحمة الخونة وعملاء الإستعمار، ارتأيت أن أعرض الصورة التالية التي استقيتها من تلك الملفات والتي بحق تصور مأساة المغرب بعد استقلاله وبداية متاعبه على ايدي الفجار من الذين تقدموا الصفوف بلا خجل ولا وجل، والذين أصبحوا يملكون من البر أكبر العقارات، ومن البحر أضخم مراكب الصيدفيه.

فمن الأمثلة المكشوفة لأيام السلب والنهب الوثني المشار إليها، قصة إبراهيم الزهاني القائد السابق بسيدي اسليمان في عهد الحماية بمنطقة الغرب، والذي كان ضمن قافلة المجرمين الجلاويين اختيارا بلا إكراه، والذي تعرض للإبتزاز كغيره وهم كثيرون، فقد فرضت عليه عصابة المجرمين الجديدة التي أعطت لنفسها الحق كي تتصرف بإسم قمة حزب الاستقلال، فرضت عليه فدية قدرها في ذلك العهد 1956 أربعون مليونا أو يقتل هو وولده ويكفي أن أقول لك إن بعض المعمرين من الذين كانوا يملكون مزرعة مساحتها مائتي هكتار منتجة تخلى صاحبها عنها بمختلف تجهيزاتها مقابل ثلاثين مليونا، فلم يجد من يخلصه منها وأخيرا رحل إلى أن انقلب الوضع ثم عاد ليبيعها بمآت الملايين.

لكن ماذا فعل ابراهيم الزهاني ليخلص عنقه من حبل المشنقة، وليس من الحكم بالخيانة الذي طبق عليه حاول التشفع بواسطة جماعة من كرام معارفه. محمد بن بوبكر التطواني السلاوي، محمد المختار السوسي والقاضي بن المامون البدراوي ومحمد بن عمر الشرقاوي، لكنه عبثا فعل، فما كان عليه إلا أن يدفع ثلاثين مليونا ثم توسل فلم يجد التوسل، وزاد ثلاثة، وأخيرا وقف حمار الشيخ، لكن من الذي كان وراء كل هذا إنه عمر بن عبد الجليل أمين مال الحزب الذي أمكنه بتلك الأموال وغيرها من الحرام أن يؤسس البنك الشعبي.

هذا ملف واحد من مجموعة كبيرة من الملفات المشابهة وفيها التي دفع أصحابها بواسطة الحوالات البنكية التي استطعت الحصول على أرقامها ثم تصويرها من الحاج حميد بن عبد الجليل بمكناس وغيره، ولو لا نبل العاهل ووفاؤه وسلامة طويته وصدق نواياه إلى درجة الأمر الصارم بعدم الكشف عنها ودونت للتاريخ وللأجيال فيها ما يكفي لاستمرار لعنة القوم الذين ظلموا إلى يوم الدين(137)، ولعل الذين عاصروا بداية الحياة النيابية ثم عاشوا تجربة الشعب المفترى عليه، والذي دفعت تجربة سنة ونصف 1964 إلى ما بعد 8 جوان 1965 وما عرف بعدها من نكسة نتج عنها من المآسي ما عاش الناس بعد 1970ـ71ـ72 ويعيشون بعدها وكل ذلك سببه الطغيان والتزوير على الشعب الذي بدأ منذ 1956 والذي كان ولا يزال وسوف يبقى عرضة لأسوأ المآسي والمفاجات الأليمة ما لم تعالج مشاكله من الأساس، وأولها العدالة الديمقراطية وسوء التوزيع اللذين سنهما أولئك السماسرة والوزراء الذين "حوكموا" وأدينوا ثم هم اليوم ومن تلاهم من تجار المواخير والفنادق السبب في كل تلك المآسي التي أذكر للتاريخ أنني تنبأت بها من خلال دراستي المطبوعة للميزانية العامة وقتها والتي ألقيتها على منصة البرلمان بتاريخ 1964/12/24 ثم أتبعتها باقتراح قانون "من أين لك هذاالذي درس بلجنة التشريع بتاريخ 1965/5/19.

(137) ومع ذلك راجع وثائق خزانة الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية أو مديرية الوثائق الملكية. وهي المصادرة من خزانة المؤلف ضمن مؤلفاته التي قيل أنها تخل بالأمن العام حيث صودرت بواسطة حملة مسعورة جند لها بتاريخ 1968/5/24 إدارة أمن الرباط، بما فيها من عمداء يتقدمهم مدير الأمن الإقليمي السيد هابي الطيب، ومدير أمن الرباط السيد عبد السلام المزايتي.

في تلك المرحلة من تاريخ الانفتاح على فساد الأوضاع الذي إنتهي بالمغرب إلى إفلاس في الأرواح، وإفلاس في الأخلاق، وإفلاس في الأموال، وبالتالي إفلاس بعضهم وإلى الأبد في المصير، وعلى الهامش حصلت حادثة اكتشاف الملف الخطير الذي حرك المستنفع بل وفي ذلك الجو الذي لا أبالغ إذا قلت أنني كنت أكثر جدا من تمزقت أحشاؤه من أثر آلامه، لأنني عرفت ما لم يعرفه غيري باستثناء قلة قليلة جدا. لقد كان من المحتم هذا الاستطراد حتى أعرف القارئ كيف حصلت على الملف الخطير المتعلق بحوادث 29 يناير 1944. وأعود إلى قصة ذلك الملف المشؤوم.

في ذلك الجو وبتاريخ 1958/11/28 وعلى الساعة التاسعة صباحا وقد أقبلت على باب مكتبي الملاصق لمكتب المرحوم المهدي الصقلي الذي كان يشغل منصب المفتش العام لوزارة الداخلية وقع بصري على الجندي في القوات المساعدة خليفه لمحمدي - حي متقاعد بالرباط - وهو يحمل بين ذراعيه مجموعة رزم من الملفات وقد ودعه كاتب المفتش السيد عبد السلام بن عمر الجعايدي بقوله ارم هادوك واج ادها دو" أي أتلف تلك الرزم ثم تعال لتأخذ غيرها، الشيء الذي أثار انتباهي ثم لحقت بالرجل الذي حين سألته وعرفت القصد أمرته أن يعيدها إلى مكتبي وما كاد يطرحها حتى أخذت أضعها في الادراج الفارغة من المكتب وفي النصف الفارغ من الدولا ب في انتظار أن يأتي بما تبقى، لكنه ما كاد يعود للمرة الثالثة حتى كان المهدي الصقلي قد وصل ثم وجده في حالة سؤال وجواب مع الكاتب الجعايدي الذي سمعت سؤاله للجندي"فاين درتهم" أين وضعتهم فرد عليه : في مكتب فلان، وكانت بقية الرزم مطروحة على الأرض. فصاح في وجهه المفتش بأعلى صوته الجهوري المزعج والخالي من الترخيم، سرجيب لوراق. فرجع توا ليجدني بباب المكتب كما وقف المهدي الصقلي أمام باب مكتبه المفتوح بحيث يسمع قولي بوضوح للجندي المساعد الذي لم يكن تابعا له بل لمكتب الوزير، والذي قلت له: سير لعملك وإلي ابغاهم هو إيجي لهم"، وما كاد الصقلي الطيب الأهوج يسمع العبارة التي جرحت كبرياءه حسب فهمه حتى أخذ يصيح بطريقة هستيرية أفقدته صوابه كعادته رحمه الله بحيث أخرجت الموظفين من مكاتبهم ليكتشفوا المجهول ثم توجه إلى مكتب الوزير كما يفعل الطفل أمام المعلم في الكتاب، وكان الوزير هو الرجل الطيب النظيف

النزيه(138)* جدا مسعود الشيكر أحد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، ثم المدير العام للديوان الملكي بعد الاستقلال.

لماذهب الصقلي عند الوزير أخذت أرتب بعض تلك الملفات في درج مكتبي بسرعة إحتفاظا بها لعلمي أنها من المكتب الذي كان صاحبه في عهد الاستعمار يشرف على جانب كبير من السياسة الفرنسية في المغرب، لكن جرس الهاتف قطع علي مواصلة العمل ثم تركت أغلب الملفات 90٪ على المنضدة المستديرة التي كانت أمام مكتبي، وتوجهت حسب الطلب إلي مكتب الوزير الذي فتح بابه ويظهر فيه الصقلي المفتش العام واقفا أمام الوزير الذي كان يجامله وهو في حالة غضب شديد، وما كاد ينطق حتى قاطعه الوزير وقد وجه لي الخطاب قائلا : مال السي المهدي آسي عبد الكريم؟ فأجبت إنه غاضب لكوني أرحته ثم أرحت الجندي المساعد من تعب البحث عن"مزبلة" يرمي فيها عشرات بل مآت الملفات، ثم أمرته بوضعها في مكتبي، لكن الرجل الطيب القلب والنزيه ثم الاخرق كذلك المهدي الصقلي أجابَ وبكل بساطة : أناماقلتلوش يرميهم، قلت لويحرقهم، فنظرت إليه نظرة فاحصة مصحوبة بشبه ابتسامة تحمل معنى الازدراء، ثم وجهت الخطاب إلى الوزير قائلا هذا منتهى ما ينحط إليه الجاهل الغبي، فهل مثل هذه الملفات تحرق، ألم يدري الرجل أنها تكون حلقة هامة وهامة جدا من تاريخ المغرب السياسي المعاصر، وحتى إذا ما قدر لأي موظف وأراد التخلص مما في المكتب الذي

(138)* من نزاهة هذا الرجل أنه لما إستلم السلطة من السفيه عديم الخلق والمتقلب إدريس لمحمدي الذي كان قد استقال قبل أقل من سنة ماي ثم عاد في 25 ديسمبر 1958 وكان قد سلمه ما تبقى من ميزانية الصندوق الأسود للوزارة وهو 58 مليون فرنك من 200 وقتها، ولما عاد وجده لم يصرف منها إلا أقل من مليون له عليه مستندات بأسماء من صرف لهم من صغار الموظفين وفي وجوه الخير، ولما رجع ادريس لمحمد مع حكومة عبد الله ابراهيم بتاريخ 1958/12/25م سلمه الشيكر مبلغ السبعة والخمسين مليون التي تركها لمحمدي إلا واحدولما ودع بمحضرنا وذهب قال عنه لمحمدي لا سامحه الله "أحمق ما عرف ما يدير بها كان يسكربها فكان هذا هو جزاء الصدق والأمانة وحسن السلوك؟! في عهد الاستقلال الذي بدل أخلاق اشباه الرجال مع العلم أن ادريس لمحمدي يقال كان نزيها جدا بالنسبة لمال الآخرين وسفيها ثم مسرفا فوق العادة بالنسبة لما له أو ما يقع تحت يده حين يكون له مال وقد مات فريسة فسقه وخموره وفجوره ولم يترك لأسرته غير امتياز حافلة نقل وأربع هكتارات من الأرض اشتراها في حي تمارة هذا في الوقت الذي حقق فيه مضحكه الهاشمي العلوي وباسمه ثروة تقدر بأكثر من 4 مليارات وقتها عبارة عن عقار بحي السويسي انتزعه من السكوريين الذين دفعوا عربون الشراء لصاحبته الفرنسية التي أكرهت على البيع دفع ثمنه بشيك حمله عبد السلام الصغير الفجيجي لصاحبة العقار في نيس بـ فرنسا لكن ما نهاية القوم وقد رفعت الأقلام وجفت الصحف.

يوجد به من وثائق، وجب عليه أن يخبر بها مدير القسم السياسي إن كانت في إدارة الشؤون السياسية أو الإداري إن كانت في قسم الشؤون الإدارية، وذلك حتى توجه إلى مكتبة الوزارة، وإذا لم تكن لها مكتبة فمقرها شرعا، وعادة، ونظاما هي الخزانة العامة للدولة التي يقصدها الدارسون والباحثون، ثم استرسلت كأنني في مدرج أحاضر والوزير الطيب ينصت بتمعن، وأخيرا أجاب على كلامي بقوله "هذا صحيح، وما كانش من حق الجعايدي يقصد كاتب المفتش "المسكين: يعطيهم للمخزني يرميهم شي باس ما كاين" ثم أمر رئيس الكتابة الخاصة للوزير الرجل الطيب المتخلق(139) الذي طالما أتعبه التعامل مع المفتش العام، أمره أن يرسل من يأتي بتلك الملفات من مكتبي إلى مكتب الوزير حيث وضعت في ركن الكتابة الخاصة، وكان الذي توجه معي هو المخزني الحسين السوسي حيث أمرته أن يأخذ فقط تلك التي كانت على المنضدة المستديرة، أما ما وضعته في الدولاب والدرج منها فقد أبقيتها ولم أفكر في تحريك شيء منها لأنني كنت مشغولا بمهمتي وهي دراسة ملفات الخونة والمتعاونين، وفي المنزل بترتيب الوثائق المخزنية التي حفظتها عنايتي بها منذ الطفولة وأنقذتها من الحرق أقداح الخليع "القديد" والخبز والسكر وأحيانا الضربات القاسية التي كنت أتلقاها من الجلالي الحياني مسخن حمام الدار بالقصر الملكي بفاس، تلك الوثائق التي رتبتها أحسن وأفيد ترتيب دام أكثر من عشر سنوات بلا إنقطاع هي التي علمتني حب الوثائق

أجل ذات يوم وداخل أسبوع الحادث زارني في مكتبي محمد الإدريسي(140) زيارة عمل(141) ثم دار بيننا الحديث عما يتندر به الموظفون حول ما حصل بيني وبين الرجل الطيب النزيه الذي كان يزعج الجميع وهو المفتش العام بتصرفاته الإستبدادية سواء في الوزارة أو في الأقاليم التي كان يتوجه للتفتيش على المسؤولين فيها، مع العلم أن أول مهنته كان وكيلا شرعيا، ولما أسند له التفتيش كان عنيفا في تصرفاته التي لم

(139) كان رئيس الكتابة الخاصة هو أحمد الفاسي المدير الحالي للمكتب الوطني للوثائق والمستندات.

(140) الملحق حاليا بإدارة منظمة الاتحاد النسوي.

(141) تتعلق بشكاية من أسرة عبد السلام الطود القتيل مع برادة والوزاني بجنان بريشة بتطوان قدمتها زوجته، فامة، ووالدها بتاريخ 1958/11/20 ثم عادت مع والدها لتتعرف على مصيرها ثم أحيلت علي من طرف الوزير.

يكن ولا أحد يستطيع حتى الإمتعاض منها، لأن الرجل كان له شبه حظوة يفاخر بها على غير المدركين، وبسبب ذلك كان له أن يفعل ما يشاء، ويتصرف كما يريد في نظر الآخرين، الذين كانوا لا يعلمون أن أخطر شيء على تلك العلاقة ومع أي كان هو التصرف الغير المتزن، والذي لا يكون في المستوى وذلك ما كان القوم يجهلون أن الراعي يرفضه ولا يقبله من أي كان بل الويل ثم الويل لمن يتصرف تصرفا غير لائق، ثم ينسب نفسه للحمى، بل ذلك هو السلوك المرفوض ممن له وفاء حتى إن بعضهم مثلا محمد لغريسي المعروف بـ"أحمد العلوي" حصل منه ما يمس بكرامة أحد الطباخين الذين ولدوا ونشأوا وشاخوا في القصر، ولماكان الحق في جانب الطباخ الأمين الوفي"بوجمعة قريطيس الذي تعرض للشتم بلا سبب معقول من محمد المذكور، انقض عليه أمام ملأ من الناس ثم بطحه أرضا وأخذ يرفسه كما يفعل السيد بالعبد الآبق مدة غير قصيرة وبعنف عنيف وقسوة قاسية(142) والقوم يتفرجون، وكان العاهل يراقب كل ما حصل من مكان مشرف بعيد ومن حيث لم يبصره أحد، بل مرت المعركة بطريقة كانت فيها متعةللحاضرين الذين فاق عددهم العشرة وكنت منهم.

لقد كان المهدي الصقلي بتصرفه العنيف غير المقصود يوهم القاصرين أو يتوهمون أنه ما كان ليفعل ذلك الدلال إلا إعتمادا على ما كان له من علاقة، ومثل هذا كان يشيعه كاتبه الطيب حتى يخفي عيوب صاحبه الذي شاخ ولم يعد له دواء، بل كان يتعنت طبعا وعادة، وبالتالي كم لمثل ذلك من أمثال قاومنا هم، فلم نفلح لأنه غلب السيل وطغى البهتان وضاعت القيم ولله الأمر من قبل ومن بعد.

كان حديثي مع محمد الإدريسي على هذا النسق، وأخيرا مدت يدي من غير قصد إلى ملف من تلك التي كنت وضعتها ضمن مجموع من الملفات في أعلى درج من مكتبي لأناوله للإدريسي كدليل على جهل المفتش العام وبراعته في إحراق الملفات، ولما تناوله

(142) كان ذلك يوم الخميس 18يونيه 1959 ولعل في هذه القصة ما يستدل به على أن قاعدة السلوك والتعامل الاحترام المتبادل بين الجميع والخلق القويم هو عملة التعامل بين الكبير والصغير وأنه لا إعتبار ولا وقار لكل من يجرح الشعور أو يخدش الكرامة بلا سبب ومن يفعل يكون جزاؤه ماأقدم عليه بوجمعة قريطيس رحمه الله من صفع وركل ورفس لمحمد ولد أحمد بن عبد القادر لغريسي المعروف باسم "أحمد العلوي الفاسد الاخلاق والسمعة" عند المغاربة جميعا.

وقرأ عنوانه بالفرنسية وجده خاص بحوادث يناير عام 1944م وما قبلها، وماكدت أعلم حتى كلفته بدراسة كل الملف وكتابة مذكرة حوله شريطة عدم الخروج به من مكتبي وفعلا قضى محمد الإدريسي في دراسته، وبعد ما أحصيت أوراقه التي وضعت لها عنوانا ورقمتها حيث بلغت 143 ورقة قضى في معرفة مافيها قراءة وكتابة لما ورد فيها بإختزال مدة أربعة أيام، من الثامنة إلى الثانية عشر، ومن الثانية والنصف إلى السادسة كان كلما وقف على ما يذهل يلخصه ويقرأه علي حيث كنت أختصر الأفكار الواردة فيه وبحكم ما قرره علم النفس عن الانفعال والتأثر كان بعض ما وعيته بألم مما ورد في تلك التقارير ينعكس على بعض ما كنت أكتب من مقالات في جريدة العهد الجديد أواخر عام1958ـ59 وما كنت ألقيه بواسطة الإذاعة من أحاديث يومي الاثنين والخميس وإذا ما أخبرت بعد الكثيرين من الأصدقاء بالإكتشاف المرعب ومنهم إدريس لمحمدي الذي حل بالوزارة للمرة الثانية بتاريخ 1958/12/25 فإنه ألح علي معرفة ما يعنيه وبعض زملائه في الكفاح الوطني وهو تقرير وارد من الإدارة العسكرية بمكناس ذكرت فيه أسماء عدد غير قليل من الوطنيين الذين يقترح سجنهم محليا أو نفيهم بعيدا كما وضعت عبارات خاصة حول الذين أتهموا بالميل إلى المحور، وفعلا مكنته منه حيث بقي عنده مدة ثم أعاده إلي مصحوبا بقوله هذا يحفظ للتاريخ أحسن، وفعلاذلك ماحصل رغم ما عرفت مسيرة هذا الكتاب من مآس.

كان التقرير الذي تأسس عليه الملف هو ذاك الذي كتبه قبل سنة 1941 الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور التلمساني الفرنسي الجنسية وقتها، والذي ملأه بأسماء عشرات من الذين إتهمهم بالتعاون والتعاطف مع النازية وذلك حتى يبرر موقفه وعمله مع صاحبه ابراهيم الوزاني قبل في تطوان ثم يعطي للفرنسيين وقتها صورة صادقة عن توبته في الوقت الذي ألقي القبض فيه على عبد الرحمن بن سعد ثم بدأت الحملة على أشدها من أجل الترصد لإبراهيم الوزاني ورفاقه من أبناء الشمال الذين احتفظ لنا الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور بأسمائهم كاملة في تقريره الخطير الذي إعتمده الفرنسيون بحكم ما ضم إليه صاحبه من معلومات ووثائق اختلسها وربما من حقائب كل من ابراهيم الوزاني وعبد الخالق الطريس الذي يوجد له تقرير مطول في

الملف مرفوع إلى الجنرال نوجيس وفيه الميل القوي لجانب المحور والإشادة بانتصاراته، أما أسماء الذين إتهمهم بن منصور بالنازية وكانوا في الغالب من القوميين وقلة منهم من رجال الحزب الوطني فهم أولئك الذين استمد أسماء هم مما عرف عن أسرار صاحبه إبراهيم الوزاني، يليه اعترافات عبد الرحمن بن سعد، التازي، وهو المسكين الذي إعترف ابن منصور نفسه مرة أنه فقط إنما كان حامل رسائل وموزع(143) نشرات ومرة أخرى غير ذلك أما التقرير الثاني اللعين من كتبه فهو ذاك المؤرخ 16/ يناير 1944 وهو بقلم عبد الوهاب بن منصور كذلك وهو في تسع صفحات حجم كبير، أورد فيه معلومات مفصلة حول الأشخاص الذين إجتمعوا في دار محمد اليزيدي بوشعيب الذي قيل إنه غير خطير ولا علاقة له بالمحور، كماأكد أن محمد اليزيدي معروف في الرباط فقط وأن الاجتماع كان بدار هذا الأخير بدرب سيدي قاسم بالرباط المدينة القديمة، وأن الجمع كان حول بيان المطالبة بالاستقلال، وأن الذين حضروا الاجتماع عددهم يقول التقرير لا يفوق العشرين رواية عن المخبر رقم 12A وأنهم اتفقوا على إسناد رئاسة التنظيم إلى الحاج أحمد بلا فريج الذي إتهمه الكاتب وبشيء من التفصيل والتوثيق إعتمادا على التقرير السابق بمناصرة النازية والعمل لفائدة المحور، والكلام حول بلافريج طويل جدا أخذ له

(143) راجع أعلامه للمغرب العربي الذين منهم عنده أبو حمارة "الجلالي ابن إدريس اليوسفي الزرهوني ففي أعلامه قال عن ابن سعد الذي تحدث عنه كثيرا كما طعن أسرته وفي مقدمتها والده خطيب الجامع الأعظم بتازة راجع جـ 1 ص 184 ط المطبعة الملكية بالرباط 1978م، وحول المطبعة الملكية التي أخذت لها دورا حاميا من النقد في مجالس المثقفين بسبب طبعها لأهواء بن منصور وشتمه لمن شاء بما شاء من العبارات المستعارة مما ينعت به، وأقول إن الذي مكنه من ذلك هو جبن المثقفين الذين لم يعلنوا عن رأيهم، حتى يفضحوا غباء وجهل من يستغل اسم المطبعة الملكية وامكاناتها لنشر الكذب والزور والبهتان حتي إنه وضع ترجمة للجندي الفرنسي "الحراثي" المحجوب "أحرطان" الذي إحتفظت أسرته بصفتها "الحراثية" التي هي كما شرحنا حين كلامنا على بني مدرار بسجلماسة والحراثين وتاريخ أسرة أحرطان التي ترجع في الماضي القريب إلى عين اسبيت بزعير ثم أصلا إلى قصر تيلوين بوادي اغريس الذي رحلت منه قسرا مع أسيادها عام 1197هـ 1782م وهو القصر الذي يسكنه عرب الصباح والذين دامت الحرب بينهم وبين آيت عطا عليه نحو المائة عام، كما هو معروف، هذه الأسرة التي انتقلت إلى ولماس فرارا من جريمة قتل بعين اسبيت أوائل القرن 19 والتي استعملها الفرنسيون في أخس المواقف لحوب المغاربة وولدها المحجوب احرطان اختلق له ابن منصور مانسبه لآل البيت الأدارسة. راجع جـ 215/2 ط الملكية 1979 وكل هذه المفتريات من الجاسوس المشهور ابن منصور بدافع الخوف من ماضيه المرعب وتملقه لكل من ظهرت شوكتهم في سوق الظلام ترتعد فرائصه منهم حتى لو كانت واهية، وعن الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور راجع شهادة العتابي فيه جريدة العلم، وعن خيانة وجوسسة ابن منصور الرقيب على الصحافة الوطنية في ج العلم ص 16 بتاريخ 1971/9/11.

ما يزيد على صفحتين ونصف فيه معلومات يعتبرها الاستنتاج صحيحة لأنها ربطت تحركات واتصالات الأمين العام للحزب الذي سمي "رئيس التنظيم الجديد" بتحركات واتصالات أمير البيان وأكثر من شهر بالاستعمار الفرنسي ثم فضحه في المشرق والمغرب أيام الظهير البربري، وهو الأمير شكيب أرسلان رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، كما ذكر إلى جانب بلافريج آخرين من أهل الرباط لم يحضروا الاجتماع وإنما بصفتهم متهمين بالتعامل مع المحور إعتمد في المعلومات عنهم على شخص جزائري مخبر سري رقمه"34أ" تحققت من خلال الوثائق بعد أن إسمه "الحراق" لكن تبين بعد للإدارة أن معلوماته حول اتهام بعضهم بالنازية كانت غير صحيحة لأنه إعتمد فيها على بعض جيران إدريس روداس الرباطي الذين هددوا والذي أبان عدم صحتها كذلك هو زميل الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور، الذي ركز فقط على الحاج أحمد بلا فريج.

وأما عن الأسماء التي أوردها ابن منصور والتي منها من حضر الاجتماع المذكور ومنها من لم يحضره، فقد وجهت إلى حكام النواحي التي يوجدون بها حيث كتب كل منهم تقريره على ضوء ما توصل إليه صاحبه من معلومات حول الأشخاص الذين عرفت أسماؤهم من خلال توقيعهم على وثيقة المطالبة بالاستقلال، والذين كانوا ينتمون إلى مختلف جهات المغرب شرقا وغربا، على أن التقارير لم تقتصر على أولئك فحسب، بل الملف جمع كل ما يتصل بالذين تحركوا من أجل تأكيد المطالبة بالاستقلال والانتصار للوثيقة، وقد كانوا من مختلف المدن والقرى وهم الذين سيشملهم الإضطهاد، كقدماء للوطنيين، بل تناولت التقارير وقائع لا صلة لها بما حصل وقتها، فمثلا تقرير مكناس الذي شمل الملف معلومات حول المدينة والناحية ثم إتخذ المنطلق من الذين وقعوا وثيقة المطالبة بالاستقلال وهما إدريس لمحمدي، وعمر بن شمسي، كما ورد في ملف مكناس تقرير حول الجماعة التالية أسماؤهم كوطنيين عبد الرحمن الصايغ، العربي المجذوبي، محمد الأجاني، أحمد الغربي، حمان بن ادريس، محمد لعلج، العلمي بن رحال، محمد بن أحماد الديغوسي، العلمي الصنهاجي، علال المالكي ، أحمد السكتاني الحسن بن سليمان العلوي، إبراهيم بن امبارك الهلالي، الادريسي العلمي، وعبد السلام بوزبع، محمد برادة بن المقدم، محمد بن العباس الفيلالي، محمد بن المهدي الطاهري، محمد بن عبد الوهاب، بن عزو.

هؤلاء وصفهم التقرير بالمشوشين، لكن لا تشم فيهم رائحة التعاطف مع المحور رغم اتصال بعضهم بابن سعد للدعاية ضد الدولة الفرنسية والتقرير مطول كاتبه هو برونيل الذي أصبح بعد رئيسا لناحية وجدة. وتأكيدا ضمن ملاحظة المسمى :ابويسي وتاريخه 42/12/25 على أن التقرير الذي وردت فيه عبارات الشدة والعنف هو ذاك الذي ورد عن وجدة وأبركان ثم الناحية الشرقية 1942/3/12 وقوام هذا التقرير الاتهام الصريح بالنازية مع ذكر بعض المواقف التي تؤكد ذلك في نظر صاحب التقرير الذي أورد أرقام بعض المخبرين السريين الذين وصفهم بالمعرفة والحذق وهم الذين يحملون الأرقام التالية (8-17-18-25ـ26)(144).

والملف المذكور كذلك يضم أسماء المتهمين التالية أسماؤهم :الحسن الوكوتي الشاطر وقيل هو سبب كل ما ينسب للآخرين الذين إقتدوا به يقول كاتب التقرير المراقب "كيرو" وتأكيد مسؤل آخر ضد الدولة ـ أي الفرنسية ـ ثم أحمد عيشة الوكوتي، وأحمد الشاطر الوكوتي. وعبدالقادر بن عمر والشراك الوكوتي، وعمر بن عبد الله الوكوتي وعبد القادر الوجدي اليزناسني، وعبد القادر بن العربي البركاني وبن يحيي البركاني وآخرين.

---

(144) في العادة كان البحث في القسم الإداري على ضوء بعض الإرشادات من القسم السياسي يوصل إلى معرفة إسم صاحب أي رقم والذي فقط يرجع فيه إلى ملفات المنطقة التي يرجع إليها طابع التقرير، وقد كانت خبرة الحسين المشاط كمدير للشؤن الإدارية تحقق ذلك على عجل، لكن بعضهم بعد عمل على إتلاف تلك الملفات كما علمت بعد وذلك أيام اليهودي حاسين الذي تولى إدارة الشؤن الإدارية بوزارة الداخلية نزولا عند رغبة تعليمات من يهمهم الأمر من الذين في أفواههم ماء، وقد كان من بينها ملف عبد الوهاب بن منصور الذي وقفت عليه وبه من بين رسائل التوصيات رسالة لعبد الحي الكتاني بخط يده تاريخها 8 صفر 1360هـ/1941م أورد فيها إسم الذي طلب منه ذلك وهو المسمى أحمد بن منصور "نقيب" الحوتيين الجزائريين بوجدة، ويؤكد الكتاني أن لرجال الدولة "الفرنسية" الفخيمة فيه خيرا كبيرا إن شاء الله، كما ظهر ذلك في سيدي أحمد بن منصور؟؟؟ يقول الكتاني»، وفي الملف الإداري والسياسي لعبد الوهاب بن منصور بوزارة الداخلية فضائح لولا ما انتهى إليه المغرب لكانت نهايته أضعاف ما أصاب زميله التمسماني وأذكر أن إطلاع إدريس لمحمدي على تلك الفضائح هي التي دفعت به إلى أن يطهر منه ساحة الديوان الملكي يوم أصبح مديرا له، وإن كان بعض الزعماء من السياسيين فعلوا شيئا آخر هو أنهم وضعوا تلك الفضائح كسلسلة في عنق بن منصور ثم فعلوا به ما شاؤا، كما فعلوا مثل ذلك بأحمد البناني الذي قام بأوسخ دور لتكدير الصفو يوم حاول شيخ الإسلام الحيلولة دون إضطهاد الأحرار والمقاومين بسبب ما نتج من مكايد سببها ما جد من تحركات وطنية بعد الانفصال بتاريخ 1959/1/25 الأمر الذي أحدث رواجا حادا في سوق الدس والكيد والتآمر إلى أن بلغ كل ذلك النهاية ثم أثمر ما عرف التاريخ والناس عام 1971ـ72 حيث تطاول الخونة والمجرمون.

ثم إنتقل الكاتب بعد مازاد في الشدة ضد هؤلاء، وترك فراغا ربما لملاحظة من هو أعلى منه وأخيرا وضع في آخر الصفحة طابع إدارة بركان مع جرة قلم تعني التوقيع من غير توقيع أن يضع ما يعرف باسم المعنى بالأمر، أما في الصفحة التي تليها، وهي بنفس الخط حبر أزرق سائل عليها طابع بالمداد الأحمر وضع أعلى وأسفل من غير توقيع وضعت بينها الأسماء التالية: عبد السلام الوزاني، محمد بناصر بن الحاج العربي، ابن سعيد بن الحاج الصديق، المسواك بوقنطار، لخضر برزال، يحيى بن أحمد، بن دالي بن ابراهيم، محمد بوزيان الحيلة الغلوفي، محمد بن التهامي برادة، محمد بن عبد القادر بن تاهلة، محمد بن رياح، محمد الدرفوفي، محمد بن المختار البلعوشي، محمد الساعاتي بودخن، محمد بوعياد، محمد بن ملوك، أحمد بن ملوك، أحمد بن عودة، التهامي لوديي، أحمد بناني، عبد المالك القادري البودشيشي، ميمون بن العربي الخالدي، إلخ، أما التاريخ فقد كان يوم 1944/1/20.

وأما التقرير الخاص بمدينة فاس، والصادر عن الكولونيل سلني بتاريخ 1944/1/23 والذي زيدت فيه أسماء بخط عبد الوهاب بن منصور(145) والذي يستدل على الاهتمام به من خلال المراسلات المتبادلة بين الإدارتين المركزية والمحلية وتباين تواريخها، والعجب العجاب هو أن ملخص الدراسات أكد عدم وجود أية علاقة لأي كان من الأسماء الواردة في التقرير مع أي نشاط من أنشطة المتهمين بالمحور وهم رشيد الدرقاوي وعبد الهادي الشرايبي وابراهيم الكتاني وحتى المسمى "أحمد بن سودة" مع أن هؤلاء إنما كانوا فقط يتلقون المناشر التي يوزعها عبد الرحمن بن سعد باسم ابراهيم الوزاني القومي وهم قوميون كذلك، وأول المذكورين في التقرير والمشار إليهم من طرف الفرنسيين بأخس النعوث هو محمد الفاسي مدير القرويين، والعجب أيضا أن التقرير ألحق باسم محمد الفاسي إسم محمد بن عبد الرحمن العراقي ثم أحمد الشبيهي وأحمد بن شقرون في جانب خاص، ثم ألحق في الأسفل لائحة مطولة بدأت باسم أحمد بن الحاج الطاهر مكوار، تاجر سكر بالجملة الهاشمي الفيلاً لي وعبد العزيز بن ادريسي ومحمد بن محمد

(145) راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية أو مديرية الوثائق الملكية.

العراقي واحمد الحمياني ثم أتبعهم بأسماء الذين ذكرت أسماؤهم قبل ضمن المطالبين بالإستقلال، وكلهم وعشرات بل مآت غيرهم سيلاقون من نكال الفرنسيين وتعذيبهم ما سجله التاريخ في حق الفرنسيين الذين مارفعوا أيديهم عن المغاربة الذين ذاقوا مرارة تعذيبهم كما سنرى إلى أن أخرجوا من هذه الديار تطاردهم اللعنة والخزي وأسوأ الذكريات هم وعملاؤهم إلى يوم الناس.

لكن ماذا جرى بعد جمع تلك التقارير التي كان القصد منها وبلا شك هو إثبات التعاون مع الألمان لتتخذ التهمة كمبرر أمام الحلفاء من جانب ثم أمام الرأي العام الفرنسي فيما إعتزم غابريال بيو القيام به من رد الفعل بقسوة قاسية وعنف عنيف، إرضاء لغريزة الانتقام ونزولا عند رغبة جماعة المستعمرين الحاقدين الذين طالماأدركوا حرج مواقفهم أمام عقد الحماية، ثم زادتهم احراجا وثيقة المطالبة بالاستقلال والتي أجمع عليها المغاربة ملكا وشعبا، ولذلك سيكون رد الفعل من الآن وبالمواجهة شخصيا مع العاهل بعد إضطهاد الشعب وكما سنرى من ترهات غابريال بيو الذي سينتهي إلى فشل ثم بعده إريك لابون ثم ياتي الجنرال جوان 1947م وتشتد المعارك إلى أن يبعد العاهل ثم يعود منتصرا ويتحقق الاستقلال.

الوفد الذي رفع وثيقة المطالبة بالاستقلال 11 يناير 1944 إلى جلالة الملك و هو يتكون من الحاج أحمد بلا فريج الذي يقف في الوسط. و عن يمينه محمد غازي، وعبد الله إبراهيم، وأحمد الحمياني و عن يساره الديوري المعروف بـ الخاوة و عبد الحميد المعروف بالازمـوري

شيخ الاسلام
في منفاه بتيزنيت

العميل محمد التازي محافظ مدينة فاس يوم تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944 والذي بالغ وخليفته العربي قصارة إلى جانب الفرنسي العقيد سلني وإذا قتل قصارة برصاص الفداء، فإن التازي لم يغادر هذه الدنيا إلا بعد أن أذاقه الله العذاب الأليم حتى كان الدود يتكون من جسمه، ولعذاب الآخرة أشد

محمد البشير الابراهيمي
أحد أعمدة تاريخ الإسلام
في الجزائر

جلالة محمد الخامس رحمه الله يلقي خطابا في مدينة طنجة يوم 1947/4/9 ولهذا اليوم في التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير أثر كبير

جلالة محمد الخامس يشرف على الزيادة في ثانوية مولاي ادريس بفاس 1940 وفي نفس اليوم الذي سقطت فيه باريس

في شوارع طنجة 1947

من الذين قاوموا الفكر الوطني في شخص شيخ الاسلام وعريضة المطالبة بالاستقلال بعنف عنيف محمد بن الحسن الحجوي الذي أطاع الفرنسيين بلا حدود على حساب الأخلاق والمبادئ والدين والقيم فكانت نهايته الحسرة والندم وسوء المنقلب حيث فقد عقله من أثر الصدمة يوم إعلان الاستقلال 1956 حتى خرج بين الأزقة حافي القدمين يردد عبارات فيها دلالة على أنه فقد عقله إلى أن مات على تلك الحال مشردا والعياذ بالله وهو صاحب الفكر السامي وانتحار المغرب على أيدي ثواره

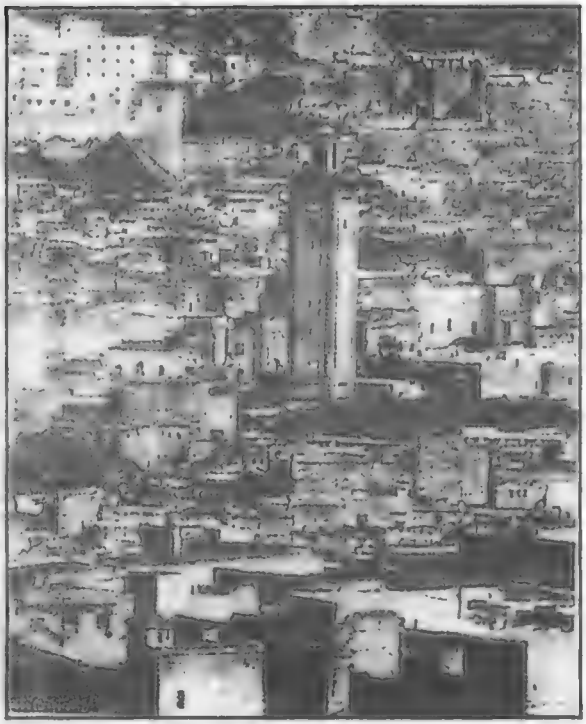

مدينة فاس 11 يناير 1944

ج أحمد بلافريج يتوسط مجموعة من الشباب الوطني
وهو الرجل الذي له فضل كبير و أثر أكبر في تاريخ الحركة الوطنية

البرنامج

إن حزب الاستقلال الذي يضم أعضاء الحزب الوطني السابق وشخصيات حرة: يتفرع بمايلي

حيث أن الدولة المغربية تمتعت دائما بحريتها وسيادتها الوطنية وحافظت على استقلالها طيلة ثلاثة عشر قرنا إلى أن فرض عليها نظام الحماية في ظروف خاصة ● وحيث أن الغاية من هذا النظام والمبرر لوجوده هما إدخال الإصلاحات التي يحتاج إليها المغرب في ميادين الإدارة والعدلية والثقافة والاقتصاد والمالية والعسكرية دون أن يمس ذلك بسيادة الشعب المغربي التاريخية ونبوغ جلالة الملك ● وحيث أن سلطات الحماية بدلت هذا النظام بنظام مبني على الحكم المباشر والاستبداد لفائدة الجالية الفرنسية ومنعت جيش الموظفين لا يتوقف المغرب إلا على جزء يسير منه، وأنها لم تحاول التوفيق بين مصالح مختلف العناصر في البلاد ● وحيث أن الجالية الفرنسية توصلت بهذا النظام إلى الاستيلاء على مقاليد الحكم واحتكرت خيرات البلاد دون أصحابها ● وحيث أن هذا النظام حاول بشتى الوسائل تحطيم الوحدة المغربية ومنع المغاربة من المشاركة الفعلية في تسيير شؤون بلادهم ومنعهم من كل حرية خاصة أو عامة ● وحيث أن الظروف التي يجتازها العالم اليوم هي غير الظروف التي أسست فيها الحماية ● وحيث أن المغرب شارك مشاركة فعالة في الحروب العالمية بجانب الحلفاء وقام رجاله أخيرا بأعمال أثارت إعجاب الجميع في فرنسا وتونس وصقلية وكورسيكا وإيطاليا، وينتظر منهم مشاركة أوسع في ميادين أخرى وبالأخص لمساعدة فرنسا على تحريرها ● وحيث أن الحلفاء الذين يقفون دماءهم في سبيل الحرية اعترفوا في وثيقة الأطلنتي بحق الشعوب في حكم نفسها بنفسها، وأعلنوا أخيرا في مؤتمرهم بسان فرنسسكو الذي ينتظر أن يزعم الفوز هو الاستيلاء على الضعيف ● وحيث أن الحلفاء أظهروا في شتى المناسبات عطفهم على الشعوب الإسلامية ومنحوا الاستقلال لشعوب منها من هم دون شعبنا في ماضيه وحاضره ● وحيث أن الأمة المغربية التي تكون وحدة متناسقة الأجزاء تشعر بما لها من الحقوق وما عليها من واجبات داخل البلاد وخارجها تحت رعاية ملكها المحبوب وتقدر حق قدرها الحريات الديمقراطية التي يوافق جوهرها مبادئ ديننا الحنيف والتي كانت الأساس في وضع نظام الحكم بالبلاد الإسلامية الشقيقة

يفرر مايلي

ا- فيما يرجع للسياسة العامة: أولا: أن يطالب باستقلال المغرب ووحدته ترابيا تحت ظل صاحب الجلالة ملك البلاد المفدى سيدنا محمد بن يوسف نصره الله وأيده. ثانيا: أن يلتمس من جلالته السعي لدى الدول التي يهمها الأمر للاعتراف بهذا الاستقلال وضمانه، ولوضع اتفاقيات تحدد ضمن السيادة المغربية ما للأجانب من مصالح مشروعة. ثالثا: أن يطلب انضمام المغرب للدول الموقعة على وثيقة الأطلنتي والمشاركة في مؤتمر الصلح

ب- فيما يرجع للسياسة الداخلية: رابعا: أن يلتمس من جلالته أن يشمل برعايته حركة الإصلاح الذي يتوق إليه المغرب في داخله، ويكفل لنهضته السديدة إحداث نظام سياسي شوري شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية الإسلامية في الشرق تجتمع فيه حقوق سائر عناصر الشعب المغربي وسائر طبقاته وتحدد فيه واجبات الجميع، والسلام

الموقعون على الوثيقة:

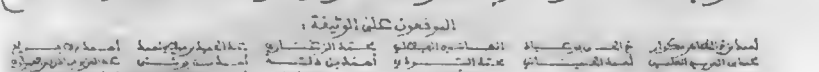

راجع دراسة المقاوم محمد الخليل بوخريص لهذه الوثيقة ط دار الثقافة 1995 وتراجم الذين وقعوها

الفصل الثامن والسبعون بعد المائتين

29 يناير 1944

اليوم الذي له في كل حي تاريخ بالمغرب

ما مضى هو ما كان يجري في الخفاء في الفترة ما بين 11 يناير 1944م و29 منه والذي جر ذلك هو التقرير الثاني الحقير الذي وضعه الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور ثم قدمه لإدارة الشؤن السياسية بتاريخ 16 يناير والتي تحركت بعد ما نبه فيه إلي ماورد في التقرير الأول المشؤم عام 1941م وفي تلك الفترة الفاصلة ما بين 11 يناير و29 منه والتي إنشغلت فيها الإدارة بالمغرب عما يعني الدعاية للحرب والإعلام لما جد من إنتصارات الحلفاء في جهات مختلفة حتى يكون لذلك أثره في الجو مما يرد لفرنسا إعتبارها في تلك النفوس، وبعد كل تلك الدراسات والاستعلامات والمخابرات للكشف عن المتهمين بالمحور الذين نصت عليهم التقارير الواردة في الملف المذكو، إثر ذلك عملت إدارة غابريال بيو وبكل حماس من أجل إقناع أعضاء الجمعية الوطنية لتحرير فرنسا التي كان يرأسها الجنرال دي كول، والتي كان مقرها بالجزائر والتي هي صاحبة الرأي الأول في السياسة الخاصة بالمستعمرات والمحميات وقتها، وإذا ما فوض لغابريال بيو الذي لم تعد مهمته عسيرة وذلك بفضل ما بين يديه من وسائل إثبات، حجتها أوهام كلها نسجت حول ما عرف لإبراهيم الوزاني قبل(146) من نشاط ضد الاستعمار الفرنسي في الأساس،

---

(146) ترجم الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور، لابراهيم بن عبد الله الوزاني التازي فيما كتب مما أطلق عليه "اعلام المغرب العربي" 1/180/91ط المطبعة الملكية بالرباط 1979 وهي في نفس الوقت ترجمة لابن منصور تؤكد صحة ما سبق دون إحتياج إلى ذكر أسماء شهود الإثبات من الذين تعرضوا لأذى ابن منصور سواء من المغاربة أهل طنجة وتطوان وفاس والرباط أو أهل تلمسان من طلبة وأساتذة مدرسة دار الحديث المؤسسة 1937التابعة لجمعية العلماء بالجزائر. لقد قال عن نفسه إنه إنضم إلى ابراهيم الوزاني الذي كان قد إلتحق بتطوان "إثر حوادث نفمبر"؟" عام 1937 وانضم إليه في السنة بعدها عام 1938م وطبعا كان سنه طري لما يتجاوز الثامنة عشرة سنة مضت من عمره فهو من مواليد 1920 كما يقول وكان الدافع للهجرة طبعا هو الألفة وانخفاض المستوى المادي الذي كان يعانيه ابن منصور ومنذ عهد بعيد قد صير منه وضعه ذاك اليفا لإبراهيم الوزاني كعادة أهل زمانه في كثير=

ومن وسائل القمع التي تبين أن غابريال كان يدخرها لليوم المعلوم، وقبل أن يصدر أوامره إلى بونيفاس بالتحرك إتصل بجلالة الملك طالبا تحديد موعد للمقابلة التي كانت

= من مدن المغرب، وفي مقدمتها فاس وناحية الشمال كما سجل روم لاندو في كتابه "جورنال أوف موروكو" ص 181 ط لندن 1952 ولعل شيئا مما قاله روم لاندو سبقه به ابن الموقت في الرحلة المراكشية جـ2/118-120ط مصر 1351 هـ وإن كان أخف من الانجليزي المأبون الذي قضى نحبه بمدينة مراكش تحت وطأة عذاب أبنته أخزاه الله، فقد جعل روم لاندو من كل نساء مدينة فاس، وبدون إستثناء عاهرات، كما نسب إلى معلمي القرآن الكريم من الرذيلة ما فاحت رائحتها فازكمت تجاه المغرب والإسلام، وعلى كل فإن علاقة أمثال عبد الوهاب بن منصور وفي تلك السن مع ابراهيم الوزاني يقول ج أحمد وفي ذلك الوضع الذي وصفه عليه بن منصور في إعلامه جـ1/180-186 كانت مريبة كما وصفها كل من عرف الإثنين بل هو نفسه نعت المترجم له بتلك النعوت في السلوك الذاتي، وكما مكنتنا الدراسة الميدانية لحياة الوزاني أيام دراسته بالقرويين وسكنه بمدرسة الشراطين، ثم العطارين قبل أن يسكن مع والدته خديجة بن سعد بحومة الطالعة وطول المدة كان ابن منصور من الملازمين له حتى عرف عنه من الأسرار ما لم تعرف الزوجة عن زوجها من غراميات كما سجل في إعلامه بلا خجل ولا وجل بل بدافع الجهل والغباء فبعد ما وصفه وأنه كان يعمل "ضد فرنسا خلال الحرب بنفس الطرائق الفجة والأساليب المرتجلة ؟" هذا رغم أنه سبق أن قال عنه أنه سعى "في إنشاء محطة سرية للاتصال اللاسلكي بالرباط لتوجيه الأخبار إلى طنجة وتطوان وتلقى التعليمات منها .. إلخ، إنتقل ويلا خجل ولا وجل إلى الكلام عن حياة الرجل الجنسية مما تشم فيه رائحة ابن منصور قديما وحديثا وهو مالم نعهده قط من غير بعض الأندلسيين من أهل فاس أمثال ابن سليمان الغالي فواصل الجمار 204- 208 حيث وصف ابراهيم الوزاني أنه كان يبخل ببعض غرامه على الغواني خلال سنوات الشبيبة الهائجة"؟" كما عبر جـ1/185، وأخيرا رافقه في الترجمة إلى ان اختطف ورفيقه عبد السلام الطود رحمهما الله حيث تم "إختطافهما من مقهى الكونتينانتال بتطوان وكما حدد يوم 13 يونيه 1956 بأمر من سماه محمد السكوري"؟" وذهبوا بهما في سيارة جيب إلى جنان بريشة إلخ ص 186 وهنا أدرك شهر زاد الصباح فأمسكت عن الكلام غير المباح.

بربك أيها القارئ تمعن إن أنشط أيام المرحوم إبراهيم الوزاني الذي يمكن أن تكتب ترجمته في مجلد كانت ما بين 1939- 45 وأين كان ابن منصور وقتها"؟" بعد فضائح فاس والعمالة مع إدارة الداخلية الفرنسية لنرجع إلى الفصل السابق، ثم ليرحل الباحث الميداني إلى تلمسان، حيث أولاد خليل والعجوني، وأولاد لگريتلي عمال معاصرالزيت من آل أعصان وأولاد بوعياد، وأولاد بختي بل أولاد غزالي وحيثما وجد من كان له إرتباط بجمعية العلماء المسلمين بالجزائر، وخصوصا العلماء الأحياء عبد الرحمن شيبان والشيخ عباس بن الحاج الحسين، والشيخ خير الدين، بل وأساتذة وطلبة دار الحديث بتلمسان يتقدمهم المدير محمد الصالح بن رمضان ليعرف المرء ماذا قدم الجاسوس المشهور عبد الهادي بن منصور وما أقدم عليه في حق المغرب العربي الكبير إلى جانب الاستعمار الفرنسي الحقير، بل على المسؤلين الذين لا تعنيهم سمعة المغرب ومكانته بين شعوب المغرب العربي وفي التاريخ أن يتدبروا ما جره ويجره هذا الصنف من البشر وهم على قلتهم أبتلى بهم هذا الشعب الذي قدم كل التضحية من أجل الخلاص منهم بل ومن أجل عزته وكرامته التي تداس اليوم هنا وبلا اعتبار، بأقدام بعض العملاء من خونة الماضي وسدنة الاستعمار الذي حماهم ويحميهم، لكن الحكم العادل الذي لا يراجع هو حكم التاريخ الذي لم ولن يترك السابقين واللاحقين، وكل من تحدثه نفسه بالإساءة إلى هذا الشعب وتاريخه الذي يعنينا.

ومهما يكن فإن الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور انفلت من أيدي المجاهدين الجزائريين بأعجوبة ومنهم هواري بومدين وكان ذلك على يد الشاهي بودخيل ولد المصطفى من العين الصفراء وهو الذي أصبح =

صباح يوم 18 يناير 1944 ومعنى هذا أنه كان بين تاريخ تقرير ابن منصور 16 يناير وتحديد الموقف يوم واحد فقط، وذلك بفضل ما ضم من وثائق والتي كان يعدها المراقبون الفرنسيون في مختلف النواحي من المغرب عززت موقف المقيم، ليتحرك وبجانبه أكبر حاقد على المغاربة بلا سبب إلا سبب روح الاستعمار وهو فيليب بونيفاس، وتحديد الموقف هذا كان بالنسبة للبيان الذي يتبناه السلطان والجواب عليه، حيث رفع المقيم إلى جلالته رأي اللجنة الوطنية التي كانت تحكم باسم فرنسا ومقرها الجزائر، "وأنها أمرته أي المقيم بعدم الدخول في أي مخابرات تدعو لتغيير نظام الحماية، ثم زعم أن لفرنسا وحدها الحق في اقتراحات الإصلاحات التي تراها لازمة، وأن لجنة التحرير تدرس هذه الإصلاحات وأنها بمجرد ما يتم درسها ترفع لمصادقة جلالة الملك عليها، وأن كل مناقشة في موضوع معاهدة الحماية لا يمكن أن تسمح به الحكومة الفرنسية" وهذا ما سيؤكده مبعوث دي كول ماسيگلي المشار إليه. ص39 حيث صورته ضمن لجنة تحرير فرنسا.

وبعد هذه المقابلة والأسلوب الجاف البعيد عن الصواب في الخطاب جمع جلالة العاهل أعضاء حكومته كما فعل قبل حول وثيقة المطالبة بالاستقلال ليبلغهم قرار الحكومة الفرنسية وبعد ما أكد إستمراره في المطالبة بالاستقلال طلب من المجلس أن يؤخر إجتماعه إلي يوم آخر(147) وكان هذا الاجتماع هو بداية الفرز الحقيقي ليتبين بعد صنف المؤمنين من صنف المنافقين بين المغاربة.

= بعد محافظا في سوكر من الجنوب، فهو الذي هربه يوم أراد المجاهدون قتله، وبسببه كان قد ضرب الخائن ابن عمه الحاج يوسف بن منصور ضربه فدائي من رجال جبهة التحرير فحملته السلطات الفرنسية إلى فرنسا قصد العلاج لكنه مات كما انفلت في نفس التاريخ رفيقه في الحرفة ج مصطفى الدرفوفي بوجدة، والذي كان قد أدى الشهادة لفائدة الاستعمار وضد المجاهدين الوجديين في حوادث اليهود بتاريخ 7 جوان 1948م والتي أتهم فيها أخونا عبد الكريم البورحيلي الذي سبق له أن حاول إغتيال المهدي الحجوي عام 1947م وغيره من الوطنيين الأحياء يتذكرون ذلك، إلخ لكن جزاء القوم ومعهم المستهترون اليوم بكل القيم يتمثل فيما يدونه التاريخ عنهم من لعنات ستبقى هي ذكرهم مدى الحياة.

(147) راجع الحركات الاستقلالية ص 299 ط القاهرة 1948 ونضال ملك لمحمد الرشيد ملين الرباطي 220 ط المطبعة الملكية بدون تاريخ، وإذا ما رجعنا إلى ما كتبه شارل أندري جوليان حول إفريقيا الشمالية تسير ص 281 ط تونس نجد أن المقابلة التي تمت بين بيو وجلالة العاهل كانت فوق ما يوصف من العنف بإسم رئيس حكومة فرنسا الحرة على أنني في غير هذا أشك في صحة بعض مصادر شارل أندري جوليان الذي لنا بعد معه موقف تحليل في موضوع إختلط عليه ثم لوح بما بدا له من غير فهم ولا تفكير ولا تدبر، وهو الذي كتب حول محمد الخامس بطريقة تشم فيها رائحة الفرنسي المريض الذي لم يتحرر من عقده، ومع ذلك قام له الأغبياء بالدعاية والإشهار.

كانت تلك البداية التي إختارها غابريال بيو للدخول مع العاهل في صراع فاحت منه رائحة الدس والكيد بما أشيع حول نشاط المحور في المغرب والمتعاطفين معه من الوطنيين، وفي مقدمة المتهمين الحاج أحمد بلافريج الذي أصبح يمثل الأمين العام لحزب الاستقلال ونشط وقتها وبتخطيط مبيت أنصار الحلفاء الذين أخذوا يرسمون ليلا على الجدران شعار الانتصار للحفاء وهو المتمثل في حرف "V" كما نشط الآخرون من خصومهم في رسم الصليب المعكوف الذي هو شعار النازية، وكثر هذا في الأحياء التي يسكنها الأوربيون، وكأن الأمر يعني إغاظة خصوم حرية المغرب والمغاربة، ورغم محاولات غابريال بيو فإن علاقة الودّبين محمد الخامس والجنرال دي غول الذي كان قد استقبل في المغرب يوم 1944/1/13 بالتمر والحليب، كما أشرنا كان الفرنسيون جميعا على علم بها، بل محمد الخامس الذي وقف ضد إرادة حكومة فيشي فيما يتعلق باليهود المغاربة وقد عرفتها الدنيا شرقا وغربا وفي مقدمتها الحلفاء، ليس في إستطاعة غابريال بيو أن يلعب ضده مثل الدور الذي دبر لمحمد المنصف باي بتونس، وأن غابريال بيو، واعتمادا على ما ورد في تقرير 16 يناير للجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور من إتهامات للوطنيين سيحاول تأكيدها بالنسبة لبعض الأسماء من رجال التنظيم الجديد يتقدمهم الأمين العام الحاج أحمد بلافريج.

ورغم كل ما دبره غابريال بيو وزبانيته، فإن الموقف كان واضح الافتعال بين التآمر، فقد أصدر أمين ورجال الحزب الجديد الذين كانوا يقظين حذرين، بيانا قطعوا به الطريق على المقيم وزبانيته وفحوى ذلك البيان أنهم يؤكدون المطالبة بالاستقلال، وأن هذه المطالبة لا تعني العداء لفرنسا ولا لغيرها وأن الحزب لا يفكر في الوصول إلى غايته إلا بالوسائل المشروعة(148)، لكن بيو وزبانتيه الذي إستطاع إقناع رؤسائه وقتها، وبالتالي ربما حصلت المخابرة مع بعض أجهزة الاستخبارات التابعة للحلفاء، والتي كانت تجهل كل شيء سياسيا عن شمال افريقيا والتيارات المنتشرة في جوها إلا ما كان مما يتعرفون عليه بواسطة أذنابهم وقتها من الفرنسيين الذي غاضهم وضع الحلفاء الجديد ووقعه في نفوس المغاربة، ثم هم يريدون الإستقلال بفريستهم، واتخذوا لذلك كل ما

(148) راجع المصدر السابق – هامش.

جمعوه قبل من منشورات إبراهيم الوزاني و"محطة" إذاعته" ومادلهم عليه تقرير الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور ومانتج عنه من تقارير منذ ما بعد إعترافات عبد الرحمن بن سعد، وبدأت إدارة بيو حملتها أولا ضد الولاة الذين حضروا الإجتماع الذي عقده العاهل بتاريخ 1944/1/13 وإذا كان موقف المقيم من العاهل بعد يوم 18 منه قد دفع المذبذبين والمنافقين إلى إعادة النظر في موقفهم خصوصا وأن الحملة بدأت بمقدمات التخويف والترهيب، فإن بعض الولاة تعرضوا للتوقيف في كل من الرباط وآسفي ومراكش ووجدة، الأمر الذي دفع آخرين من المذبذبين إلى أن يبادروا بالكتابة إلى المسؤلين الفرنسيين عما كان يروج(149) قبل حول المحور، وإمكان الثورة بواسطة نشاط ساكن أزرو، هلال الذي كانت اتصالاته لم تقتصر على المغرب بل إنتقلت وبإسم الحج إلى أرض الشام سوريا ثم الأردن وفلسطين.

وهكذا أمكن لغابريال بيو أن يعربد وينتشي بما أصبح في إمكانه فعله بالمغرب والمغاربة حيث أطلق سراح كل الأيدي الملوثة للتنكيل والإضطهاد، بكل مالدى الفرنسيين وفي كل جهة من شرق المغرب إلي غربه، بقسوة قاسية وعنف عنيف، كما أشار عليهم إقتداء ببو نيفاس أن يعملوا بالطرق الجهنمية، وبدأت حملة التنكيل نكاية بالعاهل من الرباط ثم سلا، وفاس، والبيضاء ومراكش، ووجدة، وبركان، والقنيطرة، وكانت الشرارة هي إلقاء القبض على الحاج أحمد بلافريج ليلة 28 يناير واليزيدي محمد بوشعيب وجماعة من رفاقهما، وكانت تهمة الأمين العام الذي وصفه تقرير الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور 1941 بـ مدير في مدرسة إبتدائية "هي التعاون مع المحور(150). ولذلك بعد أكثر من أسبوع من النكال والاستنطاق عاشه بلافريج رحل حالا إلى كورسيكا، ظنا من بيو أن ذلك يقضي على الحركة في مهدها، لكن العكس، هو ما حصل، فقد كانت

---

(149) قيل إن الذي قام بهذا الدور عدد ممن ذكرت أسماؤهم، لكن بحكم عدم توفري على ما يؤكد ذلك من الوثائق تركت تعيين تلك الأسماء، ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أن ذلك كان من «بيو» في الوقت الذي أخذ ينشر بين المسؤولين المغاربة، بواسطة بيان كاذب مزعوم أصدرته إدارته بتاريخ 22 يناير، أن اتفاقا تم مع جلالة الملك حول الإصلاحات التي يجب تطبيقها في المغرب حتى يتقدم ويزدهر.

(150) راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية أو مديرية الوثائق الملكية حيث التقرير والملف بكامله. والمصادر من خزانة المؤلف بواسطة الشرطة بتاريخ 1968/6/14.

تلك الشرارة بداية لاشتعال النار التي لم ولن تنطفئ قبل أن يصطلي بها الاستعمار الفرنسي المغتصب في المغرب.

كان الناس في مختلف جهات المغرب قد علموا رغم عدم وسائل الإعلام السريع بما حدث حول وثيقة المطالبة بالاستقلال التي تبناها العاهل وتمسك بها بعقيدة والتزام، ثم إن الوفود التي تقاطرت على القصر من كل جهة، حملت معها أخبار ما عاشت وما رأت من حماس وإقبال، وبالتالي فإن فرنسا لولا موقف العاهل فإنها في نفوس المغاربة قد فقدت كل إعتبار، وأصبحت في نظر المتحمسين من السهل التحرر من قيودها، لكن مادام الأمر قد وكل إلى العاهل فقد كان المغاربة حقا في المستوى الذي يليق بشعب أصيل يعرف معنى الولاء ويقدر مسؤولية الراعي، ولذلك ما كاد يعلن ما حل ببلافريج ورفاقه حتى إنطلقت جموع سكان الرباط رجالا وشبابا في مواكب شملت الكبير والصغير إلى الحمى الملكي، لترفع تظلمها إلى العاهل الذي لم تكن تعرف سواه، وكان هذا وقتها وسيلة من وسائل إشهار التنظيم الجديد،

وإذا كان حماس الجماهير من أجل إطلاق سراح بلافريج قد إرتفع إلى حد الهيجان داخل الحمى الملكي والناس ينتظرون الجواب من العاهل، فإن الذي سيبلغ رأي جلالته إلى المواطنين أن يطمئنوا ثم يتركوا الأمر لجلالته وكان الموقف يقتضي أن يتكلم الصدر المصدور الذي هو الدساس محمد بن عبد السلام المقري، الذي حين أقبل على المتظاهرين وهم في حالة هيجان خاف ولم يسعفه صوته في التبليغ، وقبل الكلام كان يتحدث إلى من حوله بلهجة المنتقد على المتظاهرين تأييدهم لمن ثبت في حقه التعاون مع "الألمان" وكما نطقها بكسر اللام يقول من حضر، وكان إلى جانبه كلا من الحاج الحسن ابن يعيش الحاجب الملكي وفرجي الروگي نائب الحاجب، ثم الرجل العظيم والطيب الذكر النظيف النزيه الذي ما عرف المغرب منه إلا الجميل، محمد لمعمري الزواوي، وإذا المقري تلكأ ولم يتكلم فإنه والموقف شديد وعنيف عليه أن يلجأ إلى من حوله، ولم يكن لها غير محمد لمعمري العالم الأديب البسيط الذي لا يعرف كيدا ولا تحايلا، ثم هو قبل لحظة بسلامة طوية كان مندمجا في الكلام مع المقري حول التهمة الموجهة إلى بلافريج، ولذلك حين طلب إليه الكلام لم يجد ما يقوله غير ما أجابت به الإقامة العامة للمقيم والتي وقع

الاتصال بها حين حصل ما حصل مما أثار غضب المواطنين، وقبل نزول المقري ليخاطب المتظاهرين كان قد تلقى الجواب من الإقامة العامة وهو أن بلافريج متهم بالتعاون مع الألمان، وأما غيره فسيطلق سراحهم وكان منهم محمد اليزيدي بوشعيب الذي سيؤتى به بعد أن يحصل ما يحصل من طيش وتهور وطني اندفع به رجل أمي جاهل ينتمي إلى الطائفة العيساوية التي إعتاد المبتدعون منها الافتراس. وهو المسمى "السيتل العيساوي(151)" الذي ما كاد يسمع ما قاله محمد لمعمري ومن غير أن يعرف معنا حتى ترامي عليه وقد إختطف عمامته ثم أدارها على عنقه وجره بعنف عنيف سقط معه على الأرض ليلتف به بعض الجمهور من المتظاهرين الأغرار الذين مزقوا ثيابه بطريقة وحشية كاد معها تكتم أنفاسه لولا شهامة الجلالي العوفير الرباطي المعروف بـ "الشينوا" وكان رياضيا قويا هو الذي أنقذ أنبل رجل وفي مع المغرب والمغاربة نبلا وسلوكا واستقامة وفي شخص العاهل الذي كان ألمه شديد بسبب ما شاهد ورأى، وقبل عشية اليوم كانت الاستعلامات قد عرفت الفاعل ومن حوله بكل دقة وتفصيل، ولذلك طلبت رأي محمد لمعمري قبل الإقدام على عقابهم بالشدة التي كان المقيم يتلهف عليها، لكن محمد لمعمري رحمة الله عليه قال وبالحرف « أنالم أتهم أحدا، ولا أريد أن يعاقب أحد بسببي»، وإذا كان المعمري يسكن وهو من هو مكانة في حي شعبي وفي الدار رقم 9 زنقة "قران عبو" داخل المدينة القديمة بالرباط وقد عرف بين الجميع ومنذ 1906 بخلقه وتدينه وحسن سلوكه، فإنه ما كادت شمس اليوم التالي تشرق حتى كان الناس يتهافتون على منزله رثاء ومواساة ولا حديث في بيوتهم إلا حول محمد لمعمري والرثاء لما حصل له، ومن رجل وطني متحمس فوق العادة، لكن أثر العادة والضلال كانا قد سيطرا على تصرفه الطائش.

كانت الجموع وبما حصل قد فقدت صوابها، حيث لم تجد خطب الذين رفعوا فوق الأعناق حتى يسمع المندفعون توجيهات المتزنين، الذين كان من بينهم محمد الرشيد ملين، والذي كان خطابه وهو محمول على الأعناق، السبب في عطف العاهل عليه

(151) هو حي يرزق ويقول الذي دفعه هو شعوره، وقد رجع وندم على ما بدر منه من طيش وتصرف إزاء أنبل رجل عرفته السياسة وقتها في المغرب راجع ديوان محمد لمعمري الزواوي الذي اطلق عليه : حسن الوفاء لآل البيت النبوي في مآثر ملوك العرش العلوي. ط الرباط 1964 وما فيه من قصائد بدأت من 1915 وانتهت 1964.

ثم عينه بعد مديرا للمطبعة الملكية ليتدرج بأصالة في الميدان الوطني متمسكا بصدق وأمانة بتلك المبادئ التي عرف بها إلي أن تكون السبب في حقد الاستعماريين الذين ناب عنهم الجنرال جوان بعد في التنكيل بمحمد الرشيدملين الذي سيبعده منفيا إلى المكان الأشد قسوة على صحته، والذي سيسمع فيه فقد والده وهو قرية "أسول" بمنطقة آيت احديدو من الأطلس المتوسط، ومن وقتها فقد صحته ولا يزال يعاني من أثر العلل التي أصيب بها(152) ومن أثر خيانة جماعته(153) عادت جماهير أهل الرباط من الحمى الملكي بنفس الطريقة التي توجهت بها إليه، حماس وهتاف وخطب وزادها حماسا إطلاق سراح محمد اليزيدي الرباطي(154) الذي بإطلاق سراحه تحولت ثورة الجماهير ليعودوا إلى منازلهم، لكنهم في طريق العودة استهدفوا لإثارة بعض المستعمرين الذين لم تتحمل أعصابهم مارأوا مما لم يتعودوه من المغاربة المستضعفين المستعبدين، فكانت نتيجة الإصطدام أن قتل أحد الأوروبيين، وربما كانت المؤامرة مدبرة بدليل أن جنود

(152) راجع مذكراته حول منفاه بقرية أسول، وصور من الاستعمار التي نقلها إلى العربية مروان الجابري وياسر هواري ط دار الشرق لبنان عام 1954 وفيها عن المثل المراكشي للشيوعي الجزائري على ياطا ص 87.119 وعلي ياطا هذا أيضا من أب جزائري وأم مغربية طنجية ويجب أن يذكره تاريخ الوطنية المغربية بكل تقدير واحترام فهو بحق من خيرة رجالات المغرب العربي الكبير وطنية في الماضي لكن الظروف دفعت به أخيرا إلى حيث أصبح يتلاعب ويتلون ويتساوم ليعيش لأنه تبين له أن لاعبرة باعتناقه للمذهب، الذي ضرب به عرض الحائط آخر المطاف.

(153) هي جماعة الغدر التي روجت للفساد يتقدمها الغلام العميل المنحرف أحمد رضا كوديرا ولد فاطمة بوعلو ومحمد الركراكي ولمفضل الشرقاوي وعمر بن مسعود ثم بقية المرتزقة هؤلاء الذين إستأسدوا في مرحلة الظلم والبغي والفساد التي عرف المغرب فيها ما لم يعرفه في أشد مراحل الاستعمار قسوة وما فعله الركراكي بحي تمارة ولا حسيب ولا رقيب مما سيسأل عنه هو ومن معه مما يخجل المرء من ذكره لأنه كان من عوامل تأخير تقدم مدينة الرباط التي عرفت التزوير في الإنتخابات لمراحل من أجل تحقيق مشاريع القوم.

(154) كان قابض ضرائب مغمور وباستثناء نشاط ضئيل في مجال الصحافة الفرنسية لم يقم بعمل يعتبر في ميدان النضال سوى الانسجام مع علال ضد بلافريج لكنه في عهد الاستقلال سيكون في طليعة الذين يرسمون خيانة الأمانة حيث قبل أن يسند إليه تسيير منجم جرادة فجر عليه الإفلاس بل إتخذه وسيلة إبتزاز واستغلال إلى أن مات طاعنا في السن وقبل أن يموت اشترى المنزل الذي كان بإسم المنجم في الدار البيضاء سعته 2400 م حي آنفا رقم 102 بتقويم خبير مدلس قومه بخمسمائة ألف درهم دفعت له بعد طلب كهبة ملكية بشيك محول على بنك المغرب رقمه 1.090340 بتاريخ 1986/4/24، ثم بيع بعد بمليارين ونصف ولا وارث له سوى زوجته وله أحسن دار في أحسن حي بالرباط زنقة الجبلي رقم 9 ويتقاضى مرتب 50 موظفا في مستواه كقابض ضرائب له مستوى أقل من الابتدائية ثم هو أصبح الرئيس الإداري للمنجم منذ 1963م، أو ليس هذا هو ترسيم خيانة الأمانة. سجل أيها التاريخ حقيقة ومستوى الزعامة في المغرب ولسوف نتعرف عليه وعلى خيانته بعد في مؤتمر إكس ليبان 1955.

الانتقام كانت كوكبتهم متأهبة برئاسة الضابط الدركي"أرابيير" المؤتمر بأوامر الجنرال "لوكلير" الذي أمر الجنود بالحيلولة بين المواطنين وعودتهم إلى منازلهم بالمدينة القديمة لأنه كان يريد لهم شرا بحيث بقيت جموعهم تحاول الدخول إلى المدينة بطريقة سليمة ومن مختلف الجهات لكن عبثا كانت كل المحاولات، بل الجنود الفرنسيون وبأوامر مشددة كانوا يستدرجونهم للنزال وبمختلف الوسائل ظنا منهم أن بعضهم ربما يكون عنده من السلاح ما يبدأ به ثم يمكنهم من إباة الجميع، لكن تبين أنه لم يكن شيء مما أرادوا ورغم ذلك إستمرت المضايقات والتربص، ولما رأى الجنرال لوكلير أن الفرصة ستفوت عليه وقد أقبل المواطنون على أبواب المدينة يريدون الدخول إليها والعودة إلى منازلهم، أمر جنوده بالهجوم العنيف الذي لم يجد المواطنون معه بدا من الدفاع عن أنفسهم، ولو بالحجارة التي لم يكن لهم غيرها، بعد ما إخترقوا صفوف القوة التي أمرت بالحيلولة دونهم والدخول إلى المدينة، الأمر الذي أثار غضب متصرف الشرطة الذي سل مسدسه ليرمي برصاصه جموع المتظاهرين، لكن كان في ذلك حتفه وحتف رئيس الغرفة التجارية الفرنسية المسمى "بيتري" الذي له ساحة تخلد اسمه حتى اليوم في مدينة الرباط "وامغرباه" ودامت المعارك إلى صباح اليوم التالي، حيث أرسلت الإقامة العامة في الساعة الثالثة والنصف نجدة من الخيالة "الصبايحيه" التي إستطاعت بعد صراع عنيف دام ساعتين أن تحل باب المدينة الذي كان المواطنون بعد دخولهم قد أغلقوه.

أما قائمة الخسائر الفرنسية فقد كانت كما يلي: إثنان مدنيان هما بيتري وروللو، من رجال الإدارة متصرف شرطة من صاحبي الدراجات النارية. 3) بريجادي واحد، وصف بريجادي، ومتصرف بوليس وأما الذين جرحوا جرحا شديدا كانوا سبعة7) منهم : رئيس الكوكبة الكومندار أرابيير، والأجودان شاف، والأجودان، والمارشال ديلوجيه، وثلاثة من الجند رمة جرحوا في رؤسهم ضربا بالحجارة"(155).

وإذا كان الخبر قد وصل إلى مدينة سلا وقت تحرك الجماهير في الرباط، فإن تحرك الجماهير بمدينة سلا كان أعنف، وكيف وهي المدينة التي سكنها شيخ الإسلام من1928 إلى 1936 الذي كان له نشاط وطني فيها بل والتي كانت بفضل روح ومقاومة

(155) راجع الحركات الاستقلالية للأستاذ علال الفاسي 301 ط القاهرة 1948 والمصدر صحيح.

الاحرار من أبنائها قبل زمن عاملها الوطني عبد الله بن اسعيد الصنهاجي وسعيد حجي 1912 ـ 1942 ومحمد حصار ومكتشف فضيحة الظهير البربري 8 ماي 1930 المرحوم عبد اللطيف الصبيحي وج احمد معنينو وأحمد بن عبود إلخ بحيث كانت مدينة سلا ولفترات متتالية هي السباقة دوما إلى الدفاع عن الحمى بروح ملؤها التضحية والوفاء منذ أقدم العهود زمن عبد الله بن سعيد 1920 وفي عهد الاستعمار الفرنسي إذ لم يكن عهد الظهير البربري ثم زمن الكتلة والحزب الوطني ببعيد(156)، وحين التحرك كانت مدينة سلا تحت سلطة المراقب المدني "دولامارك" ونائبه "دوسانطي" اللذين لم يرضهما أن يكون "جلادي" الرباط وغيرها من المدن أكثر منهما حماسا ضد المغاربة العزل. وظهرت شجاعة الفرنسيين الجبناء ـ أسد علي وفي الحروب نعامة ـ ضد المغاربة الذين كانوا ولا يزالون خارج بلادهم وقتها يدافعون عن الفرنسيين ويدفعون عن وجوههم ووجوه أمهاتهم وأخواتهم ونسائهم وبناتهم ركل أخذية الألمان الثقيلة التي أدمت الوجوه وهشمت الرؤوس.

ما كاد السلاويون يتحركون وقد عرف الفرنسيون مقدما نتيجة ذلك التحرك حتى انهال عليهم رصاص الغدر، الذي أمر به غابريال بيو والجنرال لوكلير، وبهما إقتدى دوسانطي في محاولته هو الآخر خنق المدينة بعد ما أشاع الرعب فيها بواسطة السلب

(156) لقد كانت مدينة سلا سباقة وفي تنافس شريف مع الرباط زمن دعوة شيخ الإسلام إلى النهضة بنشر مدارس التعليم الحر، وقد شارك كل سكان مدينة سلا في بناء مدرسة النهضة التي أسندت إدارتها إلى شخص طرقي مرتزق متكسب باسم الدين والوطنية وهو أبو بكر القادري الذي سمح لنفسه كما قبل منه سماسرة عهد الاستقلال بيع مدرسة النهضة التي لا توجد أسرة من أهل سلا إلا وقد ساهمت في بنائها حتى الأرامل يقول سكان المدينة ويرددون بكل مرارة الأمر الذي حول البائع بينهم إلى مرتزق غادر تلوكه الألسنة في كل بيت وعلى الصعيد الوطني حيث إختار مآت الملايين مقابل شرف الأمانة ولذلك أصبح مثل اليزيدي وعمر بن عبد الجليل بنعتون برموز خيانة الأمانة إذ لكل واحد قصة في مجال خيانة الأمانة، اشرنا إليها قبل وتقرؤها الأجيال المقبلة على طول السنين، ومقابل ذلك ألا يحق للعميل أحمد رضا كوديرا أن يقتدي ويشتري لزوجته الفرنسية مريضة الثدي بالسرطان شقة في شارع هنري مارتان بباريز بالآلاف الملايين وهو العديم بن العديم بل وخديمه القديم عبد الفتاح فرج صاحب مصلح العجلات مجاهد المشلول الذي نشرت له الصحافة امتلاكه ملايين الدولارات 70 مليون دولار، راجع ج المواطن السياسي عدد 146 ص6 بتاريخ 8 يونيه 1994والدخيل أحمد عصمان لگريتلي الذي أصبح يملك من وجدة إلى أجادير ومن الرباط إلى كاب نيكرو مرورا بأصيلة التي خنق أهلها بالإضافة إلى وراثة أخيه وابن أخيه لمدينة وجدة صاحبة 16 غشت 1953 وامغرباه.. إلى أين المصير.. سجل أيها التاريخ معانات المغاربة ومآسيهم وبيد من بيد الدخلاء رواد الملاجئ قبل.

والنهب، وبعدما أطلقت أيدي الجنود للقتل إنتقاما. فكان من الضحايا الذين إستشهدوا في الرباط شهيدين هما المختار جازولیت والصديق احساين وغيرهما ممن لم تعرف هويتهم من غير أهل المدينة، بل عرفت مدينة سلا من الشهداء التالية أسماؤهم : بوعزة بن العربي الشاوي حرفته خضار، والجلالي بن المدني الفيلالي من قصر حنابو تيزيمي أرفود تافيلالت، ولخلافة بن محمد(157) من قصر اللحاين بالجرف أرفود تافيلالت، وبلال بن فاتح الصحراوي وزوجته رحمة الدكالية ثم الثائر الشهيد أحمد بن عبود الذي قتل رميا بالرصاص بعد ما حكم عليه بالإعدام بتاريخ 1944/3/8 لقتله أحد رجال الشرطة من أجل أن يضع حد لظلمه واعتدائه على أرواح المغاربة الأبرياء العزل، كما إستشهدت خناتة الرندة العمري.

وبالتالي فقد عرفت مدينة سلا أياما للأسف أن رجالاتها الصادقين الذين أسهموا في الدفع بالحركة الوطنية إلى الأمام منذعهد أبو بكر بن بوزيد عامل الدار البيضاء، والذي قدم نفسه فداء لوطنه حيث أخذ سجينا من المغرب إلى الجزائر عام 1907 وإلى عام1953 حيث كان الذين لهم دور في معركة الاستقلال من الذين لم يكتبوا مذكراتهم بل إن مدينة سلا إنصافا لتاريخها المجيد في النضال رغم عدم وطنية حاكمها المرتد 1953 محمد بن الطيب الصبيحي الذي أمر سكانها إذلالا لهم 1944م أن يصنعوا الكسكس للجنود الذين حاصروها، وسوف يكون غدره وولده عبد الله أشد عام 1953 كما سنرى، مبالغة كانت مدينة سلا ومنذ 1920 قبل غيرها سباقة إلى أنبل المواقف وللدلالة على ذلك وبعيدا عن الأرقام الخيالية أو الاعتباطية التي يضعها بعضهم للمناضلين في بعض المدن من غير أن تذكر أسماؤهم ولذلك وجب أن الحق بموقف تلك المدينة أسماء الرجال الذين سجنوا في سبيل الحق ودفاعا عن حرية المغرب واستقلاله وليس فقط في تلك المرحلة بل

---

(157) كتبه خطأ عبد الكريم غلاب في تاريخه للحركة الوطنية جـ 319/1 ط الرباط 1976 باسم الخلافة الزمراني وقد ورد في جريدة العلم بتاريخ 1970/1/29 ص 4 باسم الصحراوي وفي ط 2 ص 252 ذكره أيضا بنفس الاسم ؟؟! أما الأستاذ علال في الحركات ص 305 ط 1948 فقد ضلله من قال له إن عدد القتلى 11 وهي مبالغة في أكثر من موضع ضيعت على حركاته حقيقة التوثيق التاريخي بحيث كان قبل ذلك مقبولا كدعاية ضد الاستعمار الفرنسي، أما اليوم فإن كثيرا مما ورد في الحركات ومثله ما أورده عبد الكريم غلاب رواية عن الآخرين وهي المذكرات التي عشناها من 1944 تحتاج إلى تصحيح ما أورد مما افتراه عليه الغافلون.

منذ مطلع هذا القرن، فقد سبق لي أن ذكرت أسماء رجال الرعيل الأول من الوطنيين من أبي بكر بوزيد إلى أبي بكر زنيبر الذي بحق كان من رجال الكتلة ثم استمر نضاله إلى عهد المطالبة بالاستقلال الذي نعالجه في هذا الفصل، ومثله التالية أسماؤهم من الذين سجنوا وعذبوا احتسابا ومن غير إدعاء ولا محاولة للظهور والابتزاز بالافتراء على التاريخ والناس كما حصل من بعض ذوي المركب الذين شوهوا تاريخ النضال وأساؤا إلى أجمل مرحلة ختم المغاربة بهامعارك تحريرهم من الاستعمار، فمن الذين أبلوا البلاء الحسن التالية أسماؤهم من أهل سلا الكرام أولئك الذين لم يبدلوا ولم يغيروا.

الحاج أحمد معنينو
محمد البقالي
محمد بن المكي القادري
أبو بكر السماحي
محمد العزوزي
ج محمد الطالبي
الصديق بن العربي
المكي السدراتي
عثمان الأحرش
الفقيه محمد لحصيني
أبو بكر الصبيحي
الطاهر بن أبي بكر زنيبر "الأحدب"
عبد الرحيم بوعبيد
أحمد بن اليماني
يونس نكروف
سالم الصفار
ج بوبكر المالقي
الفقيه محمد الدكالي

ادريس بن عبو
أحمد الرباطي طرزان
العربي أملاح
عبد الرحمن أملاح
ج محمد بن شقرون
العربي لمزيبري
محمد بن علال بنيس
م إدريس العلوي
أحمد أطوبي
العربي المريني
عبد الله الطرابلسي
أحمد الفيلالي
الطاهر بوخريص
عباس الدكالي
عبد المجيد حركات
محمد بن الصغير السهلي
محمد بن العربي الهايج
عبد الهادي الصبيحي

أحمد السفياني	عبد الغني بن اسعيد
ج البشير باعياد	المعلم محمد بن اسعيد
عبد السلام النجار	محمد بن الشيخ بن عيسى الفاسي
ج محمد الشرقاوي	الصديق عواد
دحمان لحصيني	محمد المباركي العمري
عبد السلام بنعاشر أعمار	عبد العزيز الإدريسي
بنعاشر بنغموش(158).	محمد الناصري بن الطيب
أبو بكر بن اسعيد	العربي حصار
أبو بكر حجي	أبو بكر السبيطي
بناصر عواد	محمد زنيبر
عبد القادر الصبيحي	الصديق المريني
علي الأحرش	محمد المعزوزي السرجان
عمر عواد	حسن البردعي
الهاشمي أملاح	محمد لمزيبري
عبد الرحيم الفاسي	الباتول الصبيحي
محمد الزيزي	امحمد عواد
قاسم الزهيري	عبد الرحمن شرگو!
عبد الرحمن بن عبد العالي	الحسين العلمي
محمد بن عياد	أحمد زيلايكة
عبد العزيز النجار	العربي معنينو
عبد السلام السفياني	أحمد السهلي عازم

(158) هذه أسماء الوطنيين الذين سجنوا وعرفوا النكال من المستعمرين الفرنسيين رويتها عن أكثر من واحد أما عن روح الوطنية فسكان مدينة سلا إلا قلة كلهم وطنيون، ويكفي القول أن العاملين في أجهزة المخابرات الفرنسية زمن الحماية كانوا لا يجدون لهم سكنا في سلا باي ثمن كان، وعلى القارئ أن يلاحظ من خلال ما ذكرناه من الأسماء أن أكثر من واحد من الذين نكبوا في العائلة الواحدة، ولسوف يكون لبعضهم دور عظيم بعد زمن الفداء أمثال عبد الرحمن شرگو الذي سوف يرد ذكره في هذا الكتاب مرات...

الفصل التاسع والسبعون بعد المائتين

مدينة فاس يوم 31 يناير 1944

وأمامدينة فاس هي الأخرى، فما كاد يصلها خبر إعتقال بلافريج ورفاقه ويلقي القبض على رجالاتها يوم السبت 44/1/29 حتى تحركت إنطلاقا من جامعة القرويين التي تضم حوالي80٪ من الطلبة الغرباء عن المدينة تفرقوا على المدارس الخاصة بسكناهم وهي العطارين والمصباحية والصفارين والمحمدية ثم البوعنانية، وإذا ما ألقي القبض على كل الذين وقعوا على عريضة الاستقلال من سكان فاس ثم سيقوا إلى "برج النور شمال مدينة فاس وفيهم المتهمون بالتعاون مع المحور حسب اعترافات عبد الرحمن بن سعد وتقرير الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور حيث كان المعتقلون هم:

محمد الزغاري
محمد الفاسي
محمد الغزاوي
أحمد لحمياني ختات
أحمد أبا حنيني
عبد الكبير الفاسي بن المهدي
ج عبد القادر لعلج
م علي العراقي الحسيني

أحمد مكوار مرر أمام المحكمة العسكرية ثم أطلق سراحه لأنه ثالث الثلاثة الذين اتهموا كذبا بالتعاطف مع المحور

محمد السودي بفتح الميم
الهاشمي الفيلالي
عبد العزيز بن إدريس

محمد بن عبد الرحمن العراقي الحسيني"سيبويه زمانه" وهذا بقي في بدروم محكمة الباشا محمد التازي هو وأحمد الشبيهي الحسني، حيث نقلا إلى قرية النيف ثم الطاوس آخرنقطة للعمارة جنوبا وج أحمد بن شقرون الذي أطلق سراحه وقتها.

وأما رشيد الدرقاوي وابراهيم الكتاني والهاشمي الفيلالي، وعبد العزيز بن ادريس هؤلاء هم الذين اتهموا بالتعاطف مع المحور بناء على اعترافات عبد الرحمن بن سعد وتقرير عبد الوهاب بن منصور، كما أنهم استهدفوا للتعذيب والاستنطاق بطريقة وحشية فاحت رائحتها حتى أزكمت الطلبة الذين أخذت الأفكار تختمر في أجوائهم ولمدة يومين كاملين هما يومي السبت والأحد، ناهيك وأن مدير جامعة القرويين وقتها محمد الفاسي الذي كان قد عينه العاهل قبل سنتين عام 1942 للنهوض بها والعمل على تطويرها، كان قد بذل مجهودا في سبيل ذلك مما كون له سمعة طيبة ساهم في التمكين لها من نفوس الطلبة ما كان ينشر ويذاع عن عطف العاهل عليه، حتى إنه انتدب ليعلم في المعهد المولوي إلى جانب إدارته لجامعة القرويين وزاد النار اشتعالا عندما تألفت لجنة من كبار هيأة العلماء كان الطلبة يلجؤن لمشورة أفرادها والذين كان في مقدمتهم العلامة الجليل محمد بن عبد الرحمن العراقي، وصنوه في النضال أحمد الشبيهي الحسني وج العربي لحريشي ثم الحاج أحمد بن شقرون، وكلهم كان يذكي روح النضال والحماس بين جموع الطلبة وأكثر من ذلك مما سجله ج العربي الحريشي والد أخينا عبد الرحمن لحريشي الذي كان وقتها من المنشطين للفكر الوطني.

أما عن الموقف المشرف للعراقي والشبيهي(159) وهو ما يجب أن يؤرخ به لأهم

(159) راجع الحركات الاستقلالية 304ط القاهرة 1948م وقد سبق أن أشرنا إلى أن الشبيهي والعراقي أبعدا نفيا إلى قرية النيف ثم الطاوس بالجنوب المغربي حيث فخدة آيت إيعزا وآيت خباش من قبيلة آيت عطا العربية أصلا على بعد 120 كم غرب أرفود تجاه الصحراء الكبرى، وإذا نحن علمنا ما يكنه آل الفاسي حسدا لأسرة العراقيين التي أنجبت ما أنجبت من العلماء الاكفاء نعرف ما كان لمحمد بن عبد الرحمن العراقي وهو الشيخ الكبير من أثر في الموقف الذي أرغم القوم على الاعتراف به في الوقت الذي كتب علال الفاسي عن محمد بن الرشيد العراقي مازين له الهوى في النقد الذاتي ص 154 ط القاهرة 1952حيث رمزإليه ب م.ر.ع وذلك انتقاما لعمه العميل المكشوف عبد الله الفاسي الذي أشرنا إلى قصته زمن المولى عبدالحفيظ وما عرف له من خيانة في كتابنا التاريخ المفتري عليه في المغرب ط 1969 ص 79-80 وتعليق 99 منه ثم راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية ومديرية الوثائق الملكية، حيث يوجد ملف خاص بجماعة الخونة الكبار عبد الكريم بن سليمان، ومحمد الجباص وهو كاباص =

يوم من أيام فاس في التاريخ السياسي المعاصر، لأن العطاء فيه كان عظيما، وما بعده أعظم حتى إن كبير طبقة رجال المال وقتها وهو محمد بن محمد الغزاوي الذي دخل المعمعة بكامل ثقله يقول أنه لما نقل مع رفاقه من برج النور "الشمال" وهو الحبس الأليم إلى سجن العاذر ناحية الجديد كان من صلف الفرنسيين، وإهاناتهم ما جعلهم يزدادون إقداما وعنفا ضد الاستعمار الفرنسي بل محمد الغزاوي هو الذي بعد سيقوم بدور عظيم في تاريخ المغرب السياسي كما سنرى يوم 12من شهر ديسمبر 1950م حيث يشتد الصراع بينه وبين خائن وطنه الجنرال اجوان، وما دفعه لذلك بشهامة إمتثالا للرغبة إلا سلوك العاهل الذي اختاره دون غيره لتلك المواقف التي يقول الرجل شجعه عليها مامر به من تجربة السجن ثم النفي بمدينة الجديدة التي جر إليها أسرته فتمرنت معه على ما سيعرف من خوض للمعارك ضد الاستعمار في عهد الجنرال الطاغية الجبان الفونسو جوان كما سنرى بعد في الفصل الذي عقدناه للرجل بعد بعنوان "الرجل الذي أشعل الفتيل".

عندما بدأت فاس تتحرك بعدما بلغها خبر ما حل بالأمين العام للحزب الجديد الحاج أحمد بلافريج ورفاقه وما قام به أهل سلا والرباط، ثم إلقاء القبض على كل الذين وقعوا على وثيقة المطالبة بالاستقلال بفاس منهم من اتهموا إلى جانب الأمين العام بالتعاطف مع الألمان، وفي فاس وجهت تلك التهمة ظلما وعدوانا إلى عبد العزيز بن إدريس العمراوي والهاشمي الفيلالي ورشيد الدرقاوي والحاج أحمد مكوار، وتلك كانت أسباب ودوافع التحرك العنيف بفاس كان ذلك يوم الإثنين 31 يناير، وقد عاشت بعض الأوساط الواعية قبل تحركات الذين كونوا ملاحق لوثيقة المطالبة بالاستقلال وقع عليها المآت من الذين فاتهم ذلك قبل وبدافع السرية الملحة أن يكونوا مع السباقين الأولين، والذي أغرى الكثيرين، هو ذلك الوجوم الذي قابلت به إدارة الحماية الموقف الذي حول الحمى الملكي بالرباط إلى حج قصده الوطنيون بعرائضهم من وجدة إلى مراكش من غير

= الاسباني الأصل التلمساني الموطن، ومحمد المقري، والذنب الاجرب عبد الله الفاسي الذي كشفه الألمان عاريا بالحجج التي قدموها لمحمد بن عزوز المراكشي الذي وجهه المولي عبد الحفيظ في سفارة خاصة إلى ألمانيا آخر1909.

أن يعترضهم عائق أو يقف في طريقهم مانع، حتى حسبها بعضهم والأيام زمن حرب إنهزام الفرنسيين ونهايتهم التي دانت في المغرب.

كان الذي يحرك مدينة فاس ويدكي شعور أهلها هم العلماء، ومركز الاشعاع لهؤلاء هو جامع القرويين، منه كانت تنطلق مبايعة السلطان، وإليه وإلى علمائه كان يلجأ من يريد للثورة أن تنجح ضد الظلم والاستبداد من أي كان، حتى ولو كان هو السلطان، وجامعة القرويين قد عمل على إحيائها جلالة العاهل محمد الخامس حسب توجيهاته لشيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي كان قد دشن تحركاته بذلك النشاط يوم أسندت إليه وزارة العدل عام 1938م وبذلك عين العاهل لإدارتها محمد الفاسي وهو رجل وطني من الرعيل الأول ثم هو خبر ثقافة الغرب وله من روح الأصالة والتعلق بالهوية المغربية أكبر نصيب، وإذا هو تعرض لبعض المناوشات الرجعية، فإن ما استمده من نفس شيخ الإسلام ورغبة العاهل مكن له من التفوق الذي منه استمد دعاة الحزب الوطني القوة والعمل أكثر من غيرهم الذين هم من القوميين في جامع القرويين، بحكم إدارته التي حين أتهمت بذلك الميل لم يعد عليها من حرج في الجهر به، وكان الإقبال أكثر من الطلبة حين إنجلى الموقف وعرفوا الأبيض من الأسود من خلال الموقف الذي أصبح الشغل الشاغل للمغاربة ملكا وشعبا ومن أجل ذلك أخذ كل الذين وقعوا على عريضة الاستقلال في فاس إلى برج النور في أطراف المدينة شمالا كما سبق محبوسين قبل ذلك اليوم الذي هو يوم الإثنين 31 يناير بيومين، وضمنهم طبعا المدير الوطني محمد الفاسي مدير الجامعة الذي افتقده الطلبة وغيره في ذلك الصباح.

كان هذا هو الخبر الذي صك آذان الطلبة والعلماء في أول ساعة يبد أفيها دخول الطلبة والعلماء إلى جامع القرويين صباحا، ولعل الذي أخبر هؤلاء كان قبل وفي اليومين السابقين قد أخبر جماعات الحرفيين من دباغين وخرازين ونجارين ودرازين وصفارين وغيرهم فالتقى هؤلاء وأولئك، حين توافد الطلبة على جامعتهم من مختلف جهات المدينة، ومن مختلف المدارس التي يسكنها الطلبة والتي قيل إن الخبر سبق إليها وقد باتت تغلى حتى إن بعضهم بكر ليجد بعض الحرفيين قد تسلل تحت ظلام الليل حتى يتستر بما يحمل من مزبرة أو مدية أو هراوة، كان الطلبة بخلاف الأساتذة في ذلك اليوم، أكثر عددا

من الأمس، وكان من بين الأساتذة المبكرين وقتها والذي روينا عنه الخبر اليقين رجل طيب من ال الفاسي كنا نسميه حمار النحو في الوقت الذي كان محمد بن عبد الرحمن العراقي يلقب بـ "سيبويه" لأن الفاسي عبد الوهاب وان كان يتوفر على موهبة في الخط المغربي المجوهر أهلته لنسخ عريضة المطالبة بالاستقلال. فإنه كان غير متمكن من مادة النحو التي كان يلقنها في 3 ابتدائي بواسطة "قطر الندى" وبل "الصدى" لابن هشام ثم تحول إلي مادة الصرف فلم يجد بل كان حفظ بعض الطلبة للمتن والشرح وما كان يتلقاه بعضهم تطوعا عن سيبويه القرويين محمد بن عبد الرحمن العراقي يحرج الرجل ويدفع أحيانا إلى الإضراب عن درسه فيتدخل طيب الذكر المرحوم الحاج العربي لحريشي من أجل التهدئة، لأنه كان يدرك أن في ذلك إحراجا لابن عمه المدير الذي وظفه وهذا هو الذي غير الموقف بالنسبة لغير القوميين طبعا، فموقف الرجل المشرف عبد الوهاب الذي تعرف على وطنيته الطلبة منذ ذلك اليوم الذي كان له ما بعده حدد طريقة التعامل معه إذ عبد الوهاب الفاسي "الأزعر" هذا هو الذي اختاره خطه المجوهر الجميل لكتابة النسخة العربية من وثيقة المطالبة بالاستقلال التي كتبت بالفرنسية أصلا في منزل محمد الزغاري بالمطاحن الإدريسية بفاس ثم ضربت على الآلة بمنزل محمد الغزاوي بمونفلوري والذي كان هو نفسه أي عبد الوهاب الفاسي ضمن الموقعين عليها من الرعيل الأول، وهو بلا شك تابع الأحداث، ولذلك وقف يومه في فناء القرويين، وأمام التومية في حديث منسجم مع عبد الرحمن اربيحة الزريگي الجاحظ الأسمر المطربش ذي الجلباب الأبيض والصوت البحاح(160)، وبرهة إلتحق بهما محمد بن شقرون السطاتي ووطنية هذا كانت مهلهلة ومبنية على النفعية وحب الظهور، وذلك ما سعى إليه طول حياته إلى أن دس في التراب

(160) أقصد من هذه النعوث التعريف بالشخص لأن ماقرأت وسمعت ورأيت من إدعاءات وصلت إلى حد الكتابة والنشر تجعلني أتشكك أن بعضهم بعد سيتقمص شخصية من يجمعه وإياه الإسم فيفتري ويدعي ثم يكتب عنه آخرون من حيث يدركون أولا يدركون أنهم إنما يكتبون ما يزينه الهوى، وحب الظهور لقوم يصارعون مركب النقص فينهزمون، وذلك ما حصل للأخ الطاهر غلاب الذي صدقه شقيقه الأخ النزيه عبد الكريم غلاب الذي كان وقتها بمصر والذي كتب نقلا عن شقيقه ما هو مرفوض حول الموضوع في تاريخه للحركة الوطنية 1/217 إلى 312 ولعل الذي هو اجدر أن يصلح الخطأ هو عبد الرحمن لحريشي الذي كان وقتها من المجندين الصادقين، وهو فيما أعلم حي يرزق مثله محمد بن عبد الرحمن السعداني أحد الموقعين على وثيقة الاستقلال.

مخلفا وراءه ما إبتز من الخائفين والخونة المرتدين حين بزوغ فجر الاستقلال(161) إنضم إلى الثلاثة كثير من الذين تجمعوا هنا وهناك، وإذا كان قولهم غير مقبول من القوميين الذين كانوا أمام باب الصومعة ملتفين حول الوطني الغيور أحمد لحلو رحمه الله، فإن هذا الأخير لم يكتم كبير امتعاضه الذي أظهره بنظرة غاضبة نحو المتجمعين أمام باب التومية، لكن طالبا كبير السن مستلحى وأظنه من تاوريرت كما علمت من آخر متأكد، أسرع نحو جماعة أحمد لحلو الذين دخل معهم في حديث ودي ثم عاد إلى الثلاثة الذين سبقوا، وبعدها إختلط الجميع، وربما كان القوميون شبه مجبرين بدليل أن القوم كانوا يتشاجرون فيما بينهم إلى حين بدأت المظاهرة، وقتها لم أعرف ما حصل بين الفريقين، والذي أعرفه هو أن الجميع وقتها شاركوا في المظاهرة المحدودة بين السبيطريين والصفارين والرصيف والزاوية التجانية ورحبة القيس والتي أدركتها قوات البطش فالتجأ الكل إلى داخل جامع القرويين الذي نصبت حوله المتارس ووجهت إلى أبوابه أفواه البنادق خصوصا باب الشماعين الذي اكتظ السنغاليون أمامه بعد ماتخذوا مركزهم بفندق الثمر وأمامه ما بين واقف ومنبطح، ومنهم ستلقى قنبلة يدوية فتصيبني شظية منها في ساقي الأيسر حيث لا يزال أثرها كما كان الدم الذي سال من ساقي السبب في نكبتي من طرف قائد خائن كان يعمل بالقصر الملكي بفاس هو محمد بناصر العبدي حفيد المعروف بعمالته مع الاسبان أيام فتنة أبناء المولى محمد بن عبد الله حيث كان إلى جانب هشام.

ومهما يكن فإن ساعة واحدة من الثامنة أو قبلها إلى التاسعة وما بعدها كانت كافية للتبليغ والشحن وتشحيذ الهمم، ولست أدري ولم أحاول بعد أن أتعرف على من هو ذاك الحرفي الذي أقبل من باب الشماعين وهو يهتف بصوت عالي جهوري: يحي المغرب تسقط فرنسا، ولم يكن الرجل من الطلبة بل عليه سمة الحرفيين، طويل وأسمر ثم لحق

(161) كشفه وآخرين معه ما ظهر عليهم من ثروة طارئة مصدرها بيع التعريف الوطني بمركز الحزب بالرباط1956 لمن لم يكن وطنيا أو ربما كان من جلادي الوطنيين، وهذا ما دفع بعضهم وقتها إلى النقمة علي الحزب والانفصال قبل إعلان الاتحاد الوطني 1959/1/25 بل تلك الاخطاء هي التي جعلت الاذناب يستأسدون أمثال أحمد رضا كرديرا الذي كان مرشحا للتطهير كخائن ثم أصبح يزعم أنه رشح لأمانة حزب الاستقلال.

به للتو شخص آخر يحمل العلم المغربي ويهتف نفس الهتاف. وما هي إلا لحظات كان الرجلان أثناءها قد إنتهيا من جولة خاطفة داخل الجامع مر أثناءها على باب الكتبيين ثم المحراب ومنه قصد الجميع فناء الجامع حيث بدأت المظاهرة بالخروج من الأبواب التالية الشماعين والسماط والحفاة، وكنت والأخوين مولود وعلى الطويل اليزناسنيين منسجمين في حديث معنى الاستقلال، ثم تراجم الذين نعرفهم من المقبوض عليهم وفي المقدمة المدير محمد الفاسي الذي نال منا العطف الكبير وقتها، ومحمد لغزاوي الذي أعرفه قبل.

وبعد ما خرج الجميع ثم أخذ بعضهم من الحرفيين ينظم الصفوف إثنين انطلقت المظاهرة من سقيفة مدرسة العطارين تجاه بوطويل ومدرسة الصهريج، لكن أول المتظاهرين ما كادوا يحلون بالبراح المقابل لمدرسة الصفارين حتى أوقفهم الذي أخبرهم وقد لحقاناهم وهو يصيح فيهم " الگوم الگوم" وكان يعني جنود القوات المساعدة المكونة في الأغلب وقتها من الذين كانوا غير واعين من البدو والبربر الذين كان الفرنسيون يدفعونهم للانتقام من "خصوم السلطان" وتلك هي النغمة والوسيلة التي كانوا يثيرون بها الضغائن ويردعون بها وعي فاس القرويين ذلك الجامع الذي بقي ينتج في مختلف العصور والدول للإسلام في المغرب العربي الكبير وفي القارة الإفريقية من الإنتاج ما يعتز به المغرب والمغاربة، جامع القرويين الذي طالما نعته ليوطي بالبيت المرعب المظلم ، كان "عقلاء" الفرنسيين من الحكام كلما تذمروا منه ومن المتأثرين برجاله يجلبون لردعهم جنود القوات المساعدة الذين كانوا يعرفون بـ"الگوم" بالكاف المعطشة كما يجرون معهم أحيانا رجال القبائل المجاورة لمدينة فاس، بقيادة أكبر مجرم وقتها وهو القائد رحو العياشي الإسلامي الأصل وهو الذي يحفظ له تاريخ تلك المرحلة ما قام به وقومه من فظائع ضد الآمنين من أهل فاس وأرباب التجارة فيها حيث كان الفرنسيون ينتشون كلما أصاب المدينة مكروه ولذلك أكثروا من إحراق "قيصريتها" الذي هو مركز تجارتها مرات وصادروا ما في دكاكينها من ثياب كان "الگوم" يبيعونها في"جنان السبيل وباب الجنود" بأبخس الأثمان، وبذلك كان الفرنسيون يدفعون الأغبياء منهم إلى إرتكاب جرائم السلب والنهب، وفي تلك المرحلة تزعم هذه الطائفة القائد رحو العياشي الإسلامي الأصل الذي كان حاكما لأحواز فاس، والذي له في تاريخ الخيانة والاعتداء جولات

إستمرت إلى أن جرته إلى سوء المنقلب(162).

كان خلف الرجل الذي ظهر في ساحة الصفارين والذي أخبر بقرب مقدم "الگوم" إمرأة بدوية عجوز هي الأخرى قدمت من الجهة نفسها وهي تزغرد تارة وتصلى على النبي أخرى، ثم أخبرت كذلك بمقدم "الگوم" ومثلها فعل آخر جاء من خلف المتوجهين نحو الصفارين قدم من ناحية المشاطين رافعا صوته بنفس ما أخبر به الرجل والمرأة، أما المرأة البدوية العجوز فقد إنتزعت العلم المغربي من يد حامله الذي كان أول الصفوف وأرادت أن تقود المتظاهرين في الاتجاه الواردة منه قافلة الگوم" التي ستصل بعد قليل يقودها ضابط فرنسي في المقدمة وفي هذه الأثناء أيضا رأيت ومن كان معي كيف فر محمد بن شقرون السلطاتي هاربا إلى المدرسة المحمدية التي كان يسكن بها وهي على بعد خطوات ومن وقتها إختفى ولم يظهر له أثر رغم أن المرأة والمتظاهرين وراءها أعيد وا بإشارة مجموعة من الرجال الحرفيين فيهم شيوخ وكهول، وعليهم سمة الخير والصلاح فحولوا إتجاههم نحو عقبة السبيطريين والكتبيين ثم دخلوا متزاحمين إلى جامع القرويين ثانية من باب الجنائز وقتها أيضا بقيت والزميلان مولود وعلي الطويل اليزناسنيين في مؤخرة القافلة لاكتشاف المجهول وهو الوقوف علي حقيقة الخبر المرعب بقدوم "الگوم" ولم نكن وحدنا بل جماعة كثيرة العدد طلبة وغير طلبة تأخروا، منهم المطرب الملحن للأناشيد الوطنية وقتها، عبد الوهاب أكومي المطربش لابساً بزة زرقاء، وما كادت طلائع النحس على الفرنسيين بالمغرب تظهروفي المقدمة ضابط فرنسي مجلبب وقد تحزم للأمر حسا ومعنى حتى تسابق الجميع خصوصا عندما أسرع الضابط و من حوله للمطاردة ثم أطلق رصاصة إلى أعلى دون هدف في تجاه الفارين الذين وجدوا باب الجنائز من جامع القرويين قد أغلق، ومثله باب الكتبيين فتسابق الجميع إلى باب الشماعين حيث كان السينغاليون قد تجمعوا بالقرب منها ثم نصب أحدهم مدفعه الرشاش أمام الفندق وقد إنبطح أرضا موليا وجهته نحو باب الجامع الذي ما كاد بعض الفارين من الگوم

(162) أصل هذه القبيلة قريبة عهد بالإسلام فهي ترجع إلى أصل يهودي، وموقعها جنوب شرق وادي انكسمير أعلى وادي ملوية، وقد نقلت فرقة منها إلى جوار فاس حيث تعرف حتى اليوم، ولعل بعضهم يحسب أبا سالم العياسي صاحب الرحلة "ماء الموائد" منها، بل هو من شرفاء وادي گير سكان فجيج فرع الزيانيين منه. كما سيجد القارئ في هذا الكتاب مفصلا.

يجتازون أمام عتبة الباب حتى طوح أحد الجنود السينغاليين نحوهم بقنبلة يدوية "كروناد" لازلت أحمل في ساقي اليسرى أثر شظية منها، أما عبد الوهاب أكومي الرجل الطيب والذي لم تفارق صورته الذاكرة مني وهو ببزته الزرقاء وطربوشه الطويل فقدتبللت سراويه وهو يجري ويردد "القرطاس القرطاس أخوتنا هذا" و في حالة رعب وخوف وذعر أسرع متخطيا الجميع قاصدا المحراب حيث قبع فيه وهو يرتجف كما وجده السي مولود اليزناسي الذي ظهرلي أنه هب ليواسيه بعدما حزم معي جرح ساقي بمنديل كان معي وجزء من عمامة السيد ميمون، لكن أخبرني بعد مع "السي على الطويل" أنه ذهب إلى المحراب ليواري خلف حصير جداره مسدسا غير صالح للاستعمال كان عنده من قديم كان يبحث عمن يصلحه له ووقتها جاء من أخبر أن الفقيه الورياغلي قتل بباب الشماعين عندما عاد المتظاهرون إلى الجامع ثم تجمعوا أمام المحراب وتحت الأقواس المحيطة بالثريا النحاسية الكبرى، قام بعضهم ثم جر منبر الوعظ ذي الثلاث درجات إلى وسط الدائرة التي كونها جلوس الحرفيين في المقدمة بمزابرهم ومساحفهم(163) ومداهم وسواطرهم وخناجرهم وهراواتهم التي وضعت على الحصير أمامهم. ومن خلفهم جموع الطلبة الذين لم ينسحبوا، وكان أكثرهم من الواردين من جهات مختلفة، ويسكنون المدارس المخصصة لهم، وفجأة كان أول الخطباء عبد الرحمن اربيحة الزريكي الأوفوسي يحترف العدالة حاليا بفاس والذي إذا قيس ما قاله وقتها بواقع الزمان والناس فإنه والله ليستحق الشكر والتقدير من الوطن والمواطنين، وأقول هذا وأدونه على صفحات التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير حتي يكون ذلك الشكر والتقدير له باسم كل مغربي حر لأنني قط لم أتصل به ولم أتعرف عليه مباشرة، ولم أعرف من ذكر له ذلك أو إعترف له به إلا الأخ عبد الكريم غلاب فيما كتب حول تاريخ الحركة الوطنية رغم ما أوقعه فيه اربيحة نفسه من خلط في ط 1/1976 ص 284ـ95(164) كان ثاني الخطباء قبل أن يحصل ما

(163) المسحفة أداة يقشر بها اللحم ج مساحف. ويطلق بلهجة المغرب "المقدة" بتشديد الدال المهملة من قد اللحم قطعه طولا وملحه وجففه في الهواء والشمس وهو القديد. والمقدة إسم عربي سليم مستعمل عادة في أوساط القصابين بالمغرب وفي البيوت.

(164) حيث أستعان بالكتب التالية من غير أن يذكر ولا واحد منها: هذه مراكش/الحركات الاستقلالية ثم كتاب المهدي بن بركة الترجمة العربية، مراكش قبل الحماية وعهد الحماية وإفلاس الحماية ط القاهرة 1951 بتصحيح عبد الكريم الفيلاليوط 2/1987 ص 245ـ66 حيث لقح ما كتب بمذكرات شقيقه الذي خانته وإياه الذاكرة،=

حصل من ذبح الجاسوس الجزائري المتفرنس "إسماعيل" هو عبد الوهاب الفاسي، الذي إعتلى المنبر المشار إليه بعد عبد الرحمن اربيحة، وما كاد الفاسي ينسجم في خطابه الوطني الصادق بلا حماس والغير المؤثر مثل سلفه الذي كان متحمسا رغم صوته "البحاح" وعدم فصاحته، لكنه لم يكن متصنعا، وما كاد الفاسي - يفصح عن القصد حتي التفت رجل كان يرتدي جلبابا رماديا غامق اللون وعلى رأسه عمامة بيضاء لف بعضها على عنقه بطريقة تختلف عن أشكال كل الحاضرين بل تمثل طابع شرق المغرب جرسيف وتارووريت وبركان ووجدة وفجيج لكن في شكله غرابة إلتفت ليسأل "السي مولود" اليزناسني الذي كان بجانبه وعن شمالي ويفصلني عنه الفقيه "بن قادة وميمون "وميمون هذا أذكر أنه اليوم بمدينة مغنية ومتز وج من شقيقة أحمد بن بلة الزعيم الجزائري كما عرفت بعد إلتفت الرجل ليسأل من الخطيب، وما كدت أسمع سؤاله حتى تبادر لذهني أنه رجل من عامة المغاربة الذين تدفعهم الغيرة وحب الخير، وبذلك انضم إلى صفوف الطلبة مؤيدا، بيد أن الرجل ما كاد يسمع الجواب منا االثلاثة مولود، وبن قادة وعبد الكريم الفيلالي حتى أنسجم في حديث مع الأول في حين كان الثاني كلما حاول الانضمام إليهما لا يكترث له بقول، وطال الحديث بين الإثنين إلى أن إنتهى عبد الوهاب الفاسي من خطابه، وقتها مباشرة وقف الرجل وقد تناول حذاءه الأسود ثم وضعه تحت إبطه الأيسر واتجه ناحية باب الشماعين الذي هو موضع الخطر، كان على بعد وفي بعض الأقواس جلوسا كل من السودي الطالب مدرس السيرة النبوية بنور اليقين، ثم الفقيه النحوي محمد بن اسعيد، وماكاد الرجل يقترب من السارية المفصولة عن الستار الخشبي لباب

= ثم أخذ يتحدث عن المنظمين والمسيرين لحزب لم يكن قد مضى على إنشائه أكثر من أسبوعين ونحن أول من آمن به إقتداء بالمعلم الأول(15)، وبعطف العاهل الذي كان عطفه أكبر قوة للدفع بالذين أقبلوا على الحزب ولكن شيئا من ذلك لم يكن قبل نهاية 1946 كما سنرى.

(165) كان هو العالم الجليل الطيب بن احمد العلوي قبل أن يتذمر من العنصرية المقيتة كما سنرى بعد، ناهيك وأنه أقوى من نشر الوطنية بالأطلس المتوسط. ومن أجل ذلك ساقه الفرنسيون مجرورا مشيا على القدمين خلف جندي ممتطيا حصانا من مريرت إلى مكناس، بل لم يعرف الخلاص من ظلمهم إلا في الفترة التي قضاها في تعليمنا بالقصر الملكي بفاس ما عام 1938ـ1942م وفي عام 1953 عرف من نكال السجن الانفرادي والمظلم بسجن عين قادوس بفاس ما تسبب له في ألوان عدة أمراض لازمته إلى أن فارق الحياة.

الشماعين ببضعة أمتار حتى التحق به جماعة وهم يصيحون «أسورتي أسورتي، أي جاسوس، وإذا الرجل أسرع الخطى سقطت عمامته الملتف طرفها حول عنقه فأمسك بها واحد من الذين كانوا يجرون خلفه، وإذا به إنقلب ثم سقط على كتفيه فتداركه الآخرون وكلهم تعاونواعلى قيده بنفس العمامة التي أوثقوا بها يديه من خلف ثم أعادوه إلى المكان الذي إنطلق منه من غير أن يتلفظ ولو بكلمة مما افتراه الذين شوهوا ما كتبه الآخ غلاب 255/1 ط 1987/2 بل هو على تلك الحالة أخذ بعضهم يفتش جيوبه وما كاد يتحسس إبطه وهو بارك على ركبتيه حتى صاح "فردي فردي" أي مسدس مسدس وقد أورد الأخ غلاب أنه كانت عنده لائحة بأسماء من سماهم مع أن المدني ولا صحة له، بل كل الذين سماهم ابتداء من السطر 3 ص 255 كلهم كانوا قد القى عليهم القبض ثم أخذوا إلى برج النور قبل يومين أي يوم السبت، ونحن في يوم الاثنين، وهكذا فما كان من أمر الذي كان ممسكا به عن اليمين وهو من الأدارسة إلا أن مد يده اليمنى حاملة مدية حادة ومستطيلة مقبضها أصفر مرر بها على عنق الرجل من أمام فذبحه كما يذبح البعير وقوفا وإذا هو سقط متضرجا في دمه، وقد علا وامتد زفيره وشهيقه والدم يفور من حنجرته متقطعا لمدة تزيد أو تنقص عن 5 دقائق لم ينقطع فيها نفسه، فكان بعض الذين لم يدركوا أبعاد ما وقع وكنت منهم، يقلبون رأسه بين لحظة وأخرى هل إنقطع نفسه أم لازال، وأخيرا إنفض الجميع من حول الرجل والمكان القريب منه أما الذي ذبح فقد نجا ولم يتثبت منه أحد من الذي هاجوا وما جوا وقتها، وكم مرة التقيت به حرا طليقا حتى عام 1946 حين عاد الزعيم علال الفاسي من منفاه فكان من المحتفين بعودته في دار المنبهي بسويقة بن صافي، لكن سحنته ذبلت من هواجس النفس، ولكم ندمت على كلمة «أعرفه» عبرت بها لصديقه الجزار بالطالعة وهو محمد بن أعلى العلوي الذي كان الشريف محمد الإدريسي القيطوني كثيرا ما يجلس معه أمام دكانه يتسامران، أما الذي أتهم به ظلما وافتراء فقد كان هو صديقنا عبد العزيز الإسحاقي، وآخرين معه نالهم من نكال الفرنسيين وتعذيبهم بعد الحكم بطول المدة سجنا ما يبدلهم الله به أحسن مصير يوم لقائه، وذلك خير الجزاء، أما الإسحاقي وهو حي يرزق فإن عهدي به موظف بالسجن الكبير بالدار البيضاء، وقد زارني بوزارة الداخلية متظلما من وضعه المادي عام 1958م حيث كان هو نفسه يتبرأ من

التهمة التي ألصقت به ظلما وعدوانا، بل إن شكله وما كان عليه حسا ومعنى لم يؤهله للاقدام على ذلك.

كان ذبح الجاسوس إسماعيل وبالضبط يوم الاثنين 31 يناير 1944 والساعة قبل الحادية عشرة، ولم يكن فاتح فبراير كما قيل للأستاذ علال وكتب في الحركات ص 303 ط1948 واسم الرجل كما قرئ تعريفه الذي ألقى به بعد على جثته وقتها إسمه إسماعيل وهو جزائري وليس بالمغربي وكما قال أيضا صاحب الحركات، والذي ضلل الاستاذ علال زاد فضلل معه أكثر الأخ عبد الكريم غلاب فيما كتب ونشر حول تاريخ الحركة الوطنية ط1/1976 ص 322 إلخ وط2/1987 ص 245 إلى 66 بل زاد هذا فكتب قولا لو توفر قائله على خصلة الصدق لما قال ما قال مما صدقه الكاتب بسذاجة وهو أن الرجل "صرح بأنه جاء من الرباط خصيصا لقتل هؤلاء - سبق أن ذكر أسماءهم - فأشبعه المتظاهرون ضربا بسكاكينهم ومقداتهم وأخيرا وضع العربي العلوي(166) من سكان فاس الجديد حدا لحياته. وتجند المرضون"؟؟ إلخ .

كان على الكاتب وقد مضى على الحادث نحو الأربعين سنة وأكثر يوم أراد أن يكتب وينشر تاريخ الحركة الوطنية - أن يكلف نفسه وهو يعلم أن أسلوب الدراسات قد تطور ولم يعد يحتمل رواية الاحاد بل حتى رواية أكثر من واحد إذا لم يكن لهم شهادة حسن السيرة والسلوك، بل كان على الكاتب ولو فقط من أجل التوثيق التاريخي أن يقوم بجولة ميدانية بفاس الجديد ثم يسأل عن من هو العربي العلوي هذا الذي وضع حدا لحياة مجرم عرف المغرب من أقصاه إلى أقصاه أنه ذبح جزاء خيانته كجاسوس والتي أراد إرتكابها في أعظم جامع بالمغرب الأقصى، وفي فترة هي أهم فترة في تاريخ السياسة من أجل إنقاذ المغرب الأقصى، والذي لو كان العربي هذا من عربان فاس الجديد حقا لكان قد سمع به الكبار والصغار من النساء والرجال والولدان.

إن عدد العربان من العلويين المعروفين في الوقت الذي حصل فيه الحادث بفاس الجديد لم يكن يتجاوز الثلاثة، وأحد منهم ابن اسماعيل وليس في الحساب من تافيلالت

(166) تاريخ الحركة الوطنية جـ ص 325 ط 1/البيضاء 1976 جـ1/255 ط 2/1987م.

وادي يفلي وهو الذي مزق العلم الفرنسي بعد وأحرق صورة دي غول كما عرف وقتها عام 1945 بحومة "مولاي عبد الله" فاس الجديد وهو الذي كان القوم ولا يزالون حتى اليوم يتندرون بماله وللمولى أحمد الخردلي من نوادر في مجال الفتوة والفروسية غير الهادفة بل كلها في مجال الزندقة وبحكم التهور وفي ظروف غامضة توفي قتيلا غيلة عام 1974 ربما بايدي السكارى مثله أما العربيان الآخران. وهما اللذان لم يكن لهما سهم في مجال الوطنية إلا في عام 1946 وما بعده(167) وأنا بكل إعتزاز من أطرهما

(167) وبالضبط دخلوا الميدان بحيوية ونشاط ابتداء من تاريخ الاحتفال بعودة الزعماء من المنفى 1946 وما عرفته تلك الأيام من احتفالات دار لمنبهي بسويقة بن صافي حيث حط الزعيم علال، ومنزل اكبيشو بن شقرون بالمخفية حيث حط محمد بن الحسن الوزاني، وكان إقبالنا بعد على حزب الاستقلال أقوى وأشد عندما أعلن على فشل شيخ الإسلام في محاولة التوحيد بين الرجلين، والتأليف بين الفريقين، وقتهاكان لابد من الاختيار منا فكان إختيار الأخوين عبد الرحمن والعربي العلويين معنا لحزب الاستقلال، وبالمناسبة أذكر هنا بعض أسماء الذين انضموا لحزب الاستقلال وكنت العامل والمنشط الذي عمل على ضمهم بواسطة الدروس الليلية التي كنت أقوم بها في المدرستين الليليتين اللتين أنشأتهما عام 1945ـ1946 وهما مدرسة الأزهر "بسيدي الصواف" ثم مدرسة النصر بحومة المولى علي الشريف بفاس الجديد، وكثير منهم لايزالون على قيد الحياة وهذه أسماء بعضهم كما سجلتها في المذكرة وقتها وكلهم كان يدفع اشتراكه للحزب إلخ بل 80٪ منهم على قيد الحياة.

الإسم	عنوان السكنى
محمد بن أحمد الحداد	م عبد الله رقم6
أحمد بن عبد الرحمن الحرار	12 بوطويل
أجمد الفيلالي الطباخ	باب الساجمة
ادريس بن محمد البخاري	درب فلالة
محمد بن المعروف السكليس	قصبة النوار 101(تحول إلى فدائ، وهو حي)
محمد العلوي البناء	10 م عبد الله
عبد الهادي بن ج الخراز	20 م عبد الله
عبد الكريم الجزولي الجزار	130 بوالقنادل
أحمد بن ميلود	القصر الملكي
الهاشمي الشرادي الصباغ	39 سيدي الصواف
الطاهر الجديدي الجزار	53 لبطاطحة
الحبيب الفيلالي البناء	19 درب المشور
محمد الدكالي النجار	27 درب الزاوية
محمد الصفريوي النجار	42 درب البقال
أحمد بن المكي	64 درب الصواف
محمد بن قدور	64 درب لبلاغمة
مبروك بن أحمد	25 جامع الأهر
م علي بن الحسن العلوي	9 اظهور الحوانيت

ضمن قافلة حزب الاستقلال وهما : العربي المعروف بـ "ولد حسني بن العربي العلوي من سلالة المامون بين السلطان إسماعيل، وكان يسكن مع شقيقه محمد بن الحسن المعروف بـ "سميت سيدي" بسقاية العباسيين، وبها خلف الإثنين حتى اليوم، والثاني العربي العلوي بن محمد بن أحمد من قصر أولاد امسلم بتافيلالت وشقيقه م عبد الرحمن، وهما المعروفان بوطنتيهما الحزبية حتي اليوم بفاس الجديد، وهو الذي كان يمكن أن تسلط عليه الأضواء وينعت بأصابع المتربصين الناقمين الذين تجردوا لتصفية الحساب بعد الاستقلال انتقاما لساداتهم السابقين، ولكم كان بودي أن يعرف الأخ عبد الكريم غلاب

عبد الكريم بن الغالي الفيلالي	18 اظهور الحوانيت
عمر الفيلالي	62 درب لبلاغمة
محمد العباسي طالب	7 جامع الأزهر
م امبارك العلوي	26 درب البغدادي
عبد الكبير المراكشي	8 دار الحاجب
الطاهر بن العربي	5 أبو نافع
عبد الكريم بن محمد	9 درب الصواف
بناصر الناصري سائق	6 جامع الأزهر
سلام بن الهاشمي	44 حمام الزبالة
محمد بن عبد السلام العلمي	37 سقاية العباسيين
محمد بن عيسى	4 باب السمارين
التهامي بن أحمد	9م عبد الله
محمد بن عبد الله	84 بوطويل
أحمد بن علي	90 باب السمارين
م البشير لغريسي	23 س العباسيين
منصور...	40 لبطاطحة
محمد بن العربي المراكشي	12 البلاغمة
علي بن العيد الجامعي	42 بوطويل
عبد السلام بن عبد الله الفيلالي	25 فران اضوبو
عبد السلام بن محمد الشركي	7 فران اضوبو
محمد بن هاشم العلوي	132 قصبة النوار
محمد بن العربي العلوي	19 جامع الأزهر
عبد الرحمن بن علي الفيلالي	14 اظهر الحوانيت
حمزة بن حمزة الحوتي	5 لبطاطحة
م العربي بن محمد العلوي	13 درب القاضي
كريم أبو القسام	18 درب لالة اغريبة إلخ

وعدد من هؤلاء أصبحوا فدائيين ولهم بطاقة إعتراف؟ من مكتب المقاومة .

ما جره افتراء الذي كذب عليه فكتب ما كتب، كنت أود أن يعرف ما حصل بعد تصريحه باسم العربي العلوي المزعوم على العربي العلوي الوطني المعلوم، والذي هو حي يرزق ويعاني مما حل به على يد الزبانية التي ظهرت في عهد الاستقلال ثم تسلطت على كل من قيل إنه اتحادي أو له اتصال بالاتحاديين بل والتي لا مبالغة إذا قلت أن لها بقيادة أحمد الدليمي ومصطفى طارق وزبانيتما في كل حي ضحية، وفي كل مدينة من مدن المغرب ضحايا سيكون لهم مع التاريخ موعد لا محالة، تلك العصابة المجرمة التي عرف الشعب المغربي منهاالظلم والبغي سنوات وسنوات، وهي تتربص الدوائر من أجل الانتقام من الوطنيين عموما وكل الذين كان لهم دور يذكر بطريقة ما في سبيل تحرير الوطن وتوعية المواطنين، ولقد كنت من الذين اختطفتهم زبانية أحمد الدليمي ومصطفى طارق ولساعات كتهديد على ما عشت ورأيت من عمل لفائدة العدو الأجنبي ضد مؤتمر القمة العربي بتاريخ 1965/9/15مع العلم أنني كنت وقتها وبأمر عالي مكلفا بمهمة سامية هي الإعلام لمؤتمر القمة الذي انعقد في نفس التاريخ أعلاه ولولا لطف الله وتدخلات الجهات العليا لكان مصيري بيد أحمد الدليمي غير المصير، لكن ربك بالمرصاد لكل ظالم أثيم ولئن كان أحمد بن لحسن الدليمي قد لقي جزاءه من نفس العمل فإن ماتبقى من زبانيته تعيش العذاب والرعب والتحقير الأليم ما بقيت على قيد الحياة ولعذاب الآخرة أشد.

ومهما يكن فالحقيقة وجب أن تدون للتاريخ بعيدا عن الديماغوجية والإعلام الباهت بواسطة سيولة الأرقام واستعراض الأسماء الناقصة، الأمر الذي تضيع معه الحقائق وينتشر الضلال والبهتان ثم يصبح أهم ما يعتز به الشعب عرضة للسخرية والاستهزاء في مجالس ذوي الوجوه المتعددة من المتقلبين والمفلسين الذين هم في الحقيقة عبارة عن كلاب المزابل، هذا ما لا يرضاه الأخ غلاب الذي يؤرخ للحركة الوطنية وهو صادق في مقاصده مذكان، لكنه تعرض إلى ما جره عليه إفتراء من لا أمانة لهم من أولئك الذين افتروا على الأموات(168) ولما لم يقل لهم أحد قفوا "ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على

(168) لست أدري كيف أمكن لعبد الرحمن اربيحة أن يكتب في جريدة العلم بتاريخ 1975/1/30 ثم ينقل عنه غلاب في تاريخ الحركة الوطنية 1/254-56 ط 2 عام 1987 مع أن شيئا من ذلك لم يحصل في ط 1 وأن من سماه محمد العراقي أمكنه أن يتعرف على أسماء وهوية شهداء حوادث فاس القرويين وما حولها بتاريخ(30) - 31 1944م=

الكاذبين" الذين إستمرأوا وزادوا افتراء على الأحياء لأنهم في اعتبارهم كالأموات ماداموا لم يكتبوا ولم ينشروا ولم يتعرف عليهم أحد ممن يكتبون وينشرون.

وأعود فأؤكد أن حوادث فاس في الفترة ما بين 30 يناير و8 فبراير 1944 كان لحمتها وسداها بالدرجة الأولى هم الطلبة الواردون على جامع القرويين من مختلف جهات المغرب بمعدل 80٪ و10٪ من الصناع والمحترفين الواردين مثلهم، مما حول مدينة فاس لحياينة وبني زروال والشراقة وأولاد جامع وزواغة وغيرهم من اجبالة ووزان، وكذا التسول والبرانس وغياتة وبني زناسن وأهل الريف وهؤلاء وحتى اليوم هم الذين يعمرون مدينة فاس، وأما العشرة الباقية فقد كانت من الطبقة الفقيرة ومن اللمطيين أكثر، ما بين

= وأن يحصى عددهم حيث قال أنه "جمع ما يزيد على الثلاثين أخذوهم إلى مقبرة.. أحمد التجاني وإلى مسجد الرصيف حيث أبنهم أحمد بن شقرون ومحمد بن شقرون إلخ"؟؟ هذا من غير أن يعرفنا على أسمائهم وهوياتهم التي تعرف عليها "محمد العراقي: والتي حنما بل عرفا ووطنية ثم واجبا مقدسا وجب أن يذكروا قبل ذكر أسماء الهادفين وأحيانا المكشوفين من الأحياء الذين يكفي أن نتعرف على ماضيهم القريب والبعيد من خلال حاضرهم المعاش من جديد، إنه لولا عدم الفائدة من الخوض في موضوع أقحم فيه إسم نظيف له قصد سليم بدليل سرعة تصديقه لقول الصديق والشقيق لماتراجعت في توجيه بعض الصفعات إلى قفا أولئك الذين افتروا ثم ضللوا ونحن على قيد الحياة، ولعل مثل قولي هذا بلا شك يقوله كثيرون من رفاق الدرب الطويل وهم أحياء وأذكر منهم فقط إثنين على بعد ما بينهما اليوم من بين لكن أيا منهما فيما أعلم قديما لا يرضي المين وهما محمد العربي الأسفي "الوديع". وعبد الرحمن بن العربي لحريشي، على أننا وبحكم الظروف لم ننكر على الأستاذ علال الفاسي رحمة الله عليه ما كتب في الحركات الاستقلالية وربما هو الآخر روى عن وطني متحمس حين كتب في الحركات الاستقلالية ص 303 ط 1948 أن عدد الشهداء لتلك الفترة 30ـ1944/1/31 ستون والجرحى مائة والمسجونين الذي هم في تاريخ الحركة الوطنية تارة 1400 وأخرى بضعة آلاف هم عنده 800 ولربما كان ذلك وقتها والقصد هو التشهير بالعدو المستعمر، كان مقبولا منه ومنا معه حين أطلقناها مدوية من القاهرة فبراير عام 1951 أن مدينة فاس القرويين ضربت بالقنابل الشيء الذي قض مضاجع الفرنسيين أما اليوم فإن التاريخ الذي يكتب لأجيالنا الصاعدة والمقبلة وللعالمين كحقائق من أجل التعريف بماض شعب وما حل بنا على يد أوسخ إستعمار، وعملائه الفجار، وجب أن يكون بعيدا عما يتغامز عليه المندسون راجع ت ذ غ جـ 257/1 وهو في ص 263 لكن مع الفارق في الأولى 1400 سجين وفي الثانية بضعة آلاف إلخ وهو كله "مذكرات"الشقيق الذي سمح لنفسه بأن يقول إنه أعلن توقيف المظاهرات وباسم الحزب وقتها وفي الشماعين بالذات مع أنه لا وضعه ولامستواه سنا كان وقتها يسمحان له بذلك، بل حتى ماحصل في مطبعته بالبيضاء بعد حوادث 1953 مذكراته عند الداحوس الذي حملها إلينا ساخنة إلى القاهرة ومنه استقيتها بمحضر ابراهيم الفردوس وأرجو أن لا يفتري فيها بعد أحد هي الأخرى ما دام بطلها على قيد الحياة. بل يكفيه شرفا فقط أنه كان ضمن القافلة وقتها وأن شقيقه عبد الكريم الذي نشأ وشب وشاخ ولم يتحول، ولذلك استوجب مني الاهتمام والتعرف على أصله الشريف كما سجلت من خلال الوثائق وأنه السبعي الصغروشني الحسني كما حفظ لنا ذلك الرحالة الناصري الذي روى عنه العباس بن ابراهيم في الاعلام .

دباغين ودرازين، وخرازين، وجزارين، ونجارين، وحدادين، وكواشين، وفيهم أشراف أدارسة وغيرهم من أبناء العائلات الكريمة المعروفة ضمن بيوتات فاس كالعراقيين، والصقليين، والطاهريين.

ولعل الدليل على صحة ما سبق هو النسبة البدوية بين أسماء العشرة من الشهداء الذين لم يذكرلنا تاريخ الحركة الوطنية غيرهم وهم التالية أسماؤهم :الحسن العلوي، الفقيه الجايي، العربي الكفاط العربي كعبوط(169)، وعبد العزيز بوطالب، ومحمد بناني، وعبد العلي الصقلي ومحمد سكسو، ومحمد الدمناني رحم الله الجميع.

بل الدليل كذلك أن إدارة الجنرال سوفرات وربيبه الكولونيل سلني ومركوبيهما محمد التازي والعربي قصارة جندت كل وسائلها القهرية لإخلاء مدينة فاس من الطلبة "الآفاقيين إما إلى السجون والمنافي، وإما إلى مواطنهم بحراسة، مع التنبيه حتى يلاقوا من العقاب ما يعين لهم، بل وكعملية أولى جمعوا من مختلف مدارس سكناهم التي لم يترك بها غير من كانت لهم صلة مع إدارة الاستعلامات(170)، وما كادت فاس تخلو من

---

(169) كما في تاريخ الحركة الوطنية جـ1/152 ط 2 وكيلوط في جـ 1/325 ط1 .

(170) مثل علي بن الشريف العلوي صاحب برنامج بين الشرق والغرب ضد المغرب و المغاربة بالاذاعة أيام نفي العاهل الذي كان يسكن بمدرسة العطارين ومن الأساتذة أمثال التقي العلوي التازناقتي الذي كان يتعلل بأنه يعلم بعض الفرنسيين بإدارة الاستعلامات بفاس اللغة العربية بيد أنه كان عميلا وتأكدت الحقيقة حين شمرت تلك الطغمة من أجل إدارة محمد الفاسي الذي نصبه العاهل للنهوض بالقرويين، فكان هذان ومن إنضم إليهما بعامل الرجعية أو التأثر بالآخرين، وسنتعرف على خيانة أولهم بعد عام1953 وهو علي بن الشريف حين يكشف عن خيانته فيتعرض للقتل برصاص الفدائيين مرتين وقد أصبح من سكان الرباط 4 زنقة فران خشان حيث كان عمله بالإذاعة "برنامج" بين الشرق والغرب" الذي تطاول فيه على كل شيء حتى المقدسات ولولا تدخل كل من ج محمد بن امبارك السوسي وج محمد الخنبوبي كانت يد الفداء ستمتد إلى والده الذي كان موظفا بقسم العرف البربري وبعد الإستقلال وتمكن العملاء أصبح علي بن الشريف من أعمدة الحركة الشعبية مع أحرطان الجندي في الجيش الفرنسي ثم انقلب عليه ووقتها كشف خيانته؟؟! في جريدة أسرار التي نشر فيها احرضان بيانه بتاريخ 1983/10/31 بطرده من حزبه كما أورد في نفس البيان تاريخ الحكم ضد علي ابن الشريف العلوي بالخيانة العظمى والذي ورد في الجريدة الرسمية صفحة 1930 عدد 2393 الصادرة بتاريخ 6 صفر1378هـ=1958/8/2 حيث كان الخائن العميل موظفا بالاذاعة ويطلق على نفسه «الرشاد» إلخ راجع جريدة اسرار بتاريخ 1983/11/8 وضمن قافلتهم أصبح يتدرج في عهد التزوير على الشعب وسلب الإرادة حتى انتهى إلى البرلمان المزور بإسم مدينة قط لم يعرفه أهلها ولم يعرفهم وهي مدينة السويرة هذا مع العلم أن الذي رفعه إلى درجة النيابة إنما هو زوج أخته الذي يعمل في الداخلية مع وزير الدولة إدريس البصري حيث الجهاز الذي بيده التزوير المكشوف، والذي لا يزال حتى اليوم يصنع المفاجآت إلى أن فقدت الثقة والحمد لله في الجميع، فأصبح كل ذي ضمير يتألم، وينادي مشفقا وامغرباه؟. إلى أين المصير، بعد هذه الفظائع =

الطلبة الواردين ومن إهتدى بهداهم حتى عاد الجنرال سفران إلى ما كان له بين القوم الغاوين "المغرارين" من ليالي حمراء سار بذكرها الركبان، ورغم ذلك فقد كان الثمن غاليا وكانت التكاليف باهضة، إمتلأت السجون وربما يكون العدد الذي أورده صاحب الحركات ص 302 وهو ثمانمائة عوقبوا بعقاب يتراوح بين 3 أشهر وسنتين معقولا، وأما عدد القتلى ستون والجرحى مائة كما ورد في ص 303 فربما في غير مدينة فاس التي لم يستطع ولا واحد ممن عرفنا أن يساعدنا في الحصول حتى على اللائحة الحقيقية للمسجونين من رجالها وهم كثيرون لا محالة، وبالمثل أيضا ما ورد في تاريخ الحركة حول مدينة أزرو، فكل من عمرو الزموري وهو من آيت واحي بزمور الخميسات وليس من أزرو، وعبد الحميد "الزموري" بن مولاي أحمد كذلك فالأول من لخميسات وبها كان نشاطه الوطني، والثاني أصلا من سوس وإنما كا والده فقيها بزمور إلخ إلخ، ولمدينة أزرو رجالهاالذين كانت تجمعهم فكرة النضال ضد البرنامج الاستعماري وهم الشريف احميدة بوعريش الودغيري الفجيجي، ومحمد بن الحسين الادريسي القاسمي، ومولاي هاشم بن الصالح العلوي، والحاج محمد نعزيزي ولحسن ازروال والمكي أزكاع والحاج الجلالي ميمادي، ومولاي الطيب البلغيثي هؤلاء وغيرهم هم الذين شيدوا مدرسة أمير الأطلس ليحاربوا بها البرامج البربري ضد وحدة المغاربة والذي شيد الفرنسيون من أجل تحقيقه "كوليج بربر"إلخ وهاهي اليوم أكثر من أهدافهم يحققها المخلفون المتملقون الذين يريدون الشر بهذا الشعب وبتمزيقه وتفريقه فرق الله شملهم وحطم كيدهم ورد عليهم وعلى جمعهم ما يدبرون.

ومهما يكن فإن التاريخ السياسي المعاصر قد سجل أنه كان ليوم 11 يناير 1944 ما بعده(171) ذلك أن ما فعلته فرنسا بعد ممثلة في حكامها الذين إستبدوا بالمغرب العربي

= والفضائح بل قدم للمرة الثالثة باسم قلعة الصراغنة، والكل على حساب الشعب الذي بسبب ذلك وما عرفه من إفتراء وتزوير على الديمقراطية أصبح يتجه نحو التحول الخطير الذي لا محالة سوف لا تحمد عقباه وبذلك تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: "إياكم وشهادة الزور كررها حتى إحمرت وجنتاه غضبا ثم زاد فإنها تذر الديار بلاقع" أي تخرب البيوت" والخراب أنواع وألوان مثل قيام الساعة عند ابن القيم في الفصول ومنذ بداية عهد التزوير 1963 ونحن في عام 1990 كم شاهدنا من بيوت تخربت..

(171) لقد أشار الأستاذ علال الفاسي بتركيز في كتاب الحركات الاستقلالية ص 307 ط 1948 إلى ما حصل في هذه المرحلة وما جناه التنظيم الجديد الذي هو حزب الاستقلال من قوة دفعت به إلى الأمام منذ ذلك العهد، وهذا صحيح لأنه بعد أقل من سنتين إزدهرت الفكرة التي حمل لواءها شيخ الإسلام محمد بن العربي وهي الدعوة =

الكبير، كان بحق المدرسة التي تكون فيهاالأحرار الذين إمتلأت بهم السجون والمنافي فكانوا بحق هم رسل الوطنية والتكوين ونشر الوعي أني وجدوا وحيثما حلوا، وتلك كانت البداية والمنطلق اللذين سيستمد منهما الحزب الجديد قوة النمو والدفع بطريقة لا أبالغ إذا قلت أنها لم تعرف في عالم العرب والمسلمين، مذ بدأت التنظيمات السياسية المعاصرة في شرق العالم الإسلامي العربي وغربه، ذلك أن انطلاقة 11 يناير 1944 وكما سبق كان صاحبها والموجه لها بعد مؤتمر آنفا بالدار البيضاء الذي إلتقى فيه العاهل بزعيمي الحلفاء، وواضعي ميثاق الأطلسي روزفيلت وتشيرشيل، وما حصل من وعود الأول وهو كل شيء كان زمن الحرب، مما دفع بالعاهل وحتى يتحقق القوم من وحدة، وإجماع المغاربة على حب تحرير بلادهم، أن يدفع إلى تكوين التنظيم الذي يشد أزره ويعبر عن تلك المطامح ويشخص ذلك الإجماع، فكان هو حزب الاستقلال الذي تأسس من أجل تقديم المطالب التي تذكر الحلفاء عموما وحكومة روزفيلت بالأخص، بما سبق أن وعد به قبل سنة وبالتحديد يوم 21 يناير 1943، لكن شيئا من ذلك لم يتحقق، بل ولا حتى تدخل الحلفاء من أجل إيقاف حملات الإضطهاد والنكال التي عمت من وجدة إلى مراكش وسوس، وفي الجزائر وتونس على السواء، الأمر الذي سيوجد بين الأحزاب التي وحدت بينها الأهداف والمقاصد، كما وحد بينها ظلم الاستعمار وتكالب المستعمرين، وتلك هي حزب الإستقلال في المغرب الأقصى، وحزب الشعب في الجزائر، ومع بعض التحفظ حزب الدستور الجديد في تونس، بل وتلك هي الأحزاب التي ستخوض أعنف المعارك ضد الاستعمار، وبالتالي سيكون التعاطف بينها من أقوى عوامل الإسراع بنشر الوعي الوطني وبث روح النضال بين صفوف المواطنين في ربوع المغرب العربي الكبير، بسبب الإضطهاد والتقتيل الذي ستقوم به أجهزة الإستعمار بعد نهاية الحرب وانتصار الحلفاء، الذين موهوا على الشعوب التي إغترت بالوعود وآمنت بالإفتراء الذي كان من أجل تلهية الشعوب والعمل على عدم سماحها بتحركات المتطرفين فيها.

= إلى إنشاء المدارس ونشر التعليم الحر، فكانت تلك هي وسيلة التمكين لفكرة الحزب ونشرها بين المواطنين، والمثال الحي على ذلك ما حصل للحزب وقت الإنفصال 1959/1/25 وقد أعلن شيخ الإسلام مباركته للذين إستنكروا البغي ولم يكذبوا، وبتلك المباركة إستمد القوم أكبر قوة مكنت لهم بعد.

ومهما يكن فإن حزب الاستقلال رغم قرب عهده بالتنظيم الحزبي أمكنه وفي تلك الظروف أن يقوم بدور جد مهم لم يعطه المؤرخون ما يستحق من التحليل، ذلك أن الحكومة الفرنسية التي كانت تحت رحمة جماعة من العسكريين يتقدمهم الجنرال دي كول الذي كان أكثرهم تمسكا بالامبراطورية التي قوامها المستعمرات والمحميات، والجوهرة التي تحمل "تاج" تلك الأمبراطورية وتقويها هي أقطار المغرب العربي الكبير، التي كان أول من خطط لغزو قلبها ومن أجل الاستيلاء عليها، هو نابليون وبوحي من محمد على صاحب مصر بعد فشل نابليون في مصر وطرد الانجليزله من "أبو قير" بل جنرالات عهد الحرب العالمية الثانية من الفرنسيين، كلهم كانوا من المتمسكين بالمحافظة على تلك الإمبراطورية التي انتثر من عقدها سورياولبنان وهما رغم تدخل الأنجليز، وأن ما حصل كان رغم إرادة الفرنسيين، لأن الذي كان السبب أكثر هو لعبة الأنجليز بسبب ما حصل في العراق، ولذلك لامعنى لرجحان كفة وجود الفرنسيين في المنطقة، بل طبق الأنجليز ما يقول المثل - علي وعلى أعدائي - الأمر الذي دفع الفرنسيين إلى أن يتفقوا جميعا عسكريين ومدنيين من أجل التمسك بشمال إفريقيا مهما كلف الثمن.

الفصل الثمانون بعد المائتين

صدى الجامعة العربية، وأثر مصر في المغرب العربي بعد تمزيق الستار الحديدي

إشتدت الأزمة وتمكن التنافر بين العاهل العظيم محمد الخامس والجنرال غابريال بيو الذي قادته رعونته من فشل إلى فشل، عاد إلى طريقة الدس والكيد باسم الإصلاحات المزعومة التي لم يكن للعاهل فيها رأي، بل ولا عرضت عليه ولم يعرفها، ومع ذلك حتى يدفع بها المقيم الفاشل إلى الأمام بواسطة الإعلام لم يقتصر على الاجتماعات الخاصة التي نظمها برجال الإدارة التي لا سلطان ولا نفوذ فيها لأحد سواه، والتي بدأ يجمع منها ما شاء من فرنسيين ومغاربة يأمرهم بالاجتماع حول ما يقترح من الأفكار ويزعم من الإصلاح حتى إنه كون لذلك ما سماه بـ لجن: التعليم والعدلية، والفلاحة، وغيرها، بل بكل وقاحة ورعونة وصلف أصبح يخطب في المناسبات الدينية مثل عيد الأضحى الموالي لعهد ما بعد وثيقة الاستقلال كما سبق(172)، ثم ينسب للعاهل الموافقة على ما زعم من الإصلاحات التي سمحت بها حكومة الحماية للمغرب كما عبر، وهنا بحق يعتبر التنظيم الجديد لحزب الإستقلال والذي وجد ميدانا لنشاطه قام برد الفعل، أولا بالتوعية حتى يكون الإهمال والرفض والصدود قويا وفعالا من المواطنين وحتى من الذين يمكن أن تستهويهم أفكار المقيم الناقم فيحدثوا في الصف ثغرة، وقد إستعمل الحزب إسم العاهل بطريقة وطنية حاذقة فوتت على المقيم ما قصد، بل كشف كذبه وبهتانه، وثانيا إنطلق العمل خارج المغرب وخصوصا في مصر التي كانت فكرة إنشاء الجامعة العربية بإقتراح من وزير خارجية بريطانيا إيدن(173)، قد بدأت 1943 تتمخض بتحركات

(172) راجع الحركات مصدر سابق ص 12ـ14 والمغرب الأقصى للمهدي بن بركة مصدر سابق كذلك.

(173) راجع بريطانيا والجامعة العربية تأليف م ف سيتون وليمز ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ط القاهرة 1952 وكتاب العالم العربي : دول الجامعة العربية، الحاج مصطفى غربال ط 1956 ومجلة المصور لعام1943م عدد 5ـ12/11/1943.

نورى السعيد وجماعة السوريين والسعوديين واليمنيين نحو مصر التي كان نشاط حزب الوفد ومصطفى النحاس فيها عام 1942 قد لفت إليها الأنظار وأعطى صورة للأنجليز أنه لا عمل يتم ما لم تتزعمه مصر دولة العرب وقبلة الأحرار، وكان بعض رجالات المغرب العربي قبل قد سبقوا الأحداث وعملوا على رفع صوت شعوب المغاربة بين المشارقة وذلك ما قام به رجل المغرب العربي طيب الذكر الذي لا ينسى وهو محمد لخضر حسين الذي كان قد رحل من تونس إلى الشام عام 1335هـ 1916م، وفيها إتهمه الأتراك بالعمل الوطني ضد ظلمهم حيث قضى مدة ستة أشهر في السجن الذي أدخله إليه جمال باشا لكنه عاد فأخرجه منه بريئا، الأمر الذي كون للرجل أعظم مكانة في المشرق العربي، نوه بها الشاميون حتى إنتهت إلى المصريين، وبعد ما سافر إلى تركيا والحجاز ثم عاد إلى الشام وفيها جميعا كان رسول علم ومعرفة بواسطة التعليم والكتابة في الصحف والنشر، بل وفي مجال التأليف له مكانة تقصر دونها ـ بعيدا عن التملق ـ مكانة كثير من الكتاب المغاربيين يستدل ببعض ما نشر له من كتب(174) ما عرفت له مصر من مكانة علمية رشحته في عهد الثورة إلي مشيخة جامع الأزهر، وكان الشرق بعد محمد لخضر حسين قد عرف من المغاربة عبد العزيز جاويش التونسي الأصل(175) وبيرم التونسي وعبد

(174) لقدأهداني منها الكتب التالية وقد كتب الإهداء بخطه رحمه الله وهي: آداب الحرب، ونقض كتاب في الشعر الجاهلي، أظهر فيه بحق جدارته وواسع إطلاعه، ثم رسائل الإصلاح 3 أجزاء، ومجموع صفحات هذه الكتب غير الفهارس حجم متوسط 1028 صفحة، رحم الله محمد لخضر حسين النفطي، نسبة إلى مدينة نفطة في الجنوب التونسي، راجع صورته ومعه المؤلف ضمن وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية أو مديرية الوثائق الملكية. ومحمد لخضر حسين هذا هو الذي كان قد أسس ببلاده مجلة السعادة الأبدية، وفي مصر تولى رئاسة مجلة لواء الإسلام، وأسس جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا" ثم جمعية الهداية"الإسلامية" وقد توفي رحمه الله في مصر وهو شيخ جامع الأزهر وقد جاوز الثمانين حوالي عام 1956 وكان الذي نصبه للمشيخة جمال عبد الناصر. ومثله كان محمد لخضر بن مايابي الشنقيطي صديق السلطان المولى عبد الحفيظ في جانب العلم بعيدا عن السياسة راجع أيضا وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية أو مديرية الوثائق.

(175) عبد العزيز جاويش 1876ـ1929 أحد رجال الحركة الوطنية بمصر تونسي الأصل ولد بالأسكندرية وتوفي بالقاهرة تعلم بالأزهر، علم بجامعة كمبرج، تولى مناصب في وزارة المعارف العمومية بمصر إتصل بمصطفى كامل الزعيم المصري، تولى تحرير "اللواء" جريدة الحزب الوطني، حوكم مرات عدة بسبب حملته على المحتلين وصنائعهم، سجن ستة أشهر لمقالة عن دنشواي، وثلاثة أشهر لمقدمته في ديوان على الغاياتي "وطنيتي" رحل إلى الآستانة، فأصدر مجلتين وجريدة، كان خطيبا ممتازا فأرسلته حكومة الآستانة إلى برلين للدعاية، دخل مصر خلسة بعد الحرب، وتولى منصبا تعليميا وشارك في إنشاء جمعية الشبان المسلمين له أثر "القرآن الكريم في تحرير=

العزيز الثعالبي الزعيم التونسي الذي عرف المشارقة أيضا على مآسي المغاربة تحت نير الاستعمار الفرنسي، ومثلهم فعل الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان هو الآخر إلى جانب دراسته في الشام قد رفع صوت بلاده بين المشارقة

وفي نهاية العقد الرابع من القرن العشرين أو بالتحديد، عام 1938 شارك عبد الخالق الطريس في المؤتمر البرلماني العالمي للبلاد العربية من أجل الدفاع عن فلسطين، الذي إنعقد في القاهرة بتاريخ 1 أكتوبر من السنة المذكورة، حيث خطب في حفل الإفتتاح. وكانت هذه الإنطلاقة التي ستستفيد منها المنطقة الواقعة تحت النفوذ الإسباني نتيجة الإنفتاح الذي عرفته إثر نجاح ثورة فرانكو كما عرفنا وتنصيب بيك بدير حاكما على المنطقة التي هاجر إليها قبل كما عرفنا إبراهيم الوزاني ومحمد المكي الناصري من منطقة النفوذ الفرنسية وغيرهما من منطقة طنجة، كما هاجر إليها أيضا الحاج أحمد معنينو من مدينة سلا، ولقد كون هذا الثالوث حركة أدت إلى تكوين بعثة علمية قوامها عدد كبير من أبناء المنطقة أرسلوا إلى مصر للدراسة في مختلف جامعاتها كما سبق ومن أجلهم أنشىء بيت المغرب الذي كان مركزه رقم (12) بشارع السلولي الدقي بالقاهرة شبه منتدى للمغاربة والمشارقة وبحق كان هو أول عمل إعلامي ثقافي تعرف من خلاله المشارقة على واقع المغرب وتراث المغاربة لأن أفراد البعثة كان عددهم أربعون طالبا توجه الفوج الأول منهم كما عرفنا قبل حين كلامنا عن أثر التعليم الحر الذي نادى بنشره شيخ الإسلام قبل وبعد عودته من المنفى، بحيث توجه الفوج الأول من البعثة التي تكونت بمساعدة الأسبان بتاريخ 1938/9/15. وأصبح مدير بيت المغرب بالقاهرة المصلح السلفي محمد اليمني الناصري، كما توجه أيضا إلى القاهرة من طلبة القرويين(176)

= الفكر البشري" و"خواطر في التربية والسياسة" و"أبحاث عن المرأة المصرية والشؤون العامة" وكتاب في التربية والتعليم راجع الموسوعة العربية ص 183ط القاهرة 1965 وفي مجلة المصور له صورة نشرها مع موضوع من ذكريات السياسة ابراهيم عبد القادر المازني عدد 991 بتاريخ 1943/10/8 ص 7.

(176) سماهم الأستاذ علال الفاسي بـ"وفد الحزب الوطني " في المشرق وهم الاخوة، عبد الكريم بن ثابت وعبد المجيد بنجلون وأحمد بن المليح وعبد الكريم غلاب والعربي بناني لإتمام دراستهم، ثم إدريس السوسي، وعبد السلام بناني ومصطفى بن عبد الوهاب، ومحمد المسفيوي ومحمد بن عبد الله، وأحمد الوزاني من بعثة الشمال ولما تخرج افرادها من كلية الآداب كونوا منهم وفدا يعمل لصالح القضية ونشر الدعاية لها إلخ راجع الحركات مصدر سابق ص 269ط القاهرة 1948.

أربعة، ومن الرباط واحد وتلكم كانت النواة التي فتحت الباب على مصراعيه وكشفت فظائع وفضائح الاستعمار الفرنسي، لأن الإسبانيين كانوا ينتشون بذلك، وازدادوا نشوة عندما قامت الحرب وظهر من نشاط ابراهيم الوزاني وغيره ممن عرفناهم ثم سقطت فرنسا التي كانت السبب في "غبن" إسبانيا وعدم "إنصافها" وقت اقتسام الغنيمة 1912، فخصصت لها من المغرب منطقة الشمال الوعرة الفقيرة والتي كلفتها ما كلفت من أجل السيطرة عليها، وإذا فرنسا قد إنهارت فإن مطامع الأسبان قد عادت بالسيطرة على طنجة بالقوة ومن وراء الألمان الذين كان نشاطهم في المنطقة قد إستمال جماعة أطلق عليها ابراهيم الوزاني جماعة "الدفاع الوطني" كما أخبر بذلك صاحبه الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور في تقريره للإقامة العامة 1941م كما عرفنا ذلك قبل بتفصيل.

ولعلنا لورجعنا إلى نشاط المغاربة بمصر في تلك المرحلة التي هيأت للإندماج حين ظهور الجامعة العربية وتمثيل الشهيد المرحوم محمد بن عبود التطواني للمغرب ككل باسم المنطقة الشمالية فيها ومعه محمد الفاسي الحلفاري التطواني. وعن هذه المرحلة أيضا يخبرنا الأستاذ علال الفاسي أنه كان قد وصل للقاهرة عديد من اللاجئين من حزب الدستور التونسي "بورقيبة" وحزب الشعب الجزائري "الشاذلي المكي" وجمعية العلماء المسلمين بالجزائر الفضيل الورتلاني ومن هؤلاء وأولئك تأسست جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا عام 1944 التي كانت نواتها "رابطة الدفاع عن مراكش في مصر" التي أسسها أعضاء وفد الحزب الوطني في المشرق" يقول الأستاذ علال(177) وقد وفق الإخوان في إقناع ممثلي الهيآت المغربية بمصر للانضمام إليهم وقبول البرنامج الذي وضعوه وهو:

1) المطالبة باستقلال مراكش تحت رعاية جلالة الملك المفدى محمد الخامس
2) ضمان وحدة الأراضي المراكشية وعدم إقتطاع أي جزء منها.
3) الإنضمام لجامعة الدول العربية(178) "وكانت وقتها في طريق التكوين".

---

(177) نفس المصدر.

(178) على أن الجامعة العربية لم تعرف النور إلا في 22 مارس 1945 والواقع أن أثر هذه البداية الطيبة هو الذي أثمر بعد لجنة تحرير المغرب العربي، وما كان للمغاربة فيها من أثر سوف نتعرف عليه بعد.

4) التعريف بقضية مراكش الوطنية وعرضها على الرأي العام العربي ولدى الحكومات العربية ودوائر الحلفاء.

5) الدفاع عن رجال الحركة الوطنية في مراكش والمطالبة بإرجاع المبعدين منهم وإطلاق سراح المعتقلين فورا.

وفعلا فإن هذه الجماعة من تونسيين وجزائريين ومغاربة إستطاعوا وفي الوقت المناسب أن يرفعوا صوت المغرب عاليا، بل وأن يقوموا وفي الوقت المناسب أيضا بأهم عمل في المجال السياسي من أجل الدفع بالقضية المغربية خارج المغرب، والذين سيتمكن تنظيمهم عندما يتم تنظيم الجامعة العربية، وتصبح المنظمة الإقليمية لها مقر بمصر في باب "اللوق" ولها أمين عام فاضل مقاوم عظيم بالسيف وبالقلم هو عبد الرحمن عزام باشا الذي عرفت ليبيا أيام جهادها من جولاته في ميدان القتال ما عرفت حتى أنه أصبح المزاحم لإدريس السنوسي عند الليبيين الذين نادى بعضهم برئاسته لجمهوريتها المنتظرة وقتها، عزام هذا هو الذي سيقبل على المغاربة بكل ماله من وسائل التأييد لقضية بلادهم، ودائما يبقى الفضل لتلك النخبة التي ستتفق بعد عام 1947 ثم تكون "لجنة تحرير المغرب العربي" التي كان لما قامت به من إعلام وبمساعدة المصريين الذين يذكر فضلهم وما قدموه للمغرب العربي ولكل بلاد العرب والمسلمين، فهم الذين كان لهم كل الأثر في رفع صوت المغرب العربي والخروج بالصراع مع فرنسا من السجن الكبير الذي أحاطت سياجه الحديدي بالمغرب العربي إلى حيث عرف العالم من فظائع فرنسا وفضائحها ما سجل التاريخ وعرف الناس.

كانت الجامعة العربية قد تأسست بميثاق وقع بتاريخ 8 ربيع الثاني عام 1364هـ=1945/3/22 من طرف سبع دول هي : مصر. وسوريا، وشرق الأردن، والعراق، والمملكة العربية السعودية، ولبنان، واليمن.

وكانت وكما أشرنا باقتراح قدمه وزير الخارجية لبريطانية إيدن إلى مجلس العموم لبريطاني بتاريخ 1941/5/12 وفي السنتين التاليتين لم يتقدم الموضوع المقترح كثيرا بسبب ضغط الموقف الحربي وقرب الحرب من بلاد الشرق الأوسط، وظلت الأمور على تلك الحال حتى سئل المستر إيدن وزير الخارجية في مجلس العموم في 1943/2/14 عما

إذا كان في النية إتخاذ خطوات لتشجيع زيادة التعاون السياسي والاقتصادي بين الدول العربية في الشرق الأوسط ترمي في النهاية إلى إنشاء إتحاد عربي، فأجاب المستر إيدن بقوله " "وفق ما سبق لحكومة صاحب الجلالة توضيحه، فإنها ستنظر بعين العطف إلى أية حركة بين العرب لتشجيع وحدتهم الإقتصادية والثقافية والسياسية. ولكن من الواضح أن الحركة الأولى في أية خطة يجب أن تأتي من العرب أنفسهم، وبمقدار ما أعرف لم توضع خطة مثل هذه نالت الموافقة العامة"(179).

وفعلا عقد الاجتماع التمهيدي في القاهرة ما بين 31 يوليه، وأغسطس 1943، ثم توالت الاجتماعات، فكان بروتوكول الاسكندرية وفي 9/25/ افتتحت اللجنة التحضيرية للدول العربية أعمالها برئاسة مصطفى النحاس باشا، وانتهى المؤتمر في 1944/10/10، وكان البروتوكول الذي وقع في الاسكندرية من طرف خمس دول يقع في خمس نقاط رئيسية(180) ثم ميثاق(181) الجامعة المكون من عشرين مادة على أن لبروتوكول قط لم يشمل فيما إحتوى عليه مما يتعلق بالشؤون العربية وتعاون الدول المستقلة فيما بينها اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا على أية مادة تعني البلاد غير المستقلة إلا ما كان مما ورد من تلميح في المادة الثالثة أما في الميثاق فإن ما ورد في المادة الثانية منه هو الذي استغله المغاربة أحسن إستغلال حيث وردت كما يلي:

"الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها، صيانة لاستقلالها وسيادتها، والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها، مجملة "والنظر بصفة، عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها" هي العبارة الوحيدة الواردة في الميثاق والتي سوف تكون وباء على الاستعمار رغم أنف العملاء، وإلى جانب تلك العبارة وضع ملحقان آخران، واحد خاص بفلسطين وآخر خاص"بالتعاون مع البلاد العربية غير المشتركة في مجلس الجامعة" وقد جاء فيه.

---

(179) راجع بريطانيا والدول العربية مصدر سابق ص 226.227.

(180) المصدر السابق 229.

(181) نفس المصد ص 333.39.

"نظرا لأن الدول المشتركة في الجامعة ستباشر في مجلسها وفي لجانها شؤون يعود خيرها وأثرها على العالم العربي كله، ولأن أماني البلاد العربية غير المشتركة في المجلس ينبغي له أن يرعاها وأن يعمل على تحقيقها.

فإن الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية يعنيها بوجه خاص أن توصي مجلس الجامعة عند النظر في إشراك تلك البلاد في اللجان المشار إليها في الميثاق، بأن يذهب في التعاون معها إلى أبعد مدى مستطاع، وفيما عدا ذلك بالايدخر جهدا لتعرف حاجاتها، وتفهم أمانيها وآمالها، وبأن يعمل بعد ذلك على صلاح أحوالها وتأمين مستقبلها بكل ما تهيؤه الوسائل السياسية من أسباب(182).

لو نظرنا بمنظار البحث السياسي لواقع كل البلاد العربية حين تأسيس الجامعة وما كانت تعانيه تحت رحمة الأنجليز أولا، وسيطرة العملاء ثانية، لما توقعنا لها غير الفشل والسقوط منذ الأسبوع الأول من تأسيسها، لكن التاريخ السياسي المعاصر لم ولن يهمل ذكر رجل عظيم بمعنى العظمة ذلكم هو أول أمين عام لجامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام(183) صاحب كتاب "الرسالة الخالدة" أولا ثم الجو الذي أحاطها به حزب

---

(182) نفس المصدر 339ـ40.

(183) ولد عبد الرحمن عزام بالشوبك بمحافظة الجيزة بمصر، وتعلم بمصر ولندن إلتحق بالجيش العثماني كمجاهد في حرب البلقان عام 1913م أسهم أيام شبابه في الحركة العربية أثناء إقامته بأوربا، إشترك في عدة معارك بالصحراء الغربية ليبيا "1915ـ17"إنضم إلى الحركة الوطنية بمصر بزعامة سعد زغلول، واشترك في إحدى الوزارات المصرية. أول من شغل منصب الأمانة العامة بجامعة الدول العربية، دافع عن فلسطين بهيأة الأمم المتحدة، واضطلع بعمل المستشار السياسي للمملكة العربية السعودية، راجع الموسوعة العربية ص 1182 ط 1965 وعن مصطفى النحاس ص 1926. وهو الذي تحمس بقوة من أجل تأليف الجامعة العربية، ثم قاد المفاوضات من أجل تأسيسها راجع مجلة المصور المصرية 5ـ12ـ/11ـ1943 ولعل الوفاء والاعتراف بالجميل يحتمان ذكر بقية أسماء الذين ساهموا في الدفاع عن قضايا المغرب والمغرب العربي الكبير من المصريين الذين عرفتهم عن قرب والذين سوف لا ألتزم بذكر مناصبهم وهم:

د محمد صلاح الدين، علي علوبة، صالح حرب، عبد الرزاق السنهوري، محمود أبو الفتح، أحمد أبو الفتح، أحمد أمين، د محمود عزمي، عبد القادر حمزة، أحمد زكي، على الطنطاوي، علي الرجال، وديع فلسطين، صبري أبو المجد، محمد التابعي محمد فوزي محي الدين فرحات، سامي حكيم، توفيق الشاوي، أحمد نجيب برادة المحامي، محمد سعيد العريان، ابراهيم دسوقي اباظة، فكري أباظة، علي أمين إحسان عبد القدوس، أحمد بهاء الدين، صالح عشماوى، كامل كيلاني حبيب جاماتي، عبد القادر مختار، أبو الخير نجيب، سيد قطب، عادل زعيتر صالح بورقيق هؤلاء وغيرهم ممن لم أتذكر أسماءهم، وهم كثيرون جدا في صفوف حزب الوفد وجمعية الاخوان المسلمين "وجمعيه =

الوفد المصري بزعامة طيب الذكر مصطفى النحاس رحمة الله عليه وبالتالي روح الشعب المصري النبيل الذي يرجع له الفضل في كشف الغطاء عن مخازي فرنسا في شمال افريقيا وغيرها من المستعمرات التي كانت خاضعة لفرنسا وغيرها، فما كاد ميثاق الجامعة يعلن ويصبح موضع إلتزام من طرف الدول الموقعة عليه حتى أصبحت مصر وبكل وسائل الإعلام فيها تعمل على جعل الجامعة العربية منظمة حقيقية لصالح العرب وليست كما أمل إيدن المخطط وسايره نورى السعيد الذي كان وقتها أنشط سياسي في بلاد العرب يعمل بإخلاص في ركاب الأنجليز، وبحكم ما سبق أن تعرفنا عليه مما استعمله الحلفاء كملهاة أطلقوا عليه "ميثاق الأطلسي"، فإن ظهور منظمة الجامعة العربية لم تكن بالنسبة للدول التي وقعت على ميثاقها أهم للشعوب التي لازالت ترزح تحت نير الاستعمار والتي علقت عليها عظيم الآمال، وتلك هي الروح التي كانت تحرك عبد الرحمن عزام الذي بحق ومن أول وهلة كان شغله واهتماماته منصبة على قضايا الشعوب العربية المتظلمة، وإذا كانت التي خضعت للسيطرة الأنجليزية منها ما قد تحرر، ومنها ما لم يتحرر ولا يزال ينتظر له الخلاص بعد الحرب، وأن التي تحت الاستعمار الفرنسي وكما يظهر من تصرفات الحكام فيها وتصريحات حكومة فرنسا المؤقتة رغم ذلها وانهيارها، هي التي تحتاج إلى مجهود مركز أكثر، وذلك، ما سيفعله عزام مما سيشد أزر الجماعة الوطنية الموجود أفرادها بالقاهرة من أبناء المغر العربي الكبير من ليبيا إلى المغرب الأقصى كما سنرى.

وإذا كان صدى كل ذلك يتردد في أقطار المغرب العربي الذي كانت تعززه تحركات أحزاب الإستقلال والشعب والدستور والمؤتمر بطرابلس وجمعية العلماء المسلمين

= الشبان المسلمين، وهيئة التحرير بعد قيام الثورة، وجماعة المؤتمر الإسلامي من الذين ساهموا في النضال من أجل تحرير أقطار المغرب العربي الكبير بل وهم الذين ساعدونا أيام نضالنا في القاهرة بمكتب المغرب العربي مساعدة صادقة وبدون أي تحفظ رغم ما جلبت تلك المساعدة لأقطار المغرب العربي الكبير على مصر من عداوة الفرنسيين حتى أنهم إندفعوا للإنتقام 1956م وإذا ما قوبل ذلك الجميل من المندسين عملاء المستعمرين بالمغرب في عهد الاستقلال أمثال أحمد كديرة ومحمد ولد أحمد بن عبد القادر الفريسي"المعروف بـ أحمد العلوي دمرهما الله بعدم الاعتراف، فإن الحكم الفصل هو التاريخ الذي يدون الخير لأهل الخير والشر لأهل الشر وإذا هو دون لمصر في حق المغرب الخير الكثير فقد رفعت الأقلام وجفت الصحف.

بالجزائر، ثم جمعية عمر المختار ببرقة، فإن الفرنسيين وقد أشرفت الحرب على النهاية بانتصار الحلفاء أصبحوا هم كذلك يتخذون كل التدابير من أجل تشديد قبضتهم على أقطار المغرب العربي،

وازدادوا عتوا ضدهم عندما أنزل محمد بن عبد الكريم بالقاهرة 1947 ليجد كلمة أبناء المغرب العربي قد اجتمعت بعد المؤتمر الذي عقدوه بالقاهرة في فبراير 1947، والذي نتج عنه تأسيس مكتب المغرب العربي من أجل توحيد الجهود التي مكن لها روح الاتفاق بين المغاربة، فتأسست بعد وبدعوة من عزام لجنة تحرير المغرب العربي التي ضمت أولا الأحزاب الثلاثة الكبيرة في المغرب العربي الإستقلال بالمغرب، والشعب بالجزائر، والدستور بتونس، والتي وضع لها ميثاق يتلخص في المبادئ التالية:

أ ـ المغرب العربي للإسلام كان وللإسلام عاش وعلى الإسلام سيسير في حياته المستقبلية(184)"؟"

ب ـ المغرب جزء لا يتجزأ من بلاد العروبة، وتعاونه في دائرة الجامعة العربية على قدم المساواة مع بقية الأقطار العربية أمر طبعي ولازم.

ج ـ الاستقلال اللازم للمغرب العربي هو الاستقلال التام لأقطاره الثلاثة تونس والجزائر ومراكش "المغرب".

د ـ لاغاية يسعى إليها قبل الاستقلال

هـ ـ لامفاوضة مع المستعمر في الجزئيات ضمن النظام الحاضر،"وسوف نرى أن أول من يخل بهذاهم التونسيون الذين قبلوا الحكم الذاتي 1952 – 1955"

و ـ لامفاوضة إلا بعد إعلان الإستقلال "وكان ذلك ما سيحققه محمد الخامس بإيمان وثبات، ولولاه لضاع على المغاربة الكثير"

ز ـ للأحزاب الأعضاء في لجنة تحرير المغرب العربي أن تدخل في مخابرات مع ممثلي الحكومة الفرنسية والإسبانية على شرط أن تطلع اللجنة على سير مراحل هذه المخابرات أولا بأول.

---

(184) كان الذين وضعوا هذا الميثاق أولا هم التونسيون ويظهر فيه التأكيد على الفكر الإسلامي الذي كان قوي المفعول في المجتمع المصري على أن بعض المسؤولين المغاربيين بعد استقلالهم كانوا حربا على الإسلام السليم إلى درجة اضطهاد أبنائه زيادة على نشر الخمور والفجور بين شعوب المغرب الكبير.

ح- حصول قطر من الأقطار الثلاثة على إستقلاله التام لا يسقط عن اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير البقية(185).

وإذا كان برنامج اللجنة هذا بالإضافة إلى نشاطها في مصر والشرق الإسلامي العربي، زاد فأكد التضامن بين المواطنين في الأقطار الثلاث داخل البلاد وحيثما وجدوا، مما كان له رد فعل من الفرنسيين بعنف عنيف وقسوة قاسية فإنه سيكون السبب في إشعال نار الحرب المسلحة في النهاية كما سنرى بعد إبعاد محمد الخامس عن عرشه ثم نفيه ومعه أسرته إلى مدغشقر 1953م.

كان صدى كل هذه التحركات بالمشرق قد تردد في المغرب، وكان الالتحام بين العرش والشعب يدفعان إلى التنظيم المشترك بل والعمل المشترك كذلك بعد شهرين على التنظيم السياسي الذي أحدثه المغاربة في المشرق وظهور اهتمام الجامعة العربية بقضايا المغاربة ترديدا لذلك سينظم العاهل وعن قصد رحلة إلي مدينة طنجة يوم 7أبريل1947 ثم يعلن تأييده لها وتعلقه بأهدافها.

---

(185) أغلب هذه المبادئ إن لم تكن كلها هي مبادئ حزب الاستقلال المغربي التي أشار بها وأكد عليها محمد الخامس وقت وضع وثيقة المطالبة بالاستقلال 1944/1/11 ولسوف تستفيد منها حركة النضال من أجل تحقيق الاستقلال التام عندما يظهر من يريد التفاوض على التدرج قبل الاستقلال في المغرب العربي بعد وهم الشوريون في المغرب1947 والبيان في الجزائر برعامة فرحات عباس وبورقيبة 1949ـ50 بواسطة لعبة الشاذلي القسطلي الذي قتله الفدائيون في تونس.

الفصل الواحد والثمانون بعد المائتين

في المغرب العربي بعد الحرب العالمية الثانية

فرنسا تمكن للاستعمار بقوة الحديد والنار

إنتهت الحرب العالمية وشعوب المعمور الواقعة تحت نير الاستعمار في مختلف جهات الأرض تغط في أحلام ما أشاعه برنامج الحلفاء من أفكار تحريرها وانعتاقها، بيد أن الواقع الذي سيوقظها من غفوتها وأحلامها أو الواقع الذي ستراه وتعيشه بكل حسرة وألم، إنما هو التغيير في أسلوب النظام الاستعماري الذي يعيشه بعضها، فمثلا في مفهوم فرنسا سوف يزداد حدة وعنفا وجبروتا، وعند أخرى التمكين في مراكز القوى داخل النظام الاستعماري المعروف قبل الحرب، ورغم أن الاستعمار الفرنسي الذي يعنينا أكثر، أصبح ضعيفا عما كانت عليه فرنسا التي أصبحت تحت رحمة الأمريكيين الذين أصبحوا وقتها قوة ذات سلطان على كل الدول الاستعمارية التي فرضت عليها سياسة الولايات المتحدة التي نهجت طريق الحرب الباردة بعد نهاية الحرب المسلحة، بل وإذا كان الجيش بالنسبة لفرنسا هو الذي تحرك إلي جانب الحلفاء، من أجل إنقاذ فرنسا ـ لكن بمن تحرك وإذا هو تلقى الصفعات وتعرض للهزيمة والعار مدة الحرب، وحتى من الحلفاء، أما من الألمان فللإهانة والركل والتحقير، إذا كان كل ذلك، فإن الجيش الفرنسي وعلى لسان دي غول أظهر، بعنجهية وصلف حسبهما كبرياء، أنه غير مستعد أن يلبس ما يفصله الأمريكيون الذين أخذوا يخططون لمستقبل يتناسب ومقاصدهم من الإستعمار الجديد، لذا كان على الجيش الفرنسي المهان وبعدما ضم إليه رغبة كبار المستعمرين في أقطار المغرب الكبير وشركات الإحتكار، أن يخوض معركة تشديد القبضة الحديدية على شعوب تلك الأقطار، متوهما أنه بمثل ما سيقدم عليه من قتل 45000 مواطن جزائري يوم 8 ماي 1945 في مدينتي سطيف وغالمة سيزيل عنه ما علق باسمه مما سجل التاريخ وعرف الناس له جميعا من المهانة والذل والعار، فكان على الجنرالات الذين نفخهم أرباب

المصالح من كبار الرأسماليين وأصحاب الإقطاعات الزراعية في أقطار المغرب العربي الكبير، أن يقوموا بدور الشرطي القذر الذي تعود اللصوصية في الظلام، خصوصا وأن الجنرالات الذين تعرضت وجوههم للصفعات، وظهورهم للركل بأحذية الألمان، لم يعرفوا ميدانا يسترجعون فيه إعتبارهم الضائع، غير المستعمرات وفي المقدمة أقطار المغرب العربي الكبير، الذي تحرك أهله ولتكون النقمة بعد 8 ماي على شخص عاهل المغرب الذي أعلن الحرب على المحور منذ اللحظة الأولى، بل وعلى شعوب المغرب التي ساهمت في الحرب من أجل أن تتحرر بتحرر الفرنسيين من ذل الاستعمار الألماني، وإذا الأمريكيون وهم المتطلعون لأن يحلوا باستعمارهم الجديد مكان القديم، لم يفعلوا شيئا أمام تحركات وتخطيط الفرنسيين رغم الميثاق الأطلسي المشار إليه، ورغم ما قيل عنه مبادئ روزفيلت بل لم يفعلوا - أكثر من أنهم طبقوا ما قيل من مثل "لم آمربها ولم تسؤني" بل إن العسكريين الفرنسيين شمروا من أجل القيام بأفظع حملة ضد الحركات الوطنية في عموم المغرب العربي الكبير وكانت أشد وأقوى وأعنف ضد الشعب الجزائري الذي لم يكن له من حول ولا قوة، بل هو ممزق الأوصال تحت رحمة حكام عتاة فرقوا الشعب شذر مذر، وقطّعوا أرضه التي أصبحت في إعتبارهم "فرنسية" إلى مقاطعات"فرنسية" ومع ذلك قتلوا منه 45000 مواطن جزائري مسلم لمجرد أنه أظهر فرحته بنهاية الحرب وأمله في ظهور فجر الانعتاق والتحرر.

ولكي تعرف الأجيال المقبلة حقيقة وواقع ما انتهت إليه فرنسا صاحبة ثورة الماسونية الصهيونية، وما فعلته بشعب مسلم عربي أعزل، وجب أن نرجع قليلا إلى الوراء لنتعرف على واقع الجزائر وما كانت عليه وضعيتها ساعة هجمة العار الفرنسية.

تعرفنا قبل على الجزائر الدولة ذات السيادة فوق العادة في منطقة وجودها التي هي منطقة الأبيض المتوسط، ولربما تعرفنا على أنه كان الجزائريون أكثر من غيرهم وبحكم ظروف العصر وما كانوا يتوفرون عليه من قوة في البحر مكنتهم أن يستعملوا الخدم في منازلهم من الأوربيين أكثر من غيرهم من دول البحر الأبيض المتوسط، وأنهم إلى عهد ما قبل الاحتلال كانت سجونهم تتوفر وفي أول القرن 19 على أعداد كبيرة من أسرى البحار الأوروبيين، وذلك ما دفع همجية فرنسا بعد مرور سبع سنوات على بداية

الغزو وفي 22 يوليو عام 1834 أن أصدرت القانون الذي إعتبر الجزائر أرضا فرنسية يتولى فيها السلطة حاكم عسكري فرنسي تحت سلطة وزير الحرب الفرنسي مباشرة، ثم جاء بعده قانون 4 مارس 1848م الذي إعتبر الجزائر جزءا مكملا لفرنسا، ثم قرار مجلس الشيوخ الفرنسي بتاريخ 13 يونيو 1865الذي جعل من المسلمين العرب الجزائريين والبربر "فرنسيين" ثم قانون 24 أكتوبر 1870 الذي اعتبر الجزائر مؤلفة من ثلاث مقاطعات فرنسية، ثم 29 مارس 1971 الذي بمقتضاه تعين فرنسا حاكما مدنيا تحت سلطة وزير الداخلية الفرنسية، ثم قانون فبراير 1919 الذي عين نسبة النواب الجزائريين في المجالس العامة بنسبة الربع من مجموع عدد النواب في المجلس، وكان الثلث هو نسبة الجزائريين في المجالس البلدية، حيث لم يكن لهم الحق في الإشتراك مع بقية الأعضاء في إنتخاب رئيس المجلس وأعوانه، واستمر الحال على ذلك إلى أن رفع قانون مارس 1944 نسبة التمثيل الجزائري في المجالس العامة والمجالس البلدية إلى أربعين في المائه 40٪ أو ما عبر عنه بخمسين إثنين؟؟؟

أما النظام الإداري في الجزائر فقد قسم البلاد إلى قسمين أراضي الشمال، وأراضي الجنوب العسكرية، وقسم الجزائر الشمالية إلى ثلاث مقاطعات على رأس كل منها وال فرنسي، وتتألف كل مقاطعة من أقسام، كل منها تحت سلطة نائب وال فرنسي، ويشتعمل كل قسم على دوائر مختلطة، وإلى دوائر لها نظام بلدي ويحكم الدائرة المختلطة مدير فرنسي له كل النفوذ المدني والقضائي، والإداري، والعسكري، ويدير الدائرة ذات النظام البلدي مدير البلدية الفرنسي.

أما أراضي الجنوب فقد كانت مقسمة إلى ملحقات تحت سلطة ضابط فرنسي، والأحكام العرفية في هذه الأراضي دائمة باستمرار، ولضباط الملحقات سلطات مطلقة في كل الميادين،

أما في الجزائر الشمالية، فإن قانون 28 يونيه من عام 1881م وضع ما يسمى "قوانين الأهالي"، وهو نظام تشريعي ينفذ بالخصوص على الجزائريين، وهذه القوانين التي كملت بقانون 14 يونيو 1914 تعتمد في روحها على مبدإ المسؤلية الجماعية، وأن نصوص هذا التشريع تعتبر فظاعة قانونية حتى لدى المشرعين من الفرنسيين، لأنها تمنع

الجزائريين من كل الحريات الأساسية، كحرية التعبير، وحرية الإجتماع، وحرية تأسيس الجمعيات، وأضيف إلى هذا التشريع قانون 21 فبراير عام 1903م الذي يعرف "بقانون الغابات" والذي يحدد أنواع المخالفات والعقوبات.

وهكذا فمنذ سنة 1848 أصبح للفرنسيين القاطنين بالجزائر نواب في البرلمان الفرنسي ثم جاء قانون 1945/9/17 فمنح للجزائريين أيضا هذا التمثيل النيابي حيث وضع القسمة المتساوية بين عدد النواب الفرنسين، وعدد النواب الجزائريين، أي أن عشرة ملايين جزائري وقتها يمثلهم في الجمعية الوطنية الفرنسية خمسة عشر نائبا، في حين أن مثل هذا العدد من النواب يمثلون سبعمائة ألف فرنسي غرباء يسكنون في الجزائر، وهؤلاء النواب الثلاثون يجلسون في قصر بوربون في باريز بين ستمائة نائب يمثلون أربعين مليونا من الفرنسيين؟؟!

وهكذا فإن طول مدة الاحتلال الفرنسي للجزائر، وما توالد في نفوس الفرنسيين من حقد عبر التاريخ على الجزائريين الذين كانوا بالأمس القريب سادة الأبيض المتوسط دفع إلى تحطيم كل النظم السياسية، والاجتماعية، والثقافية، التي يمكن للجزائري أن يتمسك بها حتى يبقى بنيانه قائما وبنيته قادرة على الاستمرار، وإذا كان ما فعل بكل من تونس والمغرب"أرض الحماية: لم يتم بتلك الفظاعة، وبقيت معالم الدين فيهما قوية ومتينة نوعا، فإن الشعب الجزائري الذي حرم من كل مقوماته كان قوي الحب والتعلق بكل ما يتصل بالدين والقومية العربية والعزة الإسلامية وتلك كانت عنده هي مظاهر السيادة التي حافظ عليها بالروح والجسد، فكانت حركة جمعية العلماء وما حمله روادها من مشاعل خلف الرائد العظيم عبد الحميد بن باديس،(186) أولئك الذين حافظوا للأمة الجزائرية على مقوماتها الحضارية، ووحدتها الدينية واللغوية والثقافية، وما كان لها من عادات وأخلاق وتقاليد متميزة، فكانت حركة الإصلاح الديني التي قامت بها جمعية العلماء بلسما بعث في الجسم الصحة والسلامة والمناعة، خصوصا عندما بدأ الصراع

(186) راجع ترجمته في معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض ص82 ط بيروت 1971.

ضد العناصر الفاسدة التي إستمالها الاستعمار الفرنسي، ومنها أصبح يعين القضاة والمفتين وأيمة المساجد، فكانت الحملة التي كشفتهم وأظهرت عدم صلاحيتهم، وفي ذلك كان للشعب مدرسة تعلم من خلالها ما عملت فرنسا على حرمانه منه، بل وكشف سياسة الإدماج فكان مؤتمر جوان 1936 بالجزائر العاصمة والذي ضم ممثلين عن كل الهيآت والأحزاب والذين إتفقوا على البرنامج الذي أعلن تضامنهم واتحادهم حول المطالب التي كانت في صالح الجزائر "وفي عام 1938 كانت حركة "التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري" تلك الحركة التي جمعت بعض النواب الجزائريين وبعض الشخصيات الفرنسية المتحررة التي تتمتع بعطف جمعية العلماء، وبجانب هذا التجمع كان ثمة تجمع آخر بدأ ينمو ويتقوى هو تجمع حزب الشعب الجزائري الذي أفاد من تلك التنظيمات ولو بما أبدته من تضامن معه يوم أمرت الحكومة بحله وسجن قادته عام 1939م وبالتالي كانت حركة "البيان" التي قامت في ظروف الحرب ثم كانت هي الحركة التي طالبت بالاستقلال الداخلي للجزائريين ضمن الإطار الفرنسي والمساواة بين "جميع" من في الجزائر، وبالإصلاحات الزراعية، والاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية إلى جانب الفرنسية، وقد أشرنا قبل إلى أن الحكومة الفرنسية المؤقتة زمن الحرب و التي كانت مجرورة خلف أمريكا تظاهرت بالاهتمام بتلك المطالب وعدم المؤاخذة لأصحابها ثم هي أجابت عمليا بقانون 1944/3/7 الذي يمنح حق الانتخاب لكل المسلمين الجزائريين الذين تتجاوز أعمارهم 21 عاما، كمارفعت نسبتهم إلى خمسين مقابل نسبة الفرنسيين ثلاثة أخماس، ثم منح الجنسية لعدد كبير من الجزائريين، فكان هذا القانون عاملا قويا دفع بالحركات الوطنية إلى إعادة النظر فيما هي عليه، فكان التكتل الذي جمع القوة وقرب بين حزب الشعب وجمعية العلماء وحزب البيان في تنظيم موحد أطلق عليه أنصار البيان، لأنه أصدر بيانا يطالب فيه بجمهورية جزائرية تتمتع بالحكم الذاتي ومرتبطة بفرنسا ارتباطا فدراليا، وأصبح هذا التجمع قوة فعالة ، لكن إلي حين سيتحمل الجزائريون من صلف الفرنسيين وعنجهيتهم ما يضيق به فضاء ما بين فرنسا والجزائر عبر البحر والبر، ومن ذلك التحمل، وفسيح الآمال توهم بعضهم أن في الإمكان إقناع فرنسا بالطرق السلمية بضرورة وضع حد للاستعمار الذي كانوا يعتقدون أن الحرب العالمية الثانية قد أقنعت

غلاة الفرنسيين الذين ذاقوا مرارتها بالاحتلال وأنهم سيكونون أكثر اقتناعا بضرورة سيادة وتعميم مبادئ الحرية والسلام والأخوة، وهي المبادئ التي طالما تردد صدى تشدق الفرنسيين بها هنا وهناك، وحتى أنها وردت في ميثاق حقوق الإنسان بعد واعتقاد الجزائريين هذا هو الذي دفع بهم إلى الإحتفال بانتصار الحلفاء لجانب الديمقراطية وإعلان نهاية الحرب بذلك الانتصار يوم 8 ماي 1945. ذلك الانتصار الذي كان للجزائريين كبقية إخوانهم في أقطار المغرب العربي الكبير نصيب وأي نصيب فيه، فكان جزاؤهم أن أعلنت فرنسا عليهم الحرب وهم عزل لا يملكون ولو بندقية صيد، ولعل غدر فرنسا وما فعلته بالشعب الجزائري في ذلك اليوم لا يعرف مرارته إلا من عاش تلك الهجمة الرهيبة الغادرة التي لا تصدر إلا عن من إتسموا بالغدر والحقارة، وإني والله يشهد ماتذكرتها وتناولت القلم لحفظ تاريخها إلا وجرى الدمع من عيني وزادت نبضات قلبي أكثر مما يحصل بالنسبة لكل ما أتذكر من فظائع الفرنسيين وفضائحهم في هذه الديار ومثله في ذاكرتي يوم اختطاف محمد الخامس 20 غشت 1953 ولعل كل من له إحساس وطني سليم وعاطفة إسلامية إنسانية سيحصل له ذلك عندما يتصور وكأنه واقف في شارع من شوارع مدينتي سطيف أو غالمة وقد رصت فيها جثث القتلى بالآلاف وأنهار الدماء تجرى منها ساخنة، وفيهم من يصارع آلام جراحه بلا أمل في النجاة، وتلك الجثث وقد مثل بها الفرنسيون الجبناء ما بين نساء ورجال شيوخ وشباب، وأطفال وذلك ما فعلته همجية الصليبية يوم غزوا غرناطة بالأندلس مع الفارق أنها كانت الحرب وكانت المواجهة، أما هؤلاء فقد فعل بهم جزاء تعلقهم بالحق والعدل والخير والحب والسلام وهم في بيوتهم.

لتتصور الأجيال الصاعدة أن فرنسا الدعارة التي كانت قد لبست الحداد ثم عرفت الإذلال والإهانة والتحقير بركل الألمانيين وصفعاتهم للفرنسيين والفرنسيات، وأن شعب المغرب العربي الكبير ومنه الجزائريون الذين آوت بلادهم "حكومة التحرير الفرنسي" كانوا أول من عمل على أن تتحرر فرنسا وتنزع عنها ثوب الحداد، فماذا كان جزاء الفرنسيين للجزائريين مقابل ذلك.

الفصل الثاني والثمانون بعد المائتين

فرنسا والجراح التي لا تندمل في تاريخ

المغرب العربي "سطيف وغالمة" يوم 8 ماي 1945 في الجزائر

عرف تاريخ المغرب العربي المعاصر من المجازر ما هو مدون في صحيفة فرنسا واستعمارها الغاشم في هذه الديار، لكن مثل فظاعة ما حصل في الجزائر من حرب الإبادة لم يحصل مثله إلا من الإيطاليين في ليبيا على يد غراتسياني وفي الدار البيضاء ابريل 1947 على يد بونيفاص وقت إعلان رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة أي بعد سنتين كما سنرى.

لقد عرفت شعوب المغرب العربي الكبير من حروب الإبادة التي إستعمل فيها الفرنسيون من سلاح الفتك ما لم يسجله التاريخ لغيرهم، ولكن مثل ما حصل يوم 8 ماي باسطيف وغالمة من أرض الجزائر لم يحصل إلا في المغرب وتونس بعد يوم 8 ماي1945 كما سنرى، وذلك بعد ما جربوا ثم طبقوا نظرية دهاقنتهم في إبادة شعوب المغرب العربي الكبير بعنف عنيف وقسوة قاسية، حتى تحل مكانهم جموع الألزاس واللورين والكورس، ولئن كانوا قد بدأوا ذلك منذ 1827 فإنهم لم يفعلوا بنفس الشراسة التي طبقوها في الجزائر يوم 8 ماي 1945 وما بعدها في أقطار المغرب العربي الكبير، حقا لقد عبر قبل شاعر المغرب العربي المرحوم بكرم الله أبو القاسم(187) الشابي

(187) قال رحمه الله:

1) ألا أيها الظالم المستبد حبيب الفناء عدو الحياة
2) سخرت بانات شعب ضعيف وكفك مخضوبة من دماه
3) وعشت تدنس سحر الوجود وتبذر شوك الأسى في رباه
4) رويدك لايخدعنك الربيع وصحو الفضاء وضوء الصباح
5) ففي الأفق الرحب هول الظلام وقصف الرعود وعصف الرياح
6) ولا تهز أن بنوم الضعيف فمن يبذر الشوك يجني الرياح
7) تأمل هنا لك أنى حصدت رؤس الورى وزهور الأمل
8) ورويت بالدم قلب التراب وأشربته الدمع حتى ثمل
9) سيجرفك السيل سيل الدماء ويأكلك العاصف المشتعل

1906"1324ـ1353هـ1934" عن تلك الفظائع أصدق تعبير لكن ما حصل في الجزائر يوم 8 ماي 1945 لم ولن يستطيع وصف فظاعته أي تعبير، وبأية لغة مهما سمت عبارته ورق وصفه وكبرت بلاغته.

إن فرنسا التي خرجت من تلك الحرب مجروحة الكبرياء بل ذليلة ومهانة بسبب هزيمتها الساحقة وانهيارها السريع أمام جيوش هتلر، وبسبب خيانة كبار زعمائها من مدنيين وعسكريين، قد وجدت نفسها بحاجة إلى مظاهرة تسترد بها كرامتها ولو في عين الجزائريين وحدهم، فهداها تفكيرها إلى ما وصمها بالخسة والجبن والنذالة، حيث رامت أن تجد العزة والبأس، إذ أطلقت شر اذم جيوشها التي تخاذلت في الميدان فعاثوا فسادا في البيوت والقرى، يصبون جام غضبهم والعذاب الأليم على الشيوخ والنساء والأطفال وحتى الحيوان، يقتلون الشعب الأعزل، ويحرقون المساكن والمحصولات، حتى لقد جددت هذه الحملة الإرهابية حرب الغزو الغادرة التي شنتها فرنسا على الجزائر سنة 1827، بقصد استئصال شأفة ذلك الشعب المسلم الأبي النبيل.

كانت حصيلة ذلك "المجد العسكري" الذي حشدت له فرنسا قواتها البرية والبحرية والجوية ضد الشعب الأعزل في الجزائر جريمة من أبشع الجرائم التي ستجد فرنسا نفسها مسؤلة عنها أمام محكمة التاريخ مادامت الحياة والناس، فقد قتل في الميدان ظلما وغدرا خمسة وأربعون ألف مسلم عربي بين رجل وامرأة وشيخ وطفل في مدن مختلفة من مقاطعة قسنطينه سطيف وغالمة وبرج، بوعريريج ذلك أنه لما تم لفرنسا ذلك النصر المزور، وجهت إهتمامها إلى خداع الرأي العام العالمي حيث فسرت تلك المذابح الوحشية تفسيرا يوافق هواها، فزعمت أنه كانت هناك حركة إرهابية ومؤامرة ضد الدولة الفرنسية، "دبرتها" حفنة من محترفي الشغب، منتهزين فرصة مواكب النصر في يوم عيد الهدنة كي تندفع الجماهير بتأثير الدعاية والتهيج فتعتدي على الأوربيين المتواجدين بالجزائر وزعمت الدعاية الفرنسية أن هؤلاء "المهيجين المشاغبين" في سطيف وغالمة وغيرهما من البلاد كانوا أداة عمياء في يد زعماء متعصبين يصدرون أوامرهم من مصر وغيرها من البلاد العربية.

وقد ظلت هذه الحملة الصحفية الكاذبة مستمرة أكثر من ستة أشهر للتعمية، كما

شغلت جانبا كبيرا من وقت الإذاعة الفرنسية.

وكان من نتيجة هذه الحملة المدبرة أن شاع في الرأي العام الفرنسي أن العرب يتربصون بالفرنسيين، فعلى الفرنسيين أن يتكتلوا لدفع ذلك الخطر، وعلى الحكومة أن تقضي على الحركة الوطنية بحجة أنها عصابة من المشاغبين والمتآمرين المحترفين.

وكان ذلك كله بمثابة تمهيد للإرهاب السياسي المنظم الذي صبته الحكومة الفرنسيةعلى أحزاب الجزائر السياسية بقصد تفكيك الوحدة الوطنية التي كانت الأحزاب قد عقدتها تحت لواء أنصار البيان والحرية.

كان لابد للوصول إلى هذا الإجراء من عاملين. العامل الأول حشد قوى الحقد ضد المسلمين العرب لدى الفرنسيين المقيمين في الجزائر، والعامل الثاني بث الرعب في قلوب الجزائريين من قوة فرنسا الغاشمة وإرهابها الجهنمي.

ونذكر فيما يلي مثالا لما كان ينشر، وهو مقال في صدى الجزائر نشر بالعدد الصادر في 8 يونيه سنة 1945 أي بعد المذبحة بشهر:

"لقد سال الدم الفرنسي أنهارا بغير مبرر المرة تلو المرة، فقد اعتدى العرب في وحشية على الأهالي الفرنسيين، فقتلوا ضحاياهم وعذبوهم، وذبحوا غلمانا ابرياء كان كل ذنبهم أنهم ينشدون في نشوة بريئة أهازيج النصر احتفالا بعودة السلام"؟" وكم من شيخ فان خضبت دماؤه أرض الطريق"؟"، وكم من فتاة صغيرة كانت تلعب بدميتها فصرعتها رصاصة غادرة أصابتها في السويداء من قلبها أو في جبينها الوضاح"؟" إن الخطر جاثم على صدور الفرنسيين في مزارعهم المنعزلة وفي بطون الأودية والغابات. فالموت يتهددهم في لحظة ويتهدد نساءهم وأطفالهم. فأول واجبات الحكومة أن تحمي هؤلاء حماية عاجلة مباشرة وبقوة السلاح، فالجندي هو رجل الساعة في هذا الوقت العصيب في شمال افريقيا" إلخ هذا مع العلم أن صاحب الاجرام المفتري لم يضرب لنا ولا مثلا واحدا من الضحايا المزعومين وأين.

غير عجيب أن تثير مثل هذه المقالة الفزع والرعب بين السكان الأوربيين، وغير عجيب أيضا أن تتشكل على اثرها قوات مدنية مسلحة تنتظم الرجال والنساء، تحت إشراف الحكومة وبمعاونتها تتولى هذه التشكيلات إلى جانب القوات الرسمية المسلحة

اقتناص العرب في غير هوادة وذلك ما حصل. وقد استمرت هذه الحالة شهورا طويلة لا تنقطع ليلا أو نهارا، لكن ما ذهل عنه المؤرخون هو أنه كانت التصريحات السابقة للحلفاء حول حرية الشعوب إلى جانب ما سبق هي السبب في حوادث 8 ماي 1945 ذلك لأن تلك التصريحات شهرت بالاستعمار ثم بشرت بنهايته بعد انتصار الحلفاء، وكان هذا أكثر يعني النظام الاستعماري في الجزائر وتونس والمغرب ولذلك انتهز الجزائريون والمغاربة الفرصة وكونوا لهم تنظيما سياسيا وطنيا من أجل الدعوة لتحقيق الاستقلال على أساس تلك المبادئ الثمانية التي أذاعها الحلفاء باسم الحلف الأطلسي مما زاد شعور الفرنسيين أن الخطر يتهدد استعمارهم ولذلك ما كاد الجزائريون يظهرون شعورهم بالفرح بتحقيق النصر الذي تتحقق به المبادئ المعلنة قبل حتى حصل ما حصل مما ارتكبته فرنسا من فظائع ضد شعب أعزل مسالم.

وللتاريخ والتاريخ فقط ماذا كان موقف المستعمرين وموقف الحكومة من ذلك التضامن القومي الجزائري وذلك الاجماع على الاستقلال؟

أعلنها المستعمرون من الرأسماليين الفرنسيين حملة صحفية عنيفة ضد كل تغيير يتناول الحالة القائمة لا في بلاد الجزائر بل في ربوع المغرب العربي الكبير.

وأما الحكومة التي كان زمامها في يد لجنة التحرير الوطني برئاسة الجنرال دي غول، فقد حاولت أن تجد حلا وسطا يخدر أعصاب الجزائريين ويهدئ خواطر الأقلية الأوربية في بلاد الجزائر ولهذا دعى المقيمون العامون في بلاد "الامبراطوية الفرنسية" إلى المؤتمر في برازافيل والذي عقد برئاسة الجنرال دي غول في 30 يناير سنة 1944 كذلك للتشاور في التغيرات السياسية التي تتناول كل بلد مما وراء البحار.

وعلى إثر ذلك أعلن الجنرال دي غول في 7 مارس 1944 في مدينة قسطنطية عن الإصلاحات المتوقعة في الجزائر.

ومجمل هذه الإصلاحات التي أشرنا إليها منح حقوق المواطن الفرنسي لفئة من الجزائريين تبلغ نحو أربعين ألفا، ومنح التمثيل السياسي "للجزائريين" لدى الجمعية الوطنية الفرنسية. بيد أن هذه الإصلاحات لقيت إعتراضا شديدا من جانب الوطنيين ومن جانب المستعمرين أنفسهم على السواء. أما الوطنيون فإن هم عارضوا هذه

الإصلاحات لأنها ضد أمانيهم الوطنية في الاستقلال المقرر بنص المواثيق الدولية. وأما المستعمرون الفرنسيون فقد عارضوا هذه الإصلاحات لأنها تنتقص من امتيازاتهم المطلقة وهكذا نشب صراع بين القوى الثلاث أصر كل منها على رأيه ودافع عنه. وكانت جبهة المستعمرين الإقطاعيين كما عرفنا قد عاونت نظام فيشي، لهذا فقدت شيئا من نفوذها السياسي بسقوط ذلك النظام، فعمدت هذه الجبهة من المستعمرين إلى تدبير المؤامرة يوم 8 ماي سنة 1945 وذلك كي تسترد بها ذلك النفوذ المفقود. وكان يلزمها لتقوية نفوذها أن تقضي أولا على الحركات الوطنية الاستقلالية، وأن تسقط ثانيا كبار الموظفين الإداريين كي يحل محلهم غيرهم من أذناب المستعمرين وصنائعهم ويصرفون الأمور على هواهم ولمصلحتهم. وقد ظهر عنصر التدبير الإجرامي واضحا من التحليل الأولى للوقائع نفسها. ففي 8 مايو سنة 1945 كانت الجزائر تستعد كما تستعد جميع بلاد العالم للاحتفال بعودة السلام وانتهاء الحرب، ففي مدينة سطيف تجمع السكان كلهم في الشارع الكبير منذ الصباح الباكر للاشتراك في مواكب الهدنة فرحين بإنتهاء الحرب التي صحبتها الوان الحرمان والقيود.

وقد زعم المتآمرون الاستعماريون أن ذلك التجمع كان بقصد ذبح الفرنسيين، ويكفي للقضاء على هذا الزعم أن تلك الجماهير كانت مكونة من جميع العناصر والأعمار، فمنهم الشيوخ والأمهات حاملات أطفالهن، ولم يكن ذلك هو شكل الجماعات التي تتكون للقتل بل شكل الجماهير العزل حين تكون فريسة سهلة لعدوان مسلح غادر، وهذا ما وقع فعلا لهؤلاء المسالمين، حيث قتل منهم خمسة وأربعون ألف 45000 مسلم عربي ظلما وعدوانا.

ومن الثابت أن هذه المذبحة قد بدأت بطلقة نارية من جانب ضابط بوليس فرنسي صرع بها غلاما من غلمان الكشافة في العاشرة من عمره، وكأنما كانت تلك الطلقة النارية إشارة متفق عليها لبدء المذبحة، فتجاوبت الطلقات النارية من كل مكان، وكثرت الضحايا بغير تمييز، وتفرق الناس في كل وجهة بلا هدف، واستولى الرعب على الجماهير فانفض الموكب وتفرق الناس في كل جهة ولكنهم لم يستطيعوا الفرار من عصابة الاجرام التي كانت لهم بالمرصاد فكثر القتلى عند كل منعطف وسحق العزل في كل منحدر. واتسع نطاق تلك المجزرة حتى شمل كل شمال مقاطعة قسنطينة، في دائرة

مساحتها نحو 3400 كليو متر مربع. هذا هو تاريخ الماضي القريب لوجود فرنسا في المغرب العربي الكبير. أقدمه لدعاة الفرانكوفونية الذين عميت أبصارهم هنا وهناك حتى أصبحوا لا يرون إلا شهواتهم ولا يبصرون بغير عيون سادتهم الذين استعبدتهم المادة لحسابهم.

ونفضل أن نترك الكلمة هنا لفرنسي صميم حتى لا نتهم بالمبالغة أو التحقير، وذلك هو ميشيل روزيه الذي كتب في سنة 1945 يقول في كتاب له عن حوادث قسطنطينة.

"أعلنت الأحكام العرفية في سطيف وحرم على كل مسلم أن يخرج من داره ما لم يكن حاملا تصريحا خاصا من الإدارة، ولم يمنح ذلك التصريح الخاص فيما عدا الأوربيين إلا لنفر قليل جدا من المسلمين، وكل مسلم يخرج إلى الطريق بدون ذلك التصريح يقتل فورا دون حاجة إلى إجراء آخر، وقد بقيت الحالة على هذا النحو بضعة أيام قضاها الأهالي الجزائريون في رعب مريع مع أن السواد الأعظم منهم لا دخل لهم في الحوادث التي وقعت، وفي المنطقة المحيطة ببلدة سطيف كان يتولى الأمر الجيش البري، ولا سيما الفرقة الأجنبية والجنود السنغال، والقوى الجوية والقوى البحرية. أما الفرنسيون على العموم من المدنيين والعسكريين فلا شغل لهم إلا قتل الأهالي ونهبهم واغتصابهم وتحريق دورهم، حتى غدت المنطقة الواقعة شمال سطيف صحراء مقفرة، وقد إشتركت جميع طوائف الفرنسيين في هذا الإرهاب بغير تفريق بين مذاهبهم السياسية، سواء في ذلك الفاشيون من أقصى اليمين والشيوعيون في أقصى اليسار.

وفي الأيام التالية زادت وطأة الاضطهاد، ففي مدينة غالمة إعترف نائب حاكم المدينة الفرنسي بإعدام ثلاثمائة شاب مسلم رميا بالرصاص، ولا شك أن العدد الحقيقي يتجاوز الألف.

وتضيف إلى ذلك أن أحد كبار المستعمرين في الجزائر هو "أبو" أكد قبل وقوع تلك الحوادث بأسبوعين أن أمورا خطيرة ستحدث عما قريب؟؟

وفي يوم أول مايو سنة 1945، وهو يوم العمال في العالم كله كما هو معروف، كانت مواكب العمال المسلمين تمر في شوارع الجزائر حين هاجمهم البوليس وقتل منهم ثلاثة.

بل كمقدمات لتلك الجرائم في شهر ابريل كانت الإدارة تتربص للشعور القومي في شلاله. حيث حددت إقامة الزعيم الوطني مصالي الحاج، وكان من نتيجة هذه الإثارة

التي تزعمها محافظ الجزائر نفسه، أن تحرك الشعور الوطني وقامت الجماهير المسلحة بالعصى والهراوات بتخليص المقبوض عليهم من بين أيدي رجال البوليس. وفي اليوم التالي نزل الجيش إلى المدينة وتم القبض على عشرات من المواطنين، ونقل الزعيم الوطني مصالي الحاج في جوف الليل بطائرة حربية إلى افريقيا الاستوائية.

وابتداء من 8 ماي أخذت الحوادث صورتها الدامية التي تحدثنا عنها آنفا، وهكذا تمكنت المؤامرة من الوصول إلى أحد هدفيها وهو ترويع وإرهاب الشعب الاعزل ثم مهدت للمستعمرين تنفيذ الجزء الثاني من الخطة، وهو تغيير طقم الحكام ورجال الإدارة وإحلال أذنابهم محلهم.

وكان ذلك هو موضوع المنشورات التي وزعت في المكاتب والإدارات، وهي منشورات تتضمن مهاجمة عنيفة لرجال الإدارة، وعلى رأسهم الحاكم العام، لتهاونهم وتسامحهم المزعوم مع العناصر الوطنية، وتجهاهلهم النذر المزعومة لمؤامرة العرب ضد الفرنسيين، فهم مسؤلون عما أريق من دماء الفرنسيين، ويجب عزل الحاكم العام وجميع مساعديه الكبار وتعيين حاكم مدني من بين فرنسيي الجزائر تخول له سلطة مطلقة لقمع الحالة.

وكان ذلك الحاكم المدني المشار إليه في المنشور هو "فورجيه"، وهو من أقوي وأغنى المستعمرين الفرنسيين في شمال إفريقيا.

وفعلا نجحت المؤامرة في عزل الحاكم العام وكبار معاونيه، ولكن الذي حل محل الحاكم العام رجل ألزاسي هو "نيجلين"، ونحن نعرف مركب النقص الذي كان يعانيه أبناء الألزاس واللورين بالنسبة للفرنسيين من أعقاب الفرنكة، فكان "نيجلين" أشد وأمر من الحاكم الذي رشحوه بأنفسهم، فقد إختط سياسة الرعب والفقر وتكميم الأفواه، وكانت الصفحة التي كتبها في حكم الجزائر أسوء الصفحات، حتى إنها لتقارن بأحلك عهود العصور الوسطى. ديست جميع الحريات، وأغلقت الصحف، ومنعت الاجتماعات، حتى صارت الجزائر معسكرا واحدا واسعا من معسكرات الاعتقال. وقد بلغ عدد المسجونين السياسيين عشرين ألفا، كانوا فريسة سائغة للمحاكم العسكرية لم تكن تتيح لهم الفرصة للدفاع عن أنفسهم بل لم تسمح لهم حتى بتوكيل محامين للدفاع عنهم، وكثيرا ما كانت أحكام الإعدام تنفذ فورا. وقد مات كثير من هؤلاء السجناء تحت وطأة

العذاب الوحشي. أما من أطلق سراحه منهم فإنهم عادوا من جديد إلى جيش الكفاح الوطني. ولكن هناك غيرهم ممن أضعف التعذيب روحهم المعنوية، فتخلوا عن الكفاح، وكانوا عونا للمستعمر في تفكيك الوحدة القومية وانقسام الرأي. وسيأتي يوم تعلن فيه وبأقلام جزائرية أسماء الصابرين الثابتين على المبدأ، وأسماء الخونة الذين ارتضوا لأنفسهم بعد عزة الجهاد أن يكونوا مطية حقيرة للمستعمر، تحت ستار الاعتدال والواقعية أحيانا "وبعد النظر" السياسي أحيانا أخرى وأنا أعرف بعض زعمائهم. لكن لم أفعل بسبب عدم التثبت، والأولى بهذا هم الذين عاشوا داخل الجزائر وقتها وغنى عن البيان أنه لولا تمسك كتلة الشعب الجزائري بمبادئ الحرية والديموقراطية تمسكا أقوى من الموت والإرهاب، لكانت مذابح 8 ماي لسنة 1945قد أتت بالنتيجة المرجوة من تلك المؤامرة وهي القضاء على الحركة الوطنية، لكن خاب سعيهم فلم تكن تلك الحوادث غير الوسيلة التي مكنت لروح العمل والفداء الذي بدأ التفكير فيه مبكرا لولا ما كان يجري في الخفاء بين الزعامة وأطر الحزب القوي في البلاد، ومع ذلك فقد كانت الفكرة تتمكن وتختمر في عقول ونفوس الأحرار الذين كانوا يستعدون تلقائيا لليوم المعلوم. كما سنرى بعد ما نتعرف على ما حصل في الجناح الغربي للمغرب العربي الكبير وما عرفه باعثه محمد الخامس من صراع ضد الاستعمار ومحافظة على الذاتية المغربية.

كانت فرنسا الحكومة والجنرالات والإدارة وجماعات المستعمرين ذوي الإقطاع في ربوع المغرب الكبير قد إستولى عليهم السعر والتوحش ومنهم غابريال بيو بالمغرب الأقصى الذي هو الآخر أيضا تجرد ثم شمر وهو مستعد لفعل كل شيء وقد بدأ عمله الساقط والفاشل من جديد بمحاولة جديدة تدل على مستوى سخافة العقلية الفرنسية التي كان يوكل إليها حكم الشعوب بقوة الحديد والنار.

لم يكن في مقدور غابريال بيو وقتها وضع تشريع جديد مثل الذي وقع في الجزائر لكن كان في وسعه أن يقترح على العاهل الذي لا يمكنه أن يتحرك من غير موافقته بحكم القانون الذي يؤكده عقد الحماية وعليه هذه المرة أن يقترح تشريعا للسلب والنهب وذلك هو ما سنرى كيف حصل فكانت الفضيحة التي أنهت وجود غابريال بيو بالمغرب ليحل مكانه إريك لابون.

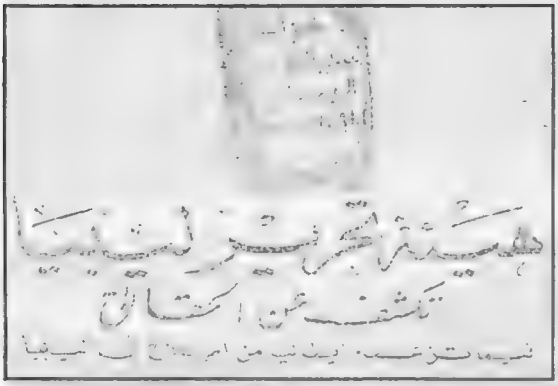

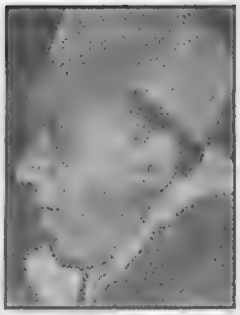

المجاهد الهاشمي
الأنصاري الفيلالي
يقول أمام اطارات
الحزب انبثاق الكتلة
الوطنية تحول عظيم
في تاريخ المغرب
بتاريخ 1970/8/24

مؤتمر عام من أجل مراكش
دعت الهيئات الاسلامية
والوطنية إلى قيامه في مقر
جمعية الشبان المسلمين
لبحث قضية مراكش...
وترى بين الجالسين في
الصف الأول من اليسار
محمد على علوبه باشا
والسيدة نعمت راشد
والسيدة سيزا نبراوي
والدكتور علوش

في مكتب المغرب بالقاهرة
الحبيب بورقيبة
16 مارس 1947
يوم عاد من جنيف

صاحب الجلالة يحيي الجماهير في طنجة
يوم 9 أبريل 1947

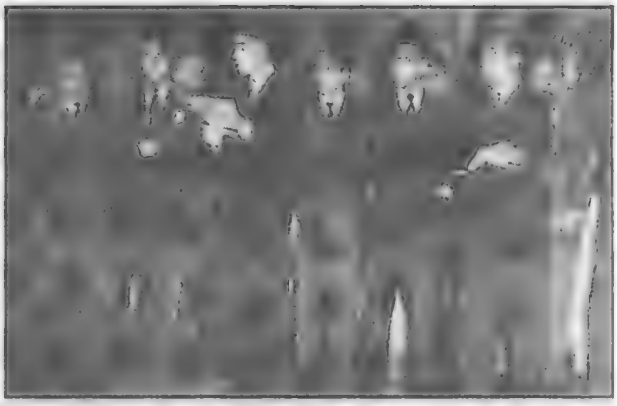

الأخ عبد الكريم غلاب في نفس المكتب يخطب في نفس المناسبة

الأخ عبد المجيد بن جلون بمكتب المغرب العربي يخطب في الجماهير بمناسبة عيد العرش بحضور عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية

الدكتور الشهيد الجبيب تامر وخلفه جماعة من التونسيين وإلى يساره الطيب سليم الذي لم يشرف تونس والتونسيين بتصرفاته في مصر وما نشرته حوله الصحافة ومثله بوخريص مراد بخلاف رشيد إدريس الذي شرف الحركة الوطنية ومثله يوسف الروسي وحسين التريكي

إعلان تأسيس مكتب المغرب العربي
بالقاهرة الجامعة العربية
في عهد عبد الرحمن عزام الأمين
العام تتبنى قضايا المغرب العربي
بكل صدق وأمانة

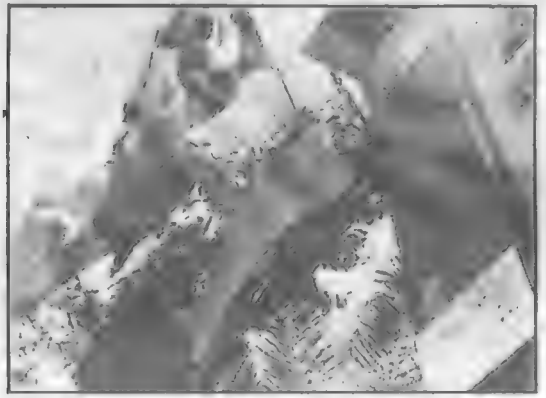

أول مكتب للمغرب العربي في القاهرة
وقد دشن بتاريخ 1947/2/24
10 شارع ضريح سعد بالقاهرة

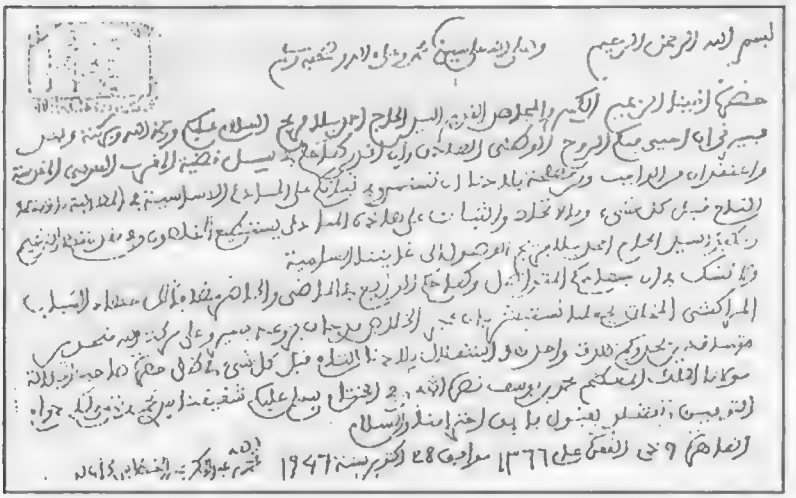

الرسالة التي وجهها محمد
بن عبد الكريم الخطابي
إثر نزوله بالقاهرة إلى
أحمد بلافريج الأمين العام
لحزب الاستقلال

بسم الله الرحمن الرحيم

الاســـم ـ هيئة تحرير ليبيـــا .

أعضاء الهيئة ـ بشير بك السعداوى ـ أحمد بك الشتيوى ـ محمود بك منتصر .

الطاهر بك المريض ـ منصور بك بن قداره ـ جواد بك زكرى ـ

خزانة عبد الكريم العيلاني A. EL FILALI

أغراضها : ١) السعى لاستقلال البلاد بحدودها الطبيعية

٢) التعاون مع الجامعة العربيـــة

٣) التفاهم فى كل ما يحقق هذا الاستقلال ويصونه ويؤمن رفاهية الشعب الليبى وتقدمـــه .

٤) السعى بكافة الطرق المشروعة داخليا لتنوير الرأى العام وتوحيد الصفوف وتوحيد الجهود الوطنية للصالح العام .

٥) اجتناب كل دواعى الجدل والشقاق والخلاف على نظم الحكم وطرائقه وأن يبحث كل ذلك ممثلو الشعب بعد الاستقلال .

(والمراد بممثلى الشعب الهيئة التشريعية التى تختارها البلاد بعد نيل استقلالها لتبحث فى شكل الحكم ونظمه وطرائقه وتضع الدستور الذى يلائم البلاد) .

٦) المحافظة على وحدة الكلمة أثناء الكفاح للحرية فى الخارج بالدعوى فى جميع الجهات للحصول على تأييد الرأي العام العربى والاسلامى والعالمى ، وذلك بنشر دعوة الليبيين بين كافة الأقوام فى جميع الميادين السياسية ،،

حرر بالقاهـــرة فى ١/٣/١٩٤٧م

٧ ليس للهيئة أية نزعة حزبية وهى تعلن استعدادها للتعاون مع كل الهيئات الوطنية والأحزاب الموجودة فى البلاد فى كل ما يحقق لليبيا حريتها واستقلالها .

أعطيت صورة منها إلى قسم عابدين

فى ٢٦/٥/١٩٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسم — هيئة تحرير ليبيا .

المؤسسون .. بشير بك السعداوي ، أحمد بك الشنيب ، محمد بك بن منتصر ، جواد بك بن زكري ، الظاهر بك العريض ، منصور بك بن فداره .

الاغراض —

السعي لاستقلال البلاد بعد رد ما انتهبته أي من الحدود المصرية الى الحدود الترنسية والجزائرية ، وأي الصحراء الكبرى جنوبا ، والتعاون مع الجامعة العربية ، والتفاهم الى كل ما يحقق هذا الاستقلال ويصونه وكسب رضاء الشعب الليبي وتعبئته وكذلك السعي بكافة الطرق المشروعة داخليا لتوجيه الرأي العام وتوجيه الصحف ، وتوجيه الجهود الوطنية للصالح العام واجتناب كل ما يؤدي الجدل والشقاق والخلاف على نظام الحكم وطريقته ، وأن يجعل كل ذلك في سبيل الاستقلال ، والمحافظة على وحدة الكلمة أثناء تكتلها في الخارج ، تعبيرا بالدعوى في جميع الجهات للحصول على تأييد الرأي العام العربي والاسلامي والعالمي وذلك بنشر دعوة الليبيين بين كافة الاقوام في جميع المبادئ السياسية .

(توقيع الثلاثين)

حرر بالقاهرة في ١٩٤٧/٣/١

رقم التسجيل ٣

حضرة المحترم صاحب الكتاب (أو العزة)

بعد التحية ، يسرنا أن نرى كل وطني يعمل لخير الوطن ورفاهيته والتفريج عنه واستقلاله ، ولم نكن مسرورين عندما نرى جميع الهيئات والاحزاب في بلادنا العزيز تتظافر على ما ينهض بمستوى البلاد ويحقق آمالها .

ونحن نزف اليكم تأليفنا هيئة وطنية في القاهرة أطلقنا عليها اسم هيئة تحرير ليبيا ، تعمل على اتحاد الكلمة ولم الصفوف وتوجيه العمل الى الاستقلال والوحدة والتعاون على تأييد الرأي العام في الداخل والخارج .

وان الوطن لفي حاجة كبرى الى كل فرد من أفراده في هذه الظروف العصيبة التي يجتازها .

ويسرنا جدا أن نتلقى منكم التأييد والتشجيع ، وأن نستمع الى آرائكم وتوجيهاتكم حتى يتحقق للبلاد ما تصبو اليه .

ومع هذا صورة من انتساب الذي يهمنا أمره ولفت نظركم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام)

عن هيئة تحرير ليبيا

السكرتير

القاهرة في / / ١٩٤٧

هيئة تحرير ليبيا
١٣٦٦ — ١٩٤٧

وثائق تأسيس هيأة تحرير ليبيا المنظمة التي انضمت إلى لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة بمناسبة تأسيسها 1947 إثر نزول محمد بن عبد الكريم الخطابي بالقاهرة

مكتب المغرب العربي

١٠ شارع ضريح سعد — مصر

تليفون ٥٦٨٢٢

القاهرة في ٥ ابريل سنة ١٩٥٠

حضرة صاحب العزة مدير بنك الامة العربية

تحية واحتراما .

وبعد فقد ارتأى مكتب المغرب العربي ان يصدر مجلة شهرية بعنوان (مجلة المغرب العربي) ونظرا الى ان اصدارها يتوقف على ضمان مالي قدره مائة وخمسون جنيها فاننا نرجو من بنك الامة العربية ان يضمنا هذا الضمان باسم مدير المكتب الاستاذ عبد المجيد بن جلون ولكم التكرم سلفا

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

المدير

جماعة المغاربيين في مكتب المغرب العربي وقت نزول محمد بن عبد الكريم بالقاهرة ويظهر في الصورة ناصر الكتاني إلى جانب البشير السعداوي زعيم حزب المؤتمر الليبي، وناصر هو الذي ضبط يتجسس لفائدة الفرنسيين بواسطة عمه عبد الحي الكتاني الذي كان وراءه بعض اليهود وبذلك حكم عليه في عهد عبد الناصر بالسجن المؤبد إلى أن توسط المغرب في سراحه بعد موت عبد الناصر وتولى أنور السادات

كان المؤتمر قد انعقد ولأول مرة يوم 47/2/16 بالمركز العام لجمعية الشبان المسلمين وهذا أول اجتماع بإشراف عبد الرحمن عزام وحضور رجالات مصر ويظهر أحمد أمين في الصف الأمامي

(من اليمين) محمد توفيق خليل بك فصالح حرب باشا فالأستاذ احمد حسين فالشيخ عبد اللطيف دراز

والشيخ عبد الله ابراهيم الفضل سفير المملكة العربية السعودية بالقاهرة ومحمد بن عبود بطل إنزال عبد الكريم الريفي الذي نراه يخطب في مكتب المغرب الأقصى بعد نزوله من الباخرة

الفصل الثالث والثمانون بعد المائتين

أول الصراع بعد الحرب

فضيحة بيو ونجربة إريك لابون في المغرب الأقصى

كان غابريال بيو المقيم العام الفرنسي بالمغرب مثل نيجلين في الجزائر الذي تلطخت يداه بدماء الأبرياء من المغاربة الذين قتل منهم من قتل واعتقل من المآت بل الآلاف ما اعتقل،بسبب تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال التي نتج عنها تنظيم جديد في صفوف الوطنيين أطلق عليه إسم "حزب الاستقلال"، والذي بحق ما كان له وفي مدة تقدر بسبعة أشهر أن يصبح له وجود حقيقي في كل مدينة وفي كل حي أو قرية وجد فيها تحرك للمطالبة بالاستقلال، ناهيك، وأن إسم العاهل محمد الخامس الذي ملأ حبه القلوب أستعمل وقتها بطريقة ذكية وحذق سليم سواء في المغرب أو الجزائر وتونس الأمر الذي أزعج طائفة المستعمرين ثم شددوا الخناق على المقيم العام الذي صار ألعوبة بين دهاقنة الاستعمار ورؤوس المال ذوي الإقطاع.

كان غابريال بيو تحت وطأة رعب المستعمرين المتحكمين في حكومة باريز قد انتهي إلى قناعة بما إستقر في نفسه ونفوس من حوله من رأي تحمس له الجميع، وهو القضاء على التنظيم السياسي الجديد الذي أصبح يعرف بحزب الاستقلال، والذي أصبح له من الدعاة والمنشطين ما لم يخطر ببال رجال أقلام المخابرات التي أصبح رجالها ينقلون عن نشاطه ووجوده ما لم يصدقه المسؤولون الكبار، ونسوا أن السبب في ذلك هو غلو وغطرسة وظلم الفرنسيين الذين قتلوا وشردوا ثم ملأوا السجون، وأنه ما كان في كل حي من شهيد أو جريح أو سجين أو مهدد إلا وينسب ما قام به إلى الحزب الجديد الذي كان الكل يعمل لتمكينه من غير أن يعرف من رواده ولا من هم المسؤلون عن نشاطه، وإذا ما قوي النشاط الوطني ثم هو ينسب إلى حزب الاستقلال فقد اهتدت "عبقرية" دهاقنة

الاستعمار ومن أشار على كبيرهم غابريال بيو أن قوة هذا الحزب وقد إنتهى كل المعلومين من رجاله إلى السجون والمنافي تكمن في ما يقدمه الأغنياء يتقدمهم محمد الغزاوي(188) من مال ظهر مفعوله يوم حرمت مدينة فاس من الماء والكهرباء والمواد الغذائية ومع ذلك إستمرت الحياة عادية كما كانت، وكأنه لم يحصل شيء، والذي كان وراء ذلك هم رجال المال من الوطنيين يتقدمهم مال محمد الغزاوي السجين والذي أمر بتوظيفه لذلك بواسطة شقيقة إدريس الغزاوي ولذا كان على المقيم أن يبتكر وسيلة يستعملها للوصول إلى أموال بعض الأغنياء الذين يقومون بذلك التنشيط والتأييد من بعيد، والذين لا يمكن البحث عنهم وإتهامهم إلا بواسطة قانون يوضع لذلك، ويجب أن يصدر هذا التشريع عن السلطان وباسمه ينفذ.

عندما ما قامت الحرب 1939 إنقطعت الواردات وأصبح من المستحيل تصريف منتجات البلاد من المواد الخام، فكان على المغرب أن يواجه حالة جديدة تقتضي تموين البلاد بمنتجاتها المحلية ولم يكن ذلك ميسورا إلا بإنشاء صناعات تستوعب خامات المغرب، فاحتاج إلى أموال ضخمة لإنشاء المصانع اللازمة لذلك، وكانت هزيمة فرنسا أمام الألمان قد نقلت إلى المغرب أموالا هائلة خشي أصحابها أن يصادرها الألمان، فتدفق المال على البلاد التي أصبحت مرتعا لرؤوس المال من الفرنسيين الذين وظفوا أموالهم في إنشاء المصانع الكبيرة بالدار البيضاء، كما ترتب على تطور الصناعة الاستهلاكية أن إتسعت شبكة الطرق، فأنشئ ألف كيلومتر من السكك الحديدية و12 ألف كم من الطرق المرصوفة بالاسفلت، وقفز إنتاج المناجم إلى عشرة أضعاف ما كان عليه، فاستعملت المصانع الجزء الأكبر منه وصدرت الباقي بعد أن إنتهت الحرب، حتى إن البترول وقدتم إكتشافه بلغ إنتاجه اليومي 500 برميل وحتى لا يتحرك المغاربة إلى مشاركة الفرنسيين في الميدان قام غابريال بيو تحت ضغط المعمرين بمحاولة ما ستقرأ

(188) كان محمد لغزاوي من أول الذين ألقى عليهم القبض وبذلك فوض لشقيقه إدريس الذي ناب عنه، والذي كان على اتصال دائم به كما أن محمد لغزاوي كان على اتصال دائم بالعاهل بواسطة زوجته السيدة كنزة بوعياد التي تنقل إليه تعليمات العاهل أولا بأول خصوصا وان السيدة كنزة وهي كريمة أحمد بوعياد ابن الحاج العربي بوعياد، الأب وطني والجد وطني والعم الحاج الحسن بوعياد وطني وأنها كانت تتمتع بالجنسية الانجليزية لأنها ولدت بابريطانيا أيام كان والدها يتاجر بها مثل والده الذي كان قد هاجر إليها أواسط القرن 19.

في هذا الفصل من تشريع تقدم به المقيم المجرم القتال غابريال بيو، ومنه ومما مضى يستدل على ما كان القوم يبيتونه للمغاربة والذين كانوا يعملون من أجل تشريدهم في وطنهم، كما يتعرف المرء على حقيقة المعركة التي كان يخوضها محمد الخامس مؤيدا بشعبه الذي تعلق به وأخلص له الولاء.

وهكذا هيأت الإقامة العامة مشروع ظهير عزز بقرار من المقيم قصده وغايته "مصادرة ماسماه الأرباح غير القانونية" التي أظهرت ثروات زعمت أنه لم يكن للذين يتمتعون بها وقتها قليل ولا كثير منها بالأمس القريب، ، وتقول رواية أخرى أن غابريال بيو ومن ورائه جماعة من المرابين الفرنسيين إستمرأوا ما عرفته مدينة الرباط وأهلها من نهب وابتزاز باسم "دية المقتولين" الفرنسيين في مظاهرات 29/يناير 1944 والتي نصبت لجمعها لجنة من أهل الرباط بالقهر والإكراه والتي شارك في دفعها السكان دارا بعد دار، بل فردا فردا، ومن حاول التملص كانت عقوبته قاسية، وكانت اللجنة التي كلفت بجمع الأموال قد تكونت من ابن عيسى الرايسي، ومحمد بوهلال، وعبد الغني القباج، وإذا ما كانت النتيجة كما أراد دعاة النهب والإبتزاز إلى درجة أن ما فضل من الفتات صير من الرايسي كبير أغنياء الرباط في الوقت الذي لم يكن غير تاجر شاي فقط الأمر الذي نبه شهية المقيم بيو وهو صاحب الأمر والنهي فتفتحت، ولذلك أراد كذلك أن يتمول ويغترف هو وزبانيته، حين تمكنت العداوة بين الفرنسيين والمغاربة، وكان السبب فيها تصرفاته، ومن شدة ما انتهت إليه علاقته بالسلطان من تأزم، تبين أنه قد دنى أجله، وانقطع من البقاء في المغرب أمله، فاندفع إلى اقتراح الظهير المذكور الذي رفعه إلى العاهل وقد عززه بقرار مقيمي حتى يتعجل الموافقة عليه، وبواسطته سوف يجد الوسيلة القانونية لاتهام من يشاء وابتزاز من يريد، ورغم ظروف الماضي القريب وما عاشه من أحداث تمكنه من معرفة صلابة عود محمد الخامس وعدم تسامحه أمام كل ما يسيء إلى شعبه وبلاده، فإن المقيم غابريال بيو إنتهى بسوء تربيته وساقط نشأته إلى لعبة في يد قلة من المرابين وجماعة المستعمرين ذوي الإقطاع مما قاده من فشل إلى فشل.

ولعل مما دونه التاريخ ويعرفه المقربون حول حياة العاهل وما عرف به من أناة وتدبر وتركيز وعدم تسرع في كل تصرفاته الخاصة والعامة، مما كان ينعكس على كيفية

مباشرته لشؤون بلاده وشعبه، وقد عرف هذا السلوك بوضوح في حياة العاهل يقول المقربون المهتمون، والملاحظون المدركون منذ عام 1938م أي بعدما أسندت وزارة العدل إلى شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي رحم الله الجميع ثم أصبح قريبا منه ومن الملازمين له ورأيه كان هو المفضل من الجميع فقد كان محمد الخامس رحمة الله عليه حين يعرض عليه ما يستوجب الرأي والمشورة لم يكن يقطع فيه برأي عاجل ولا منفرد، وبالأخص ما كان منه يتعلق بالتشريع، فمن الملاحظ أنه منذ ما بعد 1938 نجد أن ما كان يقترح من الظهائر لا تصدر إلا بعد مرورها بمراحل كان الفرنسيون يتضايقون من إستغراق الزمن وطول المدة التي تمر بها قبل الموافقة عليها أو رفضها من طرف العاهل، ذلك أنه كان يضع أي مشروع قانون يعرض عليه بإسم ظهير تحت مجهر التأمل والاستقراء، ثم يقلبه من كل الوجوه، وأخيرا يجعله موضع المناقشة والاستقصاء يتبادل الرأي مع الثقاة من الخواص الذين يرشحهم العلم وصادق الوطنية والإخلاص وسلامة الرأي، ومن هذا الصنف كان عنده لكل مجال رجال ـ وكم تمنيت وقد حاولت تحقيق ما تمنيت بدفع بعض الذين عرفت من أولئك الرجال أن يكتب مذكرات حياته، وخصوصا منها ما يتعلق باتصاله مع العاهل، لكن عبثا كانت المحاولة لأن من أبرز عيوب المغاربة المعاصرين عيب الإهمال وعدم الإكتراث، في الوقت الذي نرى أكثر الأوروبيين وغير الأوروبيين من الذين مارسوا في حياتهم ما يستحق التسجيل والنشر من الشؤون خاصة كانت أم عامة، لا يغادرون هذه الحياة قبل أن يدونوها ثم تنشر في حياتهم أو بعد مماتهم ولمحمد لمعمري شيء من ذلك أعرف أنه كان مهتما به لكن ما مصيره؟(189).

---

(189) لم يفعل ذلك من المعاصرين المغاربة فيما أعلم غير اثنين محمد المختار العباسي الفيلالي ثم السوسي مع أنه اقتصر على الجانب الأدبي ودونه الجانب السياسي الذي خصص بعض "الإلغيات"، وعلى مائدة الغداء، ومعتقل الصحراء، مع العلم أن هذا العالم الجليل تعرض أولاده الذين لم يترك لهم مايورث تعرضوا من بعده للعقوق ونكران الجميل من بعض المسؤولين الذين لم يقدروا ما قدم وغيره لهذا الوطن الذي استولوا فيه على كل شيء، مع أنهم لم يقدموا له أي شيء، بل يقدمون له الآلام والجراح، وأقول إن محمد المختار السوسي لم يبلغ ذروة التقدير والإكبار من المثقفين بفضل ما تولى من المناصب الوزارية التي ورث منها أولاده الفقر والحرمان، تلك المناصب التي بانتهاء حياته زال ظلها بل ما كان له من المجد والحب والتقدير والخلود كان بما أنتج وخلف من مؤلفات دامت، خصوصا وأن الرجل في كل ما كتب يطفح بعبير الصدق والإخلاص في القصد والوفاء، مما جعله يتميز عن رفاقه من الرعيل الأول الذين إفتقدهم الوطن في زمن متقارب من غير أن يترك ولا واحد منهم شيئا مما مر له من عمل مجيد في أطوار حياته، =

قدم المقيم العام الفرنسي بالمغرب غابريال بيو إلى محمد الخامس مرسوم الظهير المقترح ومعه القرار المقيمي المؤكد على وجوب إستصدار الظهير الذي بمقتضاه تصادر الأموال المعبر عنها بـ"الأرباح غير القانونية" وكان تاريخ التقديم هو 1945/7/24م، وأشير إلى أنه في هذا التاريخ كان شيخ الإسلام وزير العدل مبعدا في منفاه بمدغرة تافيلاليت التي كان قد رحل إليها كرها من منفاه الأول بقرية لقصابي القريبة من مدينة ميدلت، والتي كانت وقتها ضمن المنطقة العسكرية التابعة إلى بولمان، شيخ الإسلام هذا أخبرني السيد أبو بكر بناني القاضي سابقا بالمجلس الأعلى للاستئناف الشرعي، والذي زاول مهنته مع شيخ الإسلام الذي تربطه معه صداقة ود وحب كبير، حيث قال : إن الظهير لما قدم إلى العاهل إستعمل ما كان بيده من الوسائل حتى أرسل الظهير إلى شيخ الإسلام ليقول فيه رأيه، وقد حصل، مع أن المدة الفاصلة بين تقديمه وأول إجتماع حكومي تم بإشراف العاهل كان تاريخه حسب ما ورد في أضابر عن محضر جلسة عمل ملكية تاريخها يوم الأحد 24 رمضان 1364=2 سبتمبر 1945 مما يجعلني أستفهم وأحوال المواصلات الآلية

= وكان في مقدمتهم المرحوم علال الفاسي الذي مر في حياته وكما نعرف ما هو أكبر مما كتب عنه بعضهم من الذين إقتبسوا ما في الحركات الاستقلالية، ثم آخرين مثل غازي، وعبد العزيز بن إدريس العمراوي، والطيب بن أحمد العلوي ومحمد عبد الرحمن العراقي، ومحمد الفاسي، وعبد الكريم بن جلون والمهدي بن بركة ومحمد الزغاري ومسعود الشيكر وغيرهم.، ومن الأحياء أحمد بلافريج وعبد الله ابراهيم والهاشمي الفيلالي ومحمد الغزاوي، وعبد الرحيم بوعبيد، وأحمد لحمياني ختات، والمهدي بن عبود ومن المقاومين عبد العزيز الماسي وعبد اللطيف بن جلون، والغالي العراقي، وعبد الله الصنهاجي، وعبد السلام الجبلي، والفقيه محمد بن البشير الفجيجي بوراس، ومحمد البصري، ومحمد منصور، ومحمد بن اسعيد يدر وابن علي المكناسي والحبيب الفرقاني، وأحمد زياد وغيرهم ممن لم تخطرني أسماؤهم ثم مثل برادة وسعيد بو النعيلات والحسين العرايشي، وحسن الأعرج صفي الدين، والحاج محمد الخنبوبي، ومحمد الداحوس، وابراهيم الفردوس، والحبيب الحوات، وغيرهم من الذين سيرد ذكرهم بعد من خلال أعمالهم المجيدة في سبيل تحرير المغرب بعد 20 غشت 1953م على أن هناك رجالا لا يكتبون مذكراتهم وإنما يكتب الناس عنهم وعن مذكراتهم من خلال ترجمتهم وما قدموه لوطنهم وللإنسانية ما لم يعرف من أعمالهم راجع ما سبق حول ترجمة أمثال محمد العربي الدرقاوي الزروالي، ومحمد العربي العلوي الدرقاوي الجاوزي، أحمد بن الحسن السبعي، وأحمد الريسوني ومحمد أمزيان ومحمد بن عبد الكريم الريفي، و"شعيب الدكالي"، ثم شيخ الإسلام باعث نهضة المغرب المعاصر محمد بن العربي العلوي، ومحمد المختارالسوسي، وعلال الفاسي، وعن السوسي راجع أعمال الندوة التي نظمها اتحاد كتاب المغرب بتعاون مع المجلس البلدي لمدينة أجادير أيام 21-22-1984/12/23 ط 1986 ومنه ص 199-203 إلخ، بل لو كتب هؤلاء مذكراتهم حول ما قام به كل منهم لعرف تاريخ المغرب السياسي موسوعة يعتز بها خلفهم وتعتزبها الأجيال اللاحقة بعدهم، ومثل تلك الندوة ما كتب حول المفكر المغربي الإسلامي محمد عزير لحبابي.

كما نعلم وقتها كان وقودها الفحم الحجري، أولا، والمسافة من الرباط إلى قصر السوق500كم والمدة 39 يوما هذا إذا نحن تجاوزنا ظروف الحصار، ومع ذلك وسواء كان الرأي والتحليل الواردين في التقرير التالي هو لشيخ الإسلام منقولا بخط غيره، كما يقول الشيخ الوقور والقاضي ابن القاضي أبو بكر البناني المولود عام 1308 وهو اليوم قد أكمل التسعين عاما مضت من عمره ختم الله له بالحسنى، أوبدافع ما أشرت إليه، يمكن أن يكون لغيره فهو في كلتا الحالتين يدلنا على النهج الذي كان يسلكه محمد الخامس بدافع طبعه الديمقراطي حين يعرض له ما يستوجب الرأي والمشورة، وبذلك كانت أعماله في غالبها تسلم من الخطأ الذي يستطيع من تعرف عليه أن يقول في حقه أنه إنتقل إلي رحمة الله وقلبه مطمئن أنه ما قدم لهذا الشعب الذي تجاوب معه إلا الخير والحب والصدق والوفاء، ومما يستدل به على ذلك ما ورد في التقرير(190) التالي الذي كان ما ورد فيه من تحليل هو الحجة التي واجه بها الظهير المقترح ثم صمم على رفضه وعدم قبوله، يقول التقرير.

"ملاحظات عامة على الظهير والقرار المتعلقين بمصادرة الأرباح القانونية:

"يظهر أن نمو الثروات إلى حد بعيد عند بعض المتمولين كان من جملة الأسباب التي حملت الحكومة على استصدار الظهير والقرار المؤرخين بـ 24 يوليوز 1945م إعتقادا منها أن هذا النمو إنما نتج عن معاملات غير مشروعة كالسوق السوداء مثلا، وهذا بناء غير صحيح لأنه لا يعتبر التضخم المالي الناشئ عن الحرب حيث أن:

أ ـ قوة الشراء بنقود 1939 تزيد بكثير على قوة الشراء بنقود 1945م.

ب ـ إن كثيرا من البضائع الأجنبية أصبحت قليلة بعد تعطل ورودها، وبقيت التجارة فيها حرة كالأثواب النفيسة وغيرها.

جـ ـ إن عدة مشاريع أسست خلال الحرب لتقوم مقام المنتوجات الخارجية كالأحذية والصابون والنسيج مثلا ـ وهذه كلها من جملة أسباب نمو الثروات من وجوه

---

(190) كان ضمن الأضابر التي كانت في خزانة شيخ الإسلام والتي في يوم ما من عام 1959 أراد التخلص منها فأخذتها وغيرها من اضابر أخرى تتصل بأحكام وفتاوى، ولا أقرر هنا هل التحليل للشيخ أو لغيره لأنني لم أسأله عن ذلك.

مشروعة وغير محظورة، أما الأرباح الناتجة عن الإتجار مع العدو أو السوق السوداء، فقد صدرت ضوابط مختلفة تعاقب أصحابها، وكانت تنفذ فعلا. وإذا وجد من أثرى في هذا السبيل فالمسؤولون هم المكلفون بتنفيذ القوانين والضوابط، ونحن لا نجازف إذ نقول إن السوق السوداء مؤسسة إدارية ناتجة عن:

أ ـ فساد تنظيم البلاد الإقتصادي مدة الحرب فلم تتخذ التدابير الصالحة للبلاد بل اقتصر على نقل قوانين فرنسا من دون مراعاة الأوضاع المغربية.

إسناد تنفيذ الأنظمة لموظفين برهنوا على عدم الكفاءة والنزاهة فاستغلوا مناصبهم للخيانة والتدليس.

جـ ـ : حصر التجارة في يد أفراد معدودين ممتازين لا تمكن محاكمتهم.

د ـ إباحة بيع بعض المواد كالحبوب واللحم وبعض الأثواب علنا بأثمان السوق السوداء.

هـ ـ إعطاء الفلاحين الكتان في مقابلة الماشية والحبوب والصوف كأن الإدارة تقول لهم بيعوا هذا الكتان بالذي يساويه في السوق السوداء، لتعوضوا به ما ضاع لكم من منتوجاتكم.

و ـ تمييز طبقة خاصة من السكان كالأوروبيين وبعض الأعيان والأعوان وإعطائهم فوق كفايتهم على بقية السكان التي يدفعها إحتياجها الشديد إلى إقتناء ضرورياتها من تلك الأقلية الممتازة.

وليس المقصود هناالدفاع عن السوق السوداء التي صدرت في معاقبة متعاطيها قوانين صارمة، ولكننا نريد أن نلفت النظر إلى أن المسؤولية في نمو بعض الثروات من السوق السوداء راجعة على الإدارة المنظمة لذلك النوع من الاتجار والمشجعة له زيادة على استحالة تمييز هذا النوع من الكسب من غيره من وجوه الكسب الغير المحظورة العديدة.

فلا معنى إذا لمصادرة أموال الناس بغير حجة شرعية واضحة، اللاهم إلا إذا أريد بها اعتناق المبادئ الشيوعية والتسلط على أموال الأغنياء الذين تعتز بهم الأمة لأن مالهم مالها مادموا بها ومنها.

وبالقضاء على ثروة الأغنياء يقضى على سائر طبقات الشعب التي تشتغل معهم، وبمصادرة أموالهم تسلم الأمة جمعاء إلى الفقر المدقع والذلة والمسكنة والانحطاط.

ومما ينذر بالخطر الذي يهدد الأمةِ من جراء تنفيذ الظهير، عدم تبيين الغاية المقصودة منه ويظهر من قراءة فصول القرار المقيمي أن الغاية الحقيقية من إستصدار الظهير هي وضع سلاح باطش في يد الإستعمار الفرنسي بالمغرب يستعمله ضد من شاء من مناوئيه أو معارضيه، وكل من يستنكف عن الخضوع للإدارة ومطاوعة أتباعها وأذنابها.

كل هذا تجلى في فصول الظهير والقرار المقيمي التي تبرهن على سوء نية الإدارة وعزمها على التحامل ضد الشعب المغربي وإفقاره، إلى أن يصبح شرذمة ضعيفة بئيسة عاجزة عن مدافعة الاستعمار والاستعباد، إذ يجعل مصادر الأموال في يد لجان إدارية معظمها من الموظفين الفرنسيين الذين يضمرون للمغاربة الحقد والضغينة، وسيتصرفون في أموال المسلمين وأموال أبنائهم ونسائهم ومحاجيرهم ووارثيهم من دون إعطائهم الحق في الدفاع عن أنفسهم والاستظهار بالحجج والبراهين أو الاستعانة بالمحامين ؤالإلتجاء إلى القانون.

وأخيرا يكون للمحكمة الفرنسية القول الفصل في جميع تصرفات المتهمين الماضية من بيع ورهن وهبة. وبذلك يقضي على التشريع الإسلامي الذي هو أساس حياة الأمة المغربية.

وبالجملة فالظهير والقرار المقيمي في مبدئهما وروحهما ووسائل تنفيذهما، لا مبرر لهما في العقل والقانون والشرع، ولا يمكن للأمة المغربية أن ترضى بما يكون الحكم عليها بالانقراض والسقوط الأبدي".

بعد هذا التقرير الواضح والبين الأهداف، وبعد الدراسة الخاصة من طرف العاهل الذي بلا شك استعان بهذا التقرير وما يماثله من آراء الأوفياء ماذا كانت النتيجة؟ وما هو الموقف الذي إتخذه العاهل من أجل وضع الحد لمثل هذا العمل الذي أبان التقرير ماذا كان يقصد الظهير المقترح ويهدف إليه واضعه غابريال بيو ومن وراءه.

لقد كانت النتيجة هي ما سجله لنا كاتب المحضر التالي المرفق مع ما سبق والذي

بلا شك كان من جملة الذين حضروا المجلس الحكومي الذي كان بمحضر وإشراف العاهل محمد الخامس رحمة الله عليه، يقول المحضر وأرجح أن كاتبه محمد أباحنيني ثم دفعه لأحد الخطاطين لينسخه .

"الحمد لله: في يوم الأحد 24 رمضان المعظم عام 1364 موافق 2 شتنبر سنة 1945م إنعقد مجلس بالقصر العامر تحت رئاسة الجلالة الشريفة على الساعة الثانية بعد الزوال إلى الخامسة وعشر دقائق في شأن ظهير أرباح الحرب وسلب أموال المغاربة التي ربحوها خلال مدة الحرب، والمعزز بالقرار المقيمي، حضر في المجلس السادة الوزراء، وهم الصدر الأعظم الفقيه السيد الحاج محمد المقري ووزير العدلية الفقيه المشارك السيد محمد الحجوي، ووزير الأحباس "الأوقاف" الفقيه السيد الحاج محمد بوعشرين، ورئيس الاستئناف العلامة الحافظ سيدي المدني ابن الحسني ورئيس المحكمة العليا... الفاطمي بن سليمان(191)، ومندوب المعارف(192)، وقتها العربي العلوي، ورئيس التموين "أي المندوب في التجارة" أحمد بن محمد التازي، والسادة الفقهاء أعضاء وكتابا وهم سي عبد الرحمن الشفشاوني، ومولاي المهدي العلوي، والسيد أحمد بن عبد النبي، والسيد الحاج محمد عاشور، والسيد جعفر الناصري، والسيد محمد الناصري، والسيد أحمد؟ والسيد العباس المعروفي، محمد أب حنيني، والسيد محمد الزرهوني، والسيد الطاهر الرجراجي.

وافتتح المجلس جلالة السلطان قائلا: "إن أفظع ظهير صدر منذ عهد الحماية إلى يومنا ظهير سلب الأموال، وهو ماس بالشريعة الإسلامية" وعرض على المجلس حرية كل شخص في الرد والقبول على حسب نظرية كل شخص، أما سيدنا في حد ذاته قال: إنه

---

(191) في أسوأ ظروف المغرب السياسية زمن تقديم عريضة الاستقلال رفع هذا العميل الأصيل في حق المغرب والمغاربة ملكا وشعبا كما سنرى رفع وبلا علم من وظيفة خليفة عمدة بمكناس إلى رئيس المحكمة العليا. مع العلم أن الرجل قد اشتهر بعمالته وشذوذه وانحرافه الذي ورثه وورثه ولسوف نقف على موقفه الفاضح في مؤتمر اكس ليبان.

(192) ومثله العربي السليماني العلوي الذي كان في نفس الوظيفة بمراكش مع الجلاوي، والذي بعد سيقع عام 1953 تحت تأثير خيانة عبد الحفيظ بن الحبيب العلوي باشا مدينة سطات فتنقلب "وطنيته" خيانة وهو في حالة سكر، ولما إستفاق وأدرك ما فعل تنادم وأصيب بسكتة قلبية كما سنرى بعد.

يجب إلغاؤه، وترك الناس في حريتهم وأمر بسرد كل فصل منه والمداولة فيه، وإبداء الآراء، وأمر أب حنيني بسرده، وكلما إنقضى فصل من فصوله إلا ووقع الإجماع على إلغائه وإبطاله إلى أن تم الظهير ثم وقع توزيع نسخ من القرار المقيمي المفسر لذلك الظهير. فكان أفظع وأبشع من فصول الظهير.

وتكلم الناس "أي الحاضرون" كل على حسب فهمه وما ظهر له من مفاسده، حتى وقع الإجماع من الحاضرين بأن لا يقبل فيه تحوير ولا تغيير، وإنما يجب إلغاؤه بتاتا، فأكد سعادة الصدر على الجلالة، بأن لامهاودة مع اللجنة التي ستنعقد يوم الإثنين، فأجابه أيده الله بأن لا مذاكرة فيه سوى الرفض، وقال جلالته للحاضرين : إنكم ستجتمعون غدا مع اللجنة الفرنسية في شأن الظهير والقرار، فأجابوا بأنهم لا يتغيرون على ما قرروه من الإجماع بأن يرفض ولا تقبل فيه مذاكرة، وانفض المجلس".

"وفي يوم الإثنين 25 رمضان 3 سبتمبر على الساعة الخامسة، جاءت اللجنة الفرنسية للقصر العامر يرأسها نائب المقيم العام المسيو "مارشال" وبمعيته ثلاثة عشر عضوا واجتمعوا مع من كان مجموعا يوم الأحد تحت رئاسة الصدر الأعظم فأعطى الكلمة لنائب المقيم فانبرى في الكلام على مضمون الظهير والقرار، فلما فرغ من الكلام بواسطة المترجم"؟" أجابه الصدر بأن كلامه في غاية من الرونق والبهاء، ولكنه مخالف للظهير والقرار تمام المخالفة، وقال: له إننا إجتمعنا البارحة مع سيدنا نصره الله، ووجدنا الظهير مس بالشريعة الإسلامية وأتفقت كلمة الجميع من وزراء وعلماء بأن الظهير يلغى ولا يقبل فيه تغيير ولا تبديل؟؟؟

ثم إن الفقيه الحجوي إنبرى للكلام بأنه منذ عقد الحماية ما صدر ظهير يمس بالشريعة الإسلامية كهذا الظهير، مع أن عقد الحماية من جملة بنوده أن الحكومة الفرنسية تحافظ على الشريعة الاسلامية، وأن بقاء هذا الظهير سيثير فتنة لا تحمد مغبتها، وتكلم سيدي المدني بن الحسني على ضرره من الوجهة الشرعية بمسه مال الرجل الذي لا يحل سلبه إلا بحق ولا حق في الظهير، وعلى أخذ أموال المحاجير والزوجة والهبة والصدقة والحبس.

وبعدما فرغ من كلامه تنوقش في بعض فصوله فقال لهم السيد الفاطمي ابن

سليمان نحن لا ندافع عن الذين سلبوا أموال الناس بالباطل، فمن ثبت عليه ذلك فالمخزن يده مبسوطة عليه، وقال الصدر الأعظم أما ضريبة الأرباح وضريبة الحرب وما يفعله بعض الناس في بيع السوق السوداء، فقد صدرت ظهائر وقرارات في شأنهم، والمغاربة لم يعرفوا عدوا باعوا معه، وإذا ثبت أن أحدا باع مع العدو فيعين في حقه ظهيرأو قرار لمعاقبته.

وكانت الخاتمة أن إقتنعوا تمام الإقتناع وانفض المجلس على الإلغاء.

لم يكن هذا آخر ما في جعبة المقيم الفرنسي بالمغرب غابريال بيو الذي دشن الصراع مع المغاربة ملكا وشعبا بسبب وثيقة المطالبة بالاستقلال التي أحدثت الرعب في نفوس الفرنسيين جميعا سواء منهم العسكريون أو المدنيون، حتى إنهم إتفقوا جميعا على مفهوم واحد هو: أن المغاربة تنكروا للجميل، ويجب أن يزجروا جميعا لا فرق في ذلك بين الملك أو الشعب، ناهيك وأن جماعة المستعمرين الذين انتشوا بانتصار الحلفاء وبما حققه الجنرال دي غول(193). من نصر بسواعد أبناء المستعمرات والمحميات جعله يتطلع إلى إحداث دستور جديد ونظام يختلف عن الذي عرفته فرنسا في ظل الجمهورية الثالثة جعلهم ينظرون بإنزعاج وتذمر إلى كل من يريد أن يحدث أي فجوة في البناء المزمع تشييده، والذي ضمن لبناته ومقوماته كل ما يسمى الإمبراطرورية الفرنسية لا فرق بين باريز وتولون، وبوردو، والجزائر، والجابون، والسنيغال واتشاد بل وحتى أرض الحماية تونس و المغرب، بل وأرض الانتداب فزان وغيرها يجب أن لا يتحرك أهلها بل وأن لا يعتقدوا غير أنهم ضمن الممتلكات الفرنسية، وذلك هو غرور الفرنسيين الذي انتهى بهم إلى أسوء مصير.

وتنفيذا للخطة بدأ المنتشون بالانتصار في التخطيط لها والعمل على تطبيقها مهما كان الثمن، ولعل كل من ساير الأحداث المسجلة لينظر إلى سياسة الفرنسيين الخرقاء في هذه المرحلة نظرة احتقار يعم كل الفرنسيين الذين كانوا وقتها متزعمين. بدءا من الجنرال دي غول الذي تحمس فوق العادة لما سيخلد بإسمه، وذلك ما شغله إلى أن حقق ما عرف بالجمهورية الخامسة، دي غول هذا نسي أنه كان قبل خمس سنوات وبالتحديد

(193) راجع ترجمته في م.ع دي جول شارل ص 825 ط 1965 وكذا مذكراته مصدر سابق.

أيام محنة فرنسا التي استعمرت من طرف الألمان الذين أذلوها، والذين لولا إغاثة أمثال المغاربة والجزائريين والتونسيين بل والأفارقة إلى جانب الحلفاء لتغير وجه التاريخ وعرف جنس لوگولوا والفرنكة، ما عرفته بلادهم قبل من إرهاق التوتون، وإذلالهم، دي غول صاحب نداء الإغاثة بذلة واستعطاف يحفظهما له التاريخ في النداء الذي وجهه بتاريخ 18 يونيو 1940 وقد سماه "نداء الشرف" ركز فيه على وجوب القضاء على الاستعمار، لكنه والأذلاء من قومه ما كادوا يتنفسون الصعداء حتى رجعوا إلى فكرة نابليون وجولفيري، وديلكاسيه، واليوطي وستيج، وكأن الزمان لم يتحرك. وكأن شيئا لم يحصل لفرنسا التي سقطت في أعين العالمين، بل أرادت أن تكون هي روسيا الثانية في سياسة إستعباد الشعوب والقضاء على كل القوميات التي يجب أن تذوب ويقضى عليها داخل الدوامة، وفي البؤرة النتنة التي يقال لها "الاتحاد السوفياتي" أرادت فرنسا مثل ذلك وبالتدريج باسم "الإتحاد الفرنسي" الذي كان التمهيد له بالمؤتمر الذي انعقد من يوم30 يناير إلى يوم 8 فبراير في برازاڤيل التي هي عاصمة جمهورية الكونغو اليوم، وقد سميت المدينة بذلك الإسم لأنها من إنشاء المستكشف الفرنسي "برازا عام 1880" وترجع بنا الذاكرة أن هذا التاريخ من 1/29 إلى 1944/2/8 هو الفترة التي تجردت فيها كل وسائل القهر الفرنسية في المغرب لإضطهاد الشعب والتنكيل به كما سبق، وفي هذه المرحلة التي كان غابريال بيو يجرب ما تبقى في جعبته من السهام عام 1945 كان دستور الجمهورية الذي أراد تحقيق الإدماج بتدريج في طريق الإنشاء وسيتم عام 1946م ولسوف يكون من حسن حظ دي غول وهو الذي مدّله العاهل محمد الخامس يد العون والإنقاذ أنه - أي دي غول" سيغادر الحكم(194) في يناير 1946 من غير أن يقف أمام المغاربة ملكا

---

(194) كان الجنرال دي غول قد وسم محمد الخامس حين إستدعاه لزيارة فرنسا للاحتفال بيوم التحرير في شهر يونيه 1945 حيث قدم تقريره السياسي إلى الحكومة وحيث وسمه الجنرال ثم أطلق سراح المسجونين السياسيين في الحال كما طلب محمد الخامس من الجنرال دي غول إبعاد غابريال بيو فكان له ذلك الأمر الذي كشف هزيمة المستعمرين في المغرب، ومن وقتها شمروا الساعد لمحاربة العاهل شخصيا كما سنرى ومما يدونه التاريخ للعاهل في صفحة من نور إهتمامه بمصير أمين الحسيني مفتى فلسطين حتى يطلق سراحه لأنه يمت إليه بصلة القرابة والنسب وذلك إثر التوسيم، وقد بقي أمين الحسني يردد ذلك وكما عشنا معه في القاهرة بكل عرفان حيث كان لا يترك مشاركتنا الاحتفال بعيد العرش مهما كانت الظروف. ولقد قيل وقتها ان توسيم محمد الخامس كان باسم فرنسا مكافأة للشعب المغربي على مساهمته في تحرير فرنسا" ولكم تثير في نفس الحر تلك الصورة ما تثير من احتقار لكل الذين تولوا الحكم في فرنسا من عام 1945 إلى عام 1956م وبالأخص من عاش ما عرفه العاهل العظيم =

وشعبا فيعرف من حسابهم ما يذله ويمرغ شرف فرنسا في الوحل. بل من حسن حظ المغاربة وسوء حظ فرنسا أيضا أنها لم تعرف إستقرارا سياسيا في هذه المرحلة فسوف يتعاقب على الحكم فيها أربع وزارات في ظرف 17 شهرا ما بين جويي من نفس السنة1946 ويناير من السنة 1947م وبذلك لم يعرف المغرب ما يدعو إلى التفاؤل رغم إنتهاء الحرب وظهور الدستور العالمي الجديد الذي أطلقوا عليه "ميثاق الأمم المتحدة" بتاريخ 1946/11/4م وما هو في الحقيقة والواقع إلا ميثاق التواطؤ والتمكين للعبودية بواسطة دول الاستعمار الجديد التي اتفقت على التمكين للاستعمار وتحقيق مصالح الأقوياء.

كانت آخر تحركات غابريال بيو مكشوفة ومفتعلة وخسيسة وساقطة، سجلت في حق فرنسا وفي تاريخ ما بعد الحرب ورد الجميل أوسخ الصفحات، وإذا ما تورطت السياسة الفرنسية ثم هي في موطنها تعاني حرجا أشد، فإن مقيمها بالمغرب غابريال بيو الذي كان من ورائه إندفاع العسكريين والمدنيين، قد وقع له ما يقع للكلب العقور الذي يسقط في غوطة من الطين وقد غاص فيها إلى قمة رأسه لم يخرج منها إلا وهو ذليل مهدد بالطرد ومن حوله بونيفاص وسوفران وفالا وغيرهم من الذين سيعرفون نفس المصير وإن لم يكن عاجلا فآجلا بل وبعد ما تنتهي سياسة عنف الفرنسيين في المغرب إلى نهاية الدرب المغلق حيث تنتهي في شخص المقيم إلى الفشل والإبعاد وقتها أصبح حتما تعويضه بمقيم جديد، وقد قيل بسياسة جديدة، بيد أنه في الواقع لم يكن كل ما حصل مما سماه بعضهم سياسة الإنفتاح التي جاء بها إريك لايون، لم تكن في الواقع غير وسيلة من وسائل الاستطلاع التي إستعملها العسكريون لمعرفة الحقائق التي كانوا وبحكم ظروفهم القاسية قد أصبحوا لا يعرفون عنها ما تعرفه الدوائر السياسية في فرنسا الاستعمارية، ثم بالتالي وهم يؤملون من الدستور الجديد زيادة الفرنسة عن طريق الانتخابات، والمساواة في بعض المستعمرات،والإشراك باسم الإصلاحات في بعض المحميات.

= محمد الخامس من جراح وآلام سببتها له السياسة الفرنسية من عام 1944 إلي أن خرج الفرنسيون أذلاء، محقرين من المغرب العربي الكبير، وكان الذي أثار عليهم عش الزنبور هو نكرانهم للجميل واعتداؤهم على شعب المغرب العربي وعاهل المغرب العظيم بعدماشردوا محمد المنصف إلى أن مات مغتربا وكذا ما ارتكبوه من جرائم في سطيف وغالمة بالجزائر.

وفعلا عينت حكومة فليكس كوان،إيريك لابون بتاريخ 3/3/ وحل بالمغرب بتاريخ1946/3/22 ليستقبل من طرف العاهل في اليوم التالي، وحين اللقاء الذي يتبادل فيه الطرفان الخطب يمكن من خلال خطاب المقيم معرفة نهج السياسة التي جاء بها وفعلا لم يات بجديد، بل كل الذي جاء به هو أن دهاقنة الاستعمار اقتنعوا أن السابق بما انتهت إليه مواقفه واعتداءاته على ماتعترف به حتى معاهدة الحماية، بل وما جد في المغرب من إجماع أصبح العاهل يمثله بأقوى برهان وأكبر حجة هي المساهمة في الحرب بالمال والرجال كما شاء وأراد، ولو لم يكن هو لكان للفرنسيين في المغرب ومن المغاربة شيء آخر، ولذلك كان الجزاء هو الوسام الذي لم يكن العاهل في حاجة إليه، بل هو أعظم وأكرم من حكم في شعبه ولا يجديه إعتبار فرنسا في شيء، ثم كان من الجزاء أيضا تبديل المقيم غابريال بيو بمقيم جديد إسمه إريك لابون، الذي كانت الغاية منه كما أشرنا وبالتالي تهيئ الجو لصالح ما يخطط من سياسة جديدة للمستعمرات هي إنشاء ما أطلق عليه الجامعة الفرنسية. حتى إن أعمال إريك لابون في الواقع كلها وما اعتبره بعضهم إصلاح أو انفتاح(195) لم تكن غير حملة من حملات الإعلام للانتخابات كما سنرى.

لكن ماذا حققه تعيين إريك لابون إن لم يكن خيبة الأمل، فقد أطلق سراح الزعماء الثلاث في شهر ماي وهم علال الفاسي الذي عاد من الكابون بعد نفي لمدة تسع سنوات، ومحمد بن الحسن الوزاني سمح له بالدخول من قرية "إتزر" التي تبعد عن فاس170 كم، والتي فرضت عليه ظلما الإقامة الجبرية فيها لنفس المدة، وبلا فريج أعيد من كورسيكا التي كان قد أبعد إليها نفيا بعد تقديم عريضة الاستقلال 1944/1/11، كما أطلق سراح محمد الغزاوي وبقية الوطنيين الذين كانوا قد وقعوا على وثيقة المطالبة بالاستقلال ولذلك أصبحوا يملأون سجون العاذر ومختلف الجهات البعيدة نفيا وتعذيبا، ثم سمح للصحافة بالصدور فكانت جريدة العلم التي أنشئت بتاريخ 1946/9/11(196) باسم حزب الاستقلال

---

(195) راجع الحركات الاستقلالية مصدر سابق 332-36 وما إقتبسه منها ذ.غلاب في تاريخ الحركة ص300-305.

(196) التجأ عمر بن الجليل إلى محمد لغزاوي باسم الحزب من أجل شراء دار في شارع تمارة لتكون مقر للجريدة، وقد قال له عمر بن عبد الجليل إن ثمنها ثمانية ملايين "عام 1946؟؟!" سلمها له محمد العزاوي وقتها مع أن مساحتها فقط 549م ورقمها العقاري في محافظة الرباط 25766 "ر"R" والاسم "الساير" ومن وقتها إتخذت كإدارة =

مع الرقابة الشديدة وجريدة الرأي العام باسم حزب الشورى ثم أراد لابون تنفيذ خطة إقتصادية هادفة، وصفها المرحوم المهدي بن بركة أصدق وصف حيث يقول "نعم كان هناك عدة وطنيين لا يزالون في غياهب السجون، ولكن الحوار بدأ على كل حال، ولم تدم المذاكرات طويلا لأن السفير لابون أظهر صرامة فيما يخص شكليات الحماية ولأنه وضع سياسة جديدة تهدف إلى توطيد سيطرة رؤوس الأموال الفرنسية على خيرات البلاد المعدنية(197) ونستمر مع المهدي بن بركة ليعرفنا على بقية أعمال لابون التي كانت هي الأخرى هادفة القضاء على مزاعم وتطلعات اسبانية في اعتبار الفرنسيين، والتي استغلتها وطنية العاهل العظيم محمد الخامس أحسن استغلال، وتلك هي وكما عبر المهدي "في يوم 9 ابريل 1947 قام جلالة السلطان بزيارة رسمية لطنجة وشعرت الإدارة الفرنسية بأن رحلة كهذه من شأنها أن تبرز وحدة المغرب بالرغم من الحدود الإصطناعية التي أحدثها "الحاميان"الفرنسي والإسباني"(198).

لكن ماذا كان موقف العسكريين الذي كانوا وراء إيريك لابون وغيرهم من السياسيين، والذين لم يدركوا أن وحدة المغرب التي ربما كانت تقصد إليها السياسة

= للجريدة ولازالت باسم محمد الغزاوي حتى اليوم (1986" حيث يدفع محمد الغزاوي ضريبتها السنوية منذ1946. ونشير هنا إلى أنه في عهد إريك لابون سرح محمد الغزاوي أيضا من الإقامة الجبرية بالجديدة التي كان قد وجه إليها كرها بعدما أطلق سراحه من سجن العاذر بعفو من دي غول أصدره بطلب من العاهل حين رحل محمد الخامس إلى باريز في يونيه 1945، وفي مدينة الجديدة اشترى الغزاوي دارا، وقبل أن يغادر المدينة وهبها للوطني قاسم العراقي وآخر معه هو عبد الله الدكالي ومع ذلك فقليل منهم من يذكر وطنية واحسان محمد الغزاوي التي فاقت وطنية كل أولئك الذين إتخذوا من الوطنية مطية للمال والجاه وليس لخدمة الصالح العام. ذلك لأن بعضهم كان يرى أنه كثير على محمد الغزاوي الثري الذي حقق ثروته بالعرق والجهد ورغم أنف المستعمرين كثير عليه ذلك وفوقه الصديق الشخصي لمحمد الخامس والمقاوم العنيف للاستعمار، وإن كان كل ذلك يذكر في المجالس الوطنية لكن كتابته للتاريخ وللناس فيه خطر على الحزب كما قيل أكثر من مرة وأخيرا ها هو الغزاوي قد انتقل إلى رحمة الله وما قدم من خير العمل. راجع فصل 292 بعد.

(197) راجع المغرب الأقصى: قبل الحماية ـ عهد الحماية ـ إفلاس الحماية، ص180 ط القاهرة 1951م وهو الكتاب الذي ينقل منه بعضهم ولا ينسبه لصاحبه الذي هو المرحوم المهدي بن بركة واذكر أنني قمت بتصحيح ملازمه وقت طباعته بمساعدة من ج العربية وتدخل من الحزب بمطبعة دار الطباعة الحديثة 8 شارع الشواربي باشا بمصر أكتوبر 1951 وإذا ما حصل طبع الكتاب وعليه إسم المهدي بن بركة حسب معرفتي، فإن الملزمة الأولى من الكتاب أعيد طبعها ليحذف منها الإسم وهو شيء لم أعرف له تعليل وقتها. إلا أن المهدي كان في مثل هذه الأعمال الإعلامية لفائدة القضية المغربية يريد العمل في الظل.

(198) نفس المصدر السابق.

التي سمحت بالزيارة إنما هي من أجل أن تكون قوة في صالح الوحدة الفرنسية المرتقبة والتي ستنشط ضد فكرة الجامعة العربية التي سيعلن العاهل إبتهاجه بها، وآمال المغاربة معقودة على تحقيق أهدافها.

لكن ماذا فعل العسكريون من أجل عرقلة تلك الزيارة يقول المرحوم المهد بن بركة أيضا "وفي صباح يوم 7 أبريل سنة 1947 طرأ حادث بسيط في أحد أحياء الدار البيضاء فوقع إستغلاله للقيام بمجزرة من أجل عرقلة الرحلة الملكية، ذلك أن جنودا سنغاليين مسلحين هجموا علي المارة المغاربة، فقتلوا وجرحوا وفتكوا" حتى بلغ عدد قتلاهم المآت بل الآلاف.

وأيضا ما هي النتائج التي حققها تعيين إيريك لابون الذي قبل كان كاتبا عاما للإقامة العامة بالمغرب وها هو قد أصبح في منصب المقيم الذي يعرف كل المعرفة أن لا سلطان له بل ولا لدولته أمام سلطان المستعمرين ورؤوس المال والإقطاعيين الذين يقبعون خلف الستار وفي كواليس البنوك.

لقد كانت النهاية الفشل والتشهير بالمغرب والمغاربة ملكا وشعبا بواسطة الصحافة الفرنسية التي أعلنت جام غضبها على نتائج الرحلة الملكية إلى مدينة طنجة ونقمة أشد هي بعد شهر عين الجنرال اجوان مقيما عاما بالمغرب مكان إيريك لابون الذي سمح بالزيارة.

صحيح أن إيريك لابون خالف نهج سلفه بل ربما كان أول مقيم تفهم حقيقة الوضع وبعض ما يجب نحو لغة محمد الخامس ومقاصده، لكنه لم يكن بيده ما يفعله أكثر من إقتراحه ميدانا للعمل خارج مجال السياسة والاجتماع، حتى لا يصطدم أكثر بالمعمرين ونوابهم المسيطرين بالرشاوي للحكومة الفرنسية وفي الجمعية الوطنية بفرنسا، بل وربما إرضاء لهم إبتعد عن الخوض في مجال السياسة، لأنه كان يهدف في واقعه وقد عرف المغرب قبل ثم عرف ما طرأ عليه من تغيير صاحبه ورائده العاهل الذي أجمع المغاربة علي العمل خلفه وبجانبه بطريقة لم تكن من قبل، ودهاء من إيريك لابون أراد أن يعمل وبواسطة الإقتصاد من أجل تحقيق السيادة المشتركة بين المغاربة والفرنسيين في المغرب عن طريق مشاريع الإقتصاد، فقد كان من برنامجه قيام مجالس منتخبة ومشتركة في المدن، ثم إنشاء شركات إستغلال برؤوس أموال وطنية تشترك معها الحكومة الفرنسية،

خصوصا في عمليات إستخراج المعادن، وشركات النقل والطيران، ثم جانب الفلاحة عن طريق التعاونيات، وهذا طبعا لم يتفق مع رغبة المعمرين مما أدى إلى طرد المقيم إريك لابون الإشتراكي، رغم أن عمله الاقتصادي كان في نطاق الحدود التي لا تضر بمصالح المستعمرين كثيرا، ومع ذلك لقي المعارضة إلى حد العنف الذي إستساغته الحكومة الفرنسية ضد هذا المقيم، وذلك نزولا عند رغبة المستعمرين الذين وضعوا حدا لوجوده بالمغرب الذي انتهى فيه إلى ما سبق له في تونس عام 1938(200).

لكن ماذا كان يريد المستعمرون وهم المسيطرون على القريب والبعيد بل ماذا كان يخطط لأقطار المغرب العربي الكبير في تلك المرحلة، ذلك هو ما سوف نتعرف عليه بعد تعرفنا على ما كانت عليه حالة الشعب التونسي في هذه المرحلة وبعد ما تعرفنا على ماجرى في كل من المغرب والجزائر.

كانت التحركات في ربوع المغرب العربي الكبير شبه متوازية، التحركات الوطنية، وضدها التحركات الاستعمارية ففي تونس مثل المغرب والجزائر كان مؤتمر شهر فبراير1945(201) الذي إتفق الوطنيون فيه على تقديم وثيقة للحكومة الفرنسية تتضمن المطالبة بالإستقلال الذاتي للبلاد التونسية، لكن جواب الفرنسيين كان هو الشدة والظلم بعنف عنيف وقسوة قاسية ضد الزعماء الوطنيين والشعب معا، مما أدى إلى فرار الزعيم الوطني الحبيب بورقيبة الذي كان مجبرا على الإقامة بتونس العاصمة، ومحرم عليه مغادرة منزله الكائن برحبة الغنم، الأمر الذي دفع إلى تدبير وسيلة فراره مهربا إلى المشرق العربي مصر التي كانت حركة إنشاء الجامعة العربية فيها قد إنتهت إلى إصدار الميثاق الذي وجده الزعيم التونسي طريا وقد إنتشى به الجميع، ذلك أن بورقيبة غادر تونس يوم 1945/3/26 حيث دبر له اجتياز الحدود الليبية التونسية بواسطة الشيخ عمار ابن الأبيض رحمه الله شيخ زاوية علمية بإبن كردان، والذي لم يذكر له التونسيون

---

(200) راجع هذه تونس ص 98 ط القاهرة 1948ونلاحظ هنا أن التحرك التونسي كان بعد مضي سنة على تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال التام من المغرب، ولعل السبب في إعتبارنا هو الدوامة التي أوقعت فيها فرنسا الشعب التونسي بنفي ملكه الوطني محمد المنصف باي وما عرفته البلاد بعده من قهر وفتن.

(201) هذه تونس ص 105.

ولا لرجاله الكرام في تاريخهم المعاصر ما قدم للحركات الوطنية بالمغرب العربي في هذا المجال، مجال المساعدة على نجاة المضطهدين والمهربين من السجون وقد كنت من بين هؤلاء (202) .

كان بورقيبة قد حل بالقاهرة يوم 1945/4/26 أي بعدشهر قضاه في الطريق مما يدل على قساوة ظروف التنقل، ناهيك وأن التضامن بين دول الاستعمار في مجال الحد من نشاط الأحرار كان ولا يزال معمولا به، ووقتها كانت بريطانيا قد حطت رحالها في ليبيا باسم الإنتداب، ولولا جهاد رجال حزب المؤتمر بطرابلس الهادي المشيرقي ورفاقه وجمعية عمر المختار في برقة ، مصطفى بن عامر ورفاقه لتم لفرنسا وبمساعدة بريطانيا وأذنابها إحكام وتشديد الستار الحديدي الذي وضعته بشدة حول المغرب العربي الكبير، فقد ألقى على القبض في مدينة درنة 27 أكتوبر 1949 وكدت أرد إلى تونس بامر المستشار الأنجليزي الكسندر لولا تدخل علي باشا لعبيدي وتضامن جمعية عمر المختار ما كاد بورقيبة يحل بمصر ويستقر به المقام حتى بدأ نشاطه بمساعدة من سبقه من المغاربة والتونسيين والجزائريين الأمر الذي تردد صداه في تونس حيث كان صالح بن يوسف الأمين العام للحزب، والمنجي سليم وبقية رجال الديوان السياسي الهادي نويرة وعلي البلهوان، والدكتور سليمان، والدكتور صادق المقدم وغيرهم، وقد إستأنفوا نشاطهم بحدة، الأمر الذي دفع الإدارة الفرنسية إلى أن تشدد أكثر ضد الجماعة التي أصبحت تهدد نفوذها، فكانت الحوادث التي عرفت بـ"حوادث الطابور" التي دارت رحاها في شهر

(202) وأذكر جميله بكل اعتزاز لأنه لو لم يكن لكنت بعد 29 يوما في زنزانة بمركز الشرطة بفندق الفول في باب البحر بالعاصمة التونسية من الهالكين، وذلك بسبب الحادث الذي هو فصل في مذكراتي السياسية المصادرة، والذي كان الطرف الثاني فيه عبد الحي الكتاني المعروف بخيانته في تاريخ المغرب العربي وزميله ادريس بن عبد العلي اسقيقة الذي قتله الفدائيون رميا بالرصاص في شوارع البيضاء 1954، وكلاهما كلفا وقتها بالاساءة إلى محمد الخامس، فعملا ماوسعهما العمل في مؤتمر الطرق الذي انعقد بتونس بتاريخ 1949/9/10 باسم مؤتمر الثقافة الإسلامية، فكان جزاؤهما مالا قياه وقتها بعد تدميرنا للمؤتمر يفضح الكتاني الذي أحرقت سيارته، ورجم بالطماطم مما أدى إلى اعتقالي بتهمة محاولة اغتياله، لكنني هربت بواسطة أمر الحبيب بورقيبة إلى رجال الحزب الحر الدستوري، واشراف كل من المنجي سليم، والدكتور صادق المقدم، وعبد الصمد المبروك حيث زودني الحبيب بورقيبة برسالة توصية إلى الأخ الرشيد ادريس، وكان الحبيب وقتها قد عاد إلى تونس وقت انعقاد المؤتمر المذكور بلعبة من الشاذلي القسطلي الذي قتل هو الآخر رميا برصاص الفداء في تونس بعد قيام الثورة عام 1955م جزاء خيانته وعمالته وتآمره.

أوت 1945م بعد حوادث 8 ماي بالجزائر وقد أطلقت أيدي جيوش "الطابور" في شوارع تونس فهجم على السكان وقتل منهم الكثير، وتكررت حوادث من هذا النوع قام بها الجيش الفرنسي في سائر أنحاء القطر التونسي قبل سنتي 1944 ـ1945 لكن كان أفظعها كارثة بلدة زرمدين(203) بعد في شهر يوليو 1946 حيث سلط الفرنسيون قوات الدرك على سكان القرية فعاثوا فيها فسادا، وهدموا الدور وأتلفوا ما بها، وهتكوا الأعراض يقول الشهيد د.الحبيب ثامر رحمه الله(204)، وإلى جانب ما سبق من فظائع الفرنسيين وفضائحهم في تونس لا نهمل ما عرفته تونس من تلك الفظائع بعد المؤتمر الوطني العام الذي انعقد في 27 رمضان 1946م، ومؤتمر وفد الأربعين يوم 2 ماي من نفس السنة، ثم المؤتمر الوطني العام الذي انعقد ليلة 1946/9/23 وكلها تواريخ لحوادث لم ولن تنسى بما ارتكبه الفرنسيون فيها من فظائع ضد الشعب التونسي الأعزل.

(203) كان من جلاديها الذين اشتهروا بفظائعهم المراقب الفرنسي "فلوريت" وقائد الدرك "شاتال" مثل دوڤال في الجزائر وبونيفاص في المغرب إلخ...

(204) مصدر سابق هذه تونس 106 ط 1948.

الفصل الرابع والثمانون بعد المائتين

المغرب العربي وأهداف فرنسا في الوحدة الفرنسية بدل الجامعة العربية

قبل مذابح سطيف وغالمة وبرج بوعريريج وغيرها من مدن شرق الجزائر يوم 8ماي1945م ومجازر ابريل 1947 في الدار البيضاء وما ذكرنا عن زرمدين بتونس كانت الجامعة العربية قد أعلنت ميثاق نشأتها بتاريخ 22 مارس من نفس السنة 1945، وذلك بإيعاز من وزير خارجية بريطانيا"السير إيدن" كما بينا، وإذا ما كان في الميثاق ما يعني الاهتمام بكل الأقطار العربية التي ترزح تحت نير الاستعمار، فإن الشعب الجزائري وهو بحق أكثر شعوب المغرب العربي التي أوقعها سوء الطالع تحت نير سياسة المسخ الفرنسية بل وأقوى شعورا إزاء العروبة والإسلام. بدافع الضغط والحرمان والروح العالية التي باشر بها رجال جمعية العلماء المسلمين وحزب الشعب عملهم من أجل التحرير أولا، ثم بدافع رد الفعل وما قامت به فرنسا من أجل هدم الذاتية الجزائرية ثانية، ولذلك ما كاد ميثاق الجامعة العربية يعلن حتى كان الشعب الذي وصفه طيب الذكر عبد الحميد بن باديس أجمل وصف حيث قال في حقه:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب

كان بحق في المستوى الذي يليق.

لقد بادر وبعد إعلان إنتصار الحلفاء والذين أذاعوا على الناس مبادئ ميثاق الأطلسي إلى إعلان شعوره وتعلقه بمبادئ حرية الشعوب التي نادى بها الحلفاء وبالتبعية لهم دي غول الذي ردد وجوب القضاء على الاستعمار يوم عرفته بلاده فقط.

وإذا ما عرفت كل أقطار المغرب العربي الكبير تحركات أزعجت الفرنسيين، وقد رأينا قبل كيف أنهم حين إنتهوا من غزو الجزائر واستقر لهم الوضع بعد فرض الحماية

على تونس ثم المغرب كانوا قد إقتدوا بسياسة الأنجليز الذين خططوا بدهاء للتفرقة بين العرب والأقباط في مصر، ثم بين العرب والأكراد، كذلك عمل الفرنسيون للتفريق بين العرب و"البربر" في كل من الجزائر والمغرب بالدرجة الأولى وهاهم اليوم يرون سياسة الأنجليز تعمل على وضع سياسة لإمتلاك ناصية التحرك العربي بإسم الجامعة العربية، ولذلك على الفرنسيين بدلا من ذلك أن يعملوا على وضع شعوب المستعمرات والمحميات أمام الأمر الواقع بوضع دستور يجرهم إلى الوحدة الفرنسية، وكان هذا كرد فعل على الأنجليز من جهة واهتماما مفتعلا بقضية أقطار المغرب العربي الكبير، وأنها تريد تغيير الوضع السياسي فيها وتجديد علاقتها بها على أساس إدخالها في الإتحاد الفرنسي الذي فكرت في إنشائه وتريد أن تجمع فيه البلدان التي أوقعها سوء الطالع بين مخالبها(205).

وقد كثرت وقتها حول هذا الموضوع الخطير تعاليق الصحافة وتصريحات رجال السياسة في إجتماعات اللجنة التي تكونت لدرس الموضوع فيما يخص أقطار المغرب العربي الكبير، أما الأحزاب السياسية فقد أدلى كل منها برأيه في الموضوع، فالرجعيون ومن بينهم جماعة حركة الجمهورية الشعبية، كانوا لا يرون وجوب تبديل "معاهدة الحماية" في تونس والمغرب، بل يقترحون إدخالها في الاتحاد الفرنسي مع إبقاء نظام الحماية.

وأما الإشتراكيون فهم يوافقون على إلغاء معاهدة الحماية وتعويضها بمعاهدة إتحاد فرنسي حسبما جاء في مقررات مؤتمرهم الذي إنعقد بعاصمة الجزائر يوم 7 يوليو 1946م وكانوا يرون أن يسبق إبرام هذه المعاهدة إدخال إصلاحات واسعة النطاق على البلاد حتى يتمكن الشعب بواسطتها من المشاركة بصورة شكلية في تقرير مصيره بأن يؤسس مجلسا نيابيا بالإنتخاب العام يكون نصف أعضائه من الفرنسيين، والنصف الآخر من الوطنيين، وهذا المجلس يعين وفد المفاوضات مع فرنسا ويصادق على المعاهدة الجديدة، ويشترطون قبل كل شيء، أن تضمن هاته المعاهدة حقوق فرنسا في البلاد، ومصالح الفرنسيين الساكنين بها، ومما يسترعي النظر أن بعض رجال فرنسا المسؤولين

(205) لا فرق بين ذلك بالأمس والفرنكوفونية اليوم ونحن في عام 1990 راجع الحرب الحضارية الأولى للدكتور الأخ المهدي المنجرة ط 1/النجاح 1991.

ذهبوا إلى أبعد من ذلك في المغالطة عند تحديد هاته الحقوق والمصالح، وشرح صورة ضمانها حتى ظهر من خلال إقتراحاتهم أن هذا الوضع الجديد الذي يريدونه للبلاد ـ وكما سنرى من خلال عرضنا للدستور الجديد بعد قليل ـ سيكون أشد وطأة من الحماية نفسها.

أما الشيوعيون فقد كانوا يحثون على المبادرة بإجراء إنتخابات عامة يشارك فيها كل العناصر المتساكنة لتشكيل مجلس، ينتخب حكومة مسؤولة أمامه، يضع دستورا للبلاد ويعقد معاهدة جديدة مع فرنسا بعد مفاوضات في جو الحرية والمساواة بين الطرفين، وهاته المعاهدة تعين أسس الإتحاد الفرنسي.

وكل هاته المشاريع كما نرى بعضها إعتداء "سافر صراح" وبعضها في ظاهرها الرحمة وفي باطنها العذاب والموت البطئ، ولم تكن في الواقع إلا صور مختلفة للاستعمار الفرنسي الجديد كما يتصوره دهاقنة الاستعمار، لأنها كلها مشاريع لا تغير جوهر الوضع، بل تعمل على تدعيم سيطرة فرنسا السياسية والاقتصادية تحت ستار فاضح وكاشف، بل إن ممثل الفرنسيين الذين كانوا وقتها في تونس كمستعمرين صرح في البرلمان الفرنسي حول مسألة تمثيل الفرنسيين المقمين بتونس، حيث قال بتاريخ1946/11/18 "إن الفرنسيين بتونس قدموا تضحيات جسيمة في هذه الحرب تجعل لهم الحق في أن لا يعتبروا أنفسهم فوق أرض أجنبية، إن تونس بمعاهدة باردو واتفاقية المرسي هي مرتبطة بفرنسا إلى الأبد(206) وهذا كان رأي جوان الذي سيخلف إريك

(206) المصدر السباق هذه تونس، لقد كان مما أغرى بعضهم هو ما ظهر من بعض الكتاب الجزائريين بالفرنسية أمثال محمد معمري أحمد حمدي، وفرعون، وآسيا جبار صاحبة كتاب نساء الجزائر العاصمة في المنزل وهو كتاب إمرأة جزائرية بتفكير فرنسي تتحدث عن المرأة وتريد منها أن لا تبقى في المنزل بل تريد لها الطفرة المائعة... أما السابقون الثلاثة فقد كان بعض الفرنسيين بسخرية مكشوفة وملفوفة يفتخرون بهم كمثال على ما حققته اللغة الفرنسية من تمكين وهدم للذات الجزائرية بعد مائة وعشرين عاما حيث أعطتهم "الجوائز" وقدمتهم كمثال ثم رفعت شأنهم حتى تغرى بهم آخرين كما تفعل اليوم مع الطاهر بن جلون وادريس الشرايبي وغيرهما لكن أولئك الكرام بعد الإستقلال عرفوا كثيرا من الجراح، ومثلهم المغربي الطاهر بن جلون إلا أن هذا مع الأسف بقدر ما يعتبر مثالا على قصور القوم وإفلاسهم ماداموا لم يتعلموا لغتهم الأصلية، ثم يتقنوها بالقدر الذي يتقنون به لغة المستعمرين إذ ليس لهم ولا لأبائهم في ذلك عذر بقدر ما يحسبون من المفلسين هم وآباؤهم الذين وجهوهم إن كانوا قادرين على التوجيه، وإذاهم اليوم أمل لفرنكوفونية. فماذا وراء ذلك؟ لقد شب المغاربة عن الطوق ولا تعتبر أعمالهم المفضوحة غير مضيعة للوقت والجهد لكن رحم الله طه حسين الذي كتب حول انتاج بعضهم متهكما بقوله في حق ما كتبوه بالفرنسية "يوناني فلا يقرأ" راجع ج الجمهورية المصرية بتاريخ 1954/3/5 ص3..

لابون في المغرب والذي سيعمل على التمكين لسياسته بقوة القهر التي ستقوده إلى الفشل وتمريغ الشرف العسكري الفرنسي في الوحل كما سبق لسلفه غابريال بيو وقبلهما نوجيس، أما الجزائر في إعتبار الفرنسيين فيكفي القول أن فرنسا وكما سبق أن بينا إستصدرت وقتها في حقها من القوانين لإدماجها ما كان الجواب عليها هو ما سجله تاريخ هذا الشعب من عظيم النضال والتضحية والجهاد.

تلك هي تحركات الهيآت السياسية الفرنسية ومجمل مقاصدها، وكيف كانت تنظر إلى آمال الشعوب المنكوبة بالاستعمار الفرنسي، أما الجانب الرسمي أي المسؤولين عن سياسة الدولة الفرنسية فإنهم بعد الحرب مباشرة أرادوا أن يعطوا للشعوب التي تحركت والتي تستعد لتتحرك من أجل التحرر من الاستعمار درسا قاسيا وأن يعرفوها بواسطة ما وضعوه من دستور أنه لا أمل في غير إنضمامها إلى فرنسا، وهذه المرة بإسم الوحدة الفرنسية.

في هذه الظروف ظهر بفرنسا دستور الجمهورية الرابعة، وذلك بعد فشل مؤتمر "بوتسدام(207)" ومؤتمر "يالتا"(208) في 1945/11/4 وقد ظهر الدستور الجديد بتاريخ1946/10/27(209) وفيه بالنسبة للمغرب وتونس والجزائر ما هو أدهى وأمر من الحماية بل وأشد مرارة من الإحتلال. فيما يرجع إلى الذاتية المغربية إذ ورد في الفصل7 من هذا الدستور المواد من 60 إلى 82 ثلاثة أقسام.

أولها مبادئ من 60 إلى 62 وهي تنص على أن كل البلاد الأعضاء في الإتحاد تضع مواردها كلها للدفاع عن الاتحاد، وتقوم حكومة الجمهورية الفرنسية بتنسيق هذه الموارد وتوجيه هذه السياسة وإعداد ما يلزم لضمان هذا الدفاع".

---

(207) كانت عاصمة براند نبورج بألمانيا على نهر هافل قرب برلين راجع م.ع422 ط 1965.

(208) مدينة جنوب القرم بجمهورية روسيا الإتحادية سابقا على ساحل البحر الأسود، وبها كان المؤتمر الخاص الذي إنعقد أواخر الحرب 2 واشترك فيه روزفيلت وستالين وتشرشيل راجع م.ع 1977 ط 1965.

(209) عرض هذا الدستور للمناقشة والتصويت، ونال الموافقة في 1945/10/13. راجع حقائق عن شمال إفريقيا في مجلة البرلمان الهندي أغسطس 1956م ولقد عرض هذا الدستور على التصويت من قبل الاتحاد الفرنسي فيما وراء البحار يوم 1946/6/5 حيث أسفر عن نتيجة محرجة لفرنسا هي276،188 صوت بالنفي مقابل 249.132 بالقبول. وفي 1946/10/13م حيث أسفر عن نتيجة محرجة لفرنسا أيضا هي 293000 بالرفض مقابل 160.879 بالقبول. إلخ.

وأما القسم الثاني ومواده من 63 إلى 72 فهو يعني تنظيم مجلس الاتحاد، والرئيس هو رئيس الجمهورية الفرنسية مادة 64، وأن نصف أعضائه يمثلون فرنسا، والنصف الآخر يمثل الممتلكات فيما وراء البحار المادة 66، وأن المجلس يدرس الميزانيات والتوصيات للبلاد الأعضاء مادة 71.

وأما القسم الثالث : فهو خاص للممتلكات فيما وراء البحار المواد 73–82 خصوصا المادة 74، وهي تنص على أن تعطي الممتلكات فيما وراء البحار سلطة معينة تبعا لمصالحها الخاصة، ولكن ضمن إطار المصالح العامة للإتحاد، والمادة 77 تنص على أن يكون في كل من الممتلكات مجلس منتخب، وأن يكون الانتخاب للمجلس وتكوينه والسلطات الممنوحة له بموجب قانون، وبناء على مثل هذا إنتزعت السلطات الفرنسية من محمد الخامس تفويضا بالإكراه أيام غابريال بيو لم يوقف بعد الحرب كما سنرى، وظهرت تحركات من أجل تمثيل الجالية الفرنسية في كل من تونس والمغرب فكان إحتجاج محمد الخامس، ومحمد الأمين باي بإسم المغرب وتونس وكانت تحركات الطلبة المغاربة في باريز ومع ذلك تناول البرلمان الفرنسي الموضوع بتدخل من المستعمرات فوافق المجلس على ذلك التمثيل حسبما جاء في قانون 1945/9/15 وبذلك أصبحت المعركة حامية بين فرنسا والمغاربة في عموم أقطار المغرب العربي الكبير.

ومهما يكن مما قيل عن هذا الدستور أنه قصد من ورائه توجيه شعوب المستعمرات والمحميات إلى "الحكم الذاتي" فإنه لم يكن يهدف بالنسبة لما يتصل بشعوب المغرب العربي غير قطع الطريق على الجامعة العربية التي ظهرت وقتها، والتي تردد صداها بقوة بين مختلف طبقات الشعب في كل من المغرب والجزائر وتونس وليبيا، فكان ما ورد في الدستور الفرنسي كرد فعل، لكنه في الوقت نفسه كان المحرك الذي دفع إلى رد الفعل المغربي بما لقى من معارضة شديدة من كل الشعوب التي أوقعها سوء الطالع تحت نير الاستعمار الفرنسي ومما ساعد تلك الشعوب ومنها أقطار المغرب العربي الكبير التي سيزدهر فيها نشاط الحركات الوطنية في هذه الفترة، هو أن فرنسا وقتها عرفت إلى جانب تعدد الحكومات اليسارية في أعقاب الحرب فوضى في الحكم، إذ في بحرست سنوات توالت على الحكم ست عشرة وزارة مختلفة، كما عرفت كل حكومة على حدة

أزمات سياسية مختلفة كذلك، أودت بها إلى منحدر جرت معه فرنسا وما كان تحت نفوذها إلى دوامة من الفوضى والإرتباك، بل إذا علمنا أن بعض الحكومات التي كانت أطول عمرا قضت في الحكم ثلاثة عشر شهرا، وأقصرها يومين إثنين فقط، زال العجب وثبت الإتهام، ولعل هذا وبالتأكيد كان نتيجة الوضعية التي عرفتها فرنسا في ظل أحزابها الخمسة عشر، والتي كانت لاتستقر أية حكومة معها إلا إذا إتحدوا عليها، وهو شيء نادر، بل قليل الحدوث، بل وإذا كانت الجمعية الوطنية الفرنسية المكونة وقتها من620 عضوا والتي كان منها 184 شيوعيا يمثلون المعارضة الدائمة لإقتراحات كل الأحزاب مما أدى إلى إتفاق هذه الأحزاب ضد الحزب الشيوعي إلى أن أبعد عن الحكم عام 1947م، فإنه من وقتها أخذ أنصار دي غول يعملون في المعارضة، بل إذا كانت أحزاب منتصف الطريق ممثة في الجمعية بنسب لا تضمن لأي منها الوصول إلى الحكم دون إعتماد على إئتلاف، مما جعل الحكم الضعيف في فرنسا يتخاذل أمام جماعة المستعمرين بأقطار المغرب العربي الكبير، الذين كان لهم نفوذ قوي على سماسرة الحكم في فرنسا، فإن نتيجة ذلك مضافا إلى حدة نشاط العاهل العظيم محمد الخامس في المغرب مثلا، دفع إلى سحب إيريك لابون الذي سمح بزيارة محمد الخامس لمدينة طنجة، تلك الزيارة التي كانت في الواقع نتيجة لتصريح عبد الرحمن عزام في باريز لجريدة لوموند بتاريخ1946/10/12 كما سنرى، والتي أحدثت طفرة سياسية في المغاربة نحو المشرق العربي والجامعة العربية التي ركز لها في النفوس خطاب العاهل في طنجة يوم1947/4/9.

ومهما يكن فإن كل محاولة كانت من فرنسا ومن أحزابها والمستعمرين بالمغارب من أبنائها ـ وقتها ـ باءت بالفشل، ثم تعرضت للسخط والمقاومة من أحزاب المغارب وشعوب المغرب العربي الكبير التي ما عرفت في تاريخ الاستعمار إتحادا ونشاطا وطنيا ضد الاستعمار كما عرفته في فترة ما بعد الحرب وإن كانت كما رأينا دفعت الثمن غاليا.

لقد أثار الدستور المشار إليه الحماس ضد ما أخذت الدوائر الفرنسية تشيعه متضامنة مع المستعمرين في كل من تونس والمغرب، من أن هؤلاء سيكون لهم حق حسبما جاء في قانون 1945/9/15 والذي أشرنا إلى إحتجاج العاهل المغربي وباي تونس

ضد ذلك التشريع وفي التحركات الوطنية كان حزب الإستقلال قد كون وفدا ثلاثيا من أحمد لحمياني ختات، وعبد الكريم بن جلولن التويمي والتلمساني عمر بن عبد الجليل، توجهوا إلى فرنسا في نفمبر 1946 حتى يقنعوا المسؤولين الفرنسيين أن المغرب لا يرضى أبدا بما قيل عنه إتحاد فرنسي، وفيها كان نشاط طلبة المغرب العربي هو الآخر قد تحرك في نفس الاتجاه وكان عبد الرحمن عزام وقتها بباريز، حيث إتصل به وفد المغاربة الذين ما كادوا يعودون حتى أبلغوا للعاهل ما كانت عليه عاطفة ووطنية أول أمين عام للجامعة العربية نحو أقطار المغرب العربي، والذي سبق أن أشرنا إلى تصريحه لجريدة لومند يوم1946/10/12 وهو تصريح كان فيه نوع من المجاملة التي إعتادها كل من أراد أن يخدر أعصاب الفرنسيين علهم يتدبرون، لكنه ما كاد يعود إلى مصر القاهرة، حتى وجد المغاربة والتونسيين والجزائريين بها قد نظموا حفلا للاحتفال بعيد جلوس محمد الخامس على العرش المغربي، وهو العيد الذي كان مناسبة تلتحم فيها جهود الوطنيين، وتستمد قوة الدفع إلى الأمام، فكان عيد 1946/11/18 بالقاهرة أول عيد يشارك فيه كثير من رجالات العرب منهم رياض الصلح وعبد الرحمن عزام الذي ألقى بالمناسبة خطابا كله تأييد للمغرب وكشف لفظائع وفضائح الفرنسيين في أقطار المغرب العربي الكبير كما تردد صدى جولة محمد بن عبود في العالم العربي والتي كانت في أكتوبر 1946، بل تردد صدى خطاب عزام في أقطار المغرب الكبير وبين شعوبه، وإذا ما إشتدت وطأته على الفرنسيين، فإن جريدة لوموند الفرنسية الصادرة بتاريخ 1946/11/19 قالت عنه ما يلي. "حمل الأمين العام لجامعة الدول العربية حملة عنيفة على فرنسا في الاحتفال بعيد العرش الذي أقامته "رابطة الدفاع عن مراكش" وقد حضر هذا الاجتماع عدة شخصيات إسلامية، ومن بينهم رئيس مجلس الوزارة اللبناني رياض الصلح، وذكر عزام باشا الروابط التي تجمع بين المغرب وبقية الأقطار العربية، وصرح باسم كل هاته الأقطار أنه يؤيد جهاد المغرب في سبيل استقلاله، وأن فرنسا يجب أن تخجل من حالة البؤس والمجاعة والجهل التي يعانيها أهل المغرب تحت حكم فرنسا الاستعماري الجائر الذي ليس له شبيه في العالم وقتها، وإذا كان الفرنسيون يريدون أن يكسبوا صداقة الجامعة العربية، وأن يسكت العرب فليثبتوا للعالم عمليا أن عقلية المستعمرين الموروثة من القرن

الماضي انقضت، إنهم بالغوا وأسرفوا واستحال علينا أن نسكت" وتستطرد "لوموند" ثم تقول: "فلماذا يا ترى ترقب عزام باشا أن يكون بالقاهرة ليتحدث عن الخجل الذي يجب أن تشعر به فرنسا والحال أنه في باريز نفسها منذ أقل من شهر أكد أن المدنية الفرنسية هي أحسن ضمان لحل عادل لقضية شمال إفريقيا" إلخ على أن الكاتب لم يتنبه إلى أن تصريح الأمين العام هذا وما جاء فيه من وصف للاستعمار الفرنسي، إنما كان نتيجة ما قاله المقيم العام الفرنسي في تونس الجنرال ماست، وقتها لصاحب جريدة "كومبا" والذي قال : إن حالة الحصار منصوبة على المغرب بصورة دائمة، وأنها وضعت على تونس منذ عام 1938 وهي حالة طبيعية حتمية في بلدان الحماية"(210) فكان

(210) لقلد كان هذا التصريح من أهم العوامل التي دفعت ذ علال الفاسي فسافر إلى القاهرة بعد ما غادر مدينة فاس إثر إعادته من منفاه بالجابون ماي 1946 على أن هذا السفر الذي أفاد كثيرا بالنسبة للتعريف بالقضية المغربية حيث ضم جهوده إلى جهود الذين سبقوه إلى المشرق وهم الحاج الحسن بو عياد وعبد الخالق الطريس وابراهيم الوزاني ومحمد اليمني الناصري من المغاربة كما كان نشاط "جمعية الطلبة المغاربة بمصر" التي تأسست عام 1938 بتنشيط من إبراهيم الوزاني قوامها 30 طالبا والتي تكون مكتبها من مجموع الذين كانوا يدرسون وهم أحمد بن المليح، وعبد الكريم غلاب والعربي بناني وعبد المجيد بن جلون وإدريس السوسي وغيرهم ثم أسسوا بعد الانتهاء من الدراسة ماأطلقوا عليه "رابطة الدفاع عن مراكش" وهم الإخوة أحمد بن المليح، وعبد المجيد بن بن جلون وعبد الكريم غلاب وعبد الكريم ثابت وإدريس السوسي والعربي بناني ثم التحق بهم محمد بن عبود التطواني ومحمد الحلفاوي الفاسي التطواني، اللذين أصبحا بعد يمثلان المغرب في الجامعة العربية باسم الخليفة الأمير الحسن بن المهدي وكان ذلك هو الدافع بعلال الفاسي إلى السفر مباشرة بعد العودة من منفاه بحيث ما كاد يعود إلى المغرب ويتعرف على حقيقة التركيب الجديد لحزب الاستقلال الجديد وأن الشخصيات الكبيرة التي اجتمعت غير ما سبق 1937م وأنها إن هي تجاوزت لا تقبل الزعامة بدون انتخاب، وأن الانتخاب إذا ما تقرر فسوف يكون قاصرا على الجماعة التي كونت وقت تقديم عريضة الإستقلال، وكان هذا هو المنطق السليم لاستمرار التضامن لكن علال الفاسي وبذكاء أدرك أن التكريم الذي كرمه المواطنون في مدينة فاس وبدار لمنبهي بسويقة بن صافي لم يكن هو الإنتخاب الحقيقي لزعامة الحزب الجديد وأنه إن تم ربما يكون شيئا آخر، ولذلك تغافل ثم رحل إلى باريز ومنها إلى القاهرة حيث قضى نحو السنة 1947 ساهم أثناءها في إنشاء لجنة تحرير المغرب العربي كما سنرى والتي أصبحت تحت زعامة محمد بن عبد الكريم الذي دخل معه بعد في دوامة التنازع من أجل الاتصال باسم اللجنة خصوصا وأن طيش أبناء محمد بن عبد الكريم وشيطنة بعض "السياسيين" المغاربة الشوريين محمد حسن الوزاني وعبد الهادي بوطالب وأحمد بن سودة وغيرهم وسعت الهوة بين الرجلين وكان علال هو المتظلم لأن علمه وثقافته العالية والتمكين له بواسطة جهوده الذاتية في مصر أولا، ثم بواسطة الطلبة الذين عرفوا فضله وكان عليهم دين يستوجب الوفاء له ثانية، جعلا صوته في الأوساط العلمية والسياسية يتردد بشكل أزعج ما حول المجاهد الريفي من الذين إتخذوا إسمه وسيلة للارتزاق والاحتيال، ناهيك وان علال نال بثقافته من تقدير الجامعة العربية ما لم يوفق إليه غيره، وهذا ما عشته وكنت من المضطرين للصراع داخل دوامته كمتحزب عنيف"؟" أدركت اليوم أنها ثورة الشباب.

جواب هذا هو ما أدلى به عبد الرحمن عزام، الذي تردد صدى قوله في المغرب، فكان له الأثر الذي سيردده محمد الخامس يوم 1947/4/10، بمدينة طنجة وهي الزيارة التي تمت في عهد إريك لابون، والتي ستجعل حدا لوجود هذا المقيم بالمغرب الذي قيل إنه أطلق العنان ولم يحافظ على ذلك الحصار الذي وصفه لنا ماست، بل فرط فسمح زيادة على سراح الزعماء الوطنيين، بإنشاء جريدة "العلم" التي أسست باسم الرجل الفاضل عبد الجليل القباج(211) والتي بدأت عملها بتاريخ 1946/9/11 وذلك بفضل ما بذله محمد لغزاوي الذي اشترى الدار التي أصبحت لها إدارة بشارع تمارة والتي هي على ملكه حتى الآن كما بينا قبل تعليق(196) كما توسعت دائرة الاتصالات السياسية بين المغاربة في المدن وزيارة جلالة العاهل لفرنسا حيث قدم مذكرة سياسية إلى الحكومة الفرنسية، ورغم أنها كانت موضع إهمال بتحايل من دي غول أزعجت وأثارت القنوط والتذمر في نفوس العسكريين والمستعمرين الفرنسيين، على أن كل ما فعله إريك لابون إنما كان عن تدبر أفاده مما سبق له من عمل قديم في المغرب وتونس من تدبير مركز لصالح الإستعمار والتمكين له، بل لطمس الذاتية المغربية والقضاء عليها إقتداء بسلفه، لكن بحكمة وتعقل، أليس هو الذي رغم عدم موافقة صاحب الحق الشرعي على ما قدم إليه من إقتراح قانون يخول للفرنسيين حق الانتخاب أيام غابريال بيو، والذي قامت من أجله ضجة أدت إلى التراجع، فإن الفرنسيين شاركوا في الإنتخابات أملا في تحقيق فكرة الدستور الذي أشرنا إليه قبل والتي تعني الاتحاد الفرنسي بعد المشاركة في السيادة المغربية وذلك في انتخابات 1945/10/21 التي فرضها بقوة غابريال بيو، ثم تكررت في يونيه1946 في عهد إريك لابون(212) الذي اعتبر متسامحا ومتفهما ولذلك أبعد بعد13شهرا

(211) إصلاحا لبعض الأخطاء وهي كثيرة جدا فيما يكتب الأجانب عن تاريخ المغرب المعاصر، فمثلا كتب، روم لاندو في كتابه "سلطان مراكش" ترجمة عبد المجيد بن جلون ص 37 ط 1952 حول تأسيس حزب الاستقلال حيث قال بالحرف "أما مؤسس حزب الاستقلال ورئيسه فهو علال الفاسي" وقد عرفنا كيف انشئ الحزب ودوافع التسمية" وعلال في المنفى ومثل هذا قيل في الموسوعة العربية حول إنشاء جريدة العلم، وان الذي أنشأها هو ذ. علال الفاسي ص 1117 ط القاهرة 1965 وهذا خطأ وزعم باطل.

(212) ونفس الخطة والتجربة كانت تطبق بتونس في ذات الوقت مما أدى إلى حوادث زرمدين في يوليو 1946 ثم المؤتمر العام للحزب الحر الدستوري الذي إنعقد في 1946/8/23 وكان قوامه ممثلو الحزب القديم والجديد ونقابات العمال وأساتذة الزيتونة، واتحاد الموظفين واتحاد التجار وأرباب الصناعات وجمعية الفلاحين وجمعية =

ليحل مكانه آخر متشدد وغير متسامح إلى درجة الإجرام فكان هو الجنرال جوان الذي ولد في مدينة عنابة بشرق الجزائر من أم كورسيكية وأب دركي وفيها رضع وتربى على كراهية العرب والمسلمين والحقد عليهم. كما سنرى بعد تعرفنا على بداية ونهاية الزيارة الملكية إلى مدينة طنجة والنتائج التي حققتها. بل والتي ستتم قبل إنهزام الحكومة لتحل مكانها حكومة يمينية ضمن تشكيلتها صليبي عنصري حاقد على الإسلام والمسلمين هو جورج بيدو كوزير للخارجية الذي صرح أنه لا يقبل أن يتغلب الهلال على الصليب في أرض الإسلام.

كانت الخطة التي رسمها محمد الخامس منذ بداية الصراع وما خاضه من معارك عنيفة مع غابريال بيو إلى أن باء هذا المقيم بالفشل ثم غادر المغرب طريدا، لم يكن العاهل يقحم فيها فرنسا والفرنسيين، بل كانت وحسب الوقائع مع الاستعمار، وتلك كانت خطة حكيم ومدبر أصيل كونت من "أحرار الفرنسيين" مؤيدين له، ومنتقدين للسياسة التي كان ينهجها پيو، كان كل عمل يقوم به محمد الخامس لاقناع الفرنسيين يوحي بل يؤكد أن الزمان لم يعد في صالح نهج السياسة التي يطبقونها في المغرب، وأن ما قابلوا به جميل المغرب والمغاربة من عقوق،وما يعملون فيه من شر لم يخرج عن دائرة نفوذ الذين هم في المغرب، ناهيك وأن الصراع قط لم يخرج عن دائرة العاهل وشعبه والمقيم وإدارته التي كانت تحت سيطرة ونفوذ المستعمرين من ذوي الإقطاع في المغرب، ذلك لأن سياسة باريز تجاه أقطار المغرب العربي كانت تستمد توجيهاتها في الواقع من رغبة أولئك المستعمرين، وآراء رؤوس المال ورجال البنوك كانت المضايقات التي يعيشها محمد الخامس لا يعرف آلامها وما تحدثه من جراح غيره، فهو الذي كان يعيش ويرى من

= الأطباء والصيادلة، وجمعية المحامين التونسيين، وجمعية المعلمين، كما حضره الوزراء السابقون في عهد جلالة المنصف باي رحمه الله، وبعض أعضاء المجلس الكبير، وكان عدد الحاضرين يفوق السبعمائة يقول د الحبيب ثامر، وافق المؤتمرون بالإجماع على ميثاق وطني أعلنوا فيه بطلان الحماية الفرنسية وطالبوا بالإستقلال التام والإنضمام إلى الجامعة العربية، فكان رد الفعل أن هاجمت القوات الفرنسية مكان الإجتماع وألقت القبض على 40 من الحاضرين، ثم كان برنامج الإصلاحات الذي أعلنه الجنرال ماست بتاريخ 1946/9/23 وفحواه تحقيق السيادة المشتركة بين التونسيين والفرنسيين 6 وزراء تونسيين و6 وزراء فرنسيين ثم رفع عدد المجالس البلدية... إلخ راجع هذه تونس106ـ107 مصدر سابق.

رعونة المتكالبين ودهاقنة الاستعمار ما لم يعرفه غيره، ذلك أن إقتراحات القوانين التي كان القصد والهدف منها محو الذاتية المغربية، كانت تقدم إليه، وحتى لا يزيد نار المعركة إشتعالا كان يجمدها ويتحمل ما ينتج عن التجميد من بذاءة وقلة أدب وصلف أبناء الفرنكة وحفدة همج ورعاع لكولوا، وإذاية وحوش الألزاس واللورين الذين كانوا نكاية به يتحرشون بالأبرياء من أبناء شعبه، ويضطهدون الوطنيين المتحركين منهم فيشتد ألمه.

كانت الدوائر الفرنسية في باريز تعرف كل ما يجري في المغرب وما يلاقيه المغاربة من عنت وظلم، كان المسؤولون لا يعيرونه كبير إهتمام، ولا يرون فيه أي خطر ما دام داخل الأسوار الحديدية التي أحاطوا بها السجن الكبير، حيث كان أي عمل مسيء للمغرب والمغاربة ملكا وشعبا يكتم بقوة الحديد والنار، حتى إن المغرب أصبح يعيش داخل دوامة أليمة من الكبت والظلم والطغيان والسعر، ولم يكن يتردد صدى ما يعانيه المغاربة وكما رأينا إلا من خلال ما تتلقفه الأوساط الوطنية ذات الإهتمام، ثم تعمل على إرساله - عن طريق طنجة إلى مصر التي كان التشهير ينطلق منها إلى بقية البلاد العربية وغير العربية وقتها، كأخبار مزعجة وأليمة عن المغرب، ومع ذلك كانت تعمل على نشرها، بطريقة لا تثير الكثير من تذمر الفرنسيين، وإذا ما استمر المغرب يعاني من الضغط والكبت وكتم الصوت والحرمان من أبسط الحقوق التي أقرتها الأعراف والقوانين الدولية ومن أجل الكشف عن هذا الوضع المزري والمخجل لفرنسا في آن واحد، إختار محمد الخامس لرفع صوت المغرب المتظلم زيارة طنجة، التي هي جزء من المملكة، والتي قدر أنه لا شك سيكون لزيارتها الأثر الفعال في رفع صوت المغرب والخروج به من دائرة الحصار التي تغنى بها الجنرال ماست والتي كان الفرنسيون قاطبة في المغرب الكبير يحرصون على إحكامها على المغرب والمغاربة ملكا وشعبا، بل وفي تلك الفترة تبين أنه كان يخطط ضد نشاط العاهل الذي توسع بطريقة جد حكيمة كان المشير بها والمجند لها هو شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي رحمة الله عليه، وتلك هي حركة البعث علميا بواسطة إنشاء المدارس الحرة وتدشينها ثم فتحها بواسطة أموال وإقبال المحسنين من الوطنيين المغاربة في جهات مختلفة من المغرب، من فجيج بالجنوب الشرقي حيث مدرسة النهضة الإسلامية بقصر زناكة، والحسنية بقصر الوادغيريين إلى بركم ثم وجدة واحفير

وبركان، بل وإلى مراكش والأطلس المتوسط حيث كانت المدرسة التي أطلق عليها إسم أمير الأطلس والتي تجند لإنشائها المحسنون بأزرو كما رأينا، الأمر الذي أثار إنتباه دهاقنة المستعمرين فعملوا ما أمكنهم حتى تضع حكومة رامادى حدا لذلك باتفاق مع العسكريين الذين كانوا قد شمروا من أجل تغيير الأوضاع، ليس في المغرب فحسب بل في ربوع المغرب الكبير، لكنهم لم يدركوا أنهم في الوقت الذي كانوا يدبرون ويمكرون كان ثمة من يدبر ويمكر كذلك وصدق الله العظيم إذ يقول "ومكروا مكرا ومكراً وهم لا يشعرون، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم" وقوله تعالى "ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين"

كانت وثيقة المطالبة بالاستقلال لم تزد الفرنسيين وقد حطت الحرب أوزارها وتنفس الأذلاء من الفرنسيين الصعداء لم تزدهم إلا عتوا حتى إنهم صاغوا سلاسل وقيودا من حديد أرادوا هذه المرة وضعها في أعناق المغاربة المقيدة أيديهم وأرجلهم من قبل، وإذا كانت القيود السابقة توسم بالاحتلال في الجزائر وبالحماية في كل من تونس والمغرب، فإن القيد الجديد الذي وصفوه بـ"الاتحاد الفرنسي" والذي كان السبب الدافع والمباشر للعاهل إلى أن يعلنها حربا على الاستعمار الفرنسي. لكنه بحكمة المتبصر ودراية المتدبر، الذي كان وقتها في مقدمة حاملي السلاح في وجه الاستعمار الفرنسي وهو شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي صاحب فكرة زيارة محمد الخامس لمختلف الأقاليم من أجل تدشين مدرسة أو فتح أخرى إقترح هذه المرة أن تكون الزيارة لمدينة طنجة وذلك تحديا يقول محمد لمعمري وكما سجل الحوار الذي حصل في مذكراته المؤودة؟؟ وإذا لم تكن من أجل تدشين أو فتح مدرسة فلتكن من أجل الرد وبخطاب ملكي صريح على فكرة الاتحاد الفرنسي القبيح، والإعلان أمام الملإ أن المغرب المسلم القوي بدينه وتماسك بنيانه، واتحاد شعبه وسلطانه كان عربيا ولا يزال عربيا، وسيبقى بفضل الله وتوفيقه الشعب المسلم العربي. وفعلا بدأ الاستعداد لتحقيق الزيارة الملكية.

الباب التاسع والعشرون
بداية النهاية

الفصل الخامس والثمانون بعد المائتين

زيارة محمد الخامس لمدينة طنجة

ما قبلها وما بعدها

لما عزم محمد الخامس على زيارة مدينة طنجة كان المقيم إريك لابون قد شم رائحة عدم قبول حكومة بلاده ممثلة في وزير الخارجية جورج بيدو لتلك الزيارة، فتعلل بشتى التعليلات حتى لاتتم، ومنها عدم رغبة الانجليز والمير كان على حد قول إريك لابون غير المؤكد، لكنهم عادوا فقبلوا(213) وأصبحت الزيارة التي ستكون طعنة قوية لمزاعم وطموحات الإسبانيين في اعتبار الفرنسيين شيئا طبيعيا على لسان نفس المقيم الفرنسي الذي ود أن لو كانت عن طريق البحر حتى تكون تحت إشرافه ويكون الحارس لها في نظر الآخرين، لكن العاهل وهو يقصد التأكيد على وحدة تراب المملكة تحت سلطان العرش العلوي أصر على أن تكون الرحلة عن طريق البر، فتعين بذلك عدم صحبة المقيم الفرنسي للركب حين مدخل التراب الواقع تحت النفوذ الإسباني، والذي على هؤلاء مهمة حفظ الأمن فيه، كما تقرر ذلك بواسطة لجنة إسبانية قدمت إلى مقر الإقامة العامة بالرباط، أما تعليمات جلالة العاهل فقد كانت للجنة التي طلب من خليفته بمنطقة النفوذ الإسباني سمو الأمير الحسن بن المهدي إرسالها.

كانت آراء الفرنسيين متفرقة ومنقسمة بصفة رئيسية إلى قسمين متنافرين قسم مدني يرى أنه لا ضير ولا جدوى من الزيارة، ناهيك وأن السرية التي أحيطت بها نوايا العاهل من الزيارة حالت دون كل ما يمكن أن يدفع بشطط المتهورين في الإقامة العامة، وقسم آخر من العسكريين والمستعمرين ودهاقنة الاستعمار الفرنسي كانوا يلحون على

(213) وإذا صح هذا التعلل فإنه يدل على مدى بلادة حس الفرنسيين وقتها إذما شأن الأنجليز والماريكان بموضوع زيارة عاهل لجهة من مملكته.

عدم التمكين من الزيارة بدعوى أن الصبغة الدولية التي تتصف بها المدينة تفقد الفرنسيين السيطرة على تصرفات العاهل وربما يصرح بما يضر بالمصالح الفرنسية والوجود الفرنسي بالمغرب، ناهيك وأنه بحكم المواثيق الدولية فهو رجل دولة لها كامل السيادة كما تقرها معاهدة الحماية.

وحتى آخر ليلة قبل موعد السفر والصراع بين الجانبين ، المدني والعسكري، وإذا ما تمسك إريك لابون برأيه الذي أقنع به حكومة رامادي، فإن هذه الحكومة ولا من سبقها ولا من سيأتي بعدها، كانت أمام تصرفات العسكريين وشطط رؤوس المال من المستعمرين المسيطرين تقف عاجزة لا حول لها ولا قوة، الأمر الذي أصبح العسكريون من الفرنسيين المغامرين وعلى رأسهم بونيفاس هم أصحاب الرأي الفاصل في موضوع الزيارة، كما ترآى لهم، وبدافع الشطط والتهور أطلقت دعاية ليلة السفر دوخت الفرنسيين، فحواها أن محمد الخامس بحكم ما عرف من الوطنيين الذين سيكون منهم أفراد ضمن الحاشية التي عددها ستون، لاشك سيسئ إلى وضعية فرنسا لافي المغرب فقط، بل في عموم المغرب الكبير وبقية العالم العربي والإسلامي، وحتى يضع العاهل حدا لتلك الدعاية ونزولا عندرغبة المقيم أطلع هذا الأخير على الخطاب المعد والذي سيلقي على المواطنين في مدينة طنجة ثم تحمله وكالات الأنباء وتنشره الصحف، وإذا هو كان خاليا من ذكر فرنسا والفرنسيين لابالخير ولا بالشر، فإن المقيم لابون ألح على العاهل ألا يهمل ذكر ما أنجزته فرنسا في المغرب إقتصاديا وماديا... وفعلا كان ذلك على مضض لكن رغم ذلك ستجمد تلك الجمل بسبب ما سيحصل من مجازر في الدار البيضاء ليلة سفر العاهل إذ في ليلة السفر مباشرة دبرت المؤامرة التي أصبح لها إسم في تاريخ المغرب السياسي المعاصر كما عرفت قبل بالجزائر مؤامرة 8ماي 1945 بمدنتي سطيف وغالمة وزرمدين في تونس كذلك دبرت مؤامرة الدار البيضاء بخبث من بونيفاص الذي كان حقده لاحد له والتي قتل فيها الآلاف ظلما وعدوانا قتلهم العسكريون الفرنسيون للحيلولة دون سفر محمد الخامس إلى مدينة طنجة لكونها منطقة دولية وقتها، كان يوم 7أبريل1947 في تاريخ فرنسا بالمغرب والذي له في كل قطر من أقطار المغرب العربي ما يماثله يوم له ما بعده مثل الأيام التي لها شأن في تاريخ الشعوب، وكل ما يعلل به الذين كتبوا حول

فضائح الفرنسيين في ذلك اليوم، من أسباب ردها بعضهم إلى لعب الأطفال وآخر إلى الجنود السنغاليين، وغيرهم إلى ما انساق إليه بعضهم بلاتدبر، كل ذلك بهتان وزعم لا أساس له قصد به التضليل، والواقع أنه الصراع بين العسكريين والمدنيين من الفرنسيين.

إنطلقت من معسكر عين برجة فرقة من الجنود مدججين ببنادقهم ورشاشاتهم ومؤيدين بالمصفحات والمدافع، حيث فعلوا بالسكان العزل ما لم يفعله التوتون بهمج لوكولوا من الفرنكة، بل وما لم يفعله الألمان بأشباه الرجال الذين إستسلموا وسلموا لهم باريز وما حولها، وإذا عمت البلاد موجة من السخط والتذمر ضد الفرنسيين، فإنه كان في الإمكان أن يكون رد الفعل سيئا وتكون المأساة أكبر والخسارة أكثر، لكن لطف الله كان في عون الجميع، وقضى المغاربة ملكا وشعبا الليلة ونهارها في حزن أليم وتألم شديد لايطاق وصفهماكما صوره من عايش محمد الخامس في ذلك الظرف الأليم(214) لكنه تجلد وتذرع بالصبر لمواصلة المسيرة التي كان يدرك مغزاها، ورحل إلى مدينة طنجة التي لا تزال مآثرها تحكى ما بذله المغاربة في سبيل تحريرها من الإعتداءات التي عرفتها عبر التاريخ، والتي أصبحت مقرا لسفراء الدول الواردين على المغرب، وبها قطع حدهم منذ نحو القرنين من تاريخ الدولة العلوية ولم يزرها قبل محمد الخامس ملك من سلفه بعد جده المولى الحسن، وقد إلتجأ إليها سكنا قبل ملكين في أول عهد الاستعمار وتآمر الفرنسيين على سيادة المغرب، وذلك منهما ترفعا واحتقارا للسلطان الذي يكون بإشراف المستعمرين الفرنسيين باسم الحماية، وكان الأول هو السلطان عبد العزيز الذي لما قام عليه صنوه المولى عبد الحفيظ لينقذ البلاد من شر أصبح مؤكدا وقد راودت فرنسا عبد العزيز حتى يطلب عونها فتتدخل بقواتها التي كانت قد إحتلت البيضاء ووجدة فرفض واختار اللجوء إلى مدينة طنجة أعزل بدل التاج الذي يحميه وبحرسه عدو دخيل، والملك الثاني الذي عرفته مدينة طنة بعد ما تنازل عن الملك ولم يطق ذل "الكابتين" هو المولى عبد الفيظ الذي اختطفته فرنسا بعد من أسبانيا عام 1920 ثم أخذ إلى فرنسا التي بقي فيها تحت الحجر إلى أن توفي في 4 أبريل عام 1937 رحمه الله كما توفي صنو عبد العزيز عام 1942م.

(214) راجع كتاب المؤلف المغرب ملكاوشعبا ط القاهرة 1957 ص 160.

كل ذلك كان يدور بخلد محمد الخامس وتراجعه ذاكرته عند ما أقله القطار وبمعيته ستون من أفراد حاشيته، والذين ما كان لهم أن يجتازوا الحدود ولا أن يدخلوا المنطقة من غير جواز سفر ولا تأشيرة إسبانية، بل إلى المدينة التي فصلت عن المغرب ثم دولت من غير أن يكون للمغاربة في تدويلها رأي، وشكليا بل تفاديا للتطاحن الدولي فالمغاربة كانوا هم أصحاب السيادة فيها صوريا، وإذا كانت الدنيا وممثلو حكومات الدول المختلفة قد عرفوا تضحيات المغرب بجميع إمكاناته إلى جانب الحلفاء، وإنقاذهم لفرنسا، وعدم إعتراف الفرنسيين ولا استجابتهم لنداء الحق والعدل والخير والسلام، رغم إعلان الميثاق الأطلسي والاستجابة لنداء المستغيث الذليل الذي أذاعه الجنرال دي غول، وميثاق الأمم المتحدة، بل وإذا كان العرب قد أصبحوا يتمتعون بمنظمة إقليمية لهاميثاق، ومن إهتماماتها التي نص عليها ذلك الميثاق شؤون العرب أينما وجدوا وحيثما حلوا، وقد ظهر ذلك فيما قام به أمينها العام عبد الرحمن عزام وما رددته الصحافة الفرنسية"لوموند" وما وقف عليه الوفد المغربي الثلاثي الذي زار باريز وعزام فيها، وبالتالي إذا كان إجماع المغاربة قد تم وأصبح لهم تنظيم سياسي يمكنهم من العمل متحدين، ثم هم صمموا العزم على الكفاح والنضال حتى النصر، فإنه ليس ثمة زمان ولا مكان يمكن أن يتخذ وسيلة لرفع صوت المغرب المتظلم عاليا بل واضحا وفصيحا، وأنسب ليكون اليوم الذي سيصبح معلوما في تاريخ المغرب السياسي المعاصر، وهو يوم 9أبريل1947(215). وفي المكان الذي سيصبح علما به كذلك وهو مدينة طنجة ذات النظام الدولي وقتها.

كانت سياسة الإصلاحات التي حاولت فرنسا أن تطمس بها ما تبقى من معالم الذاتية المغربية مثل تلك التي سبقت الإشارة إليها فيما يعني تونس وما قدمه الجنرال ماست بتاريخ 1946/9/23 مع الفارق فيما يعني الوزراء، إقامة مجالس بلدية منتخبة في المدن كمرحلة أولى في طريق تحقيق حكم نيابي مع التأكيد على إشراك المستوطنين الفرنسيين، وبنفس العدد الذي يشارك به المغاربة كما إشتمل من الناحية الإقتصادية على ضرورة إنشاء شركات برؤوس أموال وطنية مع إشتراك الحكومة الفرنسية في

(215) بدأت الرحلة من الرباط يوم الأربعاء 7 جمادى الأولى 1366 هـ 8 أبريل 1947م.

تنفيذ المشروعات الإستغلالية، وخصوصا في عمليات استخراخ المعادن وفي شركات النقل والطيران مما يستدل منه على رغبة الفرنسيين في زيادة الإحتكار للثروات المعدنية بالمغرب، وفي جانب الفلاحة كان مشروع الإصلاحات يشتمل على إنشاء قرى جماعية قوامها العمل المشترك بين المغاربة الذين تمدهم الدولة بالآلات وما يلزم لتحقيق الإنتاج، وقد وجد هذا الجانب مقاومة شديدة من المستعمرين الذين إعتبروه ضارا بمصالحهم لأنه سيخلق لهم نوعا من المنافسة لإنتاجهم وحرمانهم من الأيدي العاملة التي كانوا يستعملونها بأبخس الأجور إلخ إلخ.

وإذا كان هذا المشروع قد عرف المعارضة حتى من المستعمرين بالإضافة إلى صدود المغاربة الذين أظهروا استعدادهم لمقاومته، فإن ذلك مما سيزيد في قوة نفس العاهل الذي تدبر كل ذلك وهو في طريقه إلى مدينة طنجة التي سيكون خطابه فيها على الشكل الذي اختاره، والذي سيزعزع كيان الفرنسيين والإسبانيين معا، ويبعث الثقة في المغاربة ويقوى من آمالهم في المستقبل الذي يقود إليه العاهل العظيم بصدق وأمانة.

كانت مظاهر الرحلة وما قوبل به العاهل من حفاوة المواطنين منذ خروجه من الرباط عظيمة وهائلة، لكن الابتسامة التي لم تفارق محيا محمد الخامس حتى في أحلك الظروف كانت تبدو عليها مسحة من الحزن والألم لم يستطع رغم المكابدة وعظيم قدرته على التحمل إخفاءهما، كانت الأخبار التي بلغته عن سقوط مآت بل آلاف المغاربة في حي ابن امسيك، وباب الكبير، وطريق مديونة وغيرها، من ضحايا الظلم والعدوان في البيضاء، قد أفقدته كل لذة، بل كان وكما عايشه الأقربون شديد الألم، لم يعرف كيف كان ذلك المكان الذي إستقبله فيه خليفته على المنطقة الشمالية وجموع القبائل في المنطقة ورجالات الدولة الإسبانيين رغم أن زينة أهل أصيلة وحفاوتهم بلغت النهاية في الكمال، وفرحة إبن عمه وخليفته سمو الأمير(216) الحسن بن المهدي بن إسماعيل بن السلطان محمد بن عبد الرحمن كان قد عبر عنها بطريقة جد مؤثرة، بما حوته من تعبير صادق

(216) لما حل بالرباط كمدير للبنك الوطني ارتبطت بيننا صداقة رباعيه منه ومن سمو الأميرين يونس ابن السلطان المولى عبد الحفيظ والأمير الحسن بن السلطان المولى عبد العزيز مما زود مذكراتي بالكثير الكثير من الفوائد التي أفدت منها في حياتي الخاصة، وما عرفني عليه من بعض مذكراته التي أتمنى أن تقبر ولا يذكر ما فيها من مرارة.

عما يؤمن به سمو الأمير ومعه سكان المنطقة الواقعة تحت النفوذ الإسباني مما يؤكد وحدة التراب والآمال التي يجسمها محمد الخامس، مما كان بحق طعنة مذهلة لكل من إريك لابون والجنرال ڤاليرا معا، وإن كانت بالنسبة للأول ودولته أشدو أعمق تأويلا، وهو ما عبر عنه إريك لابون في مذكراته ممزوجا بالحزن والألم، حيث قال عن العاهل وما بدا منه في تلك الفترة وما كان عليه حاله في تلك الرحلة حتى وهو يتسلم الهدايا الرمزية والثمينة من ممثل الدولة الإسبانية قال إريك لابون" "لقد وقف السلطان موقف غير المبالي ولم يبد أية عاطفة، وكان أحيانا غير متحفظ، ولم يلق أثناء السفر أية كلمة إلى جاره الجنرال ڤاليرا، ولما تسلم من الجنرال هدايا ثمينة ـ ساعة ذهبية مرصعة، وسلسلة محفظة منقوشة. قبلها وهو يهزرأسه دون أن يعبر عن شكره بطريقة أخرى، وكان ڤاليرا يحذر حذرا شديدا من وقوع أي حادث، حتى إنه فرح بالغ الفرح لماسار القطار شطر طنجة" التي دخلها دخول الفاتحين عشية يوم الخميس 8 ابريل ويوم9 منه كان اليوم الذي سيبقى عبر التاريخ، والذي سجله العاهل وشعبه في مدينة طنجة التي أبان الواقع أن عشرات السنين التي عرفتها من الصراع بين الدول فيما بينها كل واحدة منها عملت وبكل ما وسعها العمل على أن تستأثر بتلك الجوهرة التي أصبحت تحت رحمتها جميعا، لم يغير كل ذلك قليلا ولا كثيرا من أصالتها وقيم أهلها وحماس مجتمعها الذي عبر عن كل ذلك بحرارة اللقاء الذي أبعد الحزن عن نفس العاهل والذي كان قد إنتقل أشد إيلاما إلى من حوله من أفراد الحاشية التي بلغ عدد أفرادها خمسة وستون بزيادة خمسة على ما سبق إلتحقوا به بعد.

دخل محمد الخامس مدينة طنجة التي وجد أهلها وكأنهم جميعا شبانا ورجالا، شيبا وشبابا قد عاشوا معه ما مضى من السبع سنوات التي بدأ فيها العمل بجد ونشاط من أجل بعث الوعي والعمل على تحقيق الآمال، بل وكأن نشاط دعاة الحزب الجديد كلهم ركزوا على مدينة طنجة التي لم ولن ينسى التاريخ ما قدمه لها أحد رجال الرعيل الأول علما وأدبا ووطنية وحسن سلوك، وهو الشيخ عبد الله گنون الحسني(217)

(217) كان عبد الله كنون في بداياته قد عرف حملة عاتية من بعض الخونة المجرمين من أفراد العائلة الفاسية وهو مؤرخ ابن عرفة وعميل الإقامة العامة الفرنسية عبد الحفيظ الفاسي الذي دفعه الحسد فكتب ما كتب فيما سماه "رياض الجنة" وما هو في حقيقته إلا حبل من مسد في عنقه جـ 2ص168 ط فاس 1350ـ51 حيث نفي عنه الحسنية

=

"1906ـ1989" رحمة الله عليه فقد كان لهذا العالم الجليل من الأثر الحسن والعمل الطيب، ما ترك إنطباعه في جماعة طنجة عموما ومثقفيها المخلصين بالأخص، ومنذ ما بعد الزيارة الملكية لطنجة أصبح عبد الله جنون وجميع المثقفين وغير المثقفين في مدينة طنجة مجندين للعمل من أجل التحرير، لكنهم للأسف لم ينالوا الجزاء الأوفى بعد الاستقلال ومثلهم كثير من المغاربة.

يقول محمد لمعمري كان محمد الخامس صريحا في خطابه الذي لم يتعرف عليه أحد قط قبل إلقائه غير ثلاثة من المقربين ذلك الخطاب الذي بدأه بعد البسملة بالكلام عن أمجاد المغرب القديم وما عرفه ميدان العلوم والمعارف، ثم عن حاضره الأليم، وآمال المستقبل العظيم، وإذا كان عزام الأمين العام للجامعة العربية قبل شهور قد عرف منه المغرب ملكا وشعبا ما عرف من موقف جميل سليم، فإن الجواب عليه سيكون أجمل وممن من عاهل أمين كريم، في ذلك الموقف الخالد العظيم، وبصراحة وفصاحة حتى كان يخيل للمغاربة أن مغربهم يعيش استقلاله، وأن محمد الخامس الذي يخاطب شعبه والعالم في ذلك اليوم، إنما هو عاهل مستقل لم يكن قط قد عرف شيئا من غطرسة الفرنسيين وصلفهم.

كان في خطابه صريحا كل الصراحة، سواء في الإفصاح عن رغبة الشعب المغربي المتطلع إلى الحرية والاستقلال بل وفي عدائه للعنصرية والعبودية والاستعمار الذي تمثله

= ثم عاد فتراجع مدحورا حين كتب ما سماه "إستنزال السكينة الرحمانية ثم طلب ذليلا ممن سماه العلامة الكبير "السيد عبد الله كنون الحسني" ليكتب له التقديم، راجع ط المهدية تطوان 1953م ووقتها كان عبد الله كنون قد هاجر من طنجة متمسكا بالبيعة الشرعية لمحمد الخامس رحمة الله عليه حيث كانت هجرته إلى الله ورسوله إقتداء بشيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي ومن تبعه من العلماء كما سنرى وفيها أسند له سمو الأمير الحسن بن المهدي منصب وزير العدل في حكومته تكريما وتقديرا لموقفه الشريف وهو الذي بقي محافظا على ولائه بصدق وأمانة، وأما موقف ذلك العميل الشهير عبد الحفيظ الفاسي الذي أصبح بعد مؤرخ الشيطان المزيف محمد بن عرفة يتنقل معه كما تتنقل الكلاب على المزابل فيه دليل على صحة قول السلطان عبد الحفيظ في مجرمي أهل فاس الذين قال في حقهم وقد عرف من خذلانهم وخداعهم ما عرف وذاع "الفاسي شخص ذو مفعولية في صغره، مأبون في كبره، لا يستحي ولا يخاف ولايرعوي إلا من ذي سلطان" ثم راجع عن أثر عبد الله كنون رحمه الله جريدة الاتحاد الاشتراكي ص 8 عدد 2169 بتاريخ 1989/7/4 وعن غيرتنا عليه وعلى أمثاله وكشفنا لترهات آل الفاسي القصري الذين افتروا على الله والناس، فأذلهم الله وفضحهم الناس راجع كتابنا التاريخ المفترى عليه في المغرب ط الرباط 1969 لتعرف حقيقة القوم.

فرنسا ورجالها من دهاقنة الاستعمار الذين تجاهلهم بإحتقار فلم يتعرض لهم ولو بكلمة خير أو شر،كأنهم لم يكونوا في المغرب ولا هم الجاثمون على صدور المغاربة، وما أشد قساوة ومرارة من يحتقر ويتجاهل جلاده، على نفس الجلاد الذي لا يزيده ذلك إلا صعرا وسعيرا، بل ألح الخطاب على الدعوة لتحرير المغرب، وزاد بتأييده للجامعة العربية، التي كان ومنذ ما بعد ذلك الخطاب قد أصبح للمغرب في إدارتها مندوب ومساعد هما امحمد بن عبود التطواني، ومحمد الفاسي الحلفاوي التطواني كذلك، وإذا كان محمد الخامس قد أشاد بمستقبل الجامعة وقتها، فإن قوله كان له الأثر الحميد في رجالات الدول السبع الذين كانوا قد وقعوا قبل ميثاقها، وخصوصا مصر وأحزابها الوطنية وفي طليعتها حزب الوفد الذي يتزعمه مصطفى النحاس ومن رجاله د محمد صلاح الدين.

كان تاريخ الخطاب يوم 10 ابريل 1947م، ومما جاء فيه حول الجامعة العربية «... إلا أن الباري جل علاه رحمنا بالهام الرشاد لنا ولانا أمر هذه البلاد، فسعينا جهد المستطاع في تلافي الأحوال، مرشدين إلى سر النجاح في الحال والمآل، مهتدين بتعاليم ديننا الحنيف، الذي ألف بين قلوب المسلمين، ووفق الأمة العربية المسلمة إلى التعاضد والتكاثف والتعاون، حتى وضعت أسس تلك الجامعة الرشيدة، التي متنت العلاقات بين العرب أينما كانوا ومكنت ملوكهم ورؤساءهم في الشرق وفي الغرب من توحيد خطتهم وتوجيه سيرهم نحو الهداية الدينية، والعزة الإسلامية، والكرامة العربية، وأخذنا العهد على أنفسنا ببذل كل الجهود في استرداد مجدنا الغابر، باحياء المهج وارشاد الضمائر، وانضاج الأفكار وتنوير البصائر. ولما علمنا أن لا حياة لهذه الأمة إلا بما تقدم به سلفها الكريم أخذنا على عاتقنا نشر العلم سواء منه الجديد والقديم. هذا لنتوفق به إلى تحلية النفوس بأنوار اليقين ومكارم الأخلاق، وذلك لاكتساب وسائل السعى إلى الامام في كل سبل الرقى والارتزاق...»

وبالتالي فقد حدد الخطاب أسباب ودوافع المعركة التي كانت قد بدأت قبل ثلاث سنوات ولما تكن بعد حامية، والتي يجب أن يخوضها المغاربة ملكا وشعبا من أجل التزود بالعلوم والمعارف التي كان قد تجند لنشرها العاهل بفتح وتدشين المدارس الحرة كما أشرنا وسنعرف بعد قليل، ثم من أجل التحرر من الاستعمار بالاستقلال وإلغاء الحماية،

وكذا من أجل توحيد تراب المملكة المجزأة من جانب، والمقتطع منها من جانب آخر، وأخيرا وليس آخرا من أجل تحقيق حياة ديمقراطية متفقة مع مبادئ الإسلام الحق كما ورد في الخطاب.

ولقد نجحت خطة العاهل وما قصد إليه وراء هذا الخطاب من الكشف عن حقيقة العلاقة بين المغرب والاستعمار الفرنسي، ولم يكن في حسبان الدوائر الفرنسية أن كل ما حصل من الخطاب العام، وخطبة صلاة الجمعة، والخطاب أمام رجال السلك الدبلوماسي(218) وفي الكل كان العاهل موفقا جدا جدا، في التعريف بواقع المغرب والإعراب عن أماني شعبه، بل لم يدر بخلد دهاقنة الاستعمار وقد عرفوا ما فعلوه بالمغاربة ملكا وشعبا أن كل ذلك سيقدم عليه محمد الخامس، فيكشف السياسة الفرنسية ويعريها أمام العالمين، خصوصا وأن ما صدر منه لم يكن من مجرد سياسي تتوعده الحكومة الفرنسية ثم هي تفعل فيه ما تشاء. بل من ملك لم تفقده المعاهدات الدولية ماله من سيادة أعتدي عليها بقوة الحديد والنار، وبالتالي هو الذي إختار لشعبه إلتزام الصبر والتحمل، ولولاه لكانت المعارك أشد ضراوة. ولسالت الدماء أكثر غزارة بسبب طيش وحقد غلاة الفرنسيين الاستعماريين.

ورغم فشل إريك لابون في سياسته التي لقيت في بعض جوانبها الهادفة لمحو الذاتية المغربية صدودا من المغاربة وفي بعض جوانبها الاقتصادية المشبوهة بالاشتراكية على الطريقة الاستعمارية رفضا ومقاومة متطرفة كذلك، فإن أيامه التي لم تتجاوز الثلاثة عشر شهرا هي التي أمكن لمحمد الخامس أن يدفع أثناءها بقافلة التنشيط الوطني إلى الأمام، خصوصا بما أقدم عليه من فتح للمدارس الحرة التي أصبحت عبارة عن مراكز، لتكوين الخلايا السياسية التي زادت في صفوف حزب الاستقلال أكثر بأعداد كبيرة وكثيرة في كل جهة من جهات المغرب، بل وفي تلك الأيام إستطاع محمد الخامس قبل وبخطة حكيم أن يحاسب الضمير الفرنسي الذي تنكر وقتها لكل القيم أمام الناس والتاريخ، وأن يقرأ على الفرنسيين صحيفة منجزات أعمالهم في المغرب، وما قدموه

(218) مما يشار إليه أن العاهل رفض أن يتولى تقديمهم إليه المقيم الفرنسي العام وتولى التقديم مندوب جلالته في المدينة راجع هذه مراكش ص 248 ط القاهرة 1949.

طيلة عهد حمايتهم التي فرضوها بقوة الحديد والنار من أعمال تتمثل في عدم وجود ولو مغربي واحد حصل على درجة طبيب أو مهندس أو حتى تاجر أدوية "صيدلي" أو بيطري أو غير ذلك(219).

لقدكان محمد الخامس وكما أعرب عن ذلك لبعض الوطنيين من رجال حاشيته يدرك بتمعن ما أقدم عليه يوم زيارته لمدينة طنجة، وما سينتج عن ذلك من مواجهة، ذلك أنه بالإضافة إلى وثيقة المطالبة بالاستقلال التي ثبت لأقلام مخابرات رجال إدارة الحماية واستعلاماتهم، وكما كتب أكثر من واحد منهم في مذكراتهم أنه لولا نفس وحماس محمد الخامس فوق العادة، لماكانت المطالب بتلك الحدة والصراحة، وقد تأيد عندهم ذلك بما ورد في خطاب طنجة وما خاطب به محمد الخامس السفراء خصوصا الذين شاركت دولهم في الحرب ضد النازية، وفي ذاكرة ومذكرات الغزاوي اليقين عن ذلك(220).

وبالتالي فقد كان خطاب طنجة رغم أنه من أسير داخل سجن كبير، وجد فجوة لرفع صوته أصالة عن نفسه ونيابة عن بقية السجناء معه، عبارة عن صرخة قضت مضاجع المستعمرين الذين أدركوا خطورتها وما سيكون بعدها، ولذلك إستغلوا الظروف أوسخ وأبشع إستغلال وبحقد عنصري مكشوف اندفع به وبعنف عنيف وقسوة قاسية دهاقنة الاستعمار مدنيين وعسكريين ضد العاهل مجاهرة، وحتى يعملوا بحرية أكثر كان

(219) راجع خطاب العرش بتاريخ 1946/11/18.

(220) تعتبر ذاكرة محمد الغزاوي السياسية من أهم مصادر التاريخ السياسي لهذه المرحلة ، وهي في بعض جوانبها خطيرة وخطيرة، ولقد حصلت منه على كثير منها بالمخالطة، وبحكم الأمانة سوف لا أنشر منها هنا إلا ما يتفق وأهداف النهج الذي حددته لكتابي هذا، فهو يؤكد أن محمد الخامس لما عاد من زيارته لمدينة طنجة صمم على نهج سياسة مشددة مع إدارة الحماية من أجل تحقيق الاستقلال، ولقد مكنه من ذلك النهج ما ظهر بعد من سياسة الحكومة الفرنسية التي بدلت المقيم إريك لابون ثم عوضته بالجنرال جوان الذي كان في سلوكه وما أعلن حين نزوله بالمغرب ما يبرر مواقف محمد الخامس الذي سوف يمسك عن إصدار المراسيم الظهائر التي تعني سياسة وجود الفرنسيين بالمغرب أو الموافقة على شيء منها، بل يقول محمد لغزاوي إن محمد الخامس في هذه الفترة صرح وبمحضر صنوه المولى الحسن ونجله سمو ولي العهد أن الملك الذي يكون تحت رحمة المقيم الفرنسي ليس بملك، وأن العرش الذي يكون كذلك أحق أن يداس مادام هؤلاء المقيمين كلما قدم منهم واحد بعد آخر، يضع له سياسة مشددة وضد سياسة سلفه يقول عنها حتى ولو كانت هي الشدة والعنف تلك ليست هي خطتي، بل يريد المبالغة فيها بقسوة قاسية وعنف عنيف. وذلك ماسوف يدفع بمحمد الخامس إلى ما أقدم عليه من مخاطرة كما سنرى في الفترة ما بين1948 ـ 1953.

عليهم أن يطوحوا بالمقيم إريك لابون الذي ما كادت حكومة "رامادى" التي رفعها دستور الجمهورية الرابعة تنصب، وضمنها كوزير للخارجية مسؤول عن بلاد الحماية وهو "جورج بيدو" الذي أعلنها حربا صليبية، كما سيصرح بذلك عندما يشتد وطيس المعارك وتتفجر قنابر الرماد الذي يعود سواده على وجوه الفرنسيين بعد يوم 25 فبراير 1951، كما أراد بيدو الذي أفصح عن عدم رضاه بإنتصار الهلال على الصليب، وبذلك عبر عن عنصريته ودناءة مقاصده بلا خجل ولا وجل من التاريخ والناس، لكن إنتصار الهلال سيتحقق وما للمغاربة بفضل توجيه شيخ الإسلام حقد حتى على المضللين من أهل الصليب، ولكن لنا أكثر منه على العملاء وعلى دهاقنة الإستعمار الفرنسي من الذين أغرقوا بلادنا في أنهار من الدماء ثم تركوا وراءهم جراحا لم ولن تندمل كتلك التي تركتها النازية في نفوس المسالمين من الفرنسيين الذين عرفوا الركل على أظهرهم والصفع على أقفائهم.

أبعد إريك لابون وعينت حكومة رامادي مكانه الجنرال الفونسو جوان المولود كما أشرنا في عنابة عام 1889 من أم كورسيكية وأب دركي، مما يستدل به على نشأته وتربيته من طرف أب لو أمكننا أن نراجع سجل أعماله في مدينة عنابة وقتها والتي ولد له بها جوان لعرفنا من أين جاءه ذلك النوع العنيف من الحقد السخيف على العرب والمسلمين، والذي اشترك فيه مع جورج بيدو، وكلاهما سيتركان على صفحات تاريخ فرنسا بالمغرب أوسخ بصمات لم ولن يزول سوادها، كيف وأن الجنرال سبق له أن عرف المغرب زمن لوسيان سان الذي تعرفنا عليه قبل كمقيم عام بالمغرب، والذي عينه رئيسا لمكتبه الحربي وقد ثبت أنه كان ينظر إلى المغاربة بنفس المنظار الذي كان ينظر به أبوه الدركي إلى الجزائريين.

عين جوان كممثل لفرنسا بالمغرب يوم 1947/5/14 أى بعد أقل من أربعين يوم مضت على خطاب محمد الخامس بمدينة طنجة. مما يستدل به على مفعول الخطاب ورد الفعل الذي أختير له أخس وأرذل ما عرف المغرب من الفرنسيين كبارا وصغارا منذ عهد كورو إلي عهد بيو، لكن خسته ورذالته كانت عنوان آخر فصل كتب حول تاريخ الوجود الفرنسي وما قام به أراذلهم في المغرب، وإذا كان علينا أن نصف ولو شكليا الجنرال جوان فإنه كان مبطول اليد اليمنى من أثر الحرب، وكان يعاني من مركب النقص الذي

كان السبب في صلاته مع حكومة فيشي، وبالنازيين متذللا ثم بالأمريكيين فيما بعد، وكانت آلامه الجسمانية وانفعالاته النفسانية الناتجة عن الماضي القريب المؤلم المريب، تنعكس على تصرفاته، وتدل على شدة الخبث الذي كان يحركه ويدفع به إلى أخس الأعمال كما سنرى، حتى أنه صمم بذلك العنف على التمكين للفرنسيين بالمغرب.

لكن من هم الصنائع الذين انساقوا لفكرة الوحدة الفرنسية، وأين تكونوا، وما هي المعامل التي صنعت منهم عملاء أجراء، ذلك ما سنتعرف عليه من خلال دراستنا لتاريخ تلك المدرسة والأساليب الفجة التي نهجتها فرنسا من أجل المسخ ونشر الجهل والحيلولة دون تعلم شعوب المغرب العربي الكبير، إلا في نطاق الفرنكفونية من الدرجة الدنيا كما كان الجنرال جوان يتصور ومن ورائه جماعة المستعمرين يتقدمهم بونيفاس والدكتور إيرو وآخرين لا شأن لهم إلا في سوق الرشوة التي كانت تقدم لبعض رجالات الحكومة الفرنسية جهارا وعلانية في واضحة النهار كما سنرى.

الفصل السادس والثمانون بعد المائتين
جذور الفرانكوفونية والوحدة الفرنسية

كان موقف الفرنسيين من تعليم شعوب المغرب العربي الكبير الجزائر وتونس والمغرب الأقصى وكما رأينا موقف العدو الذي لا يريد لعدوه المغلوب إلا الجهل والتخلف والانحطاط، فلا يسمح له بشيء من العلم أو المعرفة ولا ما يرفع مستواه أو يخطو به ولو خطوة في تجاه العصر الذي يحياه.

لقد كانت اللغة العربية وكما رأينا وسنرى بنص القانون في الجزائر خصوصا، وفي جميع المدارس الحكومية في المغرب العربي عموما، تعتبر لغة أجنبية لا شأن لها ولا إعتبار، فبالإضافة إلى ما سنرى من نصوص تشريعيه قصد منها تحريم اللغة العربية، نورد مثلا من تصريح بقرار أصدره الحاكم لا ريشال وهو من كبار المسؤولين سابقا والمشرفين على التعليم في الجزائر والذي قال في عام 1904 "وللسطات أن تلغى - إلغاء مؤقتا أو نهائيا - كل تصريح للمدرسين بأن يدرسوا اللغة العربية" وفي 8 مارس عام 1938 وزعت الحكومة الفرنسية على المدارس في أقطار المغرب العربي الكبير منشورا تعتبر فيه اللغة العربية لغة أجنبية وتحرم تعليمها، وأشار الفرنسيون في منشورهم هذا إلى أن ذلك قاصر على المدارس الحكومية، أي التي كان لهم حق الإشراف عليها والتي هي خاصة بالمغاربة فتعليم اللهجة المغربية للمغاربة فيها مطلق مباح، لكن هل كانت ثمة مدارس خاصة بالمغاربة.

لقد كان للفرنسيين سياسة خاصة حتى إزاء تعليم بعض المغاربة الذين ساعدهم الحظ ثم وجدوا طريقا إلى مدرسة من المدارس التي كانت مخصصة للمغاربة، من أولئك الذين كانوا يطلقون عليهم في الجزائر والمغرب وتونس "فرانكو آراب" أو الأقلية الممتازة "إيليت" التي أستهدفت للمخطط الاستعماري الخطير الذي كان الهدف منه تكوين جماعة

من المغاربة والتونسيين والجزائريين تكوينا شبه فرنسي منحرف عن القومية المغربية، ميال قصدا إلى الروح الفرنسية، فبعد أن يزودوهم بالمعارف المكيفة الخالية من روح المواطنة والبعيدة عن التربية الإسلامية عقيدة وتفكيرا وسلوكا، يركزون فيهم عظمة فرنسا الماضية، والمتمثلة في منابع ثقافتها، حتى يكونوا خير وسيلة للمسخ ومحاربة الذاتية المغربية(221)، وأولئك هم الذين يقومون اليوم بأخس وأوسخ دور تمثله الخيانة السافرة ضد المغرب والمغاربة مما لم يعرف حتى لخونة ما قبل الاستقلال، فالمتفرنسون لغة وخلقا وسلوكا هم المقدمون والمفضلون بل الذين هم أهل للثقة في كل المجالات، حتى إننا لنلاحظ أن القوم وبلا خجل ولا وجل ليفضلون ويقدرون من يتحدث عن فرانسيس الأول وڤولتير وباسكال، ومونتوسكيو، وسيلفيستر دي ساسي، ونا بيلون وجا نجاك روسو ومرابو ودانتون وروبسبير وغيرهم، ويحقرون من شأن من يتحدث عن إدريس الأول والشاكر لله، وعبد الرحمن بن رستم وزيري بن عطية، ويوسف بن تاشفين وعبد الله بن ياسين والمهدي بن تومرت، وعبد المومن بن علي ويوسف ويعقوب وأبو الحسن وغيرهم من العلماء مثل يحيى بن يحيى الليثي وعبد الرحمن بن حبيب، وعياض وأبو بكر بن طفيل وابن باجة وابن رشد وابن خلدون وابن البنا. وغيرهم من الحكماء والعلماء والعظماء المغاربة والأندلسيين الذين لولا جهودهم ومعارفهم لبقيت أوروبا مغمورة ضائعة وتائهة في متاهات الجهل والذل والهوان، وفي دروب الوحل وطرق الضلال التي فرضتها عليها جيوش أتلا ودفعتها إليها جحافلة الرومان بقوة الحديد والنار.

---

(221) سنرى كيف سجل تاريخ ما بعد الاستقلال من أوسخ وأكبر المآسي المنشور الذي أصدره يوسف بن العباس الذي أسند إليه منصب وزير التربية الوطنية باسم "الجبهة" التي أسسها زميل له هو العميل الفرنسي القديم أحمد رضا گوديرا بتاريخ 1963/3/20 ثم نالت "الأغلبية" البرلمانية المزورة بعد أربعين يوما فكانت منها الحكومة التي دمرت كل شيء وبدأت تدشين عهد التحول الخطير، فباسمها وقتها وفي تاريخ 1965/2/9 وتحت عدد: 30505 أصدر يوسف بن العباس التعارجي وهو ابن عميل للاستعمار الفرنسي كان في الخيانة على مذهب الجلاوي في مدينة مراكش أصدر منشورا كان هو السبب المباشر في بداية المآسي الكبرى بلا تحفظ في عهد ما بعد الاستقلال، والتي بدأت بالحوادث المشهورة في 22 مارس من نفس السنة 1965م وهي الحوادث التي لها في ذاكرة جيل من المغاربة والتاريخ السياسي المعاصر أسوأ الذكر وأخس وأقبح وأفظع الأثر كما دونته الصحافة والوثائق والمصادر المعاصرة، وهي الوثائق التي عن قصد تعرضت للإتلاف وما لم يعرفه ابن العباس تداركه محمد الطيب بن هيمة إذ هو كذلك ربيب نعمة مدام ليوطي توفي في أسوأ حال من أثر السكر والعربدة يوم 1992/11/25 وهو الآخر كان متفانيا في خدمة الفرانكوفونية بلا تحفظ وقد دونت زمن ضعفه الكثير من اعترافاته. التي أصبح في أخريات حياته لايتحفظ في الاعتراف بها رغم ما فيها من الجارح المسيء.

ولقد كان أول من نبه قبل لهذه السياسة الاستعمارية من المغاربة وعمل على مقاومتها هو شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي رحمة الله عليه، وذلك منذ أن قدر له مزاولة مهنة التعليم تطوعا بالثانوية الإدريسية بفاس زمن مهنة القضاء1915 والتي لم تشغله عن الرسالة التي تكفل بتبليغها والأمانة التي تعهد بأدائها، ولذلك عمل على تربية وتكوين مجموعة من الرعيل الأول تربية دينية خلقية ووطنية، حتى يكون منهم مسلمين مغاربة نشأة وعقيدة وسلوكا، لأن التناقض في التفكير والعقيدة والسلوك لا يتولد عنه إلا الضياع والفساد وسوء المصير، وهو مانرى عليه اليوم جماعة من المرابين الذي إنساقوا قبل وراء توجيهات المستعمرين مقابل فتات موائدهم، فكانوا لهم زمن الاحتلال كلاب صيد واليوم في عهد الإستقلال معاول هدم للدين والأخلاق والقيم في هذه الديار، وذلك ما أدركه شيخ الإسلام عندما صدر المنشور المشار إليه قبل عام 1938 وتلك هي السنة التي تولى فيها شيخ الإسلام منصب وزير العدل، ولهذه الوزارة كان حق الاشراف على معاهد الدراسة الإسلامية التي قاومتها إدارة الحماية إلى حد القضاء عليها في غير مدينة فاس، ومراكش، ومكناس، ثم بعض المدارس العتيقة في إقليم سوس وتافيلالت والأطلس المتوسط.

فمنذ عام 1938 بدأ رحمه الله العمل على إصلاح التعليم في جامعة القرويين وتنظيم الدراسة فيها، ولم يرسم ذلك التنظيم إلا عام 1940. وهي السنة التي بدأ فيها أيضا شيخ الإسلام حملته الموفقة من أجل إنشاء المدارس الحرة كرد فعل ضد منشور محاربة اللغة العربية المشار إليه، وإذا نحن علمنا أنه كان لتلاميذ شيخ الإسلام صولة في هذا المجال منذ عام 1920 وما بعدها كما سبق حيث تكونت بفاس مدرسة الرميلة، ومدرسة الزاوية الناصرية، ثم مدرسة زاوية ماء العينين وذلك أيام دعوته السلفية كما رأينا حيث حولت تلك الزوايا في نطاق محاربة الطرق والدعوة للسلفية إلى مدارس شارك في العمل بها تطوعا أبناء القرويين وأبناء الثانوية الإدريسية بفاس، كما سبق أن عرفنا ومنهم كان الرعيل الأول من رجال السياسة الوطنية الذين تكونت منهم جماعة الكتلة والحزب الوطني، ثم جماعة الطائفة وحزب الاستقلال.

وفي الجزائر كانت جمعية العلماء، بزعامة الشيخ عبد الحميد بن باديس وإخوانه الذين تعرفنا عليهم قبل والذين كانت نهضتهم في نفس المرحلة، ولولا جهادهم دفاعا عن الإسلام والعروبة في الجزائر لكان مصيرهما حسب خطة فرنسا وعلى يد جماعة من أبناء "فرانكو آراب" أسوأ مصير، بل لو لا جهاد جمعية العلماء المسلمين في الجزائر لأصبحت الجزائر وشعبها حسب الخطة التي دبرت بواسطة دستور الاتحاد الفرنسي الذي وضع بعد الحرب كما عرفنا وحسب تفكير طائفة الخونة والمتفرنسين من بعض الجزائريين أنفسهم عبارة عن أرض فرنسية إذ في هذه المرحلة تكونت جماعة في الجزائر من المتفرنسين تطوعت لخدمة الاستعمار ثم أطلقت على نفسها إسم "حزب الاستقلال" وبحكم التكوين المضطرب الذي تكونت به في المدارس التي أطلق عليها "فرانكو آراب" أو "الإيليث" إنساقت وراء رغبة الاستعمار داعية إليها وهي تحسب أنها تفكر تفكيرا سليما، بيد أنهم كما أراد لهم دهاقنة الاستعمار، دعاة هزيمة وعار.

عرفنا في فصل سابق كيف كانت الحملة المسعورة من أجل الاتحاد الفرنسي خلال عام 1947 وهو عبارة عن اتحاد يجمع فرنسا ومستعمراتها في نظام قريب الشبه من اتحاد الكومنولث البريطاني أقول شبيها فقط، لأن الاتحاد البريطاني يعطى أعضاءه نصيبا طيبا من الاستقلال، أما الاتحاد الفرنسي فقد كان غرضه ـ كما بينا ـ تحويل المحميات والمستعمرات إلى وحدات إدارية يحكمها حكام فرنسيون، ويديرونها لمصلحة فرنسا وحدها، مع منح أهاليها بعض الحريات الداخلية، ولا يقبلون هذا المسخ ويرضون به غير أولئك الذين عمل الفرنسيون على تموينهم وإعدادهم لتحقيق هذه الرذيلة ضد بلادهم والشعوب التي يحسبون عليها، وإليك الأمثلة على ذلك النوع وكيف يفكرون لمصير الجزائر مثلا.

يقول باشي أغابن شنوف وكان وقتها بعد ظهور دستور الاتحاد الفرنسي نائبا عن مدينة قسنطينة "إن دخول الجزائر في الاتحاد الفرنسي سيهيء لها السلام والوئام والرخاء، وهو يؤمن المصالح الرئيسية، ويضمن لها أكبر نصيب من الخير"؟ ويقول قاضي عبد القادر، وهو نائب آخر من نواب قسنطينة: "إنني أدعو إلى المساواة في الحقوق بين

مواطني الجزائر أجمعين من غير تفريق بين جنس وجنس أو دين ودين في البرلمان الجزائري وفي كل الجمعيات الإنتخابية(222)، وأنا أرى أن تكون الإدارة مسؤولة أمام البرلمان الجزائري، فإذا حدث خلاف بينهما فصل فيه البرلمان الفرنسي"؟!

ويقول عمار إسماعيل أحد نواب الجزائر العاصمة وقتها.

"إن المشكلة الأولى التي ينبغي حلها هي مشلكة إختلاف الأجناس، لابد أن نصل قبل كل شيء إلى الإتحاد، فإذا تم هذا الإتحاد إستطعنا أن ننظر إلى المستقبل في شيء من الاطمئنان إنني أريد أن يتكون البرلمان الجزائري من أعضاء يمثلون الحضارتين على قدم المساواة، نحن نريد أن تتم الإصلاحات المطلوبة على أسس فرنسية لكي يكون لها أثر، وينبغي أن يتساوى عنصرا السكان في هذا الصدد "الفرنسيون والجزائريون" وأن يمثل البرلمان الجزائري لدى برلمان باريز عدد أكبر من النواب، وإنني أري أن يسمح للجزائريين بأن يكون لهم الحق في شغل الوظائف التي يشغلها الأروبيون.. إلخ؟!

ومثل هؤلاء ممن عرفهم المغرب من حثالة المجتمع، ومن الذين تلقفتهم تلك المدارس في المغرب الأقصى وقد كانوا قلة ضئيلة نذكر أمثال يوسف بن العباس ومحمد بن هيمة وأحمد رضا كوديرا وأمثالهم قلة لا شأن لهم بل المسمى أحمد رضا كديرة الرباطي المولد الذي قال أفظع مما سبق، وذلك في الاجتماع الذي نظمه "المسيو أدام" مدير المدرسة الإدارية بالرباط لجماعة من المثقفين المغاربة والفرنسيين، وبأمر من غيوم(223) في غابة المعمورة بتاريخ عام 1954 من أجل الإعراب عن وجهة نظرهم في الموقف الذي اتخذه محمد الخامس وقتها، والذي قال عنه منظم الاجتماع إنه أراد أن يلقي بالفرنسيين في البحر غير معترف بما قدموه ولا ماحققوه من تقدم وتطور في المغرب، وإذا ما تداول الكلام غير واحد من الذين حضروا الاجتماع(224) فرنسيين، ومغاربة، فإن أرذلهم جميعا

---

(222) يريد أن يقول: أن يكون للجزائريين عدد مساو لما للأوروبيين وهو ينسى أن مواطنيه وقتها يعدلون الأوروبيين الدخلاء 16 مرة، وأن مواطنيه أصحاب البلد والأوربيين أجانب غرباء متسلطين إن لعنة التاريخ ستلاحق هؤلاء القردة مادام الهواء في الجو، ولولا فئة مؤمنة من أبناء الشعب العربي المسلم في الجزائر ماذا كان المصير؟.

(223) راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية وعددي جريدة : لافجي ولوبتي ماروكان؟.

(224) حضره كثير من المغاربة وقتها ومن الذين تكلموا عبد القادر الشنة، وعبد الرحمن الخطيب الجزائري المتفرنس وقتها، ومحمد باركاش بالضم إلخ.

وأحقرهم كان هو أحمد رضا كوديرا الذي كان وقتها يعمل محاميا متدرب مع الفرنسي نيجل، والذي كان من كلامه البذيئ ضد المغرب والمغاربة ومقدساتهم ما هو في ذاكرة الذين حضروا واستنكروا، وكوديرا هذا هو الذي كون له المرحوم الحاج أحمد الشرقاوي ومن كلامه ذاك ملفا رشحه به ليحكم عليه في عهد الاستقلال بالخيانة حتى يدرج إسمه في لائحة التطهير، حيث قال ما يخجل الحر من نرديده ؟؟؟ وأنه أي كوديرا قال مفتريا باسم رجال القانون يتمنى لو أن فرنسا في المغرب وحدت المحاكم ثم جعلتها خاضعة للقانون الفرنسي، وهذا شرف عظيم للمغرب والمغاربة(225) إلخ وعلى نفس النهج كان كلام عبد الرحمن بن عمر الرزيني المعروف بـ"الخطيب"، وإن كان هذا الأخير وهو المتفرنس لا يرقى في الدناءة والسقوط إلى درجة الأول رغم أنه كان قد تخلى عن الجنسية الجزائرية ويتمتع كأبيه وإخوته بالجنسية الفرنسية.

هذا منتهي ما وصل إليه إدراك الذين تعلموافي مدارس "فرانكو آراب" والذين إستطاعوا بعد الاستقلال أن يحققوا الرغبة الفرنسية التي تطورت إلى "فرانكوفونية"(226) لا قيمة ولا إعتبارعندها للقيم.. وبالتالي لا قيمة ولا إعتبار لكرامة الوطن والمواطنين، في حين أن غيرهم ممن تشبعوا فقط بروح الوطنية ولا نقول بالدراسات العليافي الجامعات بل ولا حتى في المدارس العادية وطبعا غير الفرنسية، هؤلاء وهم والحمد لله كثيرون جدا كانوا في عهد الاستعمار الفرنسي بالجزائر، وفي عهد الحماية في كل من المغرب وتونس، ومن بين هؤلاء الأحرار في الجزائر مثلا أحمد مزغنة وقد كان نائبا هو الأخر من نواب الجزائر، ورئيس جماعة انتصار الحريات الديمقراطية وهذه مقتطفات من كلامه يقول بكل ثقة مشهرا بالاستعمار الفرنسي الممقوت رغم المستوى غير العالي الذي كان عليه مزغنة عامل في مصبنة إلا أنه كان يعبر باسم الهيأة التي يمثلها بأمانة وهي هيأة حزب الشعب الذي أسسه مصالي الحاج يقول أحمد مزغنة:

---

(225) ذلك كان رأيه ولا يزال حتى اليوم يكره كل وطني غيور ويسعى لاضطهاده.

(226) راجع الحرب الحضارية الأولى د.المهدي المنجرة الحسني ص 155 ط2: 1991 وهو كتاب في مجموعه يجب أن يقرأه كل وطني غيور.

"تعيش الجزائر منذ أكثر من قرن تحت نظام إستعماري، وهذا النظام يقوم على أساس الفتح الحربي والاستغلال الاقتصادي لصالح الأقلية الأوروبية وحدها على حساب أهل البلاد، وهو يعتمد على التفوق المعنوي والسياسي والاجتماعي لهذه الأقلية، وقد فشل هذا النظام رغم ذلك فشلا تاما في القضاء على الشخصية الجزائرية كقومية قائمة بذاتها"

وقد إستطاعت هذه الشخصية أن تعبر عن نفسها دائما بقوة شعب عقد العزم على أن يحيا محترم التقاليد والعقيدة والحضارة، وأن تحترم حياته ومصالحه العامة التاريخية.

ثم إنكار الدول المتحدة الموقعة على ميثاق الأطلنطي للنظام الاستعماري"؟" والتضحيات الجسمية التي تحملها الشعب الجزائري للدفاع عن الديمقراطية عامة ولتحرير فرنسا خاصة، كل ذلك يعطي الشعب الجزائري الحق الذي لا يمارى فيه في أن يستمتع بالحريات الديموقراطية وأن يشرف بنفسه على مصائره.

"من ثم لا يعترف الشعب الجزائري لغيره بالحق في أن يشرع له، ومن ثم فلا بد من انتخاب هيأة تشريعية ذات سيادة، ولا بد أن تنتخب هذه الهيأة بالإقتراع العام من غير تمييز بين جنس، أو بين دين ودين، وأن يتم ذلك في جو من الحرية المطلقة لكي تكون الهيأة المنتخبة مرآة للآراء كلها، ومن ثم جديرة بأن تحل جميع المشاكل التي تشغل الأذهان في الجزائر حلا عادلا.

ولو رجعنا إلى أقوال حسين آيت أحمد والعربي المهيدي أو خيدر أو الحسين الأحول لرأينا ما هو أقوى وأشد خصوصا في مرحلة الكفاح الوطني زمن الثورة 1954ـ62.

وحتى أقوال هؤلاء الجماعة في نظر الفكر الوطني السليم الذي يمثله الشيخ البشير الإبراهيمي فهي واهية لأنهم لم يعربوا عن الاستقلال إلا بعد الثورة على أنه خير من السابقين لا محالة. لكن الأشرف والأفضل من الجميع هو ذاك القول الصادر عن جزائري أصيل مسلم عربي صادق أمين، والذي خاطب به رئيس جمهورية فرنسا بواسطة كتاب مفتوح أسمع فيه للفرنسيين ممثلين في رئيس دولتهم ما كان يجب أن يقال، وقد كشف فيه عن فضائح وفظائع الفرنسيين في الجزائر من كل الوجوه، بحيث عدد من مخازيهم ما يحفظ التاريخ لحكومتهم من أعمال ضد الشعب الجزائري.

"فهي تسد أبواب العلم في وجوه المتعلمين بوسائل شتى ليبقى الشعب أميا جاهلا، ينسى نفسه وتاريخه ويقنع بأخس الحظوظ في الحياة، وإن بقاء نحو من مليونين من أبناء الشعب محرومين من التعليم بجميع أنواعه لأصدق دليل على ذلك" وأما عن الظلم والاستبداد وهضم الحقوق في "وطن تسعة أعشار من فيه رقيق زراعي وخدم، مفروض عليهم الحرمان من كل حق، وعشره العاشر "الغريب" سادة مفروض لهم التمتع بكل حق، وبين الفريقين فريق إنفصل عن الأول ولا يصل إلى الثاني وهو الذي ترونه".

أيها الرئيس ظهر في عهد هذه الجمهورية الرابعة نغمة جديدة أنكرناها وكفرنا بها لأنها لا تنسجم مع ماضينا ولا تتناسق مع حالنا ولا مستقبلنا، وانتقدها الرأى العام العالمي العاقل اليقظ المنطقي، لأنها ناشزة عن قرارها مخالفة للواقع المحسوس، هذه النغمة هي نغمة "الوحدة الفرنسية" ولا يشك عاقل في أن كلمة الوحدة هذه مقطوعة الصلة من معناها، وكان واضعها هازئ بنفسه أو بالناس، أو بهما معا، وكأنها سخرية ساخر لم تسبقها روية، ولم يحكمها منطق ولم يمحكها تدبر(227)، "إنه منطق الشيخ البشير الابراهيمي رحمه الله.

ومهما يكن فإن جهود فرنسا والفرنسيين في هذا المجال باءت بالفشل الكبير، لأن الإيمان الصادق بالإسلام والعروبة، كان أقوى وأرسخ من كل ما سواهما، أولا، ولأن التيار كان أشد والربابنة كانوا ماهرين وحكماء في عموم المغرب العربي الكبير وقتها، وبالتالي كان ولا يزال لهذه الشعوب من تراثها ومقوماتها الروحية، ما وقف ويقف سدا منيعا دون ما سعى لتحقيقه السابقون ويعمل لذلك بعدهم المخلفون الذين تربوا في أحضان المستعمرين ثم تأثروا بأساليبهم التي أصبحت اليوم عارية ومكشوفة، والتي سوف يكون مآلها لا محالة هو ما انتهت إليه أعمال السابقين، وبذلك تنبأنا منذ ثلاثين سنة مضت وفي أوائل عهد الاستقلال(228) بل وعلى منصة البرلمان أثناء دراستنا

---

(227) افتتاحية جريدة البصائر عدد 81 بتاريخ 1949 وعيون البصائر 69 ط 1963 ثم راجع أيضا الموضوع التالي "كتاب مفتوح إلى الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري في العدد 33 عام 1948 وفي عيون البصائر ص 188 ط 1963 إلخ.

(228) راجع كتابات المؤلف حول التوجيه في النقد الإجتماعي بجريدة العهد الجديد أواخر عام 1958-59. ثم محاضراته في نفس الفترة بالإذاعة المغربية التربية الإسلامية، والتربية السياسية، التي كانت تلقى يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع. وذلك في عهد إدارة الدكتور المهدي المنجرة الذي اختاره لها محمد الخامس بإشارة من محمد الغزاوي الذي يعتبر الدكتور المهدي المنجرة كأحد أبنائه.

للميزانية آخر عام 1964م الأمر الذي دفع وزير الدولة محمد ولد أحمد بن عبد القادر لغريسي المعروف بـ"أحمد العلوي إلى أن يرشح ويإسم الدولة للنيابة في الدائرة التي أمثلها بمسقط رأسي أرفود تافيلالت، حيث زورله بشكل مفضوح عام 1970م وكل ذلك من أجل إبعاد صوت لم يرضخ لا قوى وأشد المغريات، وفاء لروح الحق والعدل والخير والحب التي استقيتها من سلوك محمد الخامس وما كان لتوجيهات شيخ الإسلام من تأثير لنهج الفضيلة ومحاربة الرذيلة مهما كلفت من ثمن، وصدق الله العظيم "فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض" وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.الجديدان يبليان كل جديد".

إن ماسجله التاريخ السياسي المعاصر عن الفرنسيين وحكمهم لشعوب المغرب العربي، هو الغباء الذي عبر عنه الشيخ البشير الإبراهيمي حين وصف زعمهم عن الوحدة الفرنسية بطريقته الخاصة. بحيث عاش الفرنسيون في الجزائر 132 سنة، وفي تونس أكثر من 70 سنة وفي المغرب 43 سنة، وفيها جميعا وعلى مختلف مللهم ونحلهم كانوا متفقين بلا خجل على وضع الشر مكان الخير، والظلم مكان العدل، والباطل مكان الحق، حتى عميت عقولهم وألفت أعينهم الظلام حتى في الوقت الذي يشرق النور ويعم الضياء، وهذه حال عمت المدنيين منهم والعسكريين المثقفين وغير المثقفين باستثناء بعض الأفراد، ومن شدة غباء الفرنسيين أنهم لم يدركوا أن أقطار المغرب العربي الكبير قبل الإسلام عرفت في تاريخها المديد حكم الكثير من الإمبراطوريات التي منها من أذلت أبناء الفرنكة وأحفاد لوكولوا إذلالا يحفظه التاريخ، لكنها جميعا بحكم عامل الزمن زالت وقضي على أثرها الإسلام الخالد الذي كان ولا يزال وسيبقى قوة الدفع نحو العزة والكرامة وحسن المآل، الإسلام الذي حاربه خصومه فانهزموا، ويحاربه اليوم المتلبسون الذين يحسبون عليه وليسوا منه في شيء وفي غالبهم أزواج المومسات الأوروبيات من بائعات الهوى بالأرصفة وتربية المواخير والنوادي الليلية في أرض الاستعمار.

وهكذا فإنه في هذه المرحلة من التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، وبعد نهاية الحرب التي أذلت فرنسا وأرهقت الفرنسيين، وبعد ما بذل أبناء المغرب الكبير دماءهم في سبيل انتصار الديمقراطية والقضاء على الفاشية، وبعد ما خرجت فرنسا من

محنتها أشد قسوة مما كانت عليه، حتى إن المغاربيين عموما من فزان إلى أرض سوس رأوا من عجرفة الفرنسيين وخبثهم ما لم يكونوا يتصورونه من تقتيل وتمزيق وإبادة. وقتها تيقنوا أنه من الواجب الإعتماد على كفاحهم ونضالهم إن هم أرادوا أن يتحرروا، وأنه وجب أن يخططوا لنضالهم من أجل التحرر من الاستعمار الفرنسي الخبيث والبغيض، وقتها أيضا كان على الرائد العظيم أن يظهر بتخطيط جديد وأسلوب جديد كذلك وكان ذلك هو شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي وجه الشعب متمثلا في أحراره نحو التعليم الحر والتربية الوطنية سياسيا بواسطته، كما بدأت الحركة الوطنية عملها في الداخل والخارج بالأسلوب الذي يتفق وتطلعات الشعب وآمال أحراره، حيث إلتف الجميع حول الرمز العظيم الذي جمع الشمل ووحد الكلمة وتقدم الصفوف، ذلكم هو محمد الخامس رحمة الله عليه، والذي أعلنها حربا على الاستعمار الفرنسي بلا تحفظ أو تراجع، ولذلك فكر الفرنسيون وقتها كذلك ومن وقتها في مقاومته والعمل من أجل زواله، الأمر الذي مكن له من نفوس مواطنيه ثم رفعه مكانا عليا في الخالدين، بل إن ما خاضه من صراع ضد قوة البغي والظلم والاستعمار كان الوسيلة الفعالة التي بعثت شعوب المغرب العربي الكبير. ثم دفعت إلى التواصل والتراحم والتوادد من أجل هدم قوة الإستعمار الفرنسي، والقضاء عليه مهما كان الثمن. وتلك وكما يشهد التاريخ معركة من المعارك التي قادت إلى النهاية حتى النصر.

الفصل السابع و الثامنون بعد المائتين

فضيحة فرنسا في المغرب وصدى اعتداءاتها في الأمم المتحدة

كان خطاب مدينة طنجة بالنسبة للمغرب، وفشل مشروع الوحدة الفرنسية وماقوبل به بالنسبة للجزائر وتونس سواء في حساب محمد الخامس وبقية الزعماء السياسيين في المغرب أو الجزائر وتونس هو الفيصل بين عهدين، عهد المعاملة الملفوفة بعبارات المجاملة من قبل المغاربة والجزائريين والتونسيين، وعهد الشدة والصراحة، وإذا كانت شدة الفرنسيين بالنسبة للمغرب قد كانت قبل مع الشعب وليس مع شخص الملك المحصن بالمعاهدات الدولية، فإن تصرفاته وتصرفات الأفراد المحسوبين عليه والشعب من حوله، دفعت الفرنسيين وحكومتهم بدل أن تتقدم خطوة لينة إلى الأمام من أجل التفاهم مع الشعب المغربي ممثلا في شخص محمد الخامس، رجعت إلى الوراء من أجل أن تتحفز قصد إعلانها حربا عنيفة ضد محمد الخامس شخصيا، وإذا كانت المعارك ستكون حامية وعنيفة فإنها اختارت أحد كبار جنرالاتها من الذين شاركوا في الحربين العالميتين ثم عينته في منصب المقيم العام بالمغرب الذي سوف يتجه إليه، وكله ثقة بما في جعبته من سهام أولا، و بتأييد مختلف القيادات العسكرية برا وجوا ثانية، ورجالات رؤوس المال والبنوك ودهاقنة الاستعمار الذين استولى عليهم السعر في ربوع المغرب العربي ثالثا.

عين الجنرال المبطول المريض بالمركب بيير ألفونسو جوان كممثل لفرنسا ومقيم عام بالمغرب يوم 1947/5/14م ثم رحل بحرا بعد ثمان وأربعين ساعة حيث نزل بميناء الدار البيضاء يحمل خريطة الميدان وكله شرر يتطاير من فيه الأبخر، وإذا كان الجنرال جوان الذي انتهى به الجرح الجسماني إلى بطلان يده اليمنى في الحرب الأولى، كما انتهى به جرحه المعنوي وتقلباته المريبة في الحرب العالمية 2 فإن المركب الذي كان يعاني منه رغم علو الرتب كان ينعكس على أفعاله وتصرفاته حتى يظهره في أعين الآخرين كما كانت

تحدثه نفسه المريضة بالهلوسة التي كانت تنعكس على نظراته التي كانت تفصح عن ذلك المركب الثقيل الذي كان يضنيه ويشقيه ويكفي أن أقول لك مقدما عنه أنه سيدخل تلاميذ مدرسة ومعلميها إلى السجن بسبب أنه مر أمامهم ولم يحيوه كما أراد. ونسي أن استعراضهم أمامه بالطريقة التي إختارها الحاكم العسكري للمنطقة قصر السوق كاف للدلالة على تحية الإكراه التي كان يجبر عليها المغاربة قبله وبعده كان الجنرال جوان يعاني كثيرا جدا من مركب النقص. وهذا واقع أدركه العاهل محمد الخامس، وبمقتضاه عامل الجنرال الذي ما عرف ذلا في حياته حتى يوم أسره في الحرب العالمية 2 كما عرفه وبكل هدوء وحكمة وتعقل من محمد الخامس الذي لم يفعل أكثر من إهمال مطالب جوان والتزامه وتمسكه بحقوق بلاده، وعمله بعيدا عنه على رقي وتوحيد شعبه ، الشيء الذي كان يدفع دهاقنة الاستعمار معززين بنعرة الجنرال وقوة الحديد والنار إلى ارتكاب الأخطاء القاتلة لهم ولاستعمارهم، ومن تصرفات الجنرال كان الوطنيون يدركون أنه كان يعاني كثيرا من الألام بسبب هدوء العاهل وعدم اكتراثه . وكان هذا واقع أدركه السياسيون المغاربة ثم عاملوه بمقتضاه، وبالأخص منهم علال الفاسي الذي وجد نفسه في مأمن من تسلطه سواء في طنجة أو القاهرة فكان يلطم وجهه بما يواتيه من الطين الملوث تارة ومن الحجارة أخرى ، بل وغير علال أحمد بلافريج(229) الذي سيشتد عزمه

---

(229) بلافريج هذا الذي بدأ نضاله منذ عام 1930 وسنه 22 مع شكيب أرسلان ضد الاستعمار الفرنسي سوف يرى وبشكل مفضوح من نكاية العميل أحمد رضا كوديرا ما يعتبر سبة في جبين المغرب . وفي عهد الاستقلال تولى بلافريج منصب وزير الخارجية 1956 ثم رئيسا للحكومة من 1957 إلى آخر عام 58 ثم ممثلا شخصيا للعاهل المغربي.

ويسجل التاريخ أن ميل بلافريج إلى سلامة التفكير السياسي عرضه للمضايقات فوضع حدا لمهمته كأمين عام لحزب الاستقلال بتاريخ 1960/1/11، بل بعد موت محمد الخامس عرف من صلف العملاء ما لم يعرف ولا بعضه من الاستعماريين ، خصوصا بعد محاكمة ولده المراهق تفكيرا أنيس، بحيث كان بلديه العميل الرباطي أحمد رضا كوديرا حين يعربد يتطاول عليه بكلامه البذيىء وبأسلوب التشفي في مجالسه السياسية ومع أمثال صفيه السمسار عمر بن مسعود الذي جر جماعة من الوزراء بسرقاتهم إلى السجن 1972، بل وفي مجالسه الجبهاوية قبل 1964 بل كان كوديرا وبخبث وسقوط النفس الحقيرة يعلنها حربا على كل من ينتسب لحزب الاستقلال عموما، ومن له صلة ودٍ وتعاطف مع الأمين العام أحمد بلافريج الرباطي خصوصا ، ولسوف نرى كيف ينتهي به غروره وعمالته المفضوحة إلى التطاول على شيخ الإسلام فيصفه في الجريدة التي أنشأها للهدم والعمالة والإبتزاز ثم سماها «المنارات» LES PHARESبـ "الضال عن الصراط المستقيم" 1962/12/1 عدد 12ولقد عرف المغاربة = كبيرهم وصغيرهم =

بخطاب طنجة فيخرج قضية المغرب مع فرنسا من الثنائية إلى الدولية بطريقة شلت فكر الجنرال جوان ثم صيرته سخرية الكبير والصغير في المغرب الأقصى خصوصا، والمغرب

"صراطه المستقيم" الذي انتهى به إلى ارهاق المغاربة وإذلالهم وكما سيرى الناس من خلال " مذكرات الشعب المفترى عليه' وما حققه القوم من ثراء على حساب رهن المغرب و المغاربة حتى اشترى ماشترى في باريز له ولزوجته الفرنسية المريضة الثدى بالسرطان والتي رفضت البقاء في المغرب وتصرح مثله بكراهية المغاربة اشترى لها شقة في شارع هنري مارتان بباريز بمليارين ونصف فاحت رائحة نتونتها في الوقت الذي ماتت أمه فاطمة بوعلو مشردة ومحرومة إلا من رحمة صهرها عابد وولدها النجار وهو ابن سليمان غير الشقيق لأحمد رضا كودير المعروف في زمانه بين جماعة الواطواط كغلام مخنث مجرور على وزن زعرور ،بذلك يعرفه الكبير والصغير من أهل الرباط، الذين يتندرون بما كتبه عن الاخلاق والصراط المستقيم ولولا خيط من خجل لفضحت الرجل بطريقة يعرفها هو أكثر من غيره حتى يعرف حقيقته وتطاوله على الشيخ الإمام. أما بلافريج المتيم بحب محمد الخامس فأعود إلى مذكراتي السياسية بالقاهرة وما فيها عن بلافريج والمنشور الذي أعددته ثم نشر ببعض ترجمته يوم حل بها الثناء المعركة الحامية بتاريخ 1954/1/1 والذي ورد فيه، "وصل الى القاهرة في فجر يوم 1954/1/1 قادما من روما السيد أحمد بلافريج الأمين العام لحزب الاستقلال بعد أن أقام في الولايات المتحدة الأمريكية ما يربو على السنة كلها نشاط بالمكتب الذي أسسه بمساعدة محمد لغزاوي الذي يوجد بها مع أسرته والدكتور المهدي بن عبود السلاوي، قضاها في الاتصال بمختلف وفود الدول في هيئة الأمم المتحدة، وذلك بمناسبة عرض قضية المغرب، كما قام برحلة إلى أقطار أوربا لنفس الغرض.

والسيد أحمد يعد من الرعيل الأول الذي بذر بذور الوطنية المغربية، وقد ولد سنة 1908 بمدينة الوباط، وينتمي إلى أسرة بلافريج احدى الأسر الرباطية الأندلسية.

تلقى دراسته العالية في كل من مصر وفرنسا، حيث نال عدة شهادات . وكان يشرف أثناء مقامه في باريس على إدارة مجلة (المغرب) التي كانت تصدرها الحركة الوطنية بالفرنسية، وقد أبلت بلاء حسنا في كشف كثير من أساليب الاستعمار الفرنسية، فكانت لسان حال للوطنية في هذه الفترة، كما أنشأ بالتعاون مع مجموعة من الشباب العربي الذي كان يؤم فرنسا للدراسة ومن بينهم صديق المغاربة الدكتور محمد صلاح الدين والدكتور محمود عزمي - جمعية الثقافة العربية).

وأثناء مقامه في مصر شارك في تأسيس جمعية الشبان المسلمين التي يرأسها اليوم الرجل المصلح صالح حرب، وجمعية الهداية الإسلامية التي أنشاها الشيخ لخضر حسين، وكان له نشاط ملحوظ في التعريف بقضية بلاده في مصر والبلاد العربية الأخرى، عرفنا أثره باتصالنا مع مختلف رجالات المشرق العربي، ولما عاد إلى المغرب أسس معهدا ثقافيا كان يعد الأول من بين المدارس الحرة ذات الاعتبار.

وشارك في نشاط (كتلة العمل الوطني) التي تعد أول حركة وطنية في المغرب ولما تكون (الحزب الوطني) انتخب سكرتيرا عاما له، وقضى فترة طويلة أثناء الحرب العالمية الأخيرة خارج بلاده، حيث كان يعمل لمصلحة قضيتها. ولما تكون (حزب الاستقلال) يناير سنة 1944 انتخب أيضا أمينا عاما له، فبادرت السلطات الفرنسية إلى اعتقاله بتهمة المحور ونفيه إلى جزيرة كورسيكا حيث ظل بها إلى سنة 1946، وقد أوفده المغرب عدة مرات إلى فرنسا وغيرها من البلاد للقيام بالدعاية لقضيته بين الأوساط المختلفة وكسب الانصار لها.

وأثناء مقامه بأمريكا عند عرض القضية المغربية على الأمم المتحدة أصدرت السلطات الفرنسية أمرا بالغاء جواز سفره ومنعه من الدخول إلى طنجة، التي كان يقيم بها من قبل فمكنته دولة الباكستان من جواز سفر مكنه =

العربي الكبير عموما وكما سنرى من اللكمات التي وجهها إليه محمد الغزاوي في المجلس الذي فرضه جوان باسم شورى الحكومة

عندما قدم ألفونسو جوان إلى المغرب، كانت ترجمته قبل قد عرفت كاملة نشير هنا إلى بعضها، ثم نترك البعض الى أن ينتهى إلى أكبر فشل منيت به سياسة الاستعمار الفرنسي، فقد عرف المغاربة أن الجنرال جوان هو من أم كورسيكية وأب دركي ولد بعنابة من القطر الجزائري عام 1889م، وفي هذه المرحلة التي هي مرحلة أواخر الغزو الفرنسي للجزائر تم تآمر فرنسا والدول الاستعمارية معها على حرية الشعوب، يمكن للمرء أن يتصور كيف تكون نشأة ابن الدركي الذي تحققت آماله ليدرس في المدرسة العسكرية ثم يتدرج في غزو المستعمرات حتى يصبح في المغرب رئيسا للمكتب الحربي تحت إشراف المقيم العام لوسيان سان الذي عينه في ذلك المنصب، وكان من طبيعة المغاربة أن ينظروا بكل احتقار إلى أي فرنسي ولد في أحد الأقطار الثلاثة وأشد لمن ولد في الجزائر، لأن التاريخ عرفنا أن الذين كانوا في الجزائر هم أوسخ ما ينسب لفرنسا وبذلك عرفوا أكثر منذ مابعد 8 ماي 1945م لأنهم كانوا لا يتوفرون على أدنى قدر من الانسانية.

كان محمد الخامس وبلاشك قد استعد منذ قبل لخوض أعنف معاركه السياسية أيام غابريال بيو، ومن عاش تلك المرحلة وكان واعيابسير الحوادث يدرك أن ما استقدم من أجله الجنرال جوان كان شيئا خطيرا ، بل ومن عاش تصرفات الجنرال جوان الذي لا أبالغ إذا قلت إنه كان بالنسبة للمغاربة ملكا وشعبا ، بل وكما يشهد التاريخ، أوسخ وأحط وأنذل بل وأحقر فرنسي حاكم عرفه المغرب منذ عهد الجنرال كورو إلى العهد الذي سيخرج منه آخرهم وهو كرانڤال، لكنه وكما عرف الناس وسجل التاريخ لم يكن في

=من الانتقال حيث يشاء.

ويعد السيد بلافريج إلى جانب تفرغه لخدمة قضية بلاده من الدعاة المخلصين للفكرة العربية في المغرب العربي، وكان دائما على صلة وثيقة بزعماء هذه الفكرة في الأقطار العربية وعلى رأسهم المرحوم الأمير شكيب ارسلان.

وقد قدم الى مصر للاتصال بالدوائر العربية وإجراء مشاورات مع رجال المغرب العربي في القاهرة وذلك بقصد تدعيم حركة الكفاح في الأقطار المغربية ضد العدوان الفرنسي كتب هذا الهامش قبل من مذكرات المؤلف المصادرة بتاريخ 1968/6/14.

المستوى لمبارزة محمد الخامس المؤيد بالحق المتين وبشعبه الوفي الأمين ، كما أن الجنرال جوان وحسب الطريقة التي خطها والبرنامج الذي وضعه لمحاربة محمد الخامس شخصيا، وتغطية لفشله اللاحق بمن سبق، كان قد مرغ تاريخ فرنسا في المغرب العربي عموما والعسكري بالأخص في الوحل، كما سجل في حقها صفحات نافسه في مثلها وسخا الجنرال نيجلان بالجزائر، وماست، ثم استيفال قبل بتونس. ذلك لأن أعمال الجنرال جوان بما إنطوت عليه من خبث ولؤم وقلة أدب، كانت السبب في إثارة نخوة الشعب المغربي وحماس حزب الاستقلال. فأصبحت الحرب بين العاهل ومعه شعبه وبين الحكومة الفرنسية التي يمثلها الجنرال جوان وجورج بيدو حرب رهان ، وسنرى كيف استطاع العاهل بحكمة وتبصر وثبات أن يقود شعبه من نصر إلى نصر، وأن يخرج القضية بواسطة مواقفه ونشاط أحرار حزب الاستقلال بتقديمهم المرحوم أحمد بلافريج وعلال الفاسي ومحمد الغزاوي والمهدي بن عبود خارج المغرب من الثنائية التي فرضتها فرنسا ثم بذلت من أجلها كل جهدها وطاقاتها المادية وكل وسائل إعلامها ، إلي الدولية العربية الإسلامية ثم العالمية، ولعل تلك المرحلة مرحلة تعسف الجنرال جوان بالذات هي التي دفعت المغاربة إلى التفكير في تغيير طريقة النضال من العمل بواسطة السياسة والحوار، إلى التفكير في استعمال القوة والعنف وما حال بين المغاربة والتعجيل به قبل عام 1950 إلا تمسك العاهل وأوامره التي لم يكن في مقدور أي كان عدم امتثالها، ذلك لأن حسابه تجاه الرفق بشعبه الأعزل كان سليما ورأيه كان صوابا، وإذا كان قد أعلن بداية الجهاد السياسي ثم تقدم الصفوف منذ تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال11/1/1944، وإذا ما أصبح للمغرب تنظيم سياسي كل يوم هو في تطور وتقدم باسم حزب الاستقلال الذي عرفت عناصره كيف تجمع الكلمة وتضم الصفوف وتوحد القوى خلف العاهل الذي كان بحكمة قد عرف كيف يهيء الجو ويدفع إلى التكتل والتضامن بتدشين المدارس الحرة وفتحها في كل المدن حتى أصبح المغاربة وفي فترة الثماني سنوات ما بين 1942 – 1950 لاهم لهم ولا شغل إلا بناء المدارس والتجمعات لاستقبال مدشن وفاتح المدارس، وهنا أيضا يذكر بكل اعتزاز اسم المخطط والمنشط الذي تجند لتحقيق أهداف تلك المرحلة ومقاصد ذلك التخطيط وهو شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي طيب الله ثراه.

وهكذا بقدرما كان العمل يتمكن في الداخل بقدرما أخذ اسم المغرب يرتفع متظلما في الخارج، وكانت أول صيحة كشفت فرنسا عارية في المجال الدولي هي المذكرة التي رفعها الأمين العام لحزب الاستقلال وقتها أحمد بلافريج إلى الأمين العام للأمم المتحدة وقتها الكونت برنادوت(230) وذلك بتاريخ 1947/9/15 وهذا نص المذكرة التي وجب أن نسجلها كاملة لأنها كما أشرنا أول مذكرة عرفت بقضية المغرب في المجال الدولي، وثانية لأنها تصور لنا الوضع في المغرب وما آل إليه رغم الظروف العالمية وما أصبح المستضعفون المتظلمون من الاستعمار يتطلعون إليه في العالم بعد إعلان ميثاق الأمم المتحدة وبالتالي واقع المغرب حين وجهت إليه حكومة فرنسا قائد قواتها العسكرية الجنرال جوان كحاكم بيده سياط، وليس كممثل لها في دولة ذات سيادة تحفظها لها المواثيق الدولية، ومنها معاهدة الحماية المفروضة، والتي هي وسيلة وجود الفرنسيين بالمغرب تقول مذكرة الأمين العام لحزب الاستقلال أحمد بلافريج رحمه الله التي هي صفحة من تاريخه الوطني الصادق وقد رفعت الأقلام وجفت الصحف. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أذ يقول «من أرخ مؤمنا فكأنما أحياه» و«المرء حي ما دام يذكر».

ولقد كان هذا التقرير كما يلي:

التقديم:

سعادة السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة – ليك سكسس:

لقد كان تأسيس هيئة الأمم المتحدة باعثا لآمال عظيمة في نفوس أولئك الذين ما يزالون يرزحون تحت سيطرة الدول الكبرى الاستعمارية في ظل أنظمة الاستغلال والاستبعاد.

على أن بعض أعضاء الهيئة الذين يحترمون مصادقتهم على ميثاق هيئة الأمم المتحدة قد أخذوا يحاولون تجديد نزعاتهم العتيقة ، والاعراب عن رغباتهم الحسنة في إعطاء الحرية للشعوب الواقعة تحت حكمهم.

---

(230) كانت المذكرة التي شرح فيها الأمين العام لحزب الاستقلال نظام الحكم الاستعماري في المغرب ثم حلل اتجاهاته، عبارة عن رد على التقرير الذي قدمته الحكومة الفرنسية إلى هيأة الأمم تحاول فيه أن تستر أعمالها الاستعمارية في المغرب.

ولكننا نجد مع الأسف أن بلادنا رغم ما بذلته من تضحيات لانتصار الديمقراطية ماتزال ترزح تحت نظام من أشد الأنظمة طغيانا قضى على جميع الحريات ولا يتفق أبدا مع روح ميثاق هيئة الأمم المتحدة ولا مع نصه.

وتشتمل هذه المذكرة التي يتشرف حزبنا بتقديمها اليكم – صاحب السعادة– على تحليل موجز لحالتنا الحاضرة. ولقد لخصنا في آخرها آمالنا التي هي آمال الشعب الملتف حول عاهله سيدي محمد بن يوسف الذي انتهز كل فرصة للاعلان عن رغبته في أن يري الأمة المراكشية تتبوأ المكانة اللائقة بها في مصاف الدول.

وتفضوا ياسعادة السكرتير العام بقبول ما نؤكده من احتراماتنا.

الأمين العام لحزب الاستقلال

أحمد بلافريج

الرباط في 15 سبتمبر سنة 1947

نص المذكرة

يعيش المغرب منذ 30 مارس سنة 1912 تحت نظام الحماية القائم على أساس معاهدة معقودة بين جلالة السلطان عبد الحفيظ وفرنسا؛ تلك المعاهدة التي كانت نتيجتها المباشرة تقسيم البلاد إلى ثلاث مناطق نفوذ (فرنسي واسباني، ودولي).

ويحق لنا أن نتساءل دون أن نتعرض للاعتبارات التاريخية والقضائية المتعلقة بشرعية هذه المعاهدة ولا بالظروف التي أحاطت بعقدها – هل أدى هذا النظام مهمته أولا؟ وهو الذي كان يجب أن تساعد فرنسا بمقتضاه الأمة المراكشية على القيام بتنظيم النواحي السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية.

أما فيما يتعلق بالشعب المراكشي فإنه لا يستطيع – بعد التجارب التي عاناها طيلة 30 سنة – إلا أن يؤكد أن الحماية الفرنسية قد تكشفت عن سيطرة فرنسا التامة على النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية والقضائية وعلى عددية السكان ومقاديرهم.

1 – السيطرة السياسية

ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن فرنسا وجدت حين وصلت إلى مراكش قواعد أساسية للحكم تقوم بمقتضاها حكومة مركزية يوجهها جلالة الملك (السلطان) الرئيس الزمني والروحي، وإدارة إقليمية يشرف عليها ولاة (باشوات وقواد) بمساعدة مستشارين محليين (الجماعات).

ولكن يجب على الحماية أن تصلح هذه الإدارة وتنميها لكي تصبح مسايرة لروح العصر. ولكنها بدلا من ذلك أبقتها جامدة وجردتها منذ العهد الأول للحماية من كل مقوماتها، وذلك لمصلحة الإدارة الفرنسية المتضخمة (22000 موظف فرنسي سنة 1946 وسط 8 ملايين من السكان) وهي تزداد تعددا وتشعبا تحت الرياسة الفعلية لممثل الجمهورية الفرنسية المقيم العام. وقد احتكرت هذه الإدارة جميع السلطات، واستغرقت أكثر من 60٪ من الميزانية العامة ، ولا تمثل الأقلية المغربية في هذه الإدارة الفرنسية الجديدة المؤسسة لمصلحة الفرنسيين المقيمين في المغرب إلا فئة ثانوية مأمورة (8000 فراش و 7000 موظف مساعد سنة 1946).

وهكذا أصبحت الإدارة الفرنسية المسيطرة على جميع مقاليد الحكم تتصرف في حياة البلاد الخاصة، وتهيمن على تسيير الموظفين المراكشيين من كل الطبقات.

وأصبحت السيادة المراكشية لا اعتبارلها في إدارة شؤون البلاد؛ فأصبح مقيم فرنسا العام يحل محل الحكومه المغربية في تدبير شؤون البلاد بدلا من أن يكون مرشدا ومساعدا كما يفهم من نص معاهدة الحماية وروحها؛ إذ أن جميع القوانين التي تعرض لمصادقة جلالة الملك عليها تحضر في الواقع في إدارة الإقامة العامة.

وأصبح رجال المراقبة الفرنسية في الأقاليم – وهم المكلفون نظريا بمجرد النظر في تصرفات الموظفين الوطنيين (الباشوات . القواد. الجماعة القضاة. نظار الأوقاف الخ...) يسيرون هم أيضا في طريق الإدارة المباشرة. وهكذا حلوا محل المصالح المحلية للإدارة المغربية.

ويمكننا أن نقول بصفة عامة أن الشعب المغربي قد أبعد عن تدبير شؤونه العامة، ولا يمكن للذين تعينهم الإدارة الفرنسية ليمثلوا مصالحه في مختلف الهيئات والمجالس

التي أسستها الحماية (اللجان البلدية. الغرف التجارية والزراعية والصناعية. مجلس الحكومة الخ..) إلا أن يقوموا بدور المتفرج.

أما ما يزيد في خطورة حالة الشعب المغربي فهو انعدام الحريات العامة :

– فليست هناك حرية فرديه، ولا حرية عمل؛ إذ يجبر العمال الزراعيون على العمل عند الزراع الفرنسيين.

– وليست هناك حرية للتنقل لا في الداخل ولا في الخارج.

– ولا حرية لتكوين الجمعيات ولو كانت ثقافية أو رياضية.

– ولا حرية لتكوين النقابات.

ولا حرية الاجتماع (والاحزاب المغربية التي تعيش على هامش القانون هي دائما معرضة لتدابير الحل والقمع)، وليست هناك حرية للقول؛ إذ لا تعيش الصحف المغربية التي تسمح بها الحماية إلا حياة قصيرة بسبب التشريعات الصارمة التي تفرض عليها رقابة شديدة.

ولم ترفع حالة الطوارئ في مراكش منذ سنة 1914، وما تزال التدابير التي اتخذت بسبب ظروف الحرب الأخيرة قائمة إلى الآن، وهي تستغل بصفة تحكمية لكبح جماح الشعب المغربي ونزع ملكيته والتضييق عليه في مواد التموين ويكفي أن نقول أن بطاقة التموين التي تمنح لأفراد الجالية الفرنسية تشتمل على 45 صنفا بينما لا تشتمل بطاقة المراكشي إلا على ستة.

2 – السيطرة الاقتصادية:

ويوجد في الناحية الاقتصادية بون شاسع بين ما قامت به الحماية من أعمال وما تملكه البلاد من موارد عظيمة مع ملاحظة ما يشتمل عليه نظامها الجمركي من تسهيلات.

وبالرغم من أن هذه الأعمال قاصرة فقد كان المقصود منها تقوية ضغط الاستعمار الفرنسي على البلاد لكي يتمكن من استغلال خيرات الوطن المختلفة لمصلحته الخاصة. وإذا كان المراكشيون يستفيدون من هذا شيئا فإنما يستفيدونه بصفة غير مباشرة لسبب واحد هو وجودهم في بلادهم.

وتتضح هذه الحالة بسهولة إذا تصورنا أن المغربي والفرنسي غير متساويين في الفرص التي تتيحها لهما الإدارة الفرنسية؛ إذ نجد الفرنسي من جهة يعتمد على رؤوس الأموال الضخمة وقروض يسيرة التكاليف ويتمتع بمساعدة إدارة مسخرة لخدمته، ونجد المراكشي من جهة أخرى فقيرا لا معين له تحت رحمة هذه الإدارة نفسها.

وهكذا ترعرع الاستعمار الفرنسي ترعرعا لاحد له على حساب الفلاح المغربي وبمساعدة الولاة الفرنسيين وتاييدهم؛ ففي سنة 1942 أصبح أكثر من مليون هكتار من أخصب الأراضي المراكشية واقربها إلى طرق المواصلات في أيدي 4710 من الأروبيين من بينهم 4200 من الفرنسيين يملكون وحدهم 850 ألف هكتار، بينما أصبح الفلاح المغربي الذي ما يزال يملك بعض الأراضي مهملا ومجردا من كل سلاح يحميه من الاستغلال والظلم وما يلقاه من أنواع الاعتداءات.

وليست حالة الصانع المغربي بأحسن من حال الفلاح؛ فقد بات محروما من كل تشجيع، بل مجبرا على عدم الابتكار، ولم يتمكن لذلك من أن يجدد وسائل عمله، ولا أن يتابع خطوات التقدم الفني.

وهكذا نجد الجماهير المغربية التي تسدد القسط الاعظم من الميزانية إلى جانب، وإلى الجانب الآخر نجد فئات من الاقتصاديين الفرنسيين الناجحين يحتفظون لأنفسهم باستغلال ثروة البلاد ويوالون استعبادها الاقتصادي.

3 – السيطرة الثقافية:

كان للمغرب ذي الحضارة الإسلامية نظام ثقافي خاص قبل سنة 1912 أساسه المدارس الأولية التقليدية المنتشرة في جميع البلاد القريبة والبعيدة، ثم مراكز للتعليم الثانوي في المساجد الكبرى وفي المدارس، وعلاوة على ذلك جامعة القرويين الشهيرة. وكان تجديد مثل هذا النظام سهلا بسبب قابلية المغاربة الطبيعية وتطلعهم لورود مناهل المعرفة، بيد أننا نجد أن من بين الأهداف التي سعى اليها نظام 1912 منذ بدايته أن يقف حجر عثرة في سبيل ترعرع الثقافة الوطنية ونشر اللغة العربية، وقد أقفلت بمقتضى ذلك مدارس التعليم العربي في الجبال وعوضت ببعض المدارس التي حذف منها تعليم اللغة القومية وجعل بدلها اللغة الفرنسية التي أصبحت اللغة الرسمية في الإدارة التي انشأتها الحماية.

ونجد من جهة أخرى أن التعليم الذي أسسته الحماية لا يمنح للشعب إلا بمقدار ضئيل يحدثنا عنه الاحصاء الرسمي، وهو علاوة على ذلك يقوم على أساس التجزئة والاضطراب (6 أنواع من المدارس الأولية، وليس للشهادات غير الفرنسية أية قيمة جامعية) وهو ضيق الدائرة تنحصر الغاية منه في تكوين بعض الموظفين الثانويين وبعض من يتوقف عليهم الاستعمار الفرنسي. ولاتوجد في المغرب الى الآن جامعة ولا مدرسة للمعلمين ولا مدرسة للإدارة ولا مدرسة لتخريج القضاة.

وقد أثبت الاحصاء الرسمي لسنة 1946 أن عدد المتعلمين في المدارس الحكومية لا يتجاوز 45000 الفا لا يكاد الذين يتلقون التعليم الثانوي منهم يبلغون الألف، بينما يتجاوز عدد الأطفال الذين بلغوا سن الدراسة المليونين. ويوجد في مراكش مدرستان ثانويتان تمنحان القسم الأول من الباكلوريا الفرنسية ولم يسمح لهما بأنشاء هذا القسم إلا في سنة 1932، وأربعون مدرسة ابتدائية، وبعض مدارس أولية مهنية ليس بها أي تعليم فني صحيح، وبعض أقسام فلاحية ضئيلة مبثوثة في الأرياف.

ونجد إلى جانب هذا : الجالية الفرنسية التي يبلغ تعدادها250000 لها مؤسسات ثقافية كافية ذات برامج موحدة وقوية تشرف على تعليم أبنائها، ويدلنا احصاء سنة 1946 على وجود 15 مدرسة كاملة مخصصة لتعليم أبناء الأوروبيين تشتمل على 13 ألف تلميذ، وعلى وجود 971 فصلا ابتدائيا تشتمل على 63 ألفا 290 تلميذا.

ويشترط في التحاق التلاميذ المغاربة بهذه المدارس الأوربية – بالرغم من أنها تستمد مصروفاتها من الميزانية العامة – شروط خاصة يشهد بفداحتها الضالة عدد التلاميذ المراكشين بها (550 مغربي في مقابل 13 ألف أوروبي في الثانوية و 1170 في مقابل 36290 في الابتدائي).

والنخبة التي تتقدم الآن لعرض قضية البلاد والدفاع عنها لم تتلق التعليم إلا بوسائلها الخاصة، ويكفي أن نقول أنه لم يستفد من بين 120 طالبا مغربيا ملتحقا بالتعليم العالي من الاعانة الحكومية إلا 20 في سنة 1946.

ولقد التزمت هذه النخبة منذ بضع سنين برعاية حضرة صاحب الجلالة ملك البلاد وبفضل المساعدات المادية والمعنوية التي تقوم بها جميع طبقات الشعب المغربي وبرغم

ضعف وسائلها والعراقل المختلفة التي تلقاها – بان تكافح ضد الامية وقامت بمجهودات متواصلة لنشر التعليم القومي. ويكفي أن نقول ان مدارس التعليم الحر تشتمل على 52 ألف تلميذ.

4 – السيطرة القضائية

كان للمغرب قبل عهد الحماية – إلى جانب المحاكم القنصلية التي نشأت عن الامتيازات – نظام قضائي قومي موحد . وكان حقيقة يتصف بعدة عيوب لم تغفل عنها حكومتنا المركزية. ولكن الحماية بدلا من أن تحاول اصلاح هذا النظام – كما التزمت بذلك– مسخته وجعلت منه مأساة محزنة؛ فقد قضت علي وحدته حتى أصبح في الوقت الحاضر متعدد الأنواع: (محاكم شرعية – محاكم مخزنية – محاكم العرف – محاكم عبرية)، وأصبح للإدارة الفرنسية على هذه المحاكم سيطرة مطردة الازدياد، اذ ليس هناك قانون، ولا ما يضمن حريات الأشخاص أو حرمة المنازل ولا الاطمئنان على الاملاك. وليس للمتقاضي المغربي في البوادي حق الاستعانة بمحام، ولا للمحكوم عليه بالسجن لغاية ثلاثة أشهر الحق في أن يستأنف الحكم. هذا بالاضافة إلى أن المتقاضي يجد نفسه وجها لوجه أمام قاضي أمي في الغالب ولا وحول له، وهو أداة سهلة في يد المراقب الفرنسي.

ويترعرع إلى جانب هذه المجموعة من المحاكم القضاء الفرنسي الحديث، وله محاكم تتمثل في بنايات ضخمة هائلة لكي يجرد القضاء المراكشي من قسط وافر من اختصاصاته، وقد خصصت ميزانية سنة 1947 للقضاء الفرنسي 117,330,000فرنكا بينما نجد القسط المخصص من الميزانية للحكومة المغربية وللتعليم والقضاء القومي لا يتجاوز101,938,000 فرنكا.

5 سياسة الميز العنصري:

وبالرغم من أن المغرب بلاد محمية وتعتبر بلادا اجنبية عن فرنسا فان فرنسا قد اتبعت فيها سياسة الاستعمار الاستيطاني . وهكذا نجد أن الفرنسيين الذين كانوا يبلغون سنة 1926 عدد 74558 – ازداد عددهم إلى أن اصبحوا سنة 1936يبلغون 177049. وفي سنة 1946 بلغ عددهم حوالي 250000. وذلك ضمن جاليات أجنبية يبلغ

مجموعها302713 . وتبين الاحصاءات الأخيرة أن الجالية الفرنسية تبلغ 380,000 وأن معدل الفرنسيين الذين يهاجرون إلى مراكش يوميا بقصد الإقامة 35 شخصا.

وهذه الجالية المطردة الازدياد تقيم في رفاهية بمدن جديدة مهيأة من أجلها، وتعمل الادارة الفرنسية في إخلاص على أن تقدم إليها كل الترضيات التي من شأنها أن ترفع مستوى أفرادها وتيسر لهم أسباب الترف حيثما كانوا في المدن أو البوادي كما تهيئ لهم المدارس والمستشفيات والمؤسسات المختلفة وكل ما يحتاجون اليه.

أما الشعب المغربي المحاصر في مدنه القديمة غير الصحية أو المهمل في القرى فقد وجد نفسه مكرها على البقاء في حالة انحطاط؛ فريسة لاخطار الفاقة والجهل والمرض يطارده الظلم والافقار والاستغلال، حتى أدى ذلك إلى فرار الآلاف من الفلاحين المراكشيين من القرى والتجائهم إلى مراكز المدن الكبرى التي أسسوا حولها مدن القصدير المؤلمة التي أصبحت بؤرة للأوبئة بسبب كثرة الاختلاط فيها.

أما مؤسسة الاسعاف الصحي التي أنشأتها الحماية فلا يمكن الحكم عليها إلا على ضوء ما تتطلبه الحالة؛ ففي هذه الناحية لا توجد دعاية لمراعاة قواعد الصحة ولا رعاية للحوامل ولا للأطفال المشردين الذين يتسكعون في الطرقات الى أن ينتهي بهم الأمر إلى الاجرام والخروج على القانون. وهناك قلة واضحة في وسائل الوقاية والمعدات الصحية ونقص كبير في عدد المستشفيات والمستوصفات وهي الى جانب ذلك قليلة الأدوات، وناقصة الأطباء. ويدل الرقمان التاليان بصفة واضحة على ضعف المجهود الذي قامت به الحماية في ناحية الصحة العامة إذ لا يوجد في مراكش سوى 150 طبيبا و5000 سرير في المستشفيات لإسعاف مجموع سكان مراكش.

ومن المفيد أن نشيرهنا إلى أن القدر المخصص للصحة العامة لسنة 1927 لم يتجاوز 52ر1٪ من ميزانية البلاد، وأن هذه النسبة لم تتعدد 27ر1٪ إلى سنة 1936، وهذه حالة لاتسمح للبلاد بالكفاح ضد الاضرار التي تنشأ عن الأوبئة وسنوات الجدب في شعب ناقص التغذية ومحروم من وسائل الدفاع، (وقد اثبتت الاحصاءات أن أكثر من مليون مراكشي لقي حتفه أثناء مجاعة 1945).

وإذا كانت البلاد قد تقدمت من ناحية نمو السكان الطبيعي – وهو نمو مشكوك في

قدره لعدم وجود وسائل كافية للاحصاء – فإن من الصعب أن ننسب ذلك إلا ما قدمه النظام الجديد إلى البلاد من خيرات أو أن ننسب إليه أنه رفع مستوى حياة المراكشيين.

على أن مستوى حياة المراكشيين بصفة عامة – وهو مستوى منخفض جدا – لا يتناسب مع الأعمال التي يقومون بها ولا مع ثروة باطن الأرض وظاهرها. ولم تقبل إدارة الحماية أن ترفع الحد الأدني لمعيشة العمال المراكشيين التجاريين والصناعيين إلى 4800 فرنكا شهريا في سنة 1937 إلا بعد تدخل فعال من النقابات الفرنسية.

أما العمال الزراعيون فما يزالون بعيدين عن هذا المستوى، بل ما يزال الكثير منهم يتقاضى اجرا لا يتجاوز 35 فرنكا في اليوم.

خاتمة:

وهذه بصفة عامة هي أعمال الحماية الفرنسية بعد خمس وثلاثين سنة في مراكش:

تقسيم أراضي المملكة إلى ثلاث مناطق مختلفة النفوذ، وتقسيم منطقة النفوذ الفرنسي نفسها إلى كتلتين مصطنعتين لضرب احداهما بالأخرى وذلك بتطبيق السياسة البربرية.

وإقامة حكومة إسمية مسلوبة من كل قدرة ، وذلك لمصلحة الإدارة الفرنسية الاستبدادية التي تتصرف مباشرة في شؤون البلاد وتطبق سياسة النفعية العنصرية في جميع النواحي.

ومحاولة الحط من ظروف المراكشيين التي نجمت عن سياسة التفقير والتجهيل والظلم وخنق الحريات العامة وتمكين الفرنسيين المقيمين في مراكش من الحقوق السياسية بالرغم من انظمة البلاد ومن القانون الدولي. ولم يخضع الشعب المراكشي لمثل هذه التصرفات وهو الذي يغار على ماضيه ويشعر بالدور الذي لعبه ويمكن أن يلعبه مرة أخرى في تاريخ حضارة البحر الأبيض المتوسط. وقد انتهى رد الفعل الذي احدثه الاستعمار الفرنسي إلى القرار الذي تضمنته وثيقة 11 يناير سنة 1944 التي أصدرها حزب الاستقلال؛ فقد قررت بعد أن أكدت بطلان النظام الذي فرض سنة 1912 أن الحل الوحيد للازمة المراكشية هوان يعلن استقلال البلاد ويوضع لها نظام دستورى ملكي تحت رعاية حضرة صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس.

ويندرج هذا الاستقلال في إطار العالم الجديد الذي خلقه ميثاق الاطلنطي وهيئة الأمم المتحدة، ويجب أن يتحقق هذا الاستقلال لما بذلته مراكش من تضحيات لاجل انتصار الحرية والخلق الدولي.

أما ما يدعى بالاصلاحات التي أعلنت عقب 11 يناير 1944 والاضطهادات الدموية التي تلته فإنها لا تهدف إلا إلى تعزيز السيطرة الفرنسية اقتصاديا وسياسا على مراكش والى أن تقضي بصفة بسيطة نهائية على الشخصية المراكشية؛ ولن يكون في استطاعة هذه الاصلاحات أن تخدعنا وإننا لنوكد اقتناعنا بأنه يجب قبل كل شيء وضع نهاية لهذا النظام الشائن وتحرير السيادة الوطنية.

ويلوح أن فرنسا اقتنعت ازاء الازمة المغربية التي استفحلت إلى هذه الدرجة سنة 1944 بدافع من الاسباب التي عرضناها باختصار في هذا التقرير بأنها لا تستطيع أن تحل الموقف بالرغم من الاضطرابات التي كانت ترج العالم إلا بواسطة اتباع السياسة الاستعمارية التقليدية القائمة على أساس الإصلاحات التي تهدف إلى مزج الفرنسيين بالسكان وإلحاق الأراضي التي تقع تحت السيطرة الفرنسية . وقد برزت هذه السياسة بشكل واضح في عهد ممثلي فرنسا الاخيرين:

1 – فاعتمدت من وجهة النظر الاقتصادية على البرنامج الذي وضعه السفير إيريك لابون في الحال عقب تعيينة في مراكش أوائل سنة 1946وهو يرمى إلى السيطرة على استغلال خيرات البلاد التي لم تستغل بعد لتحقيق مصالح الرأسماليين الفرنسيين والدولة الفرنسية والاضرار بالمصالح المراكشيه الثابتة.

2 – ومن وجهة النظر السياسية أثارت إدارة الجنرال جوان التي تلت إدارة المسيو ايريك لابون ضجة عظيمة حول إعادة تنظيم الحكومة المراكشية، ولكن ذلك النظام الذي لم يحدث أي تغيير في شكل هذه الحكومة ولا في نفوذها يتلخص في تعيين أربعة مندوبين جدد يمثلون الوزير الأكبر، ومهمتهم الربط بين الإدارات والاستعلام فحسب. على أن هذه التغييرات لا يمكن أن يطلق عليها إصلاحات بالرغم من تحديدها لأن معظم هذه المراكز والى جانبها مراكز أخرى قضي عليها اليوم – تضمنها التغيير الحكومى الذي وضع سنة 1916 والذي شمل حتى مركز بعض الوزارات كما حصل في وزارة المالية.

ولكن ما حدث سنة 1912 هو نفس ما حصل سنة 1947 فإن تركيب هذه الحكومة لم يعدل إلا بدوافع دولية ولاجل اخفاء سيطرة الإدارة الفرنسية على جميع المصالح المراكشية العامة.

ويتبين مبدأ الإدارة المباشرة – وهو المبدأ الذي يكمن وراء المشكلة المراكشية كلها – في مشروعات مختلفة ما تزال تحت الدرس وترمي هذه المشروعات التي تمس حتى قواعد الحماية السياسية التي يقوم عليها النظام المراكشي وهو نظام مقيد باتفاقات دولية – إلى تحقيق مطالب الجالية الفرنسية المتعلقة بإن تمثل سياسيا في الهيئات المراكشية.

ولو قبل الشعب المراكشي هذا الاتجاه السياسي فلن يكون معنى ذلك الا أنه قضى على نفسه وقبل الحاق بلاده بفرنسا. ولذا فإنه لم ينخدع لهذه السياسة وبات يطالب بالحرية والاستقلال لبلاده .

وقد قال جلالة ملك مراكش أخيرا « لقد آن أوان الديمقراطية بالنسبة للجميع وان الشعوب الكبيرة والصغيرة لتتطلع اليه، ورائدها في ذلك هو حرية الانسان »

(الرباط في 15 سبتمبر سنة 1947)

لقد كان لهذا التقرير الذي هو من ذيول خطاب العاهل في طنجة أثره في التعريف بقضية المغرب في المجال الدولي لكنه تأثير مؤقت، أما الذي حول قضية المغرب إلى قضية عالمية فهو مواقف محمد الخامس وصموده ، وبالتالي ترديد صدى ذلك الصمود في العالم، وكان الذي تبنى تلك المواقف ثم سخر لها كل وسائل اعلامه هو الشعب المصري المسلم العربي الذي فسح المجال لكل قضايا المغرب العربي الكبير عموما وقضية محمد الخامس بشكل فيه رهان ، إنه الشعب العظيم النبيل وزعاماته من عهد الوفد إلى عهد الثورة. والذي لا يتورع عملاء الفرنسيين الحاقدين على مصر و الشعب المصري ومنهم القزم والأعور من إعلان عدائهما لكل من يعتز به ويعترف بفضله وجميل احسانه ونضاله لصالح العروبة والإسلام ، وماذلك من كلاب المزابل الا تحقيقا لرغبة الاستعمار الفرنسي أفلا يتذكر الجاحدون من الذين كفروا بكل القيم والأخلاق ولادافع لهم إلا روح

الاستعمار الفرنسي وأسيادهم الذين لم يغفروا لمصر وللعرب والمسلمين مواقفهم ضد الاستعمار الغربي الذي أصبح له في مغرب الاستقلال سدنة يتقدمهم كل من أحمد رضا كوديرا، ومحمد لغريسي ولد خناته الشركية المعروف ب «أحمد العلوي» شهرة ومن لف لفهما من الذين يتنقلون بين الأحزاب كما تتنقل الكلاب على المزابل، أولئك الذين أعلنوها حربا على كل ما يمت إلى العروبة والإسلام بسبب وفي الطليعة مصر عدوة الاستعمار عموما والفرنسي الذي أذل المغرب والمغاربة خصوصا. أولئك الذين أصبحوا قوة التدمير للخير والحب والصلاح في هذا البلد منذ بداية العقد السادس من هذا القرن.

الفصل الثامن والثمانون بعد المائتين

قضايا المغرب العربي بين
انتصار القاهرة وانهزام باريز

لقد نسي المغاربة في المغرب العربي الكبير عموما والمغرب الأقصى الذي تسلط على شعبه العملاء أكثر ، ما قام به الشعب المصري إزاء قضايا المغرب ومالاقاه في سبيل المغاربة إلى درجة أن فرنسا تطوعت إلى جانب أمريكا وإسرائيل متذرعة بمحاربة الروس فهاجمت ميناء، بور سعيد عام 1956م وما ذلك إلا من شدة غيظ الفرنسيين مما قدمته مصر لأقطار المغرب العربي الكبير وشعوبه عموما، وللمغرب الأقصى وعاهله أثناء محنتهما بعد 25 فبراير1951 وخصوصا بعد 20 غشت 1953 كما سنرى منذ 1945م.

إن تاريخ جهاد الشعب المصري في سبيل تحرير الشعوب الإسلامية والعربية كان مبكرا منذ فجر الاستعمار الأنجليزي للبلاد العربية، فالجهاد ضد احتلال نابليون وما حصل في جامع الأزهر من مقاومة شاركت فيها حتى المرأة معلوم، ومسجل في تاريخ مصر السياسي المعاصر كما رأينا قبل، بل مقاومة المصريين وتشهيرهم بدول الاستعمار وقت الاتفاقات وتوزيع الغنائم معلوم ومعروف كذلك، والشعب المصري منذ بداية هذا القرن وهو في صراع مع دول الاستعمار قاطبة لامن أجل تحرير أرض وادي النيل، بل من أجل تحرير كل الشعوب التي منيت بالاستعمار في المشرق والمغرب في آسيا وإفريقيا، وحتى إذا ما حصل غدر من محمد على وأسرته(231)، فإن الشعب المصري كشف تواطؤهم مع الاستعمار ولم يتأخر عن الجهاد والبذل في سبيل حريته واستقلاله،

---

(231) عرفنا قبل أن محمد علي هو الذي أوحى إلى نابليون باستعمار الجزائر. وذلك وقت إعلان استقلاله ضد الباب العالي والدولة العثمانية وحتى لا تبقى الجزائر وتونس تابعة له كذلك، وهو مالم يتناوله المؤرخون بحدة مجاملة لبعض المؤرخين المصريين قبل.

ولعلنا لو راجعنا تاريخ مصر بتمعن فيما يكتبه عبد الرحمن الجبرتي وما بعده لتأكد لنا أن الشعب المصري الذي ابتلي بحكام فراعنة قديما وحديثا، وفي عصور مختلفة منذ عهوده القديمة إلى عهد الأمويين والفاطميين والمماليك، كان له بالمقابل في كل عهد بطل بل أبطال قادوا كفاحه ونضاله باستمرار إلى عهد أحمد عرابي والإمام محمد عبده ومصطفى كامل ومحمد بك فريد وسعد زغلول ومصطفى النحاس وأحمد حسن البنا وجمال عبد الناصر وهؤلاء الذين تصدروا الصفوف، أما غيرهم ممن إتسموا بنكران الذات وكان لإشعاعهم الأثر الفعال في شعوب العالم فكثيرون ومتعددون.

إن تاريخ جهاد مصر في سبيل تحرير أقطار المغرب العربي عشناه وعرفنا تأثيره وفعاليته هو جد كبير وعظيم اندفع إليه الشعب المصري بكتابه ومفكريه وكل إمكانات إعلامه، وإيوائه للمضطهدين من المغاربيين المناضلين – بدافع عاطفة النبل العربي ونخوة المسلم الأبي. فلولا مصر وجهود شعبها وإمكاناته التي تطوع بها مثقفوه وعلماؤه ورجال السياسة فيه، ثم سخروها في سبيل تحرير شعوب المغرب العربي التي وضعتها فرنسا في سجن محكم أحاطته بسياج شديد، وقلوب أشد إرهابا من الضرب بالحديد، ثم كتمت الأنفاس بقسوة قاسية وعنف عنيف – ولولا جهود مصر وتشهير المصريين بالاستعمار وبعث روح الحماس والتضحية والنضال في المغاربة، لطال زمن الاستعمار، ولكانت وطأته أشد عنفا على شعوب المغرب العربي الكبير.

مصر التي يجب أن تدين لها كل شعوب العالم الأسيوي الإفريقي عموما وشعوب المغرب العربي الكبير ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى خصوصا بكل معاني الحب والوفاء والتقدير الكبير وجميل العرفان، لأنها التي أسهمت أكبر مساهمة في كسر قيود الاستعمار الفرنسي الحقير، الذي أذل شعوب المغرب العربي إلى جانب الاستعمار الإسباني الإيطالي زمنا غير قصير، مصر التي ردت سهام الفتك التي صوبها المستعمرون بحقد إلى صدر الإسلام في هذه الديار التي أذاقوها الخسف والإرهاق من قبيلة لعبيدات ومرسى مطروح شرقا، إلى قبيلة الترارزة بشنقيط غربا، ولم يكن للمصريين من وراء ذلك من مقاصد الا أن يحظوا بشرف النضال في سبيل تحرير الشعوب المستضعفة عموما وذوي القربى من شعوب العالم الإسلامي العربي خصوصا،

وبذلك تطفح مذكرات الماضي القريب وما عاشته أجيال الكفاح والنضال منذ بداية هذا القرن ، ولقد كان هذا شعور المغاربة الأحرار ولايزال، وسوف يبقى مادام للوفاء وكل معاني الحب والخير والجمال اعتبار في هذه الديار، وذلك رغم أنف العملاء والدخلاء والأصهار.

لقد عمل المخلفون من المرتزقة والعملاء الذين إندسوا ثم سيطروا زمنا وتمكنوا بقوة الحديد والنار، إقتداء بساداتهم من دهاقنة الاستعمار، عملوا من أجل استمرار ما كان عليه سادتهم من كراهية لمصر، تلك الكراهية التي رفعوا حرارتها بحقد ضد اللغة العربية، وبالتالي ضد كل من قيل إنه درس في مصر أوله عاطفة حب ووفاء وعرفان بجميل مصر خصوصا والشرق عموما، وكأنهم بذلك يريدون قطع ما أراد الله وصله واستمراره، بل عملوا بنفس الطريقة وما كان المستعمر يستعمله من قهر لطمس معالم المشرق العربي وإعدام كل مايتصل به، ومن ذكره أو تعرض بالذكر الجميل كرد للجميل كان عندهم من الآثمين، وكل ذلك بسبب المرارة التي ذاقتها فرنسا من دفاع مصر والمصريين خصوصا والعرب عموما في سبيل تحرير شعوب المغرب العربي الكبير، لكن فات الأغبياء من العملاء، أنه ما كان لله دام واتصل وماكان لغير الله انقطع وانفصل، وأنه أيضا إذا كان للباطل جولة، فإن للحق صولة، على أن جل الذين تنكروا للجميل أخذهم الله أخذا وبيلا وسيلحق بهم الذين ينتظرون نقمته وشديد عذابه، في الدنيا والآخرة إن شاء الله ولعذاب التاريخ أشدوهم غافلون(232).

---

(232) لقد كان أكثر المتحمسين لذلك هو أحمد رضا كوديرا الذي كان يتبجح بذلك في مجالسه، بل وكلما رأي من يمت إلى المشرق بصلة المعرفة بادر إلى التعريض بالعروبة والعرب وحتى إذا ما أصبح المدسوس أحمد رضا كوديرا هو صاحب القدح المعلى وبيده الداخلية والفلاحة والديوان الملكي وقد جمع حوله أمثال عمر بن مسعود الدي جر معه مجموعة من الوزراء إلى الدرك الأسفل بالمحاكمة التي كانت بداية الفضيحة 1972اندرك بداية المصير الذي قاد المغرب اليه بعد تأسيسه جبهة الشؤم وبه اقتدى كل الذين جاءوا بعده من الدخلاء الذين ليست لهم جذور في هذا الوطن لا في تأليف أحزاب التفريق والتمزيق فقط، بل وفي السلب والنهب والذين هم حتى اليوم يتنافسون في السطو على مقدرات المغرب وماخلفه المستعمرون بلا خجل ولا وجل غير آبهين برقابة الشعب، وما تسجله الأقلام عليهم من فظائع وفضائح أصبحت معروفة لدى الكبير والصغير، والرائد القدوة هو كوديرا ومثله زعيم طائفة العملاء القداما أمثال محمد لغريسي ولد الشركية المعروف ب «أحمد العلوي الذي كان يعمل قبل مع قلم المخابرات الفرنسي أيام الدراسة في باريز كما سبق أن عرفنا. ومحمد بن هيمة الذين حين تولى وزارة التعليم تطوع لمحاربة العربية =

كان عمل مصر من أجل شعوب المغرب العربي الكبير وضد الاستعمار الفرنسي منذ بداية العقد الرابع لكنه بطريقة أقوى بدأ بظهور الجامعة . واشتد بطريقة لم ولن ينسى المغاربة ذكرها منذ مابعد خطاب طنجة، وماتبعه من مؤآمرات الفرنسيين التي كانت بدايتها إبعاد إريك لابون وتعيين الجنرال ألفونسو جوان مكانه إثر فشل مؤامرة جورج بيدو واستقدام بطل الريف محمد بن عبد الكريم الى فرنسا كما سنرى في المؤامرة الفاشلة ضد العاهل العظيم محمد الخامس. بعد وثيقة المطالبة بالاستقلال التي كانت من وحي العاهل النبيل محمد الخامس كان منطلق العمل المنظم ضد الاستعمار الفرنسي بواسطة حزب الاستقلال الذي أصبح هو التنظيم السياسي الذي أقبل عليه المثقفون والطبقة الواعية من المغاربة، وإذا ما عرف هذا الحزب من الفرنسيين كل أنواع المضايقات من أول وهلة، فإنه كذلك عرف كيف ينظم صفوفه بطريقة إستطاع معها أن يعرف كيف يوجه لفرنسا وللاستعمار الفرنسي أقوى اللكمات وأعنف الصفعات سواء في الداخل أو الخارج، خصوصا بعد خطاب العاهل في مدينة طنجة، ذلك الخطاب الذي كان المعول الذي هدم بنيان الاتحاد الفرنسي ثم وجه أنظار المغاربة نحو ما كان قد جد من البنيان العربي بواسطة الجامعة العربية.

وفي هذه المرحلة أيضا، كان المنطلق من القاهرة التي كانت وقتها قد عرفت حركة مباركة وجولات توفيق موفقة من الدول العربية المستقلة منذ 1943م وهي تلك التي أنتجت الجامعة العربية كما عرفنا، وكانت القاهرة قد عرفت أيضا وطنية تحريرية أرست قواعدها منذ ما بعد ثورة 1919 و 1936و فبراير 1942 التي فرضت حكومة حزب الوفد الوطنية حتى تعرف البلاد بواسطتها الاستقرار، وهذه هي التي عرفت كيف تستغل

= والتمكين للفرنسة ومثله يوسف بن العباس التعارجي المشار إلى موبقاته قبل وهما معا بن هيمة والتعارجي ربيبا نعمة مدام ليوطي. وبذلك تتندر طبقة خاصة من المغاربة بل أثبت هنا وللتاريخ أن كل الذين درسوا في المشرق العربي من المغاربة لاقوا العذاب الأليم خصوصا الضعفاء الذين سعوا من أجل العمل في الإدارة المغربية، ماعدا أولئك الذين إلتحقوا بإدارة الأمن الوطني التي كان على رأسها شخص وطني هو محمد الغزاوي، وأما غير هؤلاء من ذوي الهمم الذين لم يرضوا بالهوان فقد اختاروا ميدان العمل الحر، ماعدا قلة تأقلمت ثم انبطحت ورضيت بالهوان من أجل لقمة العيش أمثال «الهنكلي» الممثل الذي تحول إلي مخبر سري فضحته الأيام وارخ له صاحب الملحمة الذي فاتته مكالماته السرية التي كان الاقرع بواسطة صوت الهاتف المنقول يحيلها إلى علنية ونحن حضور مبالغة في التحقير المزري الذي كان يتخذ منا شهودا عليه، لكنه مقابل ذلك نال عشرات الهكتارات في أرض هشتوكة المسترجعة.

الفرصة التي أتاحها لها إقتراح وزير خارجية بريطانيا إيدن بإنشاء تنظيم عربي بحيث تبنته مصر حتى لا يكون المولود إبن حرام كما أراد له نوري السعيد العميل الذي أظهر حرارة الحماس للفكرة التي ظهرت وحرب المحور ومعركة العلمين لاتزال آثار غبارها تخيم على سماء مصر، وتكدر صفاء نيلها العذب الزلال، ومع ذلك ورغم الظروف التي صنعها الإستعمار الإنجليزي لمصر والمصريين فقد أعطت مصر عطاء حسنا طيبا مباركا أثمر أحلى الثمار وأشهاها حيث ظهر وفي مختلف مجالات المعرفة رجال تركوا بصماتهم في تاريخ العرب والمسلمين، تعددت أسماء المصلحين منهم منذ عهد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، إلي سيد قطب والعقاد وطه حسين والزيات وأحمد أمين والرافعي والمنفلوطي وهيكل ورفاعة الطهطاوي وناصف اليازجي وتوفيق الحكيم وشلتوت وأحمد حسن البنا وعبد الرزاق السنهوري، وأحمد ماهر وعلي الغاياتي وغيرهم ممن تخطى إشعاعهم أرض مصر وبلاد العرب و المسلمين شرقا وغربا، والذين لم ألتزم في ذكرهم بالترتيب الزمني.

بل في هذه المرحلة أيضا وبعد خطاب طنجة عرف المغرب العربي طفرة بواسطة التعليم الحر الذي كان قد دعى إليه شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي وتحمس له العاهل النبيل محمد الخامس، والذي هو الآخر أعطى عطاء مشرفا في مجال التوعية ونشر روح التضامن ضد الاستعمار الفرنسي، ومثله حصل في كل من الجزائر انطلاقا من قسنطينة وتبسة شرقا وتلمسان غربا وفي تونس حيث كان المنطلق من سوسة أول مدينة انطلق منها التعليم الحر بفتح المدارس الحرة التي أسسها المحسن محمود التريكي عام 1931 بحيث أسهمت المدارس الحرة في تكوين جيل من الأحرار توجه نحو المشرق العربي بروح طيبة طاهرة، وكان التركيز دائما على. الكتب الواردة من مصر وعاصمة مصر القاهرة، لأن المشرق العربي بكل معطياته في نظر المغاربة وعقولهم، بل وتصورهم كان ولايزال يتمثل في مصر القاهرة، وآثار رجالات مصر القاهرة، الأمر الذي دفع إلى أن يؤمها للدراسة من أبناء المغرب الشمالي الذين وجدوا لهم فجوة كانت السياسة الإسبانية قد أحدثتها لظروف خاصة كما عرفنا.

وقبل ذلك كان كثير من رجالات المغرب العربي الكبير قد عرفوا مصر وفيها عرفوا

بأوطانهم ، مثل رجل المغرب العربي وأحد كبار علمائه المجاهدين محمد لخضر حسين النفطي التونسي الذي تولى مشيخة جامع الأزهر في عهد الثورة، والشيخ البشير الإبراهيمي رجل المغرب العربي الفذ بعد عبد الحميد بن باديس والطيب العقبي والفضيل الورتلاني وقبل هؤلاء محمد حبيب الله الشنقيطي، ومحمد لخضر الجكني وهما من تصدرا مجال العلوم في مصر وغير مصر من بلاد العرب، ثم هما أيضا من غراس السلطان عبد الحفيظ رحمه الله.

ومن رجالات عهد النضال بعد ظهور الحزب الوطني في المغرب الأقصى الحاج الحسن بوعياد وأحمد بلافريج ومحمد اليمني الناصري وإبراهيم الوزاني وذلك في الوقت الذي كانت مصر آخر العقد الرابع من القرن العشرين قد عرفت فوجا من الطلبة قوامه أربعون طالبا كدفعة أولى ثم ثمانية آخرون كدفعة ثانية فتح لهم الباب بسبب ظروف الإسبانيين وتقلبات أحوالهم التي رفعت فرانكو وجاءت بتعيين بيك بيدير مقيما عاما بمنطقة المغرب الشمالي وهو الذي طوع قبل كل الفعاليات بمساعدة العميل التلمساني الأصل عبد السلام ابن لونا أما منطقة النفوذ الفرنسي التي كانت ترزح تحت نير الطغيان الفرنسي فقد هرب منها عدد قليل دون العشرة إعتمادا على أنفسهم وبعض مساعدات وطنية، وكانوا كلهم قد نشأوا وتكونوا في مدرسة الرعيل الأول الذين انتجتهم مدرسة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي السلفية، وما نتج عنها من الكتلة الوطنية والحزب الوطني، ولعل هؤلاء أكثر من غيرهم بحق كان لهم الأثر الطيب والعمل الذي كان له أكبر الأثر في التعريف بالمغرب في مصر القاهرة وهم الذين أعطوا في هذا المجال عطاء مشكورا، اولئك هم : عبد المجيد بن جلون، وأحمد المليح(232). وعبد الكريم غلاب، وعبد الكريم بن ثابت، والعربي بناني، وإدريس السوسي وهم الذين توافقوا مع التونسيين بعد كالزعيم الحبيب بورقيبة الذي كان إلىَ جانبه الدكتور الحبيب ثامر، ويوسف الرويسي والرشيد إدريس، وحسين التريكي وآخرين لا داعي لذكرهم، هؤلاء دون غيرهم من

(232) لقد بقي كل من أحمد بن المليح وعبد المجيد بن جلون ومعهما المؤلف يعملون بمكتب المغرب العربي إلى أن حصل المغرب على الاستقلال. ومثلهما سارية المكتب وأصدق التونسيين بالقاهرة الرشيد إدريس عن تونس، ثم محمد خيذر وحسين آيت أحمد وأحمد بن بلة ومحمد يزيد عن الجزائر.

التونسيين أيضا تجندوا للعمل الوطني ومن الجزائريين الشاذلي المكي الذي كان قد قصد مصر نجاة بنفسه من اضطهاد الفرنسيين وفيها أصبح ممثلا لحزب الشعب الجزائري الذي كان زعيمه مصالى الحاج رحمه الله ثم التحق به على الحمامي ومن هؤلاء تكونت نواة مكتب المغرب العربي بالقاهرة مضافا إليهم من الشماليين كلا من امحمد أحمد بن عبود. وهو الذي سيقوم بأهم دور عرف بالمغرب في المشرق العربي كما سنرى ثم زميله في الدراسة محمد الفاسي الحلفاوي التطواني.

ولعله من بين أولئك الإخوة جميعاً كان المغاربة منهم هم الذين درسوا في مصر ولما أنهوا دراستهم تفرغوا للعمل السياسي من أجل الدفاع عن وطنهم، إذ في سنة 1943 أسسوا لهم أول تنظيم مغربي عرفته مصر بعد لخضر حسين « رابطة الدفاع عن مراكش» اقتداء بجبهة الدفاع عن شمال إفريقيا والتي كان قد أسسها العالم الجليل محمد لخضر حسين رحمه الله ورغم أن مجال الطلبة قبل كان قد عرف تأسيس « جمعية الطلبة المغاربة « تلك التي تأسست ثم حضر ميلادها عبد الخالق الطريس حين توجه إلى مصر للمشاركة في مؤتمر فلسطين بالقاهرة في أكتوبر عام 1938م وكان قبل جماعة رابطة الدفاع عن مراكش قد عرفت بيت المغرب ونشاط إبراهيم الوزاني الذي فضح فرنسا وفظائعها باتصالاته انتصارا للنازية ونكاية في الفرنسيين، كما عرفت مصر نشاط واضع أسس ثورة اليمن ورجل المغرب العربي الفضيل الورتلاني، لكن هؤلاء وأولئك جميعا لم يلتزموا طويلا ولم يستمروا بالقدر الذي إلتزم به جماعة من المغاربة والتونسيين، أما المغاربة فهم جماعة رابطة الدفاع عن مراكش يتقدمهم عبد المجيد بن جلون وأحمد بن المليح ومحمد أحمد بن عبود وعبد الكريم غلاب ومحمد الفاسي الحلفاوي التطواني وإدريس السوسي، هؤلاء هم الذين وضعوا اللبنات القوية في صرح الإعلام دفاعا عن المغرب والتعريف به ثم التشهير بالاستعمار الفرنسي في المشرق العربي ، ولعل المغاربة الذين ينعمون بالاستقلال اليوم لم يجدوا من يعرفهم على ما قدم هؤلاء الإخوة لوطنهم من عمل جليل وشريف في مصر القاهرة التي لم يكن لهم فيها من وسائل ولا إمكانات غير تلك التي أمدهم بها المجتمع المصري النبيل وصحافته ومؤسساته السياسية من أحزاب وجمعيات وجامعة عربية.

كان هؤلاء الإخوة قد سبقوا إلى الميدان وإن كان عملهم فيه في نطاق محدود وبوسائل محدودة كذلك، ولما ظهرت الجامعة العربية وتردد صداها في أقطار المغرب العربي بعد 22 مارس 1945كان الذي نشط الدعاية لفائدة الجامعة العربية هم رجال الأحزاب الوطنية في المغرب العربي، ولما إشتدت مضايقة الفرنسيين لذلك الاتجاه، كان من بين الزعماء الذين فكروا في الالتحاق مبكرا بالقاهرة الحبيب بورقيبة الذي هرب عن طريق بن كردان المتاخم للحدودو الليبية وذلك بواسطة إطارات الحزب الحر الدستوري، ومساعدة الشيخ عمار ابن الأبيض الذي يذكر فضله على كل الذين اجتازوا تلك الحدود فرارا من نكال الفرنسيين وسجونهم، وقد كنت من بين الذين ساعدهم الحظ وكانت عناية الله في العون يوم هربت من زنزانة التعذيب بفندق الفول مركز الشرطة في باب البحر مركز الاتحاد التونسي اليوم» وذلك يوم 18 أكتوبر 1949م وكان السبب هو الاتهام المزعوم لمحاولتي اغتيال عبد الحي الكيتاني، وهو شيء لم أفكر فيه وإنما فكرت في تحطيمه وإهانته لأنه تطاول على مقام العاهل العظيم محمد الخامس في المؤتمر الذي انعقد في تونس بتاريخ 10 سبتمبر 1949 باسم «مؤتمر الثقافة الإسلامية»(233) وأذكر بالمناسبة أن الذين أدين لهم بالجميل في إنقاذ حياتي وقتها هم: الحبيب بورقيبة والدكتور صادق المقدم، والمنجي سليم، والدكتور بن ميلاد. وعبد الصمد المبروك، ومن رجال الشرطة الذين كانوا تابعين سرا للحزب الحر الدستوري ابن المؤدب ومحمد بن ميلاد ثم على الغرياني وفي صفاقص الهادي شاكر، وعلالة التومي وآخرين لم تحضرني أسماؤهم.

كان هذا الاستطراد بمناسبة فرار الزعيم الحبيب بورقيبة من تونس إلى القاهرة عام 1945م(234) وفيها أسس له مكتبا خاصا باسم مكتب الحزب الحر الدستوري

---

(233) تناولت هذا الموضوع بتفصيل في مذكراتي السياسية الموؤد المغتصبة راجعها ضمن وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية أومديرية الوثائق الملكية.

(234) أذكر كذلك أنه كان من الذين ساعدوا الزعيم التونسي وساعدوني كذلك في التنقل داخل القطر الليبي هم الأخوة الذين دام اتصالي بهم من الليبيين جماعة حزب المؤتمر الهادي إبراهيم لمشيرقي. ال انذير محمود واخوته. وعلي صادق حسنين . ومن جماعة حزب الإصلاح وقتها صادق بن زراع. ومن جماعة عمر المختار. مصطفى بن عامر. وعبد الحميد بن حليم، والحاج مفتاح الأطرش وعبد العزيز جبريل. وإبراهيم اسطى عمر وغيرهم كالأستاذ محمد بن فايد البشير لمغيربي ومن شيوخ لعبيدات ارحيم أبو الطيب، وعلى باشا لعبيدي، وعبد الرازق شقلوف عضو الوفد الليبي إلى الأمم المتحدة وقتها، الخ، و لو لا نجدة هؤلاء فقد صمم المستشار الانجليزي الكسندر الذي كان=

التونسي بشارع ضريح سعد رقم 10 عشرة، وفيها التحق به الإخوة الذين ذكرنا أسماءهم قبل. وإذا كانت المبادئ والأهداف قد وحدت بين الأحزاب الاستقلالية في المغرب العربي، فإنه لم يكن من العسير أن يتصل الملتزمون لمبادئ تلك الأحزاب حيثما وجدوا فما بالك إذا ماوجد في القاهرة الحبيب بورقيبة وفيها طلبة مغاربة يعملون باسم رابطة الدفاع عن مراكش، لكن الإتصال لم يكن بالقدر المطلوب، ذلك أن الفترة التي قضاها المغاربة ومثلهم التونسيون حتى سنة 1947. كان التونسيون فيها مستقلين بمكتبهم، والمغاربة «يعملون فيها بواسطة رابطتهم، لكن أعمال الجميع لم تكن مجدية بالقدر المطلوب، خصوصا وأن ظروف الجميع ماديا بحكم الحصار الفرنسي المضروب على أقطار المغرب العربي زادت في ضائقة الجميع، والجامعة العربية التي بدأت تتمكن وكان من أهدافها الجمع وتوحيد الصفوف، هي غير قادرة ولا مستعدة أن تساعد المغاربيين الذين طلبوا مساعدتها، التونسيون على حدة، والمغاربة على حدة، والجزائريون على حدة، في حين أن قضيتهم واحدة وعدوهم المشترك واحد، ومبادئهم بل وأصولهم واحدة.

وإذا كان الحبيب بورقيبة قبل وبما توفر له من إمكانات محدودة قد استطاع تكوين مكتب باسم حزبه في القاهرة فإن تلك الإمكانات التي لم تجد قوة ولا مساعدة على الاستمرار قد نضبت، وعاش ظروفا قاسية إلى درجة أنه إلتجأ إلى مركز جماعة الشبان المسلمين «12ش نازلى» ومساعدة مؤسسها اللواء المجاهد صالح حرب، كما عرفت ذلك عن كثب، بل وإلى بيت المغرب الذي كان الأسبان. قبل قد ساعدوا على تأسيسه كمأوى للطلبة المغاربة أعضاء البعثة، في شارع السلولى رقم 12 بالدقي، وأخيرا تخلوا عنه بسبب ماجد من مواقف الوفد الرسمي الذي وافقوا على انتدابه من طرف الخليفة

= في درنة وبموافقة عبد الله بلعون محافظ المدينة وبالحاح من القنصل الفرنسي بطرابلس على ارجاعي وتسليمي للفرنسيين لأنني كما قيل متهم بمحاولة اغتيال عبد الحي الكتاني وهارب من السجن لكن ماذكرت من أسماء الأخوة الليبيين كان لهم الفضل في الحيلولة دون ذلك خصوصا وقد شد أزرى شهادة أعضاء الوفد الليبي الذي شارك في المؤتمر وكانوا برئاسة عبد الحميد عطية الذيباني قاضي العاصمة وعضوية عبد العزيز جبريل قاض درنه ثم عضوية الشاعر الوطني المعروف على المسراتي و«مصطفى رجب » الخ راجع مذكراتي المؤودة مع ما فيها من صور بالخزانة الملكية أو مديرية الوثائق الملكية.

السلطاني كممثل للمنطقة الشمالية من المغرب لدى الجامعة العربية، برئاسة محمد أحمد بن عبود وعضوية محمد الفاسي الحلفاوي التطواني، وهما اللذان كان لمواقفهما الوطنية ما أدى بالأسبانيين إلى إهمال البيت وعدم تجديد البعثة بسبب ظروف الحرب، وكذا بسبب مواقف عضوي الوفد وغيرهما من بعض أعضاء البعثة الوطنية، ولما أهمل البيت ولم يرد إلى أصحابه بقي رغم إهماله مفتوحا في وجوه الطلبة المغاربة يقصده من فقد المأوى أو من المستجدين الذين يحلون بالقاهرة وليس لهم إمكانات، وقد قصده الزعيم التونسي حين اشتدت ضائقته حيث آواه الذين كانوا فيه من الطلبة ، منهم أحد أفراد البعثة القداما من الذين أسسوا مكتب المغرب العربي بالقاهرة. وهو إدريس السوسي المغضوب عليه من قبل الاسبان وقتها بسبب نشاطه الوطني الهادئ، والذي كان على جانب من الخلق والاستقامة، مما جعله يتحمل من «حماقة» الرجل الطيب القلب الجبيب بورقيبة، والذي اقتسم معه إدريس السوسي الغطاء والوطا(235)، ومع ذلك فكثيرا ما كنا نتندر بما كان يصدر عن الزعيم التونسي الذي كان يغضب سريعا ويتراجع سريعا وحين يشتد به الغضب لايخاطب من يغضبه حتى ولو كان وسط جمع كبير إلا بتلك الألفاظ المستعملة بين رواد حي« عبد الله گش» أو نهج المقطر بالعاصمة التونسية، والمستنكرة سواء من أهل المنستير مسقط رأس الزعيم التونسي أورحبة الغنم مسكنه في العاصمة تونس، وبقدرما كانت عباراته الغاضبة سفيهة محرجة وجارحة كان يتحملها منه الاخوان التونسيون وأكثرهم وطنية وتحملا الرشيد إدريس الذي كان بحق يعمل لصالح وطنه وبناء زعامة الحبيب بورقيبة بروح متصوفة وبصبر المؤمن الملتزم لا يعرف

(235) أذكر أنني كنت من الذين ألجأتهم الظروف القاهرة إلى الإلتجاء زمنا إلى البيت المذكور حيث وقفت على الواقع الذي كانت عليه حياة إدريس السوسي والضائقة التي جلبتها عليه وطنيته ومع ذلك قط ماسمعته يشكو لأحد أو يستنجد بأحد، بل كان يحافظ على هندامه بشكل يدفع إلى اعتقاد أنه من الموسرين، وقد رأيت من الوفاء لوطنيته التي كانت منه احتسابا أن أسجل له هذه المكرمة مع أن الضائقة بعد زالت بعمله في ميدان التعليم بمصر التي توفر فيها على موهل جامعي مكنه من العمل في وظيفة أستاذ وأخيرا علمت أنه عاد إلى المغرب ثم حل بمدينة طنجة ، لكنه ما المصير والأمر بيد العملاء والدخلاء ورجال الاستعمار الجديد وإذا هو قدم من مصر فإنه في اعتبار مدرسة أحمد رضا كوديرا ومحمد ولد الشركية قدم وفي جيبه وعقله إمكانات الثورة والقيام بالثورة، وما هي الا أفكار المستعمرين الفرنسيين الحاقدين على مصر والمصريين وأعلام مصر والمصريين والذين أوحوا بإغلاق المعهد المصري بل وطرد المصريين بدعوى زائفة أوحى بها سادة القوم الذين لم ولن ينسوا لمصر ما قدمته من هدم للاستعمار وعملائه.

الكل أوالملل حتى أنه كان لا يعرف بيننا إلا بنعت « سارية المكتب».

في تلك الظروف القاسية وكما قادني البحث عرفت أنه كان قد التحق بالقاهرة جماعة من الشبان التونسيين الذين نشأوا وتربوا في أحضان الحزب الحر الدستوري والذين وجدوا زعيمه يعيش ماقدر له من تلك الظروف القاسية ، التي حاول بعضهم أن يخفف منها حسب المستطاع، لكنهم وإن استطاع بعضهم المساعدة بعمله فإنهم سرعان وماوقفوا أمام مشكل استمرار المكتب مفتوحا، والذي هو الآخر زاد من قساوة الظروف التي لاحل لها الا بمساعدة مالية، وهذه المساعدة لاتمكن وقتها إلا من الجامعة العربية، والجامعة العربية كما أشرنا غير مستعدة لمساعدة المتفرقين، الأمر الذي دفع إلى التفكير في وسيلة تجمع المتفرقين حتى يحصلوا على تلك المساعدة، وإذا كان من الذين تعنيهم مشكلة مكتب الحزب الحر الدستوري التونسي في القاهرة، كذلك يوسف الرويسي الذي كان قد أسس للحزب مكتبا مماثلا بدمشق أوحت إليه ظروف وحماس الشاميين وقتها عام1946 بأن يطلق عليه «مكتب المغرب العربي» فإنه بذلك أشار على الإخوان من التونسيين وكان أنشطهم وأكثرهم إقبالا على العمل السياسي بالمكتب رقم 10 شارع ضريح سعد هو الرشيد إدريس الذي لما رحل الزعيم عن القاهرة تركه يتخبط في مشاكله المادية وفي مقدمتها مشكل إيجار وتسيير المكتب والذي إذا لم يوجد له حل ضاع كل شيء ومن هنا ومن اقتراح يوسف الرويسي جاءت فكرة مكتب المغرب العربي، فبدأت الاتصالات والاجتماعات بين المناضلين المغاربة والتونسيون، تارة بمنزل هذا وأخرى بمنزل ذاك، وغيرها بمقهى الأندلس جوار كوبري الجيزة وذلك قبل أن تتوافق الأفكار وتتكرر الاجتماعات بمكتب الحزب الحر الدستوري 10 شارع ضريح سعد والذي سيتحول بعد إلى المقر الذي يجمع كل الأحزاب الاستقلالية بالمغرب العربي وخصوصا منها: حزب الاستقلال المغربي ، وحزب الشعب الجزائري والحزب الحر الدستوري التونسي، وحزب الإصلاح الذي أسسه عبد الخالق الطريس بالشمال المغربي، وأخيرا ولفترة قصيرة انضم إليهم جماعة حزب المؤتمر الليبي.

كانت الفكرة قد اختمرت بواسطة الاتصالات المكثفة بين الإخوة الذين اقتنعوا بصواب رأي الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام الذي عرفنا وعرف العالم ما

قدمه لهذه الأقطار والذي ما كاد يعلم بالإتفاق الذي عجل به مجهود محمد أحمد بن عبود الذي تطوع لتحقيق الإتصال والبذل بسخاء من طرف سمو الأمير الحسن بن المهدي الخليفة بتطوان وليرغب البوساء في دوام الحوار، ما كاد يعلم باللقاء، حتى باركه وشجعه وأظهر سروره بتاريخ يوم 5 فبراير 1947 حيث كان الإفتتاح في المركز العام للشبان المسلمين 12 شارع نازلى وبالرئاسة الشرفية للأمين العام للجامعة العربية الذي ألقى فيه خطاب الافتتاح، ثم تلاه الكاتب الإسلامي العربي أحمد أمين 1887 – 1954م، الذي خطب مشجعا هو الآخر ومنوها بما كان للمغرب والمغاربة من صولات في تاريخ الإسلام عموما والأندلس بالأخص، كما حضر حفل الإفتتاح كثير من الشخصيات العربية ذات الوزن الكبير في مجال السياسة مثل على علوبة باشا، بالإضافة إلى المجاهد صالح حرب وغيره رحم الله الجميع.

كان عدد الذين اتفقوا حول فكرة إنشاء مكتب لهم باسم «مكتب المغرب العربي» يزيد على العشرين قليلا من بينهم طلبة تونسيون كانوا في طريقهم إلى دمشق التي كان قد حضر منها يوسف الرويسي الذي أسس بها مكتب المغرب العربي قبل سنة أي عام1946م، كما أشرنا ومن الذين حضروا حفل الافتتاح الإخوة التالية أسماؤهم.

من المغاربة:
أحمد بن المليح مؤسس،
أحمد الوزاني،
إدريس السوسي مؤسس،
عبد الكريم بن ثابت مؤسس،
عبد الكريم غلاب مؤسس،
عبد المجيد بن جلون مؤسس،
امحمد أحمد بن عبود مؤسس،
محمد الفاسي الحلفاوي التطواني
أحمد بن صابر،
ومن التونسيين،
الطاهر بن صالح،
أحمد المدني،
الأمين المدني،
والهادي السعيدي،
الدكتور الحبيب ثامر، مؤسس
يوسف الرويسي،
الرشيد إدريس، مؤسس
حسين التريكي،
علال العويتي،
خليفة حواس،
الطيب بن أحمد،
وعن الجزائر،
محمد الشاذلي المكي، مؤسس
وبعده على الحمامي.

هؤلاء هم الذين حضروا حفل الافتتاح من المغاربة يوم 1947/2/5 وفي اليوم التالي نقلوا اجتماعاتهم إلى المكتب الذي أصبح من يومها يعرف بمكتب المغرب العربي ومركزه رقم 10 شارع ضريح سعد، وفيه انتخب المؤتمرون لأعمال كتابة المؤتمر عبد الكريم غلاب يساعده الرشيد إدريس واستمرت إجتماعات المؤتمرين من أجل برنامج عمل يلتزم به الجميع، ثم يقدم إلى الجامعة العربية كوثيقة يحتفظ بها ضمن الوثائق السياسية بإدارة الجامعة التي سيكون تعريفها بالمكتب وبكل من ينتمي إليه أو يلتزم العمل به هو المعتمد لدى الدوائر المصرية المسؤولة من جانب، ومن حقه أن يباشر نشاطه السياسي في مصر من جانب آخر، وبالتالي سيصبح مكتب المغرب العربي وما يتفرع عنه بمثابة سفارة يمثل المغاربيين في مصر ويعرف بهم.

وهكذا دامت اجتماعات المؤتمرين حتي يوم 1947/2/24 إتفقوا فيها على دراسة المواضيع التالية :

أولا : المكاتب المغربية في المشرق العربي ومشاكلها، كان ذلك كما أشرنا هو المشكل الذي نزل بكل ثقله وقتها، والذي إذا لم يحل ضاع كل شيء بل ويتناثر العقد ثم تضيع حباته، وتكونت لذلك لجنة من الدكتور الحبيب ثامر، وعبد المجيد بن جلون، ومحمد الفاسي الحلفاوي ومحمد الشاذلي المكي.

ثانيا: لجنة الدعاية في المشرق العربي وتنظيم الاتصالات بالحركات الاستقلالية في المغرب العربي، وتكونت هذه اللجنة من أحمد ابن المليح وعبد الكريم بن ثابت وإدريس السوسي، ويوسف الرويسي.

ثالثا: لجنة مقاومة سياسة الاستعمار الفرنسي الإسباني في المغرب العربي. وتكونت هذه اللجنة من امحمد أحمد بن عبود. وعبد الكريم غلاب، ومحمد الشاذلي المكي.

رابعا: لجنة المغرب العربي والجامعة العربية . وتكونت اللجنة من أحمد بن المليح وامحمد أحمد بن عبود، والرشيد إدريس، والطاهر بن صالح.

وإذا ما تمت دراسات اللجن وأعلن إنتهاء المؤتمر فإن المؤتمرين إتفقوا على المقررات التالية:

أولا : بطلان معاهدتي الحماية المفروضتين على تونس والمغرب وعدم الاعتراف بالوجود الفرنسي في الجزائر.

ثانيا : مطالبة الحكومات العربية، والهيآت الوطنية بإعلان إستقلال البلاد...؟

ثالثا : المطالبة بجلاء القوات الأجنبية عن بلاد المغرب العربي كلها.

رابعا: رفض الإنضمام إلى الاتحاد الفرنسي في أي شكل من أشكاله.

خامسا : اعتبار أيام إحتلال الجزائر «5 يونيه» وفرض الحماية على تونس «12 ماي» وفرض الحماية على المغرب «30 مارس» أيام حدادا في جميع أقطار المغرب العربي.

سادسا : تعزيز الكفاح في الداخل والخارج لتحقيق الاستقلال والجلاء.

وفيما يرجع إلى تنسيق العمل بين مختلف الحركات الوطنية في المغرب العربي كانت قرارات المؤتمر كما يلي:

1) ضرورة الإتفاق بين الأحزاب الوطنية، داخل كل قطر. إما بإندماجها في حزب واحد أو بتكوين جبهة وطنية منها.؟!

2) إحكام الروابط بين الحركات الوطنية في الأقطار الثلاثة ويوصي المؤتمر لتحقيق ذلك بما يأتي.

أ – تكوين لجنة دائمة من رجال الحركات الوطنية مهمتها توحيد الخطط وتنسيق العمل لكفاح مشترك.

ب – العمل على توحيد المنظمات العمالية، والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في الأقطار الثلاثة جبهة واحدة عند حدوث الأزمات في أي قطر منها . «؟؟؟»

أما حول المغرب العربي والجامعة العربية فقد كانت المقررات مايلي:

مطالبة الجامعة العربية بإعلان بطلان معاهدتي الحماية المفروضتين على تونس والمغرب، وإعلان عدم شرعية إحتلال الجزائر، وتقرير استقلال هذه الأقطار مع تعيين ممثلين عنها في مجلس الجامعة ، ثم إرسال لجنة تحقيق إلى أقطار المغرب، وتعيين ممثلين للدول العربية في أقطار المغرب العربي، والعمل على نشر الثقافة العربية في كامل بلاد المغرب العربي الكبير، وحل مشكلة الطلاب المغاربة الذين يلجؤن إلى المشرق قصد

إتمام دراستهم في المعاهد العربية، وبالتالي شكر الجامعة على كل ما بذلته في سبيل المغرب من جهود بدأت بتأسيس مكتب المغرب العربي في القاهرة .

وأخيرا قرر المؤتمر أن يتكون مكتب المغرب العربي بالقاهرة من : رابطة الدفاع عن مراكش ، ومن الوفد المراكشي لدى الجامعة العربية، وهو الوفد الذي كان قد عينه الخليفة السلطاني سمو الأمير الحسن بن المهدي ، حيث كان الوفد قد حل بالقاهرة وقدم رسالة اعتماده لدى الجامعة العربية يوم 7 / 2 / 1947(236) ومن مكتب حزب الشعب الجزائري، ثم مكتب الحزب الدستوري التونسي.

أما الليبيون

فقد أطلقوا على تنظيمهم السياسي وقتها «هيأة تحرير ليبيا» والتي أسسوها بتاريخ 1947/3/1 أي بعد تأسيس المكتب بشهر، كان المؤسسون هم : بشير السعداوي، وأحمد بك الشتيوي، ومحمود بك المنتصر والطاهر بك لمريض، ومنصور بن قدارة كما كان بينهم رجل نفعي انتهازي لامبدأ له اسمه جواد زكري أما أغراضها كما وضعوها ضمن دستور التأسيس فهي:

1) السعي لاستقلال البلاد بحدودها الطبيعية أي من الحدود المصرية إلى الحدود التونسية والجزائرية وإلى الصحراء الكبرى جنوبا.

2) والتعاون مع الجامعة العربية

3) العمل على كل ما يحقق هذا الاستقلال ويصونه ويؤمن رفاهية الشعب الليبي وتقدمه.

4) السعي بكافة الطرق المشروعة داخليا لتنوير الرأي العام وتوحيد الصفوف وتوجيه الجهود الوطنية للصالح العام.

5) اجتناب كل دواعي الجدل والشقاق والخلاف على نظم الحكم وطرائقه، وأن يبحث كل ذلك ممثلو الشعب بعد الاستقلال « والمراد بممثلي الشعب الهيأة التشريعية التي تختارها البلاد بعد نيل استقلالها، لتبحث في شكل الحكم ونظمه وطرائقه. وتضع الدستور الذي يلائم البلاد.

---

(236) راجع الحركات الاستقلالية ص 371 ط 1948م وذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة للرشيد إدريس ط 1981.

6) المحافظة على وحدة الكلمة أثناء الكفاح للحرية في الخارج بالدعوى في جميع الجهات للحصول على تأييد الرأي العام العربي والإسلامي، والعالمي ، وذلك بنشر دعوة الليبيين بين كافة الأقوام في جميع الميادين السياسية.

7) ليس للهيأة أية نزعة حزبية، وهي تعلن إستعدادها للتعاون مع كل الهيآت الوطنية والأحزاب الموجودة في البلاد. في كل ما يحقق لليبيا حريتها واستقلالها.

حرر بالقاهرة في 1 /5 / 1947

وتجدر الملاحظة هنا إلى أن التنظيم الليبي لم يستمر في عمله ضمن قافلة مكتب المغرب العربي ، ذلك لأن طبيعة الإخوة الليبيين بعيدة عن الاتفاق مع سلوك التونسيين الذين يتميزون هم الآخرون فيما بينهم سكان الجنوب منهم غير سكان الساحل ، فأبناء الجنوب من التونسيين قفصة وبلاد الجريد ذوي خلق ويقتربون من الليبيين خلافا لغيرهم خصوصا أهل العاصمة تونس وما حولها فهم أشد نفاقا وخذلانا ولايستقرون على حال حتى فيما بينهم مباح الغدر وفساد الأخلاق، وهو ما صرفه مراد بوخريص اخزاه الله علنا مع على البهلوان وأهله مما آلم الجميع واحتقره الجميع ولاداعي للتفصيل فيه لأنه بلاشك سوف يلقي جزاءه هو ومن تبع هواه في هذه الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

وهكذا وبفضل خطاب طنجة وتوجيه صاحب الرسالة الخالدة(237) عبد الرحمن عزام، ثم بفضل الروح الوطنية التي حركت ضمائر أولئك المناضلين من جانب آخر تكون المكتب الذي وحد الجهود من أجل رفع صوت المغرب العربي ومقاومة الاستعمار، فكان بحق الوسيلة التي ساعدنا بها القدر على محاربة الاستعمار الفرنسي الذي لولا مصر ما تمزق شمل الفرنسيين ولاساءت سمعتهم وتحطمت بالطريقة التي انتهت بهم إلى الضعف والانهيار، وبالتالي فقد كان القدر حفيا بالمغاربة الذين وجدوا في المكتب الوسيلة لخوض المعارك التي كانت مرتبة من حيث لايدري أحد من المغاربة، والتي كان أول الغيث منها

(237) للمرحوم عبد الرحمن عزام كتاب بهذا الإسم وحول ميثاق الليبيين فقد سلموا صورة منه إلى قسم عابدين. في 26 / 5 / 1947 «كذا من الأصل وبخط واضعيه» يتوفر عليه المؤلف.

تلك العاصفة الهوجاء التي حركتها يد الشر التي كانت تتربص بالمغرب الدوائر بما كان جورج بيدو وحكومة بلاده يدبرانه من مؤامرات بعد فشل إريك لابون كمقيم في المغرب وفصله بعد خطاب العاهل محمد الخامس في مدينة طنجة، ثم اتفاق المستعمرين بالمغرب من دهاقنة الاستعمار الفرنسي ورؤوس المال في كواليس بنك باريز والأراضي المنخفضة، على التعجيل بتمزيق المغرب وأن ذلك سوف لايتم إلا بواسطة الجنرال جوان الذي أتفق على تعيينه الذي تم يوم 1947/5/14وهو الشهر الذي تقرر فيه إعادة البطل المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي من جزيرة الرينيون بالمحيط الهادي إلى جنوب فرنسا كجزء من المؤامرة التي كلف الجنرال جوان من طرف جورج بيدو وبعد الحبك بتنفيذها، وتلك هي الفضيحة التي ستتولى مصر تمزيق الستار عنها بطريقة لم تكن في حسبان أحد، وإنما هي عناية الله بالمغرب والمغاربة من جانب، وبذلك القائد حتى لا يتحول ألعوبة ويتعرض لما يسئ لمكانته في أخريات حياته من جانب آخر، والذي سينقذه هو الشهيد أمحمد أحمد بن عبود التطواني بطريقة جد عجيبة وتدعو إلى معرفة من هو أمحمد أحمد بن عبود الذي قام بهذا الدور الوطني، وبالتالي كيف استطاع القيام به دون تخطيط مسبق، ولامايكفي من الوقت للقيام بأكبر حادث إختطاف شمل مايزيد على أربعين نفرا ضمنهم محمد بن عبد الكريم الخطابي رحمه الله، وذلك إثر تعيين الجنرال جوان بثمانية عشر يوما. وبعد حلوله بالمغرب بخمسة عشر يوما حيث حل الجنرال جوان بالمغرب يوم1947/5/17 وإنزال محمد عبد الكريم وعمه وشقيقه وأسرهم في ميناء بورسعيد يو1947/6/2 وكانت هذه الصفعة الثانية التي لطمت بها مصر وجه فرنسا بعد صفعة إنشاء مكتب المغرب العربي، بل وتلك كانت أول مشكلة واجهت هذا المكتب بعد تأسيسه بثلاثة أشهر، فكانت أقوى عامل في إشهاره والتعريف به ليس بين أبناء المغرب الكبير فحسب، بل بين الشعوب العربية الإفريقية الأسيوية، بل والأوروبية، وذلك حسب شهرة محمد بن عبد الكريم، وبالتالي تلك هي الصفعات الموجعة التي لكمت بها مصر القاهرة وجه حكومة باريز الداعرة فتحولت «عاصمة الفجور» إلى مغارة مظلمة، وذلك هو مصير ماخور الدعارة والبغي والفساد كما وصفها المولى عبد الحفيظ رحمه الله.

الفصل التاسع والثمانون بعد المائتين

محمد بن عبد الكريم الخطابي وبطل قصة إنزاله في مصر

لقدكان من نتائج خطاب طنجة والسعر الذي أصاب الفرنسيين أنهم أرادوا إدخال محمد بن عبد الكريم الخطابي في اللعبة المكشوفة. ومحمد بن عبد الكريم الخطابي علم من أعلام المغرب الذي نال شهرة عالمية بفضل جهاده ونضاله ضد الاستعمار الإسباني الفرنسي والحرب التي قادها بطريقة أذهلت العالمين طيلة خمس سنوات، ولما اتفقت ضده قوة فرنسا وإسبانيا ثم حشرتا أيضا مآت الآلاف من الجنود وكل ما كان في إمكان الدولتين وقتها من قوة الحديد والنار اضطر إلى أن يتوقف ويسلم نفسه للفرنسيين لعلمه مقدما بحقد الإسبانيين بسبب ما ألحق بهم من خسارة في الأنفس والمال والعتاد، وأنه إذا وقع في أيديهم لن يرحموه ولن يكونوا معه أوفياء، ومن عام 1926 قادته فرنسا منفيا مع أسرته المكونة من أبنائه وشقيقه محمد وعمه عبد السلام ونسائهم وأبنائهم وبناتهم، حيث عاشوا مبعدين بجزيرة الرينيون بالمحيط الهندي إلى عام 1947م، وهي السنة التي اشتد فيها نشاط العاهل العظيم محمد الخامس قبل وبعد خطابه بمدينة طنجة كما قوي وتمكن نشاط الحركة الوطنية في الداخل والخارج، وبالتالي أصبح للمغاربة ملجأ في الشمال وعلى مرآى ومسمع من الإسبانيين يعملون فيه ضد السياسة الفرنسية حتى إن إسبانيا سمحت للخليفة السلطاني بتكوين وفد يمثله لدي الجامعة العربية(238) بعدما سمحت بتكوين بعثة طلابية يقرب عدد أفرادها من الخمسين، وبعضهم كان لهم أكبر الأثر في تكوين مكتب المغرب العربي بالقاهرة، وهو المكتب الذي إهتمت له الدوائر

(238) كان ذلك رد فعل من الإسبانيين نكاية في الفرنسيين الذين آووا الشيوعيين من الاسبان ثم شجعوهم بكل الوسائل ضد افرنكو.

السياسية في فرنسا واعتبرته بداية مرحلة ستجر المتاعب على السياسة الفرنسية سواء في المشرق العربي أو المغرب العربي على السواء لذلك تقدم جورج بيدو، وزير خارجية فرنسا باقتراح إلى حكومته يدخل ضمن المخطط الذي وضعه لمحاربة إنطلاقة العاهل وماجد له من عمل ضد الوجود الفرنسي في المغرب، حتى إنه هز شعور الرأي العام في بقية أقطار شمال إفريقيا والعالم العربي، وذلك الاقتراح هو المجئ بالبطل محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى جنوب فرنسا تهديدا للسياسة الاسبانية من جانب، وعملا على تقسيم المغاربة وإشغالهم بانقساماتهم من جانب آخر، وإذا نحن استوعبنا مخططات السياسة الفرنسية والنهج الذي سلكته منذ عهد ليوطي واستيج إلى عهد الجنرال جوان الذي قررت حكومة باريز في عهده محاولة استعمال البطل المغربي كوسيلة من وسائل التهديد، يمكننا أن نعرف مقاصد فرنسا من تلك المحاولة المكشوفة والدنيئة التي ماكانت لتنطلي على رجل مثل محمد بن عبد الكريم الذي كان وقتها قد جاوز السبعين عاما مضت من عمره ، خصوصا عندما وجد من يبين له مقاصد فرنسا.

وافقت الحكومة الفرنسية في مجلسها الذي انعقد بتاريخ 1947/2/5 على نقل محمد بن عبد الكريم الى جنوب فرنسا قريبا من الحدود الإسبانية ، وأشاعت أنها فعلت ذلك بدافع إنساني كما انطلى على أمثال الرجل الضعيف فانسان أو ريول رئيس الجمهورية الفرنسية وقتها حتى أنه أورد ذلك في مذكراته، على أن جانب الدراسة لقسم المخابرات السياسية يقول أن دوائر وزارة الخارجية قامت من جانبها بعمل مكنها من احتمال دخول البطل المغربي وأسرته، وبالتأثير على المتأثرين بشخصه وسمعته في معركة سياسية تمزق وتقضي على ماجد في المغرب مما استوجب تعيين الجنرال جوان، وذلك مادونه أحد الجنرالات المتقاعد، والذي كان قد كلف بشؤون البطل المغربي قبل وبعد نقله من منفاه، وليس هذا ببعيد على تفاهة العقلية الفرنسية وقتها والطريقة التي كان يفكر بها الفرنسيون إزاء الشعوب المستعمرة، حتى إن تصورهم البليد وتصرفاتهم الشاذة كانت تسمح لهم باستعمال أشباه الرجال المتقمصين لشخصيات رجال الدين عملاء وجواسيس، ويعتقدون أنهم يقومون بأعمال يرجو من ورائها المستعمرون ما يرجون مثل ماكانوا يفعلون بأصحاب الطرق الضالة وحشرات الزوايا يتقدمهم المجرم الجاني

عبد الحي = الكايتاني، وآل أحمد التجاني وغيرهم.

بهذه العقلية والتصرف الذي كانت نتائجه عكسية في كل من المغربيين وبالخصوص في الجزائر، بفضل جهود جمعية العلماء وآثار شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي بذلك التفكير كانت فرنسا تفكر إزاء بطل المغرب العظيم، والذي أغراها بذلك هو ما آلت إليه أحواله الصحية وواقع أفراد أسرته وأسرتي كل من شقيقه محمد وعمه عبد السلام، فزين للفرنسيين أنه بمجرد نقلهم إلى جنوب فرنسا وتبدل أحوالهم من الشدة إلى الرخاء ومن البؤس إلى النعيم، يمكن وبواسطة ضغط الأبناء والبنات أن تحل السيئات محل الحسنات، ونسي جورج بيدو ، الذي أعماه التعصب والحقد وكراهية الإسلام والمسلمين، حتى عن البديهيات وإدراك أن الأسد أسد، والضبع ضبع والحمار حمار والكلب كلب، ولا يمكن لأي منها أن يحل مكان الآخر، بل لقد عميت أبصار الفرنسيين حتى ظنوا أن في استطاعتهم تحويل اتجاه محمد بن عبد الكريم البطل المسلم الأبي الذي تبين أن بعد المنفي وطول الزمان وشدة النكال لم تزده إلا يقينا وتمسكا بدينه وقيمه وأصالته، ومتى أرادت به فرنسا ماأرادت؟ في أخريات عمره وقد جاوز السبعين ، ومقابل ماذا «لا مال ولاجاه» كان في إمكان فرنسا أن تجود بهما، فالمال هي عالة على الأمريكيين، والجاه بعد ركل الألمان ومافعلته أحذيتهم بوجوه الجنرالات، لم يعد لها حتى في نظر المستضعفين أي إعتبار، لقد عرفتنا الأيام وما طبقته السياسة الفرنسية في بلاد المغرب العربي ببلادة حسهم وسوء تصرفهم كما يتصور واضحا في سلوك الحكام والأغبياء من العملاء أنهم يحسبون أن كل شيء صالح للبيع والشراء في هذه الحياة، وفي مجال السياسة أكثر، بما في ذلك الشرف والقيم وأخلاق الرجال، وذلك ماورثته السياسة الفرنسية من ريشليو وتاليران المعتوه المرتشي. ثم ورثته لأذنابها وعملائها في البلاد التي أبتليت بحكم دهاقنتها.

لقد عميت أبصار الفرنسيين الذين كانت تمثلهم حكومة بلادهم وقتها أنه في الوقت الذي خططت لنقل محمد بن عبد الكريم إلى جنوب فرنسا لتطبق عليه مازين لها الهوى، كان قد مضى على تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال ما يقرب من سنتين ونصف، وعلى خطاب العاهل محمد الخامس في مدينة طنجة الذي أكد تلك المطالب ثم نبه لوجوب

توحيد الصفوف وحبك التخطيط من أجل تحقيقها أقل من شهر، وأن تأثيره القوي لايزال طريا وقد شد إليه نفوس المغاربة كبيرا وصغيرا، وزادهم عنادا ماجد في الميدان من تعيين الجنرال جوان بعد قرار الحكومة الفرنسية بعودة ابن عبد الكريم بأكثر من شهرين بقليل، ووقتها وبلا حساب لذلك ساق القدر المناضلين من أبناء المغرب العربي الكبير لتأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة وهو الذي سيشد أزر الإعلام لصالح المغرب والمغاربة في العالم العربي وغيره من بلاد المعمور بمكاتب تأسست إلى جانب مكتب المغرب العربي في مصر القاهرة، فتأسست بعد مكاتب أخرى في أمريكا أسسه الدكتور المهدي بن عبود وبلافريج ومحمد الغزاوي بعد ومدريد بل باريز نفسها عرفت الغزو الوطني من المهدي بن بركة ورفاقه، وأصبح في استطاعة الحركة الوطنية بالمغرب العربي عموما وقتها مالم يكن في استطاعتها بالأمس من فضح لأساليب فرنسا والتشهير بفضائح إدارتها في أقطار المغرب العربي الكبير، ومكتب المغرب بالقاهرة هو الذي سيقوم بدور رد الفعل أمام التخطيط لمؤامرة حكومة فرنسا ضد المغرب وبطله.

كل هذه الحقائق عميت عنها أبصار دهاقنة الاستعمار يتقدمهم وزير خارجية فرنسا جورج بيدو وأعضاء حكومة بلاده التي أمرت بنقل محمد بن عبد الكريم الخطابي من منفاه بجزيرة الرينيون إلى جنوب فرنسا كما زين لها الهوى، وفعلا كان النقل بواسطة الباخرة الاسترالية « كاتومبا » التي يقودها ربان يوناني، وحتى تطمئن نفوس المنقولين وفي مقدمتهم الزعيم المغربي، تركت الباخرة بلاحراسة، وإذا هي توقفت أثناء رحلتها في ميناء عدن بحنوب الجزيرة العربية، ثم نزل البطل وشقيقه وعمه الذين توجهوا لأداء فريضة الصلاة في الجامع القريب من الميناء، فإن بعض العرب الذين كانوا قد عرفوا تاريخ هؤلاء الرجال يتقدمهم محمد بن عبد الكريم وما قدموا لوطنهم خصوصا وللعرب والمسلمين بإذلالهم للاستعمارين الاسباني والفرنسي خصوصا وأنه قد صدرت كتب وكتابات متعددة حول بطل الريف، بلاشك كان أبناء عدن وهم ممن عرفوا بالوعي السياسي المبكر قد قرأوها وعرفو منها ما يستوجب تكريم البطل ومن معه وذلك مافعلوه وقبل أن يغادر الركب الميناء كان المكتوون بنيران يحيى بن حميد الدين وابن الوزير قد عرفوا من ربان السفينة ما هو قصدها والموانئ التي سترسو بها للتزود بالوقود، ومنها

مرسى السويس وبورسعيد بمصر زعيمة النهضة العربية وملجأ الأحرار وقتها، ومن أولئك الأحرار صديق المغاربة المجاهد المناضل أبو الحسن محمد علي الطاهر الفلسطيني صاحب جريدة الشورى والذي أرخ لجهاده بكتابه المعروف في ظلام السجن وإليه أبرق الأهدل اليمني العدني بتلك المعلومات حول بطل المغرب كما أبرق إلى عالم المغرب العربي الكبير الشيخ محمد لخضر حسين صاحب جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا وجمعية الهداية الإسلامية ، وإذا كان مكتب المغرب العربي المؤسس من جديد قبل أقل من أربعة أشهر فإن ميدان نشاطه قبل وبعد في مصر القاهرة كان هو الإعلام، وإصدار النشرات حول كل ما جد عن المغرب ، بل ما يشوش على الفرنسيين ويقلق راحتهم، ولذلك أسرع محمد علي الطاهر مشكورا ليبلغ خبر إقلاع السفينة كاتومبا من عدن، وعلى ظهرها بطل الريف، متوجهة إلى فرنسا وأنها ستعبر قناة السويس حسب تاريخ اليوم، بضبط سليم للوقت ودقة واعية، ثم وصف لما هي عليه من عدم الحراسة.

كانت البرقية وكما سجل الزعيم الفلسطيني محمد علي الطاهر، وكان يردد في أكثر مجالسه وعنه رويت وسجلت بندوة منزل الظواهري أنها كانت بتاريخ يوم 27 ماي 1947 وفي الساعة الحادية عشر من نفس اليوم تلقاها مضمونة الوصول بتوقيع «الأهدل بن حمد اليمني» وهو نفس الإسم الذي كتب على نفس البرقية التي وجهت إلى الشيخ محمد لخضر حسين، لكنها انتقلت إلى محفظة جيب صانع مقدمات ثورة اليمن الشيخ محمد الفضيل الورتلاني(239) الذي كان يعتبرها من أهم الوثائق السياسية التي دخلت تاريخ النضال العربي وقتها من أوسع أبوابه، وإذا كانت أعمال الفضيل الورتلاني وما اتصفت به من عظمة وإكبار، قد اتصفت بالنبل والتواضع ونكران الذات ، فإن هذه البرقية التي تسببت في أهم صفعة وجهت لفرنسا وقتها من أبناء المغرب العربي كان العامل الأول والسبب في إرسالها من طرف الأهدل بن حمد اليمني هو تلك العلاقة التي كانت للفضيل الورتلاني مع العرب عموما واليمنيين خصوصا حتي إنه ساهم بأكبر نصيب في صناعة الثورة التي وضعت حدا لسفك الدماء التي كان لا يرتوي منها كل من «الإمام أحمد والسفاك ابن الوزير» في اليمن.

---

(239) راجع جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين بالجزائر عدد 174 بتاريخ 1951 ص 1 وعيون البصائر ص 679 – 82 ط القاهرة 1963.

والفضيل الورتلاني هو الذي تعرف بواسطته الأهدل بن حمد اليمني على محمد علي الطاهر، وهو الأمين العام لجبهة الدفاع عن شمال إفريقيا لكنه نظرا لظروفه وطريقة جهاده ونضاله، كان لايستقر بمكان معلوم، ولذلك وجهت البرقية إلى كل من الشيخ محمد لخضر حسين ومحمد علي الطاهر الذي توجه بها إلى مكتب المغرب العربي الذي كان قد حل به ما بين أول الشهر وآخره كل من الزعيمين عبد الخالق الطريس في الأسبوع الأول من شهر ماي، وعلال الفاسي(240) يوم 25 منه بالتحديد، والبرقية مؤرخة الإصدار من عدن والوصول إلى القاهرة بيوم 27 ماي، وما كاد خبرها يعلم من مجموع رجال مكتب المغرب حتى اجتمعوا حول مضمونها وما يجب إتخاذه نحو المعني بها، وهو بطل من

(240) لا يفوتني هنا أن اشير وأكرر أن وصول الزعيم علال الفاسي إلى القاهرة كان صدفة يوم 25ماي1947 أي قبل يومين على وصول البرقية المشار إليها، وذلك من حسن الصدف التي صنعها القدر رحمة بالمغرب والمغاربة، وحتى يشارك الرجل في المكرمة التي ما كان من الأليق أن تضيع منه، وبالمناسبة ألحق هنا ما علقت به في مذكراتي السياسية المغتصبة والتي نقلتها الشرطة إلى الخزانة الملكية أو مديرية الوثائق الملكية يوم 1968/6/11 وذلك حول عودة الزعيم علال الفاسي من منفاه ثم رحيله إلى القاهرة حيث قلت:

لما عاد ذ. علال الفاسي من المنفى في شهر ماي عام 1946 لقي تكريما كبيرا من كل المواطنين في مدينة فاس لكنه وحسب ماجد في الجو أدرك أن التنظيم الجديد للحزب الجديد يريد شيئا جديدا كذلك حتى يتمكن الحزب ويستمر ولم يكن غير وضع الأسس السليمة للبناءالمستجد، وهو مالم يتفق والواقع من جانب، وطموحات علال من جانب آخر، فالشباب وقتها الذي تأثر بما كان للزعيم من إعلام وهو في منفاه السحيق علال أهم وأولى من غيره ، أما العناصر التي كان لها فضل السبق في مجال الوطنية، ومثلها طبقة الشباب الواعي أكثر والمتأثر بالأساليب الغربية الديمقراطية، فإنهم نفروا ونفروا إلى درجة الاستنكار للأسلوب الذي أتخذ من بعضهم لفرض الزعامة، الأمر الذي كان يظهر لنا نحن العاطفيون أنها الغيرة والحسد من الآخرين ، لكن تبين أنه الوعي وعدم التنازل عن الحق والتعلق بالديمقراطية على أن ما أشار إليه ذ. علال في كتابه الحركات الاستقلالية ص 309 حول التنظيم وما يتعلق بعضوية الفرد في الحزب الجديد وقتها غير صحيح وقد حاول أن يبرر ماقاله علما بأنه غير واقع حين قال : على أن ظروف البلاد والإرهاق الدائم مما يمنعنا من أن نتخذ نظاما ديمقراطيا مستقرا بكل معنى الكلمة الخ وبالتالي وكما يعرف علال فإن حزبنا لم يكن له قانون ولا دستور يحدد وينظم المسؤوليات ويفرض الواجبات بل أحب من حب وكره من كره كان تجمعنا وطنيا وانسجاما بين أبناء شعب متظلم في حاجة إلى كل وسيلة تمكنه من الخروج مما أوقعه فيه الاستعمار الفرنسي، ومع ذلك لم تكن هناك قوة سياسية عرفها المغرب لمحاربة المستعمرين غيرقوة حزب الاستقلال الذي كان يتمتع بالعطف المتبادل مع الرائد العظيم محمد الخامس والذي لم يتمزق وينهار إلا بعد ماظهر أن قوته أصبحت نهبا بين طائفة من ذوي المصالح والانتهازيين قبيل وبعد الاستقلال. وبالتالي كانت الطامة الكبرى على الحزب مابعد يوم 10 سبتمبر 1955 أي مؤتمر إكس ليبان كما سنرى ، وبعد الاستقلال وما وقع فيه بعض القوم حتى تطاول على الجميع العميل الفرنسي المحجوب أحرضان والزنيم أحمد رضا كوديرا الذي لوصارت الأمور عادية لما كان له حق في المواطنة حسب الملف الذي وضعه له مفتش الحزب الحاج أحمد الشرقاوي 1956 كما سنرى الخ.

أكرم أبطال المغرب العربي الكبير، وكيف وهذه فرصة لم تكن منتظرة يجب أن يبادر المكتب لاستغلالها بإصدار نشرة إخبارية لأبناء المغرب العربي وخصوصا منهم الذين يتواجدون في فرنسا حتى يكونوا في استقبال الزعيم، وخصوصا من الوطنيين حتى يفوتوا الفرصة على فرنسا والفرنسيين ويحولوا الموقف لفائدة الحركة الوطنية ، وعلى هذه النغمة كانت طبوع كل المغاربة طبعا، لكن عبد الخالق الطريس الذي كان يجلس إلى جانب علال الفاسي وكما وصف طيب الذكر عبد المجيد بن جلون وزكاه أحمد المليح وكان مرتديا قميصا أبيض بلاربطة عنق، وفجأة أشار بيديه قائلا بصوت عال «وعلاش ماينزلش في مصر»... قالها عبد الخالق بطريقته المعروف بها حماسا فوق العادة وبذلك نظر إليه الجميع... إنها عبارة عبر بها رجل وطني شريف المقاصد، نبيل الأهداف عرف بحماسه واندفاعه الصادق الذي كان لا يعتبر المصاعب ولا يهتم بالعواقب، مادامت الأهداف شريفة والغاية نبيلة، ورغم أن علال الفاسي كان بعيد الانسياق في مثل هذه المواقف الخيالية استجاب لقول الطريس ثم قال «ولماذا لم يكن » قيل هذا وجميع أعضاء المكتب المشار إليهم قبل من الحاضرين، لكنهم جميعا كانوا مستجدين في الاتصالات السياسية مع ذوي الشأن بل سطحية وفي نطاق محدود أيضا هو نطاق الصحافة، أو بعض الشخصيات العربية ذات الشهرة في ميدان النضال أمثال عزام وأحمد أمين في الجامعة العربية وعلى علوية باشا وصالح حرب ثم شخصيات أخرى قليلة، ولم يكن في إمكان أي منهم وإن بذل ما بذل أن يجد طريقا للاتصال بالجهات العليا أو الدوائر المسؤولة ذات القرار التي يكون لها مفعول إذا ما استنجد بها في موضوع كموضوع إنزال محمد بن عبد الكريم الخطابي الرجل الذي صفع كلا من إسبانيا وفرنسا ومعه أكثر من ثلاثين شخصا هم أفراد أسرته وأسرتي شقيقه وعمه، ووقتها ظهر الرجل الذي كان القدر يعده لهذا الموقف المذهل، إنه بحق الرجل الذي وجب أن يطلق عليه بالنسبة لقصة إنزال محمد بن عبد الكريم في مصر بطل القصة أو بالأحرى المنقذ الذي دخل التاريخ السياسي المعاصر للمغرب من أوسع أبوابه والذي لو لم يكن لما أنزل محمد بن عبد الكريم في مصر وقتها لأنه كان لمصر زمن فاروق عادات وطقوس لم يسبرغورها من المغاربة وقتها غير رجل شهد له الجميع.

ذلكم هو آمحمد أحمد بن عبود الذي دخل التاريخ السياسي المعاصر من أوسع أبوابه، بل وبفضل جهاده ونضاله في سبيل أمته ووطنه ضمن قافلة المناضلين والذي وجد وظهر في الوقت المناسب بفضل نباهته وذكائه، وليس لأحد قط فضل عليه، إلا ما كان من الخليفة السلطاني سمو الأمير الحسن بن المهدي رحم الله الجميع الذي لم يسمح بالكتابة حول دوره في القصة ومن خلال ما لديه من وثائق مادية لأنه من طبعه كان يعمل في الظل فهو الذي عينه وزميلاه محمد الفاسي الحلفاوي وأحمد عبد السلام بن عبود في وفد رسمي لتمثيل شمال المغرب لدى الجامعة العربية، وطبعا بموافقة إسبانيا التي كان من سياسة عهدها الجديد التقرب إلى العرب ونهج سياسة التقارب مع البلاد العربية، وما كاد إثنان(241) من الوفد يستقران بمصر القاهرة، ويعتمدان لدى الجامعة العربية حتى نسيا أنه كان للإسبانيين في تعيينهما أثر، فضربا باسم إسبانيا عرض الحائط وتجردا للنضال والعمل ضد الاستعمارين الإسباني والفرنسي بخلاف ثالثهما الذي لم يطق ذلك ورجع.

مضى على امحمد بن عبود في عمله الرسمي كرئيس لوفد شمال المغرب لدى الجامعة العربية باسم سمو الخليفة ، نحو الخمسة عشر شهرا كلها نشاط واتصالات مكثفة « ولها وزن ثقيل، تصاعدت بالمصوغات من اللطائف حتى انتهت إلى الصيد مع ملك مصر وفرعون زمانه في تلك الأيام فاروق الذي كان بن عبود قد تقرب اليه ببعض الهدايا من الصناعة التقليدية المغربية النادرة. الأمر الذي دفع بمحمد أحمد بن عبود وقد وجدها فرصة يحقق بها اقتراح الزعيم المحبوب منه ومن قومه عبد الخالق الطريس، ثم يثبت له ما أكدت الأيام من أن امحمد أحمد بن عبود لم يوافق على ما انتدب له تحقيقا لغرض ولاسعيا لمصلحة ذاتية، وإنما خدمة لوطنه ومواطنيه، وأداء للرسالة التي التف المغاربة ملكا وشعبا حولها ومن أجل أدائها، ولذلك ماكادت مذاهب القوم المجتمعين حول

---

(241) رئيس الوفد امحمد أحمد بن عبود وزميله محمد الفاسي الحلفاوي، أما ثالثهما أحمد عبد السلام بن عبود فقد تراجع ورجع لأنه لم يستطع مسايرة النهج الوطني العنيف الذي سلكه محمد ابن عبود ومحمد الفاسي ضد الاستعمارين الاسباني والفرنسي، يقول جل التطوانيين، خصوصا وأن الموافقة على التمثيل كانت من إسبانيا والا لم تتم.

مضمون ماورد في البرقية تتعدد ويعود الطريس مؤيدا بعلال الفاسي ليقول من الأحسن أن نفكر في وسيلة الإنزال حتى أجاب أمحمد أحمد بن عبود وكان آخر المتكلمين ثم قال: أنا لها، وبذلك شهد القوم جميعا.

قالها وهو يعلم أنه بفضل اتصالاته سيفعل كل ما يمكن حتى ولو أدى الأمر إلى الاتصال بفاروق الذي لم يكن لغيره حتى ولو كان وقتها وزيرا في حكومة النقراشي أن يتمكن من الاتصال بملك مصر، الذي كان بحق وكما أرادت له حاشيته العسكرية حيدر باشا ومن حوله، والمدنية إبراهيم عبد الهادي وحسنين وكريم ثابت والقواد بولى الإيطالي ومن معهم أن يتحول فاروق إلى فرعون حتى انتهى إلى الغرق والهلاك الأبدي بعد قيام ثورة 23 يوليو 1952م.

وحالا في نفس الوقت وكما رويت ومن نفس المكان بدأ ابن عبود اتصالاته هاتفيا بقصر عابدين ، وكانت المعلومات قد استقاها من كريم خليل ثابت المستشار الصحفي لفاروق والذي كان من عوامل إشهاره أنه أول من كتب كتابا حول البطل المغربي محمد بن عبد الكريم 1925 سماه «عبد الكريم والحرب الريفية»(242) كتبه في 153 صفحة حجم متوسط ثم صاغه في أربعة عشر فصلا منه آختلس عمر أبو النصر ماسماه «بطل الريف» بل منه استقى كل من كتب بعد عن البطل المغربي حتى المدعي عمر القاضي المفتري بلا خجل، والذي افترى، وقال إن ما كتبه عن ابن عبد الكريم عبارة عن مذكرات عاشها بيد أنه من المختلسين لما في كتاب كريم ثابت الذي تجند وقتها لمساعدة امحمد بن عبود حيث دله من أين تؤكل الكتف، وما هو الطريق الذي يدخل منه وهو مستعجل جدا إلى فاروق الذي ليس في إمكان غيره أن يكون له رأي في مثل هذا الموضوع، لكن كان على ابن عبود وقبل أن يجري أي اتصال أعلى أن يسارع إلى حيث وصلت وترسو الباخرة كاتومبا بميناء السويس، وفيها يتصل بابن عبد الكريم حتى يعلم إن كانت

(242) راجع الكتاب طبع مطبعة المقتطف والمقطم بمصر 1925 تقديم أسعد داغر المحرر بجريدة الأهرام وقتها راجع ما مضى في هذا الكتاب حول: الحقائق الضائعة من تاريخ ثورات قبائل الشمال المغربي من ثورة اجبالة إلى ثورة الريف ، والمعني بهذا هو المفتري المسمى عمر القاضي الورياغلي الذي كتب ماكتب منقولا من عمر أبو النصر حرفيا وهذا نقل عن كريم خليل ثابت حرفيا ، بل ومنه اختلس خائن وطنه وعدو قضايا المغرب العربي صاحب الشيشكي المسمى أحمد العسة فيما كتب من هراء حول «خزيته المغربية» وما يعني محمد بن عبد الكريم منها.

له رغبة في الالتجاء لمصر أم لا وكان هذا هو طريق التفكير السليم لمعالجة الموقف وفعلا توجه أمحمد أحمد بن عبود إلى مدينة السويس في انتظار وصول الباخرة الاسترالية "كاتومبا" إليها حاملة البطل المغربي وشقيقه وعمه وأفراد أسرهم، وبقدر ما كان الزمان يمضي بسرعة والأيام هي الاواخر من الأسبوع الأخير من شهر ماي 1947 كانت دقات قلب امحمد أحمد بن عبود هي الأخرى تدق بنفس السرعة كما عبر هو نفسه لرفاقه يقول الأخ عبد المجيد بن جلون ناهيك وأن الرجل هجر النوم طوال ليلتين متتاليتين كان عبد المجيد بن جلون وأحمد المليح حين يحصل من أخطاء أبناء ابن عبد الكريم ما يدعو إلى الرثاء يراجعان تلك المذكرات من خلال الذاكرة وما سجلاه فيها من ذكريات لو أدرك حقيقتها المتهورون ما تهوروا والمرجفون المفلسون ما إندسوا ولا دلسوا، ومن تلك المذكرات ما سجله عبد المجيد بنجلون ثم نشره في حينه بكتابه الذي عرف به مكتب المغرب العربي والمغرب الأقصى تحت عنوان "هذه مراكش" والذي نشره اثر نزول ابن عبد الكريم فقد ورد فيه من الحقائق ما يلي مما كتبه في حينه من غير زيادة.

"وقد إضطلع الأستاذ محمد بن عبود رئيس الوفد المراكشي بالجامعة العربية بمهمة التحرير هذه فما كادت الباخرة كاتومبا تصل إلى السويس حتى كان في استقبالها، واستطاع الاتصال بالأمير وبعد حوار دام ساعتين رجع الأستاذ إلى القاهرة وهو يحمل رسالة من الأمير إلى جلالة الملك فاروق، وما كادت الباخرة تصل إلى بور سعيد حتى كان في استقبالها مرة أخرى، ولم يمر أكثر من يوم واحد حتى كان الأمير في طريقه إلى القاهرة حرا طليقا، قد أنقذه جلالة الفاروق من الأسر وانقذ مراكش من هذه المؤامرة الفرنسية الخطيرة(243) ونشير هنا إلى أن الخلاص كان بتاريخ1947/5/31.

ان ترجمة امحمد بن عبود التي أتمنى أن يتفرغ لكتابتها أحد أبناء تطوان(244) لا

---

(243) هذه مراكش ص 252 ط القاهرة 1949 ثم قارن مع الحركات الإستقلالية ص400/395 ط القاهرة1948 إلا أنه غير موثق.

(244) لقد عرفت بعد أن القدر كان حفيا بامحمد أحمد بن عبود ورحيما به رحمه الله لأنه مات مغدورا حيث سقطت الطائرة وهو في رحلة من أجل الدفاع عن أمته وبلاده، وبذلك كتب الله له الشهادة، كما أنعم عليه بعد وفاته بأن خلق من صلبه ولدا كان خير خلف لخير سلف، وهو اليوم وكما علمت يعمل أستاذا بكلية الآداب جامعة محمد الخامس بعد ما نال درجة الدكتوراه وله كتاب مهم في بابه بعنوان "التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد دول الطوائف" وقد نال به جائزة المغرب لعام 1983 وهذا لعمري خير ترجمة للرجل بعد موته، والذي وجب ان تذكر إلى جانبه المرأة التي ساعدته في حياته والتي كانت وفية له بعد مماته بما انتجت ورعت من غرسه وهي الأخرى عندها جزء من المذكرات بلا شك.

تكفي ولا تفى بحقها هذه العجالة حول قصة إنزاله لمحمد بن عبد الكريم الخطابي بمصر وما قام به ابن عبود مما لم يستطعه غيره، والذي أقر هذه الحقيقة بلا مركب وكما عاشها عبد المجيد بن جلون الذي سلمه الله من الدعوى حتى إنه كان يقول بكل صدق وأمانة ماذا كان سيحصل لو لم يكن في القاهرة امحمد أحمد عبود بل ماذا كانت ستكون نتيجة المؤامرة الفرنسية لولا دهاء امحمد أحمد بن عبود الذي قال في حقه عبد المجيد بن جلون وهو علم الله مذكان من شبابه إلى كهولته شاهد عدل ورجل وطنية صادق سليم وأمين يقول في رثائه لا محمد أحمد بن عبود يوم استشهد بحادثة الطائرة وهوعائد من لاهور إلى كراتشي يوم 1949/12/12 وقد كان يمثل المغرب إلى جانب أخوين كريمين من خيرة أبناء المغرب العربي هما الدكتور الحبيب ثامر التونسي، وعلى الحمامي الجزائري، وقد رثاهم عبد المجيد بروح ملؤها الحب والوفاء رحم الله الجميع، وفي أولهم امحمد أحمد بن عبود، يقول أيضا عبد المجيد:

"عرفت المغفور له السيد محمد بن عبود في أواخر سنة 1937 ولم تمر سوى بضعة أيام على هذه المعرفة حتى إنقلبت إلى صداقة متينة ظلت تجمعنا إلى آخر لحظة من حياته، وسوف تظل هذه الصداقة تعيش في ضميري ما حييت، رحم الله عبد المجيد ورفيقه أحمد المليح، فقد قدما لوطنهما الكثير بصدق ووفاء، ويقول عبد المجيد أيضا: "ولعل السيد امحمد بن عبود الذي كان إسمه يطبق الآفاق بالأمس القريب أكبر شخصية متميزة عن غيرها بين سائر رجالات المغرب العربي، ذلك أنه لم يكن ينظر في الوطنية على أنها عاطفة، ولم يكن يرى أن حقوق البلاد الضائعة يجب أن ترجع إليها لأن ذلك من حقها، بل كان يرى أن الذين غصبوا هذه الحقوق قد توصلوا إلى ذلك بواسطة الدهاء، ولا فائدة من مناقشة الحق والصواب في هذا السبيل ، فلن تسترد هذه الحقوق إلا بدهاء مماثل..."

ويستمر المرحوم عبد المجيد في تعداده لصفات الشهيد امحمد بن عبود بطريقة يطفح منها نور الصدق والوفاء لرجل يقول في حقه: "وسوف يعرف الناس أن الأستاذ امحمد بن عبود كان إماما من أيمة الدعاية لقضايانا في الخارج، كان داهية بكل مافي هذه الكلمة من معنى، ولكن سر العظمة في دهائه هو أنه لم يسخره لتحقيق اغراض شخصية، ولو فعل لكان من أعظم الذين حققوا هذه الاغراض، كرس دهاءه لمصلحة

بلاده، وكان يضمر خلف هذا الدهاء إنسانية عميقة، كانت نفسه تطرب للكفاح ولكن ضد الأقوياء وحدهم، أما الضعفاء فكان يسعى إليهم يساعدهم ولو كانوا من خصومه، ولعل في ذلك أيضا ما يرجع إلى طبيعته الرياضية.. تخرج من كلية الحقوق بالقاهرة في سنة 1943 وآمن بأنه سلح نفسه للعمل تسليحا كاملا، ولكن نقطة البداية لم تتضح له ثم عاد إلى تطوان في السنة المقبلة، وهناك توفر على درس الوضعية إلى أن استطاع أن يظفر بدهائه بموافقة الأسبان على قرار من سمو خليفة جلالة ملك مراكش بتعيينه بصفة رسمية رئيسا للوفد المراكشي بلجان الجامعة العربية.

عندما قدم إلى القاهرة تصرف بحكمة إلى أن تمكن من متانة الأرض التي كان يقف عليها، وهناك نهض في وجه الأسبان بصفة رسمية، ومتن علاقاته بسمو الخليفة، وكان الناس يستغربون في ذلك، لكن تبين لهم أخيرا أن هذا الممثل الرسمي ليس إلا داعية من دعاة القضية الوطنية في صورتها المتطرفة، وقد قابل سمو الخليفة هذا الاتجاه بحكمة بالغة سوف تسجل له في التاريخ بالرغم من الضغط الإسباني الذي بلغ في وقت من الأوقات درجة من الشدة لاتطاق(245).

ويكفي أن نقول إن المغفور له الشهيد محمد بن عبود أول مغربي قابل جلالة الفاروق، وهو "شرف" لم يشاركه فيه غير الأمير عبد الكريم الخطابي يقول بن جلون وقد أعجب به جلالته واستدعاه بعد ذلك إلى القيام مع ركبه الملكي في حفلة من حفلات الصيد.. وقد سيطر نشاطه الوطني البارع على حياته كلها فلم يقلع عن العمل والتفكير لأجل تحقيق مصالح بلاده، وقد عاش بقية حياته لشيء واحد هو المغرب العربي فكانت الوطنية جزءا من طبيعته.

وقد كان أكبر عمل قام به الإشراف على حركة تحرير سمو الأمير عبد الكريم الخطابي والتجائه إلى حمى جلالة الفاروق فقد كان نصيبه الأسد.."(246) وللأسف نجد

---

(245) كان هذا الأمير بحق من أصدق الأوفياء لقضية بلاده ممثلة في محمد الخامس كما هو في مذكرات محمد لغزاوي، كما أعرف أن لهذا الأمير مذكرات أليمة في بعض جوانبها وقفت عليها برغبة منه برفقة سمو الأميرين الحسن بن عبد العزيز ويونس بن عبد الحفيظ.

(246) مطبوعات مكتب المغرب العربي بالقاهرة عبد المجيد بنجلون بعنوان الثلاثة الذين استشهدوا في كراتشي بمناسبة ذكرى الأربعين بتاريخ 21 يناير 1950 ص 11–15 ط القاهرة م الرسالة خزانة المؤلف، لكن الأخ عبد المجيد نسي أن يدون للناس وللتاريخ أن كل ما قام به هذا الوطني الغيور رحمه الله لم يكن من صنع أحد بل=

بعضهم اليوم وبعد مضي عشرات السنين يدعى ويدعي؟؟!

ومهما يكن فلقد استطاع الشهيد امحمد أحمد بن عبود وفي وقت قصير أن يحقق ما كان يعتبر من قبيل المستحيل، ونزل البطل المغربي في ميناء بور سعيد ليجد في استقباله محافظ المدينة فؤاد شيرين باشا. ومندوبا بإسم ملك مصر فاروق هو محمد حلمي حسين، كما وجد في استقباله كلا من الزعماء علال الفاسي وعبد الخالق الطريس والحبيب بورقيبة وعبد المجيد بن جلون. وكان الذي رافق الزعيم الريفي وأسرته وهيأ كل الوسائل لاستقباله هو امحمد بن عبود الذي كان وراء كل ذلك بإمكانات كلها قروض تعتبر في ذلك الوقت بعيدة المنال لولا يقين الرجل أنها مهما كبرت وارتفعت فلسوف يغطيها سمو الخليفة الأمير الحسن بن المهدي وقد حصل بسخاء منه حين علم أن ابن عبود المغضوب عليه من الأسبان أقدم على ما أقدم عليه، ولا أمل له ولا رجاء في غير وطنية الخليفة السلطاني الذي كان بحق عند حسن ظن الرجل المنقذ والذي دخل التاريخ من أوسع أبوابه كما دخله سمو الأمير الخليفة بكل صدق ووفاء.

ولعل الجانب الذي لم يتعرف عليه كل الذين كتبوا حول قصة إنزال الزعيم الريفي بمصر هو ما كان لسمو الأمير الحسن بن المهدي من دور بعد سواء بما قدمه ماديا لحفظ كرامة المغاربة سواء أمام المصريين الذين يعني عندهم لفظ "الإمارة" مال وثراء وإمكانات، وشيء من ذلك لم يكن بالنسبة لبطل الريف العظيم الذي كل ممتلكاته وهي باقية قائمة لا تغطى نفقة سنة مما ضحى به سمو الأمير الحسن بن المهدي بن اسماعيل بن السلطان محمد بن عبد الرحمن رحم الله الجميع. وإن كان الزعيم الريفي له من المكانة والاعتبار ما لا يقدر بمال، ثم أمام المغاربة الذين كان زعماء الحركات الاستقلالية ضمن المستقبلين(247) وليس لهم من المادة ما يحفظ الكرامة فتولى ذلك ابن عبود

= كان من صنع القدر، ذلك أنه قبل شهرين فقط وبالتحديد في شهر مارس يقول سمو الأمير الحسن بن المهدي كان الاسبانيون قد أقاموها ضجة ضد بقاء محمد بن عبود ومحمد الفاسي الحلفاوي ممثلين للمغرب في اللجان الثقافية للجامعة العربية، لكن تمسك الأمير بهما زائد تمسك عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية حطما رغبة الأسبان وبقي محمد احمد بن عبود ليقوم بالدور الذي هيأ القدر للقيام به رحمه الله.

(247) قبل أن يجد لهم ابن عبود السكن اللائق تفرق آل عبد الكريم ذكورا وإناثا على مساكن أعضاء المكتب لفترة غير قصيرة.

بواسطة القروض اعتمادا على كرم الخليفة(248) وإذا كان موضوع تحرير البطل محمد بن عبد الكريم أكبر عدو للأسبان لم يكن للخليفة السلطاني علم به إلا بعد ما إنتشر الخبر وسمعه كما سمعه المغاربة الذين كانوا وراء الستار الحديدي، فإنه بعد ذلك إهتم بالخبر وكلف من حاشيته من يتتبع كل تفاصيله، وكانت المواصلات مع المشرق العربي متوفرة لمنطقة شمال المغرب بواسطة البريد الانجليزي، وفعلا قدم لسمو الأمير تقريرا مفصلا بدقة ساهم في وضعه الزعيم الطريس إلى جانب امحمد بن أحمد بن عبود ومحمد الفاسي الحلفاوي، ويوجد نص التقرير ضمن محتويات خزانة سمو الأمير إلى جانب وثائق لها اعتبار وتدخل في صلب المذكرات السياسية لسيرة الرجل الذاتية، والتي طالما اقترحت عليه جمعها وترتيبها وأجمل بداياتها الوطنية يرجع إلى عام 1938م لكن ما تعرض له في أخريات حياته من صدمات نفسية صيرت ذلك الاقتراح الذي كان قريب التحقيق بعيد المنال.

لما نزل محمد بن عبد الكريم في مصر سقط في أيدي الفرنسيين وتكشفت مؤامرة جورج بيدو عارية حيث أثارها مدبر المؤامرة ضجة فصب جام غضبه على مصر والمصريين، واستمر ذلك الصراع وتضخم أكثر منذ ما بعد المؤامرة التي أشرفت عليها وزارة خارجية فرنسا، وكان كلب الصيد فيها التهامي الجلاوي الذي سوف نتعرف بعد على فضائحه، فمنذ شهر فبراير اشتد الصراع بين فرنسا الحكومة ومصر، وأكثر بعد إبعاد محمد الخامس عن عرشه 1953 كما سنرى، وقتها سنة 1947 دخلت السياسة المصرية العربية في رهان مع طغيان الاستعمار الفرنسي إلى جانب الشعب المغربي حتى النصر، بحيث لم يقتصر عمل مصر أيام حكم حزب الوفد وفي عهد الثورة على فتح مكتب المغرب العربي والتجاء محمد بن عبد الكريم وغيره من الزعماء ورجالات الأحزاب الوطنية فحسب، بل ساعدت مصر الثورة بالوساطة من أجل الحصول على السلاح من الدول الاشتراكية والعمل بقوة لصالح قضايا المغرب العربي الكبير وفي أروقة الأمم المتحدة وفي مقدمة الدول الإفريقية الأسيوية كما سنرى واستمر التأييد مدة إبعاد محمد

(248) وأحيانا كان الواسطة في تلك القروض من الثري حمادة الطرابلسي وهو صديقه عبد الخالق الطريس كما رويت.

الخامس إلى أن أعيد بالقوة إلى عرشه وبعد استقلال المغرب وتونس استمر تأييد مصر للجزائر إلى أن حصلت على الاستقلال، ولقد كانت هذه الروح العربية الإسلامية من شعب مصر إزاء شعوب المغرب العربي وغيرها من الشعوب التي كانت ترزح تحت الاستعمار هو الذي دفع فرنسا إلى أن تنضم لكل من إسرائيل وابريطانيا في هجومهما على بور سعيد عام 1956م. راجع العدوان الثلاثي على مصرط الانجلو المصرية بدون تاريخ.

بقي لنا وقد نزل ابن عبد الكريم في مصر التي كان مكتب المغرب العربي قد تأسس بها والذي اجتمع فيه نشاط كل الأحزاب الوطنية الكبيرة المتطرفة ضد الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، فماذا كان موقف تلك الأحزاب وزعمائها من بطل الريف، وبالتالي ماذا كان موقفه هو كذلك من الزعماء الذين كانت أفراحهم بتحريره كبيرة وكبيرة جدا.

استمرت أعمال مكتب المغرب العربي وتمكن نشاطه وذاعت شهرته بما تحقق من إنزال محمد بن عبد الكريم في مصر، وزاد في سمعة المكتب بالإضافة إلى وسائل الإعلام المصرية والعالمية، ما قامت به فرنسا مقابل ذلك من رد فعل عنيف وبقسوة قاسية فجرتها ضد محمد الخامس وضد حزب الاستقلال، الأمر الذي أغرى زعامة حزب الشورى وقد كان رفاق محمد بن الحسن الوزاني حين استشيروا بواسطة بلافريج وعمر عبد الجليل وامحمد الزغاري وأحمد ابا حنيني في موضوع الانضمام إلى وثيقة المطالبة بالاستقلال خصوصا منهم عبد الهاديَ الشرايبي وعلي العراقي رفضا. وحين ارتفع صوت مكتب المغرب وظهر في الجو محمد بن عبد الكريم الريفي وجدها كل من الوزاني والناصري فرصة للإنضمام إلى المكتب، فعملا لذلك بالاتصال المباشر معه أو غير المباشر، وفي يوم4 /12/1948 تم اجتماع موسع برئاسة عبد السلام عم ابن عبد الكريم، وبحضور شقيقه امحمد بن عبد الكريم كما حضره ممثلون عن الأحزاب الوطنية حيث وضع ميثاق ليحل مكان الميثاق الذي بمقتضاه تأسس قبل مكتب المغرب العربي، والذي أطلق عليه إسم ميثاق "لجنة تحرير المغرب العربي" وقد صيغ من ثماني مواد هي كما يلي كان لابن عبد الكريم تدخلات في تعديلها، بل وفي وضع بعضها جملة وتفصيلا.

أولا: المغرب العربي بالإسلام كان وللإسلام عاش وعلى الإسلام سيسير في حياته المستقبلة.

ثانيا: المغرب العربي جزء لايتجزأ من البلاد العربية. وتعاونه في دائرة الجامعة العربية على قدم المساواة مع بقية الأقطار العربية أمر طبيعي ولازم.

ثالثا: الاستقلال المأمول للمغرب العربي هو الاستقلال التام لكافة أقطاره الثلاثة تونس والجزائر ومراكش.

رابعا: لاغاية يسعى لها قبل الاستقلال.

خامسا: لا مفاوضة مع المستعمر في الجزئيات ضمن النظام الحاضر(249).

سادسا: لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال.

سابعا: للأحزاب الأعضاء في لجنة تحرير المغرب العربي أن تدخل في مخابرات مع ممثلي الحكومة الفرنسية والإسبانية على شرط أن تطلع اللجنة على سير مراحل هذه المخابرات أولا بأول.

ثامنا: حصول قطر من الأقطار الثلاثة على إستقلاله التام لا يسقط عن اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير البقية.

ووافق على هذا الميثاق محمد بن عبد الكريم الخطابي ورؤساء الأحزاب الوطنية المغربية التالية: وهي الأحزاب المؤسسة للجنة ومندوبوها:

تونس: الحزب الدستوري التونسي الجديد الحبيب بورقيبة والحبيب ثامر.

الحزب الدستوري القديم محيي الدين لقليبي.

الجزائر: حزب الشعب الجزائري، الشاذلي المكي والصديق السعدي

المغرب: حزب الاستقلال: علال الفاسي وأحمد بن المليح.

حزب الشورى والاستقلال محمد العربي العلمي والعميل المسمى ناصر الكتاني

حزب الإصلاح الوطني : عبد الخالق الطريس وامحمد أحمد بن عبود.

---

(249) وكان هذا يعني قطع الطريق على المحاولة التي حاولها حزب الشورى مما عرف بمشروع الوزاني جوان، والذي قال عنه الجنرال جوان :إن هذا الحزب وضع مشروعا لدستور البلاد وقدمه إلى، فنصحته بأن يقدمه للسلطان لأنه رئيس الدولة، ولأن إستشارته واجبة وهو يقول أريد هذا أو ذاك، فأنقل إرادته إلى الحكومة الفرنسية".

وقد أثار مشروع الوزاني مناوشات طويلة مع الحزب راجع جريدة الاهرام المصرية.1948/1/26 ومجلة الرسالة ما بين محمد شاكر ومحمد العربي العلمي الذي وصفه شاكر بنعوت لم يتحمل سماعها.

حزب الوحدة المغربية: محمد اليمني الناصري وهو الوطني السلفي صاحب كتاب ضرب نطاق الحصار على نهاية أهل الانكسار نيابة عن شقيقه.

وتكون مكتب اللجنة من محمد بن عبد الكريم الخطابي كرئيس دائم. وشقيقه امحمد بن عبد الكريم الخطابي نائبا له ومن الحبيب بورقيبة كأمين عام، وامحمد أحمد بن عبود أمين للمال(250).

وبعد إقرار هذا الميثاق وتكوين مكتب اللجنة أصدر ابن عبد الكريم بيانا عن الموضوع(251) وكان الذي كتبه حسب رغبة كل الذين حضروا هو علال الفاسي الذي سيعرف صراعا مريرا مع ابن عبد الكريم المجرور ببعض أولاده ودسائس الشوريين.

---

(250) أورد الأستاذ الفاسي هذا الميثاق في كتابه عن الحركات الاستقلالية ص 409–10 ط1948 ولم يذكر اسماء الذين مثلوا الأحزاب حين إقرار ذلك الميثاق وتأليف لجنة تحرير المغرب العربي.

(251) راجعه في الحركات الاستقلالية 408–9–11، أما عن ناصر الكتاني الذي ناب عن حزب الشورى إلى جانب العلمي فلسوف تكشف فضيحته التي سيحكم عليه بسببها بالسجن المؤبد حيث كان هذا عميلا لقلم المخابرات الفرنسي بواسطة عمه عبد الحي الكايتاني، وإذا هو استغل الجنسية السورية فإن أمره إفتضح حيث ألقي عليه القبض متلبسا بجريمته في منزله بالقاهرة يوم 1956/8/24، وقد كان عنده الفقيه محمد بن بوبكر التطواني السلاوي الكتبي الذي قدم وقتها لشراء الكتب... وحكم على ناصر الكتاني في عهد عبد الناصر بالسجن المؤبد لكن السادات أطلق سراحه بوساطة مغربية بعد . هو ومعه عبد الله بن الصديق لغماري ولاكتشافهما قصة ساهم فيها موظف في بريد طنجة "أكومي" كانت مهمته الوطنية الاهتمام بكل ما يرد من القاهرة وغيرها وكم أفاد في هذا المجال بحيث كان للحزب علم بفضائح ناصر الكتاني قبل تلك التي قادته إلى المشنقة، لكن سياسة الحزب وقتها كانت تقتضي عدم الدخول في تلك المهاترات وتركها إلى أن اكتشف الخائن المجرم متلبسا بجريمته ثم حكم عليه، ولما عاد بعد العفو وجد الرياحين مفروشة في طريقه مما يستدل به على ما آل إليه المغرب.

الفصل التسعون بعد المائتين

الصراع بين المغاربة في مصر (384)

من خلال مذكرات المؤلف

لقد كتب بعض المشارقة حول هذا الموضوع بطريقة لا علاقة لها بالحقيقة والواقع، وإنما ذلك منهم ليدللوا أنهم كانوا على صلة بشؤون المغاربة ومعرفة بما كان بينهم من صراع حوروه عن الحقيقة التي لم يتعرفوا عليها .

رأينا أنه حين علم بمرور الزعيم الريفي بميناء عدن وتوجهه نحو موانئ مصر كان الطريس وعلال الفاسي أول المتحمسين لإنْزَالِ البطل المغربي بمصر واحباط المؤامرة التي كانت فرنسا تدبرها من وراء الرجل وضد المغرب والمغاربة ملكا وشعبا، وحين نزل واستقر به المقام كان علال من المستبشرين خيرا باتحاد العاملين بإسم الحركات الاستقلالية في مكتب المغرب العربي حول زعامة ابن عبد الكريم باسم "لجنة تحرير المغرب العربي" التي إنضم إليها باسم "حزب الوحدة"(385) طيب الذكر الأديب السلفي محمد اليمنى الناصري الذي كان وقتها مقيما بمصر منذ عهده بإدارة بيت المغرب الذي سمحت بتأسيسه إسبانيا لايواء البعثة الطلابية التي وجهها سمو الخليفة الأمير الحسن بن المهدي إلى مصر عام 1938، كما انضم إلى لجنة تحرير المغرب العربي حزب الشورى وقد مثله شخص ساقط سيكون مآله الحكم عليه بالسجن المؤبد من طرف العدالة المصرية التي تأكد لها بعد تحقيق مركز أن الرجل كان من عملاء المخابرات الفرنسية المندسين

---

(384) كان لا بد من هذا الفصل حتى يعرف المهتمون بتاريخ هذه المرحلة الحقيقة، وأنها غير ما كتب الصاغ أركان حرب فتحى الذيب رئيس قلم مخابرات الجيش في مصر الثورة وقتها، والذي ما كان له أن يعرف ما كان بين المغاربة من خلفيات نتج عنها بعض ما عرفه الصاغ وغيره من صراع ثم سجله في مذكراته التي لا تخلو من بعض الحقائق خصوصا وأنه تدخل مرات في فض النزاع الذي كان طرفا فيه احد أبناء ابن عبد الكريم وهو عبد السلام الذي كان مختلا عقلا والذي كان يحمل رتبة عسكرية تفضل عليه بها المصريون لكنهم تنادموا.

(385) كان حزبا وهميا قوامه محمد المكي بن سعيد الناصري الذي تزعمه نزولا عند رغبة المقيم العام الاسباني بيك بيدير يقول علال. بل الناصري هو الذي لما حاول معه السيد محمد الغزاوي ترك أسلوب الخصام والنزاع مع حزب الاستقلال طلب منه مقابل ذلك ان يعوضه ما كان يتقاضاه من الاسبان وهو مبلغ 12000 بسيطة فكان له ذلك مدة إقامة الغزاوي في مدينة طنجة إلى أن رحل إلى الولايات المتحدة أواخر عام 1951م.

في الجامعة العربية بواسطة الجنسية السورية، ذلكم هو ناصر الكتاني الذي أطلق سراحه السادات بوساطة مغربية كما أشرنا.

عندما نزل ابن عبد الكريم الخطابي بمصر القاهرة، كان قد مضى على نفيه أكثر من عشرين سنة، عرف أثناءها من عدم الشفقة ما عرفت به سياسة الاستعمار الفرنسي الذي كان عربونه ما آل إليه واقع البطل المغربي الذي أصبح مريض الجسم عليل الصحة إلى درجة أن صحته كانت قد انهارت لولا الإسراع بعلاجه، وذلك ما عمل له امحمد أحمد بن عبود الذي كان المشرف على كل ما يتعلق بالرجل وأهله وعشيرته كما سبق حتى إنه بعد استقبال فاروق لإبن عبد الكريم، وكان بقصر عابدين بالقاهرة يوم 3 يونيه 1947 كان أول ما سعى له ابن عبود بواسطة كريم ثابت الملحق الصحفي بالقصر الملكي هو العمل حتى يذهب الرجل إلى مصحة خاصة، ونظرا للظروف التي أنزل فيها اختير أن يتوجه إلى قصر أنشاص ثم يكلف من الأطباء من يعملون بعناية حتى يسترجع الرجل عافيته. وفعلا توجه ومعه إحدى زوجتيه وأبناؤها الثلاثة الصغار، وكان في رفقة الحميع امحمد أحمد بن عبود، وإذا كان الرجل وقتها في نهاية العقد السابع من عمره ثم هو بلاشك رأى من المحن قبل النفي وأثناءه ما يصعب معه استرجاع العافية وسلامة الجسم، فإن ذلك مما حال بين الزعيم الريفي ومباشرة العمل بالإتصالات اليومية ومعرفة ما يجري من الأحداث بواسطة العمل اليومي أو حتى الأسبوعي بمكتب اللجنة الذي كان بشارع ضريح سعد رقم 10 وسكن الزعيم الريفي أولا كان بحومة الحلمية ثم انتقل إلى حدائق القبة، وبين المكتب والسكن مسافة سفر أكثر من 20 كلم تحتاج إلى شد الرحال. الأمر الذي جعل الأعمال تسير كما كان مكتب المغرب العربي لامجال فيه لغير الأحزاب الاستقلالية في كل من تونس والجزائر والمغرب وإذا كان ممثل حزب الوحدة بما عرف به من تنافر مع الآخرين قد إكتفى بالزيارة للمكتب لماما. فإن ممثل حزب الشورى وقد كان شبه معروف بأعماله من ممثلي الأحزاب لم يجد له مكانا بين القوم مما دفع إلى أن يكون بجانبه محمد العربي العلمي، لكن رغم ذلك فالمكتب وان كان بحكم الميثاق المؤسس للجنة هومفتوح للجميع فإن النشاط فيه والذي يحتاج إلى إنسجام في المبدأ كما يحتاج كذلك إلى إمكانات مادية كان محرجا لغير الأحزاب الاستقلالية التي كانت تتوفر على المادة

نوعا وكذا على العاملين المنشطين وإذا كانت المادة مصدرها الجامعة العربية « 70 جنيها مصريا » شهريا فإنها كانت ضئيلة لا تكفي لغير إيجار المكتب وأجرة علي "الفراش" وضارب على بعض الآلة لإعداد النشرات التي كان كل قسم يشترى من الورق اللازم لها ما يعنيه، وحتى الغرف الخاصة بالمكاتب لم يكن منها بمكتب المغرب القديم رقم 10 شارع ضريح سعد غير ثلاثة أكبرها للتونسيين المؤسسين وثانية للمغاربة يشغلها أحمد بن المليح وعبد المجيد ثم ثالثة لحزب الشعب، وقاعة للكتب والاجتماعات وغرفة صغيرة لاستقبالات من كان حاضرا من الزعماء ثم مطبخ صغير لإعداد الشاي.

وهكذا كان على الذي يريد أن يعمل إلى جانب الجماعة عليه أن لا يعتمد على مساعدة الجامعة العربية فقط، بل يجب أن تكون له إمكانات مادية وبشرية كذلك ، وهذا ما توفر لحزب الاستقلال دون غيره من المغاربة في القاهرة التي يوجد فيها ابن عبد الكريم الخطابي الذي أصبح بحكم ما جد من ميثاق هو الرئيس الدائم وشقيقه النائب عنه، والأمانة العامة بعد تجديد الانتخاب أصبحت بيد علال الفاسي، وأمانة "المال" بيد د. الحبيب ثامر، الأمر الذي أغلق الأبواب وبعث اليأس في نفوس الذين لم يجدوا لهم مكانا بين القوم رغم أن ميثاق اللجنة معترف بهم، وإذا ما سار النشاط كما كان وحتى الزعيم الريفي الذي لم يكن له إتصال بمكتب اللجنة، بل أصبح هو نفسه يقرأ الأخبار عن المغرب كما ترويها الصحف التي كانت تستقي أخبارها مما يرد عن الحزب من المغرب ويصدر في نشرة باسم الحزب، فإنه هو الآخر تعرض لشيطنة بعض الموتورين الذين بدأوا أعمالهم من قبل لكنهم زادوا حدة عندما بدأ التحرك لتجديد الأمانة العامة، وانفجر ماكان في النفوس عندما انتخب علال يوم 10 ماي 1948 خصوصا وهو الذي قيل في حقه ظلما ووشاية من القوم انه لم يكن راض على رئاسة الزعيم الريفي للجنة، وإذا كان لإبن عبد الكريم رحمه الله طبع كاد يحجبه عن الذين كانوا يقدمون إليه سواء تعرف عليهم أو لم يتعرف عليهم بأفكار لا ترضيه أو قيل له عنهم كلاما لا يعجبه، وكان هذا شأن الأغبياء من الذين كانوا يحيون على هامش الحياة السياسية في القاهرة والذين كانوا بوسيلة أو بأخرى يترددوا عليه كثيرا ثم يستعطفونه بالشكوي كمتظلمين، وأن الذي يظلمهم هو حزب الاستقلال، وما حزب الاستقلال في القاهرة وقتها وقبل جموع الطلبة الذين سوف

لا يتكاثرون إلا بعد الخمسين إلا علال الفاسي وأحمد ابن المليح وعبد المجيد بن جلون، أما عبد الكريم غلاب والعربي بناني وعبد الكريم بن ثابت فقد رحلوا عائدين إلى المغرب منذ 1948، وإذا كان علال الفاسي وحده ولو بدون معين حين يوجد في مكان ما يحوله إلى حركة ونشاط يتعاطف الناس فيه معه حتى لو كان المجتمع على مذهب لينين أوماو أو هوشمين، فضلا أن مجتمع القاهرة وقتها كان مجتمع الوفد وجماعة الإخوان المسلمين وجمعية الشبان المسلمين وبضاعة علال وسمو ثقافته مما يحرك عواطف كل أولئك تحريكا قويا لا يستطيعه غيره مهما فعل.

وإذا ما ملأ علال كل أوقاته كاتبا ومتصلا ومحاضرا، فإن القوم الآخرين كانوا يملؤون أوقاتهم أكثر بالتردد على ابن عبد الكريم الذي لم يكن لهم من العملة ما يتصرفون بها معه وبمحضر أبنائه البسطاء غير الكذب والاختلاق ضد حزب الاستقلال وزعيم حزب الاستقلال من جانب، والتجسس عليه وعلى الحركة الوطنية عامة، وكان في مقدمة هؤلاء ناصر الكتاني ومن تلاه، والذي إنتهى به المطاف في عهد عبد الناصر إلى الحكم من طرف العدالة المصرية بالسجن المؤبد لأنه ضبط متلبسا بجريمته التي كانت هي التجسس لفائدة المخابرات الفرنسية التي كان يزودها وعن طريقها لإسرائيل بالوثائق التي كان يختلسها من إدارة الجامعة العربية التي كان موظفا فيها بواسطة الجنسية السورية وذلك بواسطة من كان يرسلها له عن طريق طنجة وهو عمه عبد الحي الكتاني، حتى إنه كان أحيانا يسافر من مصر إلى المغرب سرا ولا حسيب ولا رقيب، في الوقت الذي كانت أسوارالمغرب من حديد، وإذا ما ضبط وحكم عليه بالمؤبد فإنه لم يطلق سراحه إلا في عهد أنور السادات وبوساطة مغربية كما سبق مما أدى إلى ما عرفه المغرب المستقل من أزمات مع سوريا لم تقتصر على ما سببه الكتاني بل ومثله أحمد العسة الذي عرف بخيانته لوطنه سوريا وللمغرب والمغاربة الذين أهانهم في سبيل فرنسا أيام حكم سيده أديب الششكلي وعمل العسة بمحطة الإذاعة كمدير لم يحقر فقط من شأن النشاط السياسي الوطني كما فعل مع المغاربة ونشراتهم التي كان لا يكتفي بتمزيقها، بل وبالكلام البذئي لمقدميها، وإذا هو لم يجد ملجأ غير المغرب فإنه عرف فيه من التركيم بعد موت محمد الخامس ما افتقده الوطنيون وامغرباه إلى أين المصير أيها

التاريخ. وكل هذه الموبقات كان من ورائها الشورى المهرج ذو الوجوه المتعددة أحمد بن سودة الذي وجد مبتغاه في الجماعة التي سيطرت وعلى رأسها أحمد رضا كوديرة الذي لم يخفى عداءه لكل ما له صلة وذو وفاء لمحمد الخامس الذي كان يمقته ولا يطيق رؤياه، حتى أنه أمر بعدم قبوله خصوصا بعدا اطلاعه على الملف الذي كان قد وضعه له ج أحمد الشرقاوي من خلال الوثائق المسجل لخيانته إثرإ إبعاد محمد الخامس 1953 بل وما كان معروفا به من انحراف يعرفه به الكبار والصغار من أهل الرباط التي كان شبه متزوج به أحد أبنائها «م رشن»

ومهما يكن فقد كان الكتاني ومن على شاكلته من الذين كانت لهم ملفات مضبوطة بأعمالهم ضد المغرب ثم ضد حزب الاستقلال، وبالتالي من يناصر حزب الاستقلال في مكتب المغرب العربي إلى درجة أن تلك الملفات ضمت وثائق بتصريحات لبعضهم تستوجب العقاب الشديد لأنها عبارة عن الخيانة في أخس مظاهرها، لأن القوم بدافع الحقد والحسد لم يقتصروا على استغلال سلامة نية ابن عبد الكريم الخطابي وحسن طويته، وما آل إليه بحكم الشيخوخة التي صيرت منه شخصا شاذ الطبع حاد المزاج ذو حساسية وانفعال، سريع الغضب والتراجع في آن واحد، ولولا وجود عمه عبد السلام المتدين رحمة الله عليهم جميعا والذي كان إلى جانبه، ورغم أنه أكبر منه سنا إلى جانب شقيقه محمد وكلاهما كانا يحاولان كبح جماحه بالتخفيف والتلطيف من الحدة التي سببت له الكثير من المشاكل حتى مع الصحفيين الذين كانوا يترددون عليه ثم يخرجون من عنده بأقوال هي من العنف والشدة وعدم التقدير لما ينتج عنها لو نشر ت، فكان الأخ والعم ينسخانها من ورائه بالتنبيه إلى عدم إعتمادها أو نشرها، ومع ذلك كان فضول الصحافة كثيرا ما يدفع بعضهم إلى النشر الذي وان كان لا يقابل بالرد كتابة، فإنه كان يقابل بالرد والتشهير الذي كان يفضى إلى مناقشات هنا وهناك تنتهي إما إلى التصحيح من غير المتحمسين المجربين، وإما إلى رد الفعل والتجريح من المتحمسين المندفعين غير المجربين، وذلك كان داء العصر كسلوك حزبي في عهود النضال من أجل بناء الوطنيين وهدم المنافقين، ومن حيث لا يدرك القوم الذين كانوا لا ينتمون إلى مذهب الزعيم ابن عبد الكريم بل وثلاثة من أبناء ابن عبد الكريم الخمسة والعصابة من الذين

كانوا معهم في القاهرة، الكل وجدوا أنفسهم داخل دوامة التطاحن الحزبي الذي لم يكن لآل ابن عبد الكريم فيه ناقة ولا جمل، وإنما إنجروا إليه من بعض الشوريين المنبوذين من مكتب المغرب العربي، وقد كان أبناء ابن عبد الكريم من حيث لم يدركوا مقاصد الذين كانوا وراء القوم بسياسة السفارتين الفرنسية والاسبانية، الأولى كان يعمل لها ناصر الكتاني وقد حكم عليه جمال عبد الناصر بالمؤبد والثانية كما ثبت لرجال مكتب المغرب كان يعمل لها لخضر الورياش الذي اتخذ من رفقة الأبناء الثلاثة للبطل المغربي عبد الكريم وعبد السلام وسعيد وقاء كان يتستر بهم فيقوم إلى جانب العمالة والتجسس بالاتجار في المخدرات مع بعض المنحرفين، فكان ذلك يمكنه من التقرب إلى الرفقاء بما يشتهون، خصوصا وقد لعبت الأهواء وطيش الزيغ ونزوات المجتمع المنحرف الذي تلقفهم ثم أغدق عليهم بعد الحرمان فدفع بهم إلى التصرف بعقولهم الجاهلة التي قط لم تفارق زمن المراهقة حتى وقد مضى من أعمارهم ما مضى مما كان لولا الانحراف يرفعهم إلى مصاف الرجال، لكنهم بقوا بعقولهم أطفالا بما سلطه عليهم المرتزقة من المغامرين المنحرفين الذين كانوا يعدون بالعشرة يتزعمهم الورياش، والذين بلغت السذاجة بأحد أبناء ابن عبد الكريم حتى أنه تقدم يطلب لهم الترخيص بحمل السلاح من وزارة الداخلية المصرية التي كان على رأسها زكريا محيى الدين أحد رجالات الثورة المصرية التي قادها محمد نجيب بتاريخ 23 يوليو 1952م وقد نشرت الصحافة خبر طلب عبد الكريم ولد ابن عبد الكريم ومنها مجلة آخر ساعة عدد "1011" بتاريخ يوم الأربعاء 10 مارس 1954م كما نشر الخبر مع ماورد من أخبار عن غير المرغوب فيهم وسلبهم من الجنسيات المصرية، مما يستدل به على ما إنتهى إليه القوم وما جره عليهم السماسرة يتقدمهم الورياش الذي ظهرت بعد عليه الثروة التي كان مصدرها الاتجار بالمخدرات والتي قيل أفادته إلى جانب ما كان يقوم به من خدمات للاستعمار ضد بلاده حتى بعد الاستقلال فتحقق له في المغرب ما حرم منه الذين قاوموا وناضلوا من أجل التحرير، وهم كثيرون من أبناء الريف وغيرهم وهذا ما لم يدركه كاتب جريدة لوموند الذي خاض في الموضوع عن جهل:(386).

(386) راجع لوموند بتاريخ 1952/6/20.

كان المنحرفون من أبناء ابن عبد الكريم إلى جانب ما أشرنا له وما سنذكر من عوامل دفعت الثلاثة من الأبناء وخصوصا منهم الأكثر طيشا والمنحرف المزاج عبد السلام فكانوا يخوضون ويلعبون من وراء أبيهم ويفعلون ما يكدر صفوه إلى درجة أنهم تسببوا له في مشاكل أزعجت عهد الثورة ورجال الأمن من حيث لا يعلم الأب أو يدري وهم الذين كانوا يهبون ورفاقهم إلى مكتب المغرب العربي الذي تحول إلى مكتب لجنة تحرير المغرب العربي فيتسلطون على من فيه من المغاربة سبا ونهبا بدعوى أن ممثلي الأحزاب به يتصرفون فيما لا حق لهم فيه، ويتكلمون بإسم من لاحق لهم أن يتكلموا بإسمه، وأن لاحق لأحد منهم أن يتصل بأي كان من غير إذن والدهم الذي هو الرئيس الفعلي للجنة تحرير المغرب العربي، وكان هذا التدخل قد بدأ خفيفا منذ عام 1948 وفي الوقت الذي أسندت الأمانة العامة إلى الزعيم علال الفاسي وأمانة المال إلى الدكتور الحبيب ثامر بإنتخاب مباشر من الأعضاء العاملين بتاريخ 1948/5/10م حتى إذا ما غادر علال القاهرة ثم عاد إلى طنجة استراح الذين كانوا بمكتب المغرب العربي 10 شارع ضريح سعد، ولم يعرفوا مناوأة ممن سبق ذكرهم إلى أن عاد علال إلى القاهرة ليستقر بها بعد مع أسرته منذ عام 1951 بعد ما إشتد الخناق على إقامته بطنجة التي أتهم فيها مع الطريس ومحمد لغزاوي(387) وآخرين بالإخلال بالأمن العام، ذلك لأنه منذ مابعد الرحلة الملكية لباريز في 5 أكتوبر 1950 كانت قد زادت الهوة عمقا بين العاهل ومن ورائه حزب الاستقلال، وبين الإقامة العامة وعلى رأسها الجنرال جوان بل والحكومة الفرنسية ومن ورائها طبقة المستعمرين، فإن حزب الاستقلال في هذه الفترة وقد زادت حرارة الصدام بين الفريقين، استطاع أن يزيد في حرارة الاندفاع الوطني ومقاومة الاستعمار، حرارة أسهم فيها علال الفاسي بطريقة فعالة بتزويده صحافة المشرق الغربي(388) بكثير من

(387) كان الذي هرب علال من طنجة إلى القاهرة بعد هو محمد لغزاوي الذي أرسل المس بوب الصحفية الانجليزية إلى السفارة المصرية بمدريد حتى تمكنه من تأشيرة الدخول إلى مصر وذلك بعد ما دبر له النقل برشوة إلى مدريد ومع ذلك وقع حجزه في المطار لولا تدخل السفارتين المصرية والعراقية راجع جريدة الزمان المصرية بتاريخ 1951/3/11 وإذا ما تم تهريب علال إلى القاهرة كان على محمد الغزاوي الذي هربه ان يبحث له هو الآخر على ملجأ فرارا من ملاحقة الجنرال جوان الذي كان مصمماعلى الانتقام منه، ولذلك توجه محمد الغزاوي مع أسرته إلى أمريكا، حيث كان منزل محمد الغزاوي وامكاناته هي الملجأ لكل المغاربة الذين يتوجهون للدفاع عن المغرب في أروقة الأمم المتحدة ومنهم باهي الادغم. التونسي الذي بقي يذكر له ذلك الجميل مدى الحياة.

(388) كان أهم تقرير أرسله إلى الجامعة العربية قد نشره بجريدة المصري صديقنا محيي الدين فرحات محرر الشؤون العربية بنفس الجريدة بتاريخ 1951/3/22 ولسوف نتعرف عليه بعد.

الأخبار الوطنية التي وجدت لها رواجا كبيرا وبطريقة وأسلوب كان العاملون في المجال قد ابتكروهما بعد الحملة التي قام بها الجنرال جوان، والرحلة التي ذهبت به من باريس إلى أمريكا، وكل ذلك كان بتواطؤ جماعة كبيرة من المستعمرين ورؤوس المال الفرنسيين الذين إتخذوا لهم بعض العسكريين الذين جرهم الجنرال جوان إلى المعركة. وإلى جانب هؤلاء وأولئك كانت طبقة من العملاء المغاربة بتقدمهم العبد الآبق التهامي الجلاوي والشيخ المريض المنحرف الجاني عبد الحي الكتاني، وكلاهما تعرفنا عليهما قبل وسوف نتعرف عليهما بما يكفي، بل تحركات هؤلاء وأولئك أدت إلى حوادث 25 فبراير1951 وهو اليوم الذي بدأت فيه فرنسا بزعامة وزير خارجية حكومتها شومان الذي ورث مخطط جورج بيدو، فنهج ضد العاهل نهجا آخر قوامه القوة والعنف بواسطة كبير كلاب المزابل التهامي الجلاوي والمركوب المريض الذي كان معه وهو الكتاني كما سنرى، أما البداية فقد كانت بالحملة المسعورة من الدعاية ضد العاهل.

في هذه المرحلة التي كان الامتحان فيها إلى جانب ما كان حزب الاستقلال قد حققه من نجاحات منذ ما بعد 1944 قد مكنت لرصيده ثم دفعت به إلى أعلى درجات النضال التي أصبحت هي عنوانه وما يعرف به في كل أقطار العالم العربي الإسلامي، وإذا كانت عاصمة الإعلام العربي هي مصر القاهرة وفيها سفارتي كل من فرنسا وإسبانيا فإنهما وإن كانت الأولى وقتها أشد حقدا وجدتا أن الجو أصبح خانقا، ويجب على العاملين فيهما أن يتحركوا، وإذا كان مكتب المغرب لم يعرف من النشاط والقوة بل والفعالية ما أصبح له إلا بعد تكاثر الطلبة الذين أصبحوا شبه مجندين أنى وجدوا وحيثما حلوا وجلهم كان يتوصل بنشرات المكتب، وهذه النشرات تحمل أخبارا وتلك الأخبار تنشرها الصحافة المصرية على مختلف ألوانها، ونشرها يقتضي التعرف عليها من جمهور القراء، وحيوية الطلبة المصريين في مصر كانت تشارك في كل عمل وطني حتى إنهم وبدون نقاش كانوا من أقوى العناصر التي كشفت بهتان فاروق ونشرت التذمر ضده وضد سياسة الذين كانوا حوله أحمد حسنين وبولي وغيرهما ومن جملة ما استمد الطلبة المصريون منه القوة مواقف محمد الخامس ومنها موقف 25 فبراير 1951 والذي كان قد فضح مؤامرة الفرنسيين وقتها هو ما حدث في مصر القاهرة من مظاهرات

وإضرابات بالإضافة إلى أنها هددت وجود الفرنسيين وسفارتهم، فكانت مظاهرات الطلبة التي انطلقت من كلية دار العلوم ومدرسة نهج الدبارة قرب لاظوغلى ثم إنضم إليها طلبة مدرسة الأورمان وغيرها حيث جالت أغلب شوارع القاهرة الشمالية ما بين شارع شريف وشارع سليمان باشا ثم شارع فؤاد إلى ميدان ابراهيم ثم عادت إلى مركز الجامعة العربية بباب اللوق وقتها ومن جملة هتافاتها كانت الجماهير تردد بحماس تحية محمد الخامس والشعب المغربي، وحول تنفس المصريين مما يعني أوضاعهم، كانوا يرددون عبارة خطيرة ضد فاروق مست كرامته وهي "إلى أنقرا يا ابن المرا" وكلمة المرا" عبارة جد قبيحة وفيها تحقير لأن معناها العاهرة الأمر الذي دفع مباحث شمال القاهرة قسم السيدة زينب إلى أن يكثف من نشاطه وحتى لا يتهم بالإهمال كان على المسؤولين فيه أن يجدوا لهم متهما ينصب عليه الغضب الذي بلغ النهاية في قصر عابدين، وإذا كان المصريون جميعا وحتى رجال المباحث أنفسهم قد ملوا إرهاق فاروق فإنه من الصعب وقتها توجيه التهمة لمصري ما، وربما يكون من أنصار حزب الوفد أو الإخوان المسلمون مما لو حصل يؤدي إلى كوارث وفتن يعلم الله منتهاها، لذلك كان على عميد مباحث شمال القاهرة "رشدي لبيب"(389) أن يشرف بنفسه على إلقاء القبض على المدبرين للمظاهرة الذين ثبت أنهم قبل أربع وعشرين ساعة كانوا قد وزعوا المناشر في المنطقة وعلى المدارس من الدقى إلى العتبة الخضراء والأزهر ثم إلى باب الشعرية والظاهر، وروض الفرج ثم إلى منطقته بقصر العيني والسيدة زينب، وكانوا إلى جانب إخوانهم المغاربة من الشبيبة الوفدية الذين كان المحمس والمشجع لهم الدكتور بلال الذي وجب شكره باسم كل المغاربة ومن شباب الإخوان المسلمون "اذكر منهم محجوب عمر، وفوزي فارس وعبد المجيد المغربي وفاروق شوشة والزنقلي ومحمد الوزير وغيرهم من طلبة كلية دار العلوم الذين يستوجب جميلهم أصدق العرفان، وإذا ما ألقى القبض على محمد عبد الكريم الفيلالي بتهمة الإخلال بالأمن الذي كان منه إحراق مكتب الطيران الفرنسي بشارع سليمان "ايرفرانس" وكسر زجاج مقر السفارة الفرنسية، ثم إحراق عربتين من قطار "اطروموای" القاهرة بشارع قصر العيني، يوم 26 فبراير 1951 وأثناء

(389) في مذكراتي إلى جانبه كذلك اسم رشدي متولى ولست أدرى أيهما كان المسؤول الأول.

التحقيق كانت الأجوبة بما يرضي الوطنية المصرية التي لم يكن يرضيها إلحاق الضرر بأحد في موقف وطني كهذا، واشتد عطف الجميع عندما صممت على أنني الذي وزع المناشر ونظم المظاهرة، ومن الذي كان يهتف "إلى انقرا يابن المرا" وبيني وبينك أيها القارئ لفظ "المرا" ولهجة الشارع المصري كنت لاأ عرف أنها تعني المومس، وكانت التي تعنى بها وقتها "نازلي أم فاروق" فما كاد ينطق بالعبارة شخص لم أعرفه كان يجلس إلى جانب العميد رشدي لبيب حتى أجبته بسذاجة متصنعة "معناها يابيه؟.. فابتسم ونظر إلى صاحبه، ثم ختم أسئلته قائلا: وهل تعرف أن كل هذه الاعترافات تدينك بنص القانون؟ أعرف، ولكن شيئا من ذلك لم ولن يحصل يابيه، وكيف؟ لأنني في وطني الثاني أدافع عن وطني الأول. وإذا ما انشرحت للجواب أسارير رشدي لبيب أدركت أن المكالمة التي تلقاها من وزارة الداخلية حتى ينقلني إليها كانت مبشرة بالسلامة، وفعلا نقلت إلى الوزارة بلاظوغلى التي كانت قد تلقت إشارة بأن جموع الطلاب قد إعتصموا في كلية دار العلوم وآخرين بدأوا يستعدون بتجديد مظاهرة ضخمة سيكون إنطلاقها من ميدان جامعة "فؤاد" بالجيزة، والذين يعدون لها أيضا هم الشباب الوفدي والحكومة حكومة رئيسه النحاس ووزير الداخلية هو فؤاد سراج الدين والمتعاطف مع المغرب والمغاربة وقتها أكثر، وبعد عبد الرحمن عزام والشخصية الثانية في حزب الوفد بالنسبة لنا نحن المغاربة عموما كان هو الدكتور محمد صلاح الدين زميل بلافريج والكل تحرك وقتها بعطف على المغرب ورائده محمد الخامس وإذا كانت الاتصالات من مختلف الجهات التي إتصل بها بعدما ألقي القبض على الفيلالي كل من الأخوين أحمد بن المليح وعبد المجيد بن جلون اللذان تجند معهما سامي حكيم محرر الشؤون العربية بجريدة الأهرام ومحيي الدين فرحات محرر الشؤون العربية بجريدة المصري، وكلاهما زارني بمقر وزارة الداخلية ثم كتبا حول القصة في اليوم التالي 27 فبراير1951. وإذاكان الخطاب الذي ألقاه الفيلالي أمام رجال الجامعة العربية وداخل حرمها قد أبكى عبد الرحمن عزام فإن محمد التابعي في اليوم التالي كتب حول "عبرات اللؤلؤ. ولمدة أكثر من أسبوع كانت الصفحات الأولى لكل الجرائد "المصري والأهرام والزمان والأساس والبلاغ والمقطم ومختلف المجلات التي احتفت بها لا حديث لها إلا حول العاهل العظيم محمد الخامس الذي

يحارب دولة فرنسا بكل إمكاناتها ولا إمكانات له غير الإيمان القوي الذي زرعه في شعبه، وفي الطليعة حزب الاستقلال الذي أصبح الكبير والصغير يتحدث عن المعركة التي يخوضها المغاربة ملكا وشعبا بقيادته ومن أجل انتصارهم على الإقامة العامة التي تطالب العاهل بالبراءة من الحزب كما سنرى.

بعد هذه المرحلة التي أصبح لمحمد الخامس وحزب الاستقلال بعدها ذكر على كل لسان في مصر والمشرق العربي الإسلامي، بدأ نشاط السفارتين الفرنسية والإسبانية ضد الطلبة، أما الأولى وهي التي بحكم ما فرضته معاهدة الحماية فقد كانت هي المعنية بما يحتاج إليه المغاربة عموما من تعريف وتجديد جواز سفر حتى تستمر الإقامة قانونيا في مصر، وإذا كان الفيلالي محروما قبل من كل شيء ويحمل جوازا ملغى منذ 1949 وتطالب السفارة الفرنسية بطرده لأنها نبهت عليه ضمن الذين يرجعون إليها في شؤونهم ما دامت تمثل المغرب وهي لا تتحمل أية مسؤولية إذا ما نتج عن تصرفاته ما يسئ إلى مصر، وبذلك أخبر المسؤلون في مكتب المغرب العربي من طرف المسؤولين المصريين فكتب لهم عبد المجيد بن جلون بصفته سيكرتير لجنة تحرير المغرب العربي تعهدا مرره على إدارة الجامعة العربية وتجند له صالح أبو رقيق المكلف بشؤون المغرب العربي في الجامعة وقد أكد أنها تصادق على ما كتبه عبد المجيد بن جلون، والذي يلتزم المكتب فيه بالمسؤولية عن الفيلالي كعضو من أعضائه، وتلك كانت بداية اعتراف وزارة الداخلية المصرية بكل تعريف مماثل يصدر من المكتب في حق أي مغربي حتى ولو كان من الحجاج العابرين الذين كانوا يقصدون الديار المقدسة مهربين على الأقدام فيقصدون جامع الازهر بمصر القاهرة قبل أن يجدوا لهم وسيلة نقل عن طريق البحر، وقد بلغ عددهم عام 1952 حوالي 212 تجمعوا كلهم في الأزهر ثم كان ضبطهم بواسطة العناصر الاستقلالية من بني ملال ووادي زم وأزرو وقد أمكن ضبط بعض الجواسيس بينهم من المغاربة كما ظن ببعض الجزائريين محمد الحاج ناصروكلاهما اليوم مقيم بالمغرب حاليا وبعض التونسيين من الذين قيل استعملتهم السفارة الفرنسية بعدما أثبتوا لها أنهم كانوا معتمدين لذلك في أوطانهم، وكان منهم من اتصل بالزعيم علال، وبالبطل الريفي وغيرهما، ثم أصبح مدة انتظار الحجاج بالأزهر يتردد على مكتب المغرب والسفارة

الفرنسية في آن واحد مما اثار إنتباه بعض الوطنيين من بني ملال فجاؤا إلى مكتب المغرب متذمرين وبعد التحري بواسطة بعض المغاربة الذين استعملهم علال الفاسي بطريقة خاصة تأكد ما أخبر به القوم ثم تولى المسألة الفيلالي وأحمد بن المليح اللذين فوجآ بوجود شخص من بين المتهمين من فاس إسمه ابن حيون مقطوع أحد أصابع يده، أطلق على نفسه إسم "الوزاني" بيد أنه ابن حيون عرفنا بعد وأن والده كان ناظر أوقاف فاس الجديد لكن كل ما في الأمر انه لم يكن جاسوسا فقد تبين أن الرجل نصاب احتال على مجموع المغاربة باسم ان يؤجر لهم باخرة تنقلهم من مصر إلى الحجاز، وبذلك استولى منهم على مبلغ كبير من المال 12 جنيه للنفر ثم اختفى ، وأما الإثنان الآخران لم يعرف من هما لعدم توفرهما على تعريف وأما الجزائري والتونسي فقد كانا فقط يترددان على السفارة من أجل الحصول على جواز سفر يمكنهما من السفر إلى الديار المقدسة لأنهما معا كانا فقط يحملان تعريفا شخصيا، ولم يتصل أي منهما بمكتب المغرب العربي.

كان هذا الاستطراد من أجل أن أبرهن على القدرة التي أصبحت لحزب الاستقلال في مكتب المغرب العربي والنشاط الذي أصبح يغطي مختلف المجالات من الصحافة المصرية إلى الجامعة بمختلف كلياتها حتى انتقل إلى الاسكندرية حيث كشفنا عن جذور المغاربة القداما الذين أصبح آباؤهم وأجدادهم مصريون وبشيء من الكياسة تجندوا لخدمة القضية المغربية والعمل في دائرة نشاط حزب الاستقلال الأمر الذي كان يحدث إنزعاجا للموتورين من الحزب ونشاطه خصوصا أبناء الزعيم الريفي الذين همشوا ولم يعد لهم ذكر في مجال نشاط المكتب ومن كان وراءهم.

وهكذا أصبح في إمكان مكتب المغرب العربي بالقاهرة أن يزود من كان من المغاربة بتعريف يحمل طابعه وتوقيع المسؤول المعتمد فيه فتعتمده السلطات المصرية، بل وحتى السفارة السعودية فتسمح لصاحب التعريف بالدخول إلى الحجاز، ولذلك كان على كل من حل بمصر أن يتوجه إلى المكتب بإشارة من السلطات المصرية كلما وجدت أحدا من أولئك الذين كانوا يغامرون فيجتازون الحدود من غير تأشيرة بالدخول، فكان المكتب يعرف بهم إن كانوا من القاصدين للديار المقدسة في موسم الحج، وفي غير الموسم لا

يفعل ذلك إلا مع الذين كان الحزب يهربهم بعد قيامهم بأعمال وطنية يصبحون بعدها متابعين من السلطات الاستعمارية وكان أولهم حوسا وبناصر رفيق الحنصالي 1951 ثم البطل الداحوس محمد وابراهيم الفردوس قاتل الدكتور إيرو، وسليمان الحداد الفيجيجي وهو في سن المراهقة وغيرهم من المجندين الذين كانوا يفرون من البواخر التي كانت تمر بهم على موانئ مصر في طريقها إلى الهند الصينية وجلهم من الجزائريين إلخ كما كان يفعل مثل ذلك مع الطلبة الذين مهما كانت ظروفهم لاتستقيم أمور أي منهم من غير أن يجد له عونا من المكتب الذي كان من أولى مقاصده القيام بذلك، وتلك كانت مهمتي في المكتب من 1951 إلى بداية 1956م بل أذكر أن الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني كان قد حل بالقاهرة في أوائل سبتمبر 1952 وما كاد يتصل ببعض رجال الصحافة حتى اتصلوا بالمكتب يستفهمون عن الرجل الذي كان قد نزل بفندق الجزيرة في حين أن الوزاني كان الدكتور محمود عزمي عميد الصحفيين في مصر قد عرف به في تحقيقه المشار إليه بعد والذي كتبه لجريدة الأهرام بعد جولته في المغرب واتصاله بالعاهل في شهر مارس 1951م وكان ما كتبه عزمي عن الوزاني وموقفه ومن معه من أزمة 25 فبراير 1951 إلى جانب ما سبق له من المشروع الذي عرف بمشروع "الوزاني جوان" غير مشرف، وقد جاء الوزاني إلى القاهرة والجامعة العربية قد تقرر وقتها أن مجلسها سيجتمع تحت رئاسة على ماهر فظهر للوزاني أن يتقدم إليه بتقرير فج مرتجل منه يتضمن اقتراح تكوين حكومة مغربية في المنفى تعترف بها الدول العربية كما تعترف باستقلال المغرب، الأمر الذي أبعد قبول الوزاني وما تقدم به لدى الجامعة بواسطة الشقيري الذي اتصل بمكتب المغرب مبديا امتعاضه من الفكرة التي جاء بها الرجل من غير أن يكون له قبل أي نشاط معروف منهم وفي الوقت الذي كانت الدول العربية بواسطة الجامعة قد عملت على جلب تأييد الدول الإفريقية الاسيوية لقضية المغرب التي كانت بفضل مواقف العاهل وجهود حزب الاستقلال قد أصبحت هي قضية الساعة المزعجة لفرنسا ولها رواج في أروقة الأمم المتحدة خصوصا وقد أصبح لحزب الاستقلال وبقية الأحزاب الاستقلالية في المغرب العربي مكتبا بواشنطون هو الآخر أطلق عليه "مكتب المغرب العربي" وفي تلك الأيام التي كان سينعقد فيها اجتماع الأمم المتحدة والتي نشط فيها عمل كل من أحمد بلا فريج

ومحمد الغزاوي والمهدي بن عبود باسم حزب الاستقلال في أمريكا والباهي الأدغم باسم الحزب الحر الدستوري التونسي والتي كانت فرنسا وقتها قد كونت إلى جانب الوفد الفرنسي جماعة من الخونة توجه منهم إلى أمريكا في أواخر سبتمبر كلا من الخائن البليد محمد اشماعو وزميله ادريس بن عبد العالي المعروف ب"اسقيقية" والذي اغتالتة بعد يد الفداء، بعدما انفلت منها اشماعوا ثم العبد الآبق التهامي الجلاوي الذي كان قد تقرر أنه سيلحق بهما في شهر أكتوبر، على أن الوزاني هو الآخر كان قد أذاع قبل خروجه من طنجة أنه سيتوجه إلى أمريكا لكن الذي أغراه بالتوجه إلى مصر هو اعتماده على ما كان قد تم بواسطة البعثة الصحفية التي توجهت إلى المغرب قصد التحقيق في الحوادث ثم ألفت بين المتنافرين من زعماء الاحزاب في جبهة قبلها علال على مضض وبضغط من محمد الغزاوي الذي كان قد فتح جيبه لشراء المتقلبين والإنفاق على الجميع حيث دفع لمحمد المكي الناصري وقتها 12000 بسيطة شهريا لأنه كان قد تعلل أنه يتقاضى هذا المبلغ بواسطة وكيل "أبي الجاسوسة الاسبانية" المتوفى فاتح يناير 1935 كما كان علال يردد غير ما مرة متأسفا على ما حصل من جمعه مع "أحمد بن سودة مهرج حزب الشورى والمعروف بسوابقه مع الرباطي أحمد المعطي بوهلال يقول علال والمكي الناصري الذي كان لا يمثل إلا نفسه ولولا خيط من خجل ودونت هنا ما كان علال يعرفه عن الأول وينعته به لعرف الناس الكثير من المخازي التي يخجل المرء من ذكرها في ترجمة أحمد بن سودة، والتي دنست جو السياسة في المغرب إلى جانب رفيقه في الصنعة عبد الهادي بوطالب وقد عرفها المغاربة مفضوحة في عهد الاستقلال خلقيا وماديا، ويكفي أن يقال إن الرجل ورفيقه كانا من أشد الناس فقرا بين المغاربة إلى درجة أن المعطي بوهلال كان يستعمله السودي استعمالا غير لائق، ثم أصبح اليوم ومن على شاكلته أحمد عصمان والمعطي بوعبيد وأرسلان الجديدي صبي آل خالص وموسى السعدي هؤلاء لهم أحزاب 24 ساعة وجمعيات التفريق والتمزيق، بل ومن كبار الأغنياء بوراثتهم للاستعمار ماديا، بل وما أصبح لولد السودي في أمريكا من اقطاع منذ أن أصبح الأب مستشارا، هذا وسلام على المغاربة الذين يتكاثرون للفقر والجهل والمرض والظلم وحكم الاستبداد وتزوير الارادة.

أجل ومع ذلك وفي سبيل قطع الطريق على العمالة قبل الزعيم علال وهو من هو بحق وعن جدارة أن يقف ويقف بجانبه أحمد بن سودة، الأمر الذي جعله بعد يتعرض لانتقادات مرة من العاملين بنشاط في صفوف حزب الاستقلال على أن المنتقدين وقتها لم يقدروا الظروف التي حدت بالرجل الأول في حزب الاستقلال إلى أن يحصل منه ما حصل فإلى جانب ما كان لمحمد الغزاوي وقتها من نفوذ أدبي استعمله حتى يحقق للإخوة المصريين وهم كبار الكتاب ورجال الصحافة والجامعة العربية رغبتهم في توحيد الصف وقد كان الظرف يحتم ما حصلَ ذلك أن البعثة المذكورة وكان قوامها ست صحفيين برئاسة الوطني الغيور أحمد أبو الفتح صاحب جريدة المصري كانت قد توجهت إلى المغرب عن طريق طنجة وأثناء صلاة الجمعة بالجامع الأعظم من المدينة تحول الموقف إلى مظاهرة خطابية تبارى فيها الخطباء بعد صلاة الجمعة وإذا ما منعتهم السلطة الفرنسية من الدخول إلى الرباط فإنهم اتصلوا بالعاهل محمد الخامس بواسطة برقية رد عليها جلالته بالشكر، لكنهم وقد اكتشفوا الواقع فإنهم لم يعودوا إلا بعد ما كونوا الجبهة المذكورة، وكان الأقوى في كل هذه المواقف هو حزب الاستقلال الذي طار صيته، في الآفاق بفضل استمداد القوة من العاهل، والذي أصبح إسمه هو المكتسح والمسيطر في مصر، بل أصبح القوة الفعالة ذات الاعتبار في مكتب المغرب العربي الذي أصبح عبارة عن سفارة لا تتراجع أية جهة إدارية أو سياسية بمصر في قبول واعتبار ما يصدر عنه، وخصوصا قسم المغرب منه فهو الذي كان له تخطيط محكم عم كل الهيآت السياسية والاجتماعية والجمعيات الدينية ومنظمات الشباب كبيرة كانت أم صغيرة حتى الطلابية في المدارس الثانوية والابتدائية عرفت نشراتها من حوادث المغرب ومواقف محمد الخامس ما يتفق ومستوى تفكيرهم كواجب وطني كان يتطوع بتبليغه كرام الأساتذة ويوافق عليه المديرون، فكان ذلك يقتضي أن يتردد الطلبة على مكتب المغرب العربي حتى يكونوا لهم فكرة عما يزمع نشره في مجلة أوجريدة المدرسة من أبحاث عن المغرب.

بسبب هذا النشاط الذي أزعج الدوائر العليا في حكومة باريز فعركت آذان رجال سفارتها في القاهرة وعلى رأسهم السفير "مسيومورفيل" الذي طاش صوابه، ولا تسأل حين يفقد الفرنسي اتزانه ماذا يفعل من طيش وحماقات تجعله سخرية أمام الجميع،

وذلك ما استطعنا أن نوقع فيه السفارة الفرنسية بالقاهرة حين اعتمدت جماعة من المرتزقة كونوا لهم علاقة لهو ومجون مع أبناء بن عبدالكريم الذين كان منفاهم الطويل بجزيرة الرينيون الفرنسية قد زودهم بمعرفة الكلام بالفرنسية مما جعلهم يركنون ويعجبون بمن يتكلم الفرنسية، وأحيانا يندفعون ثقة بهم إلى تنفيذ ما يخططون لهم من أنهم أولى وأحق بالإشراف على شؤون المغاربة في مصر، فكانت لذلك تصدر عنهم تصرفات طائشة، وكم أحدثت هذه التصرفات من فتن أدت إلى وضع محاضر في مراكز شرطة الأمن بالقاهرة، وكذا إدارة مباحث الجيش، لكون أحدهم عبد السلام كان قد أنعم عليه برتبة ضابط مما دفع به إلى أن وقع فريسة الهلوسة وجنون الوهم فاختلت موازينه وضاع منه صوابه حتى أصبح وكما كانت العصابة تزين له ولأخويه سعيد وعبد الكريم، أنهم الذين يجب على كل المغاربة أن يكونوا طوع أوامرهم "لأنهم الأمراء" والإمارة عند المشارقة كما أشرنا يوضع إلى جانبها في مفهومهم الثراء والجاه والعظمة والنفوذ، وباسمها كان القوم يأكلون أموال الناس ويعتدون على الناس، ويتصرفون بما لا يقبل من الناس، حتى أنه كان لهم وفي قسمين فقط من أقسام الشرط عابدين والدقي في مدة 4 سنوات حوالي 253 محضر يقول أحمد طلعت المنياوي اصغرها محضر يوم الإثنين 1950/9/25 الذي نشرت الصحافة ملخصه كما يلي وقعت حادثة إصطدام سيارتين بسبب سرعة 160 ك م في الساعة بشارع قصر العيني بالقاهرة على الساعة التاسعة إلا عشر دقائق. وكان بالسيارة إثنان من أبناء ابن عبد الكريم الخطابي(390) أما محاضر إدارة المباحث العسكرية بإشراف الصاغ أركان حرب محمد فتحي الذيب، والصاغ أركان حزب عزت سليمان، فقد كان أول ما يعني المغاربة منها ما تعرض له مبارك الفزازي الذي غرر به من طرف القوم حتى أراد أن يكون مع الثائرين الحالمين وقتها الهاشمي الطود، وحمادى العزيز الذي اصطاده الفرنسيون ومعه عبد الهادي حمدادو الجزائري بالباخرة اليونانية على الشاطئ الجزائري فكانا وباء على الجميع بما فيهم أنور السادات، إلخ كما سنرى ومثلهم الفزازي مبارك الذي اغتر بما كان القوم ينشرون من احلام اليقظة باسم ابن عبد الكريم.

(390) راجع صحف الصباح والمساء والمصري والبلاغ والزمان، والأساس ليوم 1950/9/27 .

ولما انقلبوا عليه أرادوا له أن يكون من الهالكين، لكن العكس هو الذي حصل حين توصل المسؤولون بوسائلهم الخاصة إلى أن الرجل متظلم وأن العصابة وتجار المخدرات هم المدبرون، وأن الأولاد الثلاثة بدافع ما وقعوا فيه من الانحراف والسعي وراء تحقيق ما يريدون، كانوا قد وضعوا أباهم في شبه قفص وأحاطوه بدعاية سممت أفكاره من جانب، ثم جعلته ينفر وينقطع عن الناس من جانب آخر، حتى أنهم أخذوا يرتكبون باسمه من الموبقات والفظائع ما تجرهم إليه العصابة التي تحركها وبكيد أيدي من في السفارتين الفرنسية والإسبانية، ورجل التاريخ لا يعلم، والتذمر من المصريين الذين تحملوا كثيرايتجمع ويتراكم، حتى إذا ما تعدى فساد القوم وما عرفوا به من اعتداءات إلى الذين هم ضيوف المصريين مثلهم، بل وإلى ضيف كبير هو الزعيم علال الفاسي طفح الكيل وصدرت الأوامر بوضع الحد بطريقة لم يكن القوم يتصورون حدوثها بعد ما طال زمان البغي والفساد وتطبعت النفوس بما أصبح عادة يصعب زوالها.

كان القوم يعرفون لكنهم يغالطون أنفسهم وتغالطهم عصابة العملاء الموكولة بهم، كما كان يغالطهم ويغالط ما حولهم خصوم علال الفاسي من المنحرفين الجبناء عبد الهادي بوطالب واحمد بن سودة، وأخيرا المكي الناصري فيصفوه لهم بأحط النعوث ويغرونهم به، في الوقت الذي هو بحق بعد البشير الابراهيمي أقوى رجل مغربي عرفته مصر القاهرة والمشرق العربي من بين وفود المغرب العربي الكبير، وذلك بعلمه وثقافته وواسع إطلاعه وحبنا له وغيرتنا عليه كنا نقوم بدور تنشيط الدعاية لصالحه بحيث كان في أوساط مصر ذات الاعتبار السياسي والثقافي يلحظ ويقدر ويوضع في المكان اللائق الذي يشرف المغرب والمغاربة، سواء من جانب دوائر الجامعة العربية أو رجال الهيآت السياسية والاحزاب المصرية والعربية من الشام إلى العراق، وبقية البلاد العربية والإسلامية(391).

(391) عندما عاد علال إلى مصر عام 1951 وبتهريب من محمد الغزاوي كما أشرنا من أجل الإقامة بها ومعه أسرته تكثفت الاتصالات من أجل الاتخاذ من عودته وسيلة من وسائل التعريف بالحزب أكثر حيث كانت حملة الإعلام بين العلماء دعى لتكريمه صديق المغاربة الدكتور محمد صادق فهمي الذي كان صديقا لكل من في مكتب المغرب العربي فكان التكريم بفندق سميراميس يوم 4 ربيع الأول عام 1371هـ = 1951/12/3م وقد شارك في الحفل بكلمات كل من فضيلة الشيخ منصور على رجب الاستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر. د. محمد صادق فهمي بك، وأحمد بك الشايب وكيل كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وقتها.=

وإذا كان تكريم علال هو مما يرضى الفكر الواعي من المغاربة خصوصا وأن الرجل كان عنوانه هو الالتزام الصريح والتمسك القوي بالاستقلال وأن لاشيء قبل الاستقلال، وأن سمعة الرجل وماله من مكانة لم تكن لتزاحم البطل الريفي في شيء حتى يتذمر أو يتهور أبناء ابن عبد الكريم فيتصرفوا إزاء علال بالشكل الذي كانوا يتصرفون به، وبكل بساطة تناسوا أو زينت لهم عصابة المدبرين أن حزب الإستقلال كما أشرنا كان هو أقوى هيأة سياسية في المغرب ومكانة في مصر والمشرق. وإذا كان أغلب الطلبة 99٪ في القاهرة كانوا ينتمون إلى حزب الاستقلال فإن أية إساءة كانت ستوجه إلى زعيم حزبهم كان عليهم أن يردوها على وجه المسئ أيا كان ومهما كانت النتائج، وهذا ما حصل إزاء تصرفات بعض أبناء ابن عبد الكريم الثلاثة غير الاشقاء والذين ذهبوا مرة جميعا إلى مكتب المغرب العربي أيام كان بضريح سعد فأحدثوا فيه من الفوضى ما إستاء منه رجال شرطة الأمن بقسم عابدين الذين وضعوا لهم محضرا سيئا، والمرة الثانية هي التي توجه فيها واحد منهم طائش أحمق هو عبد السلام ومعه العميل لخضر الورياش الذي كان يتاجر في المخدرات وأشياء أخرى ذهبا إلى المكتب الذي كان قد إنتقل إلى شارع عبد الخالق ثروة رقم 32 الدور الثالث ذهب "الضابط" المتهم بأنه مختل العقل مرتديا بزته بشاراتها العسكرية ثم وقف أمام مكتب المغاربة يسب ويشتم بعض العاملين في المكتب، ثم يتوعدهم إن هم استمروا يعملون به أو ترددوا عليه، وكانت

= د: محمد يوسف موسى أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة فواد إلخ.

كما حضر حفل التكريم عدد كبير من رجالات الفكر والسياسة والأدب في مصر أمثال الشيخ عبد اللطيف دراز مدير المعاهد الدينية، وعبد الله المراغي مدير المساجد وصاحب العزة محمد فهمي العمروس بك، والشيخ محمود أبو العيون، سكرتير عام الأزهر، والدكتور محمد عبد الله دراز، والشيخ ابراهيم النجار، والشيخ الطيب النجار، ومصطفى فهمي بك المحامي ومحمد السعدي الحيوان ومحمد السعيد واكد، الخبير بوزارة التجارة، والأستاذ لطفي نجيب عبد الله مندوب مجلس الدولة، والأستاذ زغلول المحامي والأستاذ محمود صادق إلخ وكان هذاالحفل قد سبق بآخر أقيم بدار الهداية الإسلامية التي كان يشرف عليها الشيخ محمد لخضر حسين رحمه الله، وذلك يوم 21 محرم هـ= 22 أكتوبر من نفس السنة، وإذا كان مكان الاحتفال عادة يزين بصورة محمد الخامس، فإن مدار تدخلات المحتفين كانت كلها تركز على ما حققه هذا العاهل لأمته وبلاده من إشعاع عرف بالمغرب والمغاربة بطريقة ما كانت لتكون بالشكل الذي أصبحت عليه لولا قيادته للمعركة، وباسم ذلك الاشعاع أمكن تكريم ذ.علال . وأن البطل الريفي لم يحضر الحفل رغم أنه دعي له حيث وجهت الدعوة إلى منزله بحدائق القبة ثم إلى منزل شقيقه محمد وعمه عبد السلام هو الذي حضر. وقد كان في تلك المقاطعة من الدلالة ما فيها.

عباراته هيستيرية تدل على أن الرجل مريض يحتاج إلى علاج، وأن علاجه لا يكون بغير الأسلوب الذي اختاره، وإذا هو تقدم نحو مكتب علال الذي كان بحكمة قد أغلق مكتبه ثم أقفله من الداخل، وماكاد يمديده قصد فتح الباب حتى حصل من الصدام مع الضابط المستعارة بزته ما أدى إلى تبادل الكلمات وتمزيق البزة العسكرية، وأثناء العراك استغاث أحمد بن بلة ومحمد خيدر وحسين آيت احمد برجال الشرطة حيث حضر عميد مركز عابدين أحمد طلعت الذي حرر المحضر وفيه نص على استغلال الرتبة العسكرية واستعمالها للتهديد والاعتداء بشهادة محمد خيدر وأحمد بن بلة وحسين آيت أحمد كما أصبح من الشهود علال الفاسي والفراش حوسا وبناصر، ولم نقبل في المحضر بوصف الزعيم وإذا كان محضر الشرطة الذي تحرر بتاريخ 1954/2/5 تحت رقم 24 قسم أحوال عابدين، فإن المحضر الذي حرره بعده الصاغ أركان حرب محمد فتحي الذيب والصاغ أركان حرب عزت سليمان بادارة الجيش بالعباسية يوم 1954/4/5والذي نص فيه على تصريحات خطيرة ضد تصرفات العصابة والمغررين كان عنيفا بما تبعه من توبيخ صريح استعملت فيه عبارات تحذير وإنذار لم تقتصر على "الضابط" المتهور المعتدي بل شملت الآخرين وما عرف معهم من عصابة أبان فتحى الذيب أن مخابراته على علم بها وبما تزاوله، لكن حتى ينتهي الأمر إلى انتهاك حرمة القانون والاعتداء على ضيوف يستحقون التكريم وبالطريقة التي حصل بها الاعتداد، فإن هذا مما لا ينبغي السكوت عليه، ولسوف تتخذ الاجراءات اللازمة – يقول فتحي الذيب للعصابة.

وفعلا اتخذت الإجراءات وكانت إبلاغ ما حصل وبواسطة رسالة شفوية أبلغها إلى الزعيم البطل ابن عبد الكريم شخص من رجال المخابرات العسكرية، وكانت بالنسبة لنفسية الحرالأبي قاسية جدا، في الوقت الذي كان ينتظر من الثورة أن تغضب من علال الفاسي الذي سمح لنفسه عندما قامت الثورة أن يصرح إزاءها بمثل ما صرح به زعيم حزب الوفد ورجالاته، وكثير من عظماء مصر أمثال السنهوري عبد الرزاق رجل مصر الأول في علم القانون والذي بسبب تصريحه ذاك والمماثل لتصريح مصطفى النحاس استهدف لمؤامرة دبرها ضده الصاغ صلاح سالم إن صح الخبر الذي ذاع وشاع حين اعتدى على السنهوري من طرف شخص مدفوع بمدية لمجرد أنه قال تلك القولة التي

ترددت كثيرا على ألسنة السياسيين المصريين الذين زاحمهم علال الفاسي الذي كان من حقه والواجب عليه حسب رأينا وقتها أن يبتعد وأن يلتزم حدود الضيافة، لكنه لم يفعل وصرح كالآخرين الذين قالوا "لقد أدى الجيش مهمته وعليه أن يرجع إلى ثكناته.." وتلك لعمري قولة لم تجد لأن عبد الناصر لم يغفرها لعلال الذي ما هو إلا ضيف، والذي ما كان له أن يصرح للصحافة بما صرح به كبار الساسة من المصريين وبسبب ذلك التصريح عرفنا أياما وملاحظات بلا مجاملة من أطر زكريا محيي الدين وزير الداخلية، لكنها سرعان ما ذابت بفضل سمعة المغرب ومكانته من قلوب المصريين وفي ندوة منزل الظواهري تجند غير واحد للتبرير كان القوم يتذكرون ما قاله أمين الحسيني وقتها بمنزل الدكتور الظواهري حيث كانت الندوة التي تجمع بين جماعة فيهم محمد على الطاهر الفلسطيني والشيخ البشير الإبراهيمي ود.فهمي بل أن تلك القولة التي كان من الممكن أن تمردون اعتبار ضخمها إحسان عبد القدوس "صاحب" روز ليوسف بسبب ما كان بينه وبين حزب الوفد الذي كانت ميول علال كلها معه وهواه هواه، خصوصا وأن علال وحزب الاستقلال ومكتب المغرب العربي في هذه المرحلة وبعد 25 فبراير 1951 كما عرفنا كان له من القوة والمكانة التي كان من الممكن أن يستفيد منها رجال الثورة، لكن صراحة زعيم المغاربة واندفاعه في مجال السياسة لم يترك مجالا لذلك، وحزب الوفد وقتها ما يزال يتحرك عاديا بزعامته وصحافته وعناق محمد نجيب لزعيمه مصطفى النحاس، ومع ذلك ما كان لعلال أن يصرح بما صرحوا به، لأن رجالات الثورة في أيامها الأولى تساهلوا مع حزب الوفد وجمعية "الإخوان المسلمون" لكنهم عادوا فنقموا منهم بطريقة جد قاسية، وبعنف عنيف، بحيث لم يكن ما أظهره رجال الثورة من "تسامح" في أيامها الأولى وقبل أن يتصل بهم المنافق المتقلب أحمد حسن الباقوري من الإخوان وآخرين من الوفد غير وسيلة من وسائل الكشف بطريقة جد كانت شبه ملفوفة، لكن قوة التنظيمين الوفد والاخوان لم تحسب لذلك ما يفرضه الموقف اعتمادا على ما لهما من بين المصريين بل ذلك لعمري كان استدراج احتال به المدبرون للثورة حتى يتعرفوا على النوايا، وإذا كان رد فعل الثورة إزاء عموم الزعماء المصريين الذين صرحوا بذلك هو الكبت والضغط والإذلال والحرمان الذي مارسه رجال الثورة جمال سالم وزكريا محيي الدين زمنا حتى

انتهى إلى ما عرفه الإخوان المسلمون من مآسي بدافع رد الفعل فإن ذلك بالنسبة للزعيم المغربي اقتصر على بعض المضايقات الشكلية لجانب من علاقته المادية وتعامله البنكي(392)، أما الجانب السياسي فإن الانتصار للمغرب ملكا وشعبا زاد، وبقي لحزب الاستقلال من الاعتبار ما كان وأكثر إلى درجة أن زعيم الثورة جمال عبد الناصر وهو الذي خطب خطبة يوم عيد الأضحى 21 غشت ثاني يوم بعد إبعاد محمد الخامس 1953 عن عرشه وذلك في ميدان عابدين خطبة تعرض فيها إلى وجوب مناصرة القضية المغربية والقضايا العربية عموما كما نوه بالتضحية التي قدمها محمد الخامس في سبيل بلاده وشعبه، والخيانة التي قام بها الجلاوي ومن على شاكلته، كما عرض ببعض ثم وصفهم بأنهم على شاكلة الجلاوي من المصريين بالنسبة للثورة، وفي أيام حماس الثورة وبالضبط يوم 1952/11/27 وبعد وضع برنامج صوت العرب "بالإذاعة كوسيلة للنهوض بالقضايا العربية وللدفاع عن حق الشعب العربي والدعوة إلى القومية العربية التي كانت من أهداف فلسفة الثورة كما تصورها خيال جمال عبد الناصر، في ذلك اليوم عرض شريط خاص بمحمد الخامس وخطاب طنجة، بل أصبح في الإمكان أن يتوجه عضو ما من الأفراد العاملين بمكتب المغرب العربي أو حزب الاستقلال بالقاهرة إلى مركز الإذاعة ليطلب بكل بساطة من مديرها وقتها أو عبد الحميد الحديدي تسجيل ما يريد مما يعني النضال المغربي ضد الاستعمار الفرنسي الإسباني، فيقبل الطلب ويسجل الكلام ثم يذاع بلا حسيب ولا رقيب وكنته الأمر الذي كان يهز كيان السفارة الفرنسية حتى أنها أكثرت من الاحتجاج بشكل إنتهى إلى ما سوف نبسط الكلام حوله بعد، بل حتى الإذاعة المدرسية أمكن لنشاط حزب الاستقلال أن يسجل لها برامج يوم كانت بإشراف الأستاذ لطفي عبد المجيد، حيث بدأت إذاعتها يوم 1954/2/28.

وهذا شيء ما كان ليقبل من الذين ينتمون لغير حزب الاستقلال، بل كان في عهد

---

(392) كان ذلك بالنسبة للأموال التي كانت تحول كمساعدة من الحكومات والهيآت الإسلامية العربية في مختلف الأقطار لفائدة المغرب صمم المسؤولون المصريون أن يكونوا أوصياء عليها وأن لا تصرف إلا في شراء الأسلحة التي كانوا يريدون أن يكونوا هم الوسطاء في شرائها من الدول الشرقية، أما سياسيا فإن كبار شخصيات ورجالات الأحزاب اعتبروا ذلك من علال هو ما يقتضيه موقف رجل مثله يطمح إلى الديمقراطية ولا يقول بالحكم العسكري، فكان بعضهم يصرح له بسلامة موقفه والحقيقة والواقع أنه لم يكن كذلك، وانما كانوا يتنفسون بواسطته.

ما قبل الثورة في إمكان الذي ينتمي لحزب الاستقلال أن يتوجه إلى مركز ما من مراكز الأحزاب والهيآت التي كانت قائمة ولها نشاط سياسي ليجد العون الذي يريد، سواء كان الأمر يقضي إلقاء محاضرة أو توزيع منشورات أو حتى التنظيم للقيام بمظاهرة اما الإذاعة فقد كانت عليها أقفال لكنها تفتح لمن يمثل حزب الاستقلال في القاهرة، وبالتالي حزب الاستقلال كان هو المصدر والمرجع فيما يتعلق بقضية المغرب الأقصى والمشارك بكل فعالية في وضع التقارير وتنشيط الحركة التي تعني بقضايا المغرب العربي بصفة عامة والذي مكنه أكثر ورفع صوته بشكل كبير جدا هو استعماله إسم صاحب الجلالة محمد الخامس، وما أقدمت عليه فرنسا من نقمة ضده مما بدل كل المقاييس وغير كل الموازين، فأصبحت قضايا المغرب العربي تابعة لما سيتم في قضية المغرب الأقصى التي فرضها محمد الخامس بتضحيته فرضا ثم جر معها كل قضايا افريقيا التي أصبحت تضرب به المثل، وهذا شيء ضيق المجال بالنسبة للذين يتباغضون مع حزب الاستقلال في شخص علال الفاسي الذي كان صوته أقوى صوت يتكلم بإسم حزب الاستقلال، وكان من أولئك البطل ابن عبد الكريم الذي تعرض للتدليس والافتراء من بعض المنتمين إلى حزب الشورى ومنهم محمد بن الحسن الوزاني وأحمد بن سودة ومحمد العربي العلمي وعبد الهادي بوطالب والجاسوس المدسوس ناصر الكتاني الذي أشرنا إلى أنه اكتشف أمره فكان جزاؤه أن حكمت عليه العدالة المصرية بالسجن المؤبد إلى أن أطلق سراحه في عهد أنوار السادات بتدخل من المغرب، وإذا ما كثرت نميمة القوم وتطاولوا أحيانا، فإن نتيجة ذلك بعد، وعلى المدى القريب، كانت اطلاع المصريين على حقيقة القوم وما هو اعتبارهم في المغرب بضرب المثل المعروف. "ما العزالا ما كان للمرء بين أهله"، خصوصا وأن الوفد الصحفي الذي كان قد زار المغرب وقف على الحقيقة، فوضعتهم تلك الاتصالات في جحيم المضايقة التي لم يجدوا معها متنفسا إلا مع الناقمين على الوضع وهؤلاء لم يكونوا ليفيدوهم في شيء، بل كان من تحركات الحزب كذلك ما شدد الخناق أكثر وقطع أنفاس القوم في مصر وصحافتها إلى درجة أصبح معها على القوم هجرة الديار وعدم التفكير في الاعتماد على مساندة أحد فيها حتى ولو كان هو الزعيم الريفي الذي أصبح هو نفسه في موقف ضعف وكان هذا بالنسبة للشوريين، أما بالنسبة لأبناء

ابن عبد الكريم وعصابتهم الذين أنذروا بشدة وعنف، فإن ما كان لهم من مواقف ضد العاملين في مكتب المغرب العربي عموما وعلال ومن معه كممثلين لحزب الاستقلال خصوصا، كانت عواقبه رافعة لهؤلاء وضارة بالنسبة لأولئك الذين دفعهم الحسد والأنانية إلى التطاول وخلق المشاكل التي ما كانت رغم تهور القائمين بها واندفاعهم الجنوني لتحدث لزعيم حزب الاستقلال الذي أصبح يتمتع بمكانة مرموقة في المشرق العربي عموما ومصر خاصة أي انزعاج، بل وما كانت لتقف في الطريق الذي عبده المغاربة جميعا خصوصا وأن الرجل وبفضل مساندة العاهل العظيم محمد الخامس كان يعرف عظمة القوة التي كانت تشد أزره وتسانده، وكان ذلك عن وعي وإدراك لحقيقة المبدإ والقيم التي كان حزب الاستقلال يعمل من أجل التمكين لها بين المغاربة من جانب، ومن جانب آخر فإن تاريخ النضال ضد الاستعمار لا ينكر أنه بحق ما خدم أحد ممن احترفوا السياسة وقتها في المشرق العربي والمغرب قضية المغرب العربي عموما والأقصى بالأخص منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية مثل علال والذين كانوا مع علال،وهذا هو الذي جلب عليه حسد المدلسين الذين كانوا يعملون ضده غيرة وحسدا ونقمة، والذين كان لا يلتفت إليهم ولا يعيرهم أي اهتمام خصوصاوأنه كان هناك من يتكفل بمهمة ردعهم وإحباط تدبيرهم وتضييق الخناق عليهم كلما ظهر منهم ما يستوجب ذلك ولو بالاهانة واللكمات.

لكن الصراع مع الأسف تطور بعد إلى أن مس البطل ابن عبد الكريم الذي أقحم فيه نفسه بطريقة لم تكن منتظرة وفي ظروف غير لائقة، وذلك حين صرح لمندوب مجلة آخر ساعة بتصريح لم يكن منتظرا منه،وفي تلك الظروف، حيث قال ما نشرته المجلة بتاريخ يوم 1954/2/17 "قال الأمير عبد الكريم الخطابي إنه لا يعرف حتى الآن السلطان الشرعي ولا الوزير الشرعي في مراكش" وكان هذا التصريح المناقض لما سبق له من إشادة بمحمد الخامس وإجلال لموقفه في مراسلته إلى الأمين العام لحزب الاستقلال ج أحمد بلافريج والتي هي منشورة في هذا الكتاب تحولت إلى هذا التصريح الذي كان مصدره أحد أولاد ابن عبد الكريم وهو سعيد الذي كان طائشا ويستعمله عملاء السفارة الفرنسية بطريقة ملفوفة تمكنا من كشف الستار عنها. بل أيضا وما عرف به القوم من

فراغ مصدره إنفعالات نفسية تراكمت عقدها نتيجة ظروف خلقها الدس والكيد من الآخرين منذ عام 1949 وهي السنة التي بدأ فيها الصدام مع مكتب المغرب العربي، بل وهي السنة التي صدر فيها ظهير تنظيم الإمارة بالمغرب بتاريخ 30 ربيع الأول عام1368هـ=30/1/1949م حيث نص الظهير على أنه لا يسمى بأمير غير أبناء جلالة الملك محمد الخامس وإخوانه وأعمامه وأبناء عميه عبد العزيز وعبد الحفيظ، وخلفاؤه إن كانوا من الأسرة المالكة" وكان سبب هذا الظهير هو ما قام به مغربي خائن مجرم في باريز دفعته فرنسا لذلك.

وإذا كان محمد بن عبد الكريم الذي أطلق عليه الأمير شكيب أرسلان لقب الأمير، وكان يعني به أمير المجاهدين، فإن المنافقين والمتملقين زادوا بالافتراء الناتج عن عدم التقدير بقدر ما كان مصدره الخبث أصبحوا ينادون الكبير والصغير من أبناء ابن عبد الكريم بلقب الأمير والبنات بالأميرات مما أثقل بالحساسيات والرجل يعرف من هو ومن قومه من بني وريا غل(393) مما جعل شيخوخته تنخدع للذين كانوا ينتظرون مثل هذه الملاحظة ليحقنوا الرجل الطيب القلب النظيف الخلق بمصل عدم المناعة فيتعرض إلى ما كان التاريخ والناس يحاشونه منه، وكان المندسون من المفلسين وهم من بعض الشوريين الذين ضاقت عليهم المسالك قد أدخلوا في اعتقاد الرجل ما أثار غضبه في حين أن المعنى بالظهير هو فضح المؤامرة الفرنسية التي كانت قد بدأت بتدبير من الإقامة العامة حين ظهر المدعو اسقيقية، وهو إدريس بن عبد العلي من سكان الرباط المحقرين الذي أسست له الإقامة العامة حزبا ثم أطلقت عليه أو أطلق على نفسه إسم الأمير "وقد كان جزاؤه القتل اغتيالا. بيد الفداء بعد حيث ألقيت جثته كالكلب على قارعة الطريق حتى جمعها رجال الشرطة ثم أقبرها إثنان كما تقبر الجيفة، وذلك لأنه إلى جانب محمد اشماعو الإسلامي أخذتهما فرنسا مع الجلاوي إلى مقر الأمم المتحدة حيث استنكروا أعمال حزب الاستقلال ومطالبته بالاستقلال.

ولكم حاول طيب الذكر وهو الأديب السلفي محمد اليمني الناصري(394) مع ابن

---

(393) وللحقيقة والتاريخ كان عمه عبد السلام رحمه الله يمقت ذلك ويمجه ولا يقبله، وكانا ولداه الدكتور عمر وأحمد بعيدين عن كل المشاكل ومثلهما أبناء محمد الثلاثة رشيد ومحمد ومصطفى.

(394) كان يسكن أمام منزل ابن عبد الكريم بحدائق القبة. وكان من الذين ساهموا في الخلاف =

عبد الكريم حتى يقنعه أن المعني بالظهير إنما هو تنظيم الإمارة حتى لا تستغل فرنسا بعض الذين لاخلاق لهم من العملاء وقد كانوا حتى من اشباه العلويين أنفسهم "الكبير لماني" الذي أخذ لباريز، لكنه لم يرد أن يفهم، وكان حديث القوم في مجالسه الخاصة هو الذي أدى إلى ما صرح به قبل وما صرح به ولده الأمي سعيد بعد لمجلة روز اليوسف عدد 1317 بتاريخ الاثنين 1953/9/7.

وهكذا أدخل ابن عبد الكريم نفسه في دوامة الصراع التي لم يكن له من وسائلها ما يخوض به المعركة، ومع ذلك فإن إطارات حزب الاستقلال بالقاهرة، وفي مقدمتها علال الفاسي أبقت على اعتبارها القوي القديم للرجل لأنه أصبح وقد رفعت الأقلام وجفت الصحف يمثل صفحة من أكرم صفحات تاريخ المغرب السياسي المعاصر، ناهيك وأن الشيخوخة فعلت فعلها في تفكير الرجل، أما غيره من الشوريين الثلاثة، فقد ذاقوا مرارة الزقوم، ولهيب النار التي أوقدوها في زقاقهم الضيق حتى ضاقت بهم السبل ثم عادوا يطلبون الاتحاد بين مجموع "أحزاب" المغرب العربي وقدموا لذلك الزعيم الريفي نفسه لكن حزب الاستقلال ممثلا في علال أجاب أن ما يطالب به البطل المغربي، حاصل بين الأحزاب ذات المبدأ الواحد، وهي تعمل في مكتب واحد، وإذا لم يكن وقتها محمد الغزاوي الذي كان في طنجة حين حل بها وفد الصحفيين المصريين يوم تكوين الجبهة المذكورة، حتى يضغط على زعيم حزب الاستقلال ليقف ويقف بجانبه المهرج أحمد بن سودة صاحب أوسخ ترجمة سياسية مع الرباطي بوهلال، فإن بعض رجال الجامعة حاول بعض المحاولة، وحاول الزعيم الريفي محاولة لم تثمر يوم جمع في منزله وبعد التصريح المشار إليه بيومين كلا من محمد بن الحسن الوزاني والمكي الناصري بتاريخ1954/2/19، ثم صرح بما صرح به ضد حزب الاستقلال وكان ذلك منه بلا شك وهو الشيخ الذي أصبح سهل الانقياد سريع التأثر بالمفترين من الذين كانت الظروف

= بين علال والوزاني في القاهرة محمد العربي العلمي من حزب الشورى والذي دخل في جدل سياسي مع الأستاذ محمود شاكر حيث كتب هذا الأخير ينتقد مانشرته جريدة الأهرام بتاريخ الاثنين 1948/1/5 تحت عنوان "محاولة جديدة للتوفيق بين فرنسا والمغرب" حيث كتب الأستاذ محمود شاكر ينتقد بمرارة "مشروع الوزاني جوان" في مجلة الرسالة ص 103 بتاريخ 1948/1/26 وكان الجانب الاستقلالي لا يحتاج إلى سلاح في صراعه أكثر من تحريك المستنقعات التي اختزنت تلك الموبقات التي أنتجها بعض المفلسين وقتها.

كافية للتعرف عليهم وعلى ترهاتهم التي دفعوا بها الرجل إلى أن قام في نفس اليوم بالاجتماع مع ما يقرب من 27 طالبا من المغاربة ببيت المغرب المشار إليه 12 شارع السلولي بالدقي ثم صرح بتصريحات كم يتمنى المعتز بتاريخ الرجل أن لو لم تصدر عنه ولم تنسب إليه، وكان أقلها لعن العلم والمتعلمين(395)؟ وماذا سيجنيه المخاطبون من التعلم؟ وهل حرر العلم الأوطان؟" وإذا ماكان حديثه ولمدة ثلاث ساعات من 6 إلى 9 مساء لم يخرج عن هذا السياق مما نفر الطلبة أكثر، وبلا شك أن ذاكرات ومذكرات كل من الشاعرين اللمتوني وأحمد عبد السلام البقالي ومحمد ملاطو التطواني، وأحمد أبو حفص وأحمد قدور الحرمة الفجيجي والعربي الهلالي الودغيري ومحمد عبد الحق وغيرهم من الفجيجيين، الذين حضروا نفس الاجتماع يحتفظون بتلك الذكريات الأليمة التي كان مصدرها ما انتهى إليه الرجل بفعل عامل الزمان وما إنتهى إليه من ظروف بدلت نهجه وغيرت أخلاقه ثم دفعت به إلى ما لم يكن له أهل، وحتى إذا ما انتهى إلى درب مغلق أمام نشاط حزب الاستقلال الذي كان أنصاره غير مستعدين لمهادنة المتلبسين من أنصار الضلال، عاد الرجل بإلحاح من المنهزمين المكي الناصري، وعن الشوريين ابن الحسن ليطلب من الجامعة العربية توحيد الأحزاب المغربية في القاهرة واتفاقها، وإذا ما كثر الإلحاح من الأمانة العامة، فإن حزب الاستقلال قد اشترط لذلك أن تقوم بنود الميثاق على أساس مبادئ الأحزاب الإستقلالية التي هي قبل كل شيء الاستقلال، وأن لا مفاوضة قبل الاستقلال، وتم التوقيع على تلك المبادئ التي صيغت يوم 1954/4/1.

وإذا كانت الغاية هي إلحاق الآخرين من المنحرفين بالركب بعد ما تغيرت الظروف وتبدلت الأوضاع وأصبح للفداء الدور الأساس والقول الفصل في الميدان، وأن القائمين به والمشرفين عليه يلتزمون بالمبادئ الإستقلالية، وأن كل من خرج عنها أو حاول التشكيك فيها سيكون مصيره الهلاك، وقد حصل التصريح بذلك لبعض الوطنيين الذين عرفوا بالمعتدلين حتى إنهم أصبحوا مهددين. ولذلك لجأ القوم إلى طلب الاتحاد الذي كانوا مقدما يعرفون أنهم لو طلبوه في المغرب لم يتحقق، ولذلك طلبوه عن طريق البطل المغربي

(395) حضر هذا الاجتماع عن حسن نية جل أبناء الشمال تطوان وطنجة وأصيلة من الجبلين والريفيين، وكذا من الفجيجيين وكلهم حتى اليوم أحياء يرزقون ومن يومها فقدهم وفقد أبناءه احترامهم بينهم.

وبواسطة الجامعة العربية حتى يتحرروا من التهديد وما ينتظرهم من حملة السلاح المتطرفين الذين لم يغفروا لبعض الشوريين مواقفهم في 25 فبراير 1951م، والذي سجله بصريح العبارة الدكتور محمود عزمي في تحقيقه الذي قام به لفائدة جريدة الأهرام كما سنرى وهكذا فبإلحاح الجامعة العربية تم الإتفاق، فكان من جميع أحزاب المغرب العربي حيث أقحم فيه القوم إقحاما لكنهم لم يستفيدوا منه كما أرادوا.

تلك كانت من الأسباب التي دفعت ابن عبد الكريم إلى أن يقال في حقه أنه كان يقول بتحرير المغرب بالسلاح، وأن غيره أو بالأحرى علال وحزب الاستقلال لم يريدوا ذلك. وثمت جانب آخر دفع ابن عبد الكريم إلى الإلحاح على هذه النغمة في كثير من تصريحاته للصحفيين، وهو الجانب المادي أي جانب جمع المال باسم قضية المغرب العربي بطريقة مراسلات الملوك والرؤساء، أو إرسال البعثات إليهم على أن ذلك لست أدري إن كان يتم بإتفاق الرجل ورضاه، أم أنه كان بإسمه والمتصرف هم أولاده الذين جرتهم عصابة المدبرين ثم تاهوا في دروب اللهو التي جرفتهم بقسوة قاسية وعنف عنيف، ولعل من خلال القصة التالية نستطيع تكوين فكرة عن الموضوع.

في شهر مارس من نفس 1954 التي تم فيها إتحاد الأحزاب حدث حادث كدر الصفو نهائيا بين علال وابن عبد الكريم من غير أن يكون للأول أي دخل فيه ذلك أن الملك سعود ابن عبد العزيز كان قد حل بالقاهرة يوم الثلاثاء 1954/3/23 حيث نزل بقصر الطاهرة، وفيه زاره علال الفاسي زيارة مجاملة وتقدير لما كان السعوديون قد بذلوه من تأييد لقضية المغرب سواء في أروقة الأمم المتحدة بواسطة رشاد فرعون ممثل المملكة، أوبواسطة الشعب والصحافة العربية في الحجاز، حتى أن الحجيج يوم عرفات كانت روح محمد الخامس بينهم حيث هتفوا بالدعاء له جميعا بعد ما صاح به حجاج المغاربة وهم يبكون، فما كان من السعوديين الا أن باركوا ذلك وهو شيء يتنافى وشعائر الحج، ومع ذلك حبذوه وتقبلوه.

وكان الذي هيأ زيارة علال الفاسي تلك التي لم تكن منتظرة هما حافظ وهبة السفير السعودي بابريطانيا وقتها، والشيخ عبد الله ابراهيم الفضل سفير السعودية بالقاهرة، وكان الذي عرفنا على الأول هو الشيخ حامد الفقي رئيس جماعة أنصار

السنة، وهذا عرفنا عليه الدكتور تقي الدين الهلالي الغرفي الفيلالي بالمراسلة التي احتفظ بها والذي كان وقتها بالعراق وهو اليوم نزيل مدينة مكناس حاليا وهذا الأخير الهلالي كان الذي أرشدني للاتصال به لما كان في أعظمية العراق هو شيخ الإسلام رحمة الله عليه وفي مذكراتي من مراسلاته الكثير، ومن أجل التعريف بالمغرب وضمن مخطط نشاط حزب الاستقلال المشار إليه كنت من العاملين مع جماعة أنصار السنة وغيرها كجماعة "الاخوان المسلمون"، و"الشبان المسلمون"، وجمعية "الهداية الإسلامية"، وأثناء زيارة جماعة أنصار السنة للعاهل السعودي بقصر الطاهرة، وكنت من بينهم طلبت من حافظ وهبة أن يهيئ الجو لزيارة علال وتوا خاطب السفير الذي أجرى اتصالاته، ولم أغادر قصر الطاهرة مع الجماعة إلا ومعي إذن مكتوب بتوقيت معلوم لزيارة زعيم حزب الاستقلال، وفعلا تمت الزيارة التي حضرتها يوم الخميس 1954/3/25م وأثناءها كان العاهل السعودي قد منح الزعيم المغربيَ علال منحة مالية بشيك بمبلغ 100.000 جنيه مصري محال على البنك الأهلي بمصر(396) تناوله الملك سعود من المسمى فؤاد شاكر في ظرف مفتوح قبل أن يقدمه لعلال، ثم قال له: أبشر.. هذا بعض ما يجب علينا نحو أخونا "كذا" محمد الخامس ملك المغرب العظيم وإخواننا المغاربة.." وكان المبلغ كبيرا جدا بالنسبة لذلك العهد بحيث كان خمس المبلغ هو الذي جئت به بعد في شيك من الباكستان يوم 10 يناير عام 1955، وهو الذي صرف فقط قد سلم منه إلى الدكتور عبد اللطيف بن جلون 3 آلاف جنيه حين قدم من مدريد إلى القاهرة بحثا عن المال الذي يشتري به الأسلحة التي كان يزود بها بعض المجاهدين الذين كانوا على وشك الدخول مع الفرنسيين في أعنف المعارك بالشمال ناحية تافوغالت وإلى جانب المنحة السعودية صدرت أوامر العاهل السعودي بانضمام الفيلالي كطالب بمنحة لبعثة الطلاب السعوديين

(396) وهذه المبالغ وغيرها التي كانت من اندونيسيا وباكستان ومسلمي الهند والسوريين واللبنانيين والأردونيين وأكثرهم العراقيون 200000 جنيه بواسطة فاضل الجمالي حتى بلغ المجموع 635000 جنيه وضعت في حساب ببنك مصر، ونظرا لما حصل من إثارة الفتن التي تسبب فيها ابن عبد الكريم ثم حفظ عبد الناصر وما كان يكنه للزعيم الفاسي بسبب التصريح المشار إليه اعلاه، وقطعا للطريق على الجميع أمر بتأميم المبلغ وأن تشتري به الأسلحة التي وجهت بعد للمغرب بواسطة الباخرة دينا بحراسة ضباط مصريين حطت حمولتها قرب مدينة الناظور بعد بتاريخ آخر مارس1955 ثم وزعت بين المغاربة والجزائريين لهؤلاء الثلثين وللمغاربة الثلث.

بمصر، ولما اتصلت بالسفارة، وبجواد زكري وهو شخص يرجع إلى أصل سورى ليبي متجنس بالجنسية السعودية ويعاني من النقص الثقافي ثم هو في صراع مع طلاب البعث من السعوديين في مصر فكيف يكون الفيلالي ولذلك قال لي : إن أوامر جلالة الملك ستنفذ ولكن ليكن في علمك أن العضوية في البعثات السعودية قاصرة على السعوديين، والمنحة قانونيا لاتعطى الا لمن له الجنسية السعودية وهذه أصبحت من حقك، وعليك أن تكتب طلبا بذلك وستحصل عليها وعلى المنحة الطلابية حالا... إلخ ونفس القول كان من السفير الشيخ عبد الله الفضل.

وما كاد الرجل يتم كلامه حتى إنفجرت في وجهه كالصاعقة قائلا: أتنازل عن جنسيتي حتى أحصل على منحتكم؟ وأذكر أنني عبرت بعبارات غير مناسبة، ثم إنصرفت، وفي العشية أخبرت علال بما حصل فقام لتوه وتناول الهاتف ليعتذر للرجل، ويؤكد عليه طالبا الاحتفاظ "بالمنحة" التي أنعم بها جلالة الملك وإذا لم يقبل الأخ الفيلالي "أخذ الجنسية فهناك من يقبل شاكرا" وإذا ما حصل جدال بين علال والسفير أن المنحة مخصصة للفيلالي، ويجب أن يتنازل عنها كتابة لغيره فإن علال تعهد له بذلك،وكتبت التنازل الذي لم يوافق عليه حافظ وهبة وقد كان هو الذي طلب من العاهل ذلك حين قدمنى إليه، وكم حاول إقناعي أنه لا فرق بين مغربي وسعودي لأنه هو الآخر مصري صعيدي. وفلان سوري والآخر أندونيسي وغيره أفغاني إلخ والكل سعودي؟ ولكنها القوانين وهي شكلية فقط يقول حافظ لكنني بالعقلية الفيلالية التي تختلف عن حذق النفعية لدى القوم صممت علي أنني لا أقبل ولا أرضي أن يعرف عني أنني تنازلت عن جنسيتي مقابل منحة مهما كانت الظروف، بعدها أدركت أنني لم أوفق وفعلا حولت المنحة في إسم أخ كريم هومحمد بن عبد الرحمن السعداني الذي تجنس بالجنسية السعودية وبها أكمل دراسته في مصر ثم تمكن بواسطتها من الذهاب إلى بريطانيا، فكانت بذلك كأنني الذي حصل عليها، خصوصا وأن السعداني من وجوه متعددة ومنها الوطنية يستحقها وقد كان في حاجة لها.

بعد زيارة علال للعاهل السعودي وفي اليوم التالي الذي هو يوم الجمعة1954/3/26 قام بعده بزيارة العاهل محمد بن عبد الكريم ومعه شقيقه امحمد وأولاده الثلاثة المشار

إلى مشاكلهم، وبالمناسبة كان جمال عبد الناصر الذي زار الملك السعودي بعد زيارة محمد نجيب له مساء أمس من جملة المستقبلين، وإذا كان للحاشية السعودية سابق إتصال مع أولاد ابن عبد الكريم وربما مع شقيقه مرات بحيث كان القوم أكثر من مرة قد شدوا الرحال وربما من غير أن يعلم البطل بالنسبة للأولاد، وإن كان قد علم بالنسبة للشقيق، وكانت الرحلات من أجل المال الذي لم يبخل القوم به، لكن الحظ في هذه المرة كان إلى جانب علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال ورافع الراية ضد الاستعمار الفرنسي، والذي يلهج باسم العاهل العظيم محمد الخامس كتابة ومحاضرات حيثما وجد وأنى ارتحل، ومأساة العاهل لا تزال طرية وتهز أركان القارات وذلك ما أكبرته حاشية العاهل السعودي، وبذلك عبر لنا أحد المعجبين جدا بمحمد الخامس وهو السيد عبد الله بن عثمان رئيس ديوان العاهل السعودي، والذي كذلك أخبره أن جلالة الملك سعود لأكثر من مرة أعطى في سبيل مساعدة العاملين من أجل قضايا المغرب العربي بمصر، وكان الواسطة آل ابن عبد الكريم، فرد عليه علال بأن شيئا من ذلك لم يصل، ولعل بسبب هذا الجواب كان حظ ابن عبد الكريم الذي حضر للزيارة في اليوم التالي غير لائق، ثم إن علال أخبر بقية رجال مكتب المغرب العربي بالمنحة السعودية وطلب من مدير البنك أن يقسمها على ثلاثة، ويحول للجزائريين نصيبهم والتونسيين لكنهم جميعا حرموا منها لأن المبالغ أمر عبد الناصر بعد بتأميمها وبان توجه لشراء السلاح لفائدة شعوب المغرب، ولعل خبر ذلك كان قد وصل إلى العراقيين والأردنيين بعد حيث كان كل من نائب الملك فيصل الأمير عبد الله الوصي قد أعطوا ما أعطوا لمن اتصل بهم باسم لجنة تحرير المغرب العربي، ولما علموا أنه لم يصل الأعضاء شيء مما أعطوا عاد العراق فاعطى بواسطة وزير الخارجية فاضل الجمالي(397) إلى كل من المغرب والجزائر وتونس

(397) لم يذكر للجمالي هذا الجميل إلا محمد لغزاوي الذي كان يعلم ما قدمه العراق بواسطة فاضل الجمالي ومع أن محمد لغزاوي لم يستفد منه ماديا لأنه كان في غنى فإنه باسم المغرب وما أسداه له العراق رد الجميل إلى الجمالي في عهد الاستقلال، وذلك بأن طلب من العاهل العظيم محمد الخامس أثناء زيارته للعراق وكان يحكم بالثورة التي قام بها عبد الكريم قاسم الذي أعدم من أعدم وفي سجنه يوجد فاضل الجمالي، فاختار العاهل أن يطلب من عبد الكريم قاسم تحرير الجمالي من السجن الذي كان فيه معرضا للهلاك، وفعلا تم تحرير الجمالي الذي توجه إلى جنيف، ومنها توجه إلى تونس بطلب من بورقيبة الذي هو الآخر كان يعرف ما قدمه الرجل لجميع أقطار المغرب العربي باسم العراق الذي يكن له المغاربة من الحب ما يملؤ ما بينهما من فضاء.

مساعدات سخية وهي التي سلمت إلى كل من علال وصالح بن يوسف وأحمد بن بلة الأمر الذي دفع المكي الناصري بعدها أن يتوجه إلى العراق طالبا المساعدة ومن وقتها تغيرت العلاقة بين علال وابن عبد الكريم الذي لم يعد يخفى عليه شيء من المساعدات المادية التي كانت توفر للزعماء الذين كان نشاطهم السياسي يغطي وسائل الإعلام شرقا وغربا، والذي كان موازيا للثورة المسلحة التي كانت قائمة في المغرب العربي وخيوطها في المغرب مرتبطة بحزب الاستقلال، وفي الجزائر بيد جبهة التحرير، وبين الفريقين اتصال بعيد عن ابن عبد الكريم، وفي تونس فلاكة الجنوب وإن كان الحزب الحر الدستوري لم ينظمهم فإنه استبشربهم ولم يمانع في استمرارهم، وحتى إذا ما أصبحت فكرة السلاح التي كان ينادي بها ابن عبد الكريم حقيقة، فماذا كان موقفه من الذين كانوا هم أطرها والمشرفون عليها. بل ومركزها الشمال وضمنه أكنول وأجدير من منطقة الريف بلد ابن عبد الكريم.

إن الذي سجله الواقع هو أن الرجل لم يكن له ولا أدنى علم بما كان يجري بعيدا عنه إلا ما كان بعضهم من ذوي الأغراض يفترونه عليه قاصدين بذلك استمراره في الصراع مع زعيم حزب الاستقلال الذي كان عندهم أول عدو بدافع الحسد والأنانية، ومن جهة أخرى فإن الزعيم الريفي قد إنتهى بفعل الزمان وحوادث الآيام إلى ضعف عام، وحتى لو أن الثورة المسلحة كانت قد أعلنت عام 1947م وقت نزوله في مصر وتحريره من مكيدة تدبير الفرنسيين، فهل كان قد بقي للرجل وقتها من القوة والفكر ما يسهم بهما في إنكاء الثورة فضلا عن قيادتها أو التخطيط لها كما كان ينمق عليه بعض المدلسين من الجبناء المنافقين الذين كانوا يتملقون الرجل الطيب القلب السليم الطوية، والذي بدلته الظروف إلى درجة أنه أصبح ينساق لمن هب ودب ممن كانوا يفترون عليه وبالتالي من الذين كانوا يتجسسون عليه، وعلى غيره من الوطنيين حتى فضحهم الله.

كم تمنيت أن لو اتصل الناس بالرجل رحمة الله عليه حتى يتعرف الذين كانوا يحسبون أن ابن عبد الكريم عام 1947 هو نفسه الذي كان بقوته وتفكيره وما حوله من الألمان عام 1921–26 لقد هد الاستعمار الفرنسي الغاشم كيانه بما سلط عليه من آلام الغربة وبعد المنفى وطول زمان العذاب ، ولم تفكر فرنسا في نقله من منفاه إلى أرضها

ولتتخذ منه ما زين لها الهوى إلا بعد ما تقرر لها أنه انتهى إلى ما انتهى إليه، إلى درجة أن الرجل لولا أنه حل بديار قوم كرام وجد منهم العناية بصحته فوق المطلوب لما استطاع فقط أن يقوم بواجباته الدينية وحاجياته الضرورية.

لقد دخل ابن عبد الكريم مدفوعا بتدبير ماكر سببه بعض المغاربة- أمثال أحمد بن سودة، وعبد الهادي بوطالب وغيرهما من الذين افتروا عليه ما جعله يدخل في صراع مع حزب الاستقلال ممثلا في الزعيم علال الفاسي الذي كان له به إحتكاك مباشربحكم التواجد في القاهرة، دخل معه في شبه صراع كلامي تناولته بعض الألسنة النتنة بدافع الغرض الفاحش، حيث روجت أن زعيم حزب الاستقلال لغرض لا يقول بتحرير المغرب بالسلاح، ثم هو يستعمل إسم المغرب في جمع الأموال واكتنازها ثم التمتع بها بدل صرفها في شراء السلاح الذي هو الوسيلة الوحيدة والطريق الذي لا مجال معه للاختيار من أجل تحرير المغرب وهذه هي الأطروحة التي رددها قوم ومططها آخرون حتى انتهت إلى ماصاغه بعضهم من مذكرات سوى أوتاره فيها على تلك النغمة التي طالما ردد آخرون كالببغوات وأن حزب الاستقلال بصفة خاصة وبقية أحزاب المغرب العربي الشعب والدستور لا يريدون ويمانعون لنفس الأسباب التي يتعلل بها الفاسي وغيره من رجال حزب الاستقلال، هذا ما كان يروجه الزعيم الريفي ويردده في مجالسه.

لكن الدافع الحقيقي الذي كان يدفع ابن عبد الكريم لمثل ذلك القول الذي كان يردده كثيرا ليس هو يقين الرجل، بل ولا الذين كانوا يروعونه بالقول المنسوب إليه أن التحرير لا يتم إلا باستعمال السلاح، بل الدافع الحقيقي هو ما سبق بيانه أولا، وثانيا هو السيطرة الأدبية التي كانت لحزب الاستقلال إلى درجة أن الذين كانوا يستعملون إسم الرجل المشهور في طلب المساعدات وجمع المال باسم المغرب، وغيرهم من الذين كانوا يحترفون السياسة ويخوضون باسم المغرب كذلك أصبحوا يجدون أمامهم صدى حزب الاستقلال مانعا من غير أن يتدخل أحد باسم حزب الاستقلال، وذلك من كثرة ما كان نشاط حزب الاستقلال يغطي الصحافة ووسائل الإعلام شرقا وغربا في كل من المغرب العربي والمشرق العربي، واشتد ساعده عندما وثق الناس أنه الحزب الذي يحظى بتأييد باعث إفريقيا من مرقدها محمد الخامس، وأنه الحزب الذي يواجه الفرنسيين،

وبالتالي فهو الحزب الذي مبدؤه الاستقلال والاستقلال قبل كل شيء، والذي شدد على هذا المبدأ حتى أصبح هو خلق كل من ينتمي إليه، وازداد الناس إقبالا عليه عندما ظهر المشروع الذي أطلق عليه عبد المجيد بن جلون مشوع "الوزاني جوان"(398) وهو المشروع الذي صافح بواسطته محمد بن الحسن الوزاني الجنرال جوان بعد الفظائع والقضائح التي ارتكبتها الإقامة العامة ممثلة في الجنرال والأطر التابعة له، وهي تلك التي أصدرت المناشر الساقطة ضد العاهل كما سنرى بعد، والتي افتضحت وانكشفت عورات الذين أشرفوا على إنجازها، ولو لا حكمة العاهل كما تعود منه الشعب في معالجة مثل تلك الفظائع والفضائح التي طبعت السياسة الفرنسية في عهد بيو وجوان ومن تلاهما من الجنرالات، لكانت الطامة أشد والكارثة أعنف مما حصل من الجنرال جوان، لكن الشعب في تلك المرحلة الحرجة إكتفى بإذلال الحكام الفرنسيين بالاستمرار في الخطة والنهج حسب توجيهات العاهل الذي كان منذ ما بعد زيارته لباريز 1945 إثر الحرب العالمية وخطابه بمدينة طنجة 1947 قد وضع خطة محكمة فيها نوع من الشدة والقسوة على نفسه، حتى إن بعض الذين كان لهم اتصال بجلالته كانوا يلاحظون ذلك بعدم الارتياح بالنسبة للعواقب التي ستكون نتيجتها غير سارة بالنسبة له شخصيا فكان رحمة الله

(398) هذه مراكش مصدر سابق 254 ط القاهرة 1949 والحركات الاستقلالية 443-459 ط القاهرة 1948 عندما يتناول التاريخ هذا المشروع لا يقصد به أولئك الذين أغراهم لفظ الشورى والذين كانوا مبكرا يتطلعون إلى تحقيق الديمقراطية الدستورية، بل يقصد جماعة مرتزقة خاصة كانت إلى جانب محمدبن الحسن الوزاني الذي كان على استعداد لعمل أي شيء يمكنه أن يقف به في وجه حزب الاستقلال عموما وعلال بصفة خاصة، والذي كان يزيد أخطاءه فحشاهم الجماعة الذين عرفوا بـ"كلاب المزابل" في عهد الاستقلال، أولئك الذين تحولوا من مبدإ إلى آخر، ومن حزب إلى حزب حتى أنهم دنسوا ميدان السياسة في المغرب وفي طليعة هؤلاء أحمد بن سودة صاحب المواقف الساقطة، ورفيقه عبد الهادي بوطالب الذي لو قام محمد الفاسي بما يقتضيه الواجب أيام إدارته للقرويين وتعرف على واقع عبد الهادي بوطالب ثم سأل عنه فقط أحمد بن الحسن العلوي الذي كان يسكن بمدرسة العطارين وصاحب القصائد المحفوظة فيه وفي مجال القوم لو فعل ما قربه من الحمى 1943 الذي لما كشفته الأيام طرد مفضوحا منها عام 1948 وبسبب ذلك كان يصدر منه ومن غيره ما انعكس في تصرفات ابن عبد الكريم بعد أولاده رحمه الله، ومن أولئك الذين لوثوا الجو السياسي ودنسوا الأخلاق وحاربوا القيم مقابل لاشيء، وإنما فقط بحثا عن العظام الملوثة لينهشوها كما تفعل الكلاب من مزبلة إلى أخرى ، حيث كان انتقالهم من حزب الشورى إلى حزب الاتحاد الوطني الذي انفصل عن حزب الاستقلال يوم 1959/1/25 ومنه إلى الحزب "الاشتراكي" المزعوم وحزب "الجبهة" التي أسسها جماعة من المتقاعدين المفلسين وبعض خصوم الفضيلة والشعب يتقدمهم العميل أحمد رضا كوديرا على رأس جماعة من المرابين المعروفين بخيانتهم ضد المغرب والمغاربة ملكا وشعبا عام 1953م وهو ما سنفصل فيه بعد.

عليه يعتقد غير ما يعتقدون فيما يتعلق بالأمانة والرعاية، دينا ودنيا. وقد سار على النهج الذي اختاره حتى النهاية، وكان الذي حمل معه الأمانة ورعى العهد هم جماهير الشعب وأنصار حزب الاستقلال في الطليعة، مما جعل الحزب يكتسح ويتمكن إلى درجة أن سدت الأبواب في وجوه الذين كانوا يخالفونه في الرأي بطريقة ما كانت كرامة المغربي الأبي ترضاها لسمعة رجل مثل بطل الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي، ذلك أن السماسرة ومن لا إعتبار للكرامة عندهم كانوا إلى جانب الأولاد الثلاثة عبد الكريم وبعد وسعيد لايقيمون وزنا للأخلاق ولا للقيم بل كانوا حربا على سمعة المغرب ممثلا في حزب الاستقلال بإثارة الرجل ضد زعيم حزب الاستقلال، بل والذين ينتمون لحزب الاستقلال، في الوقت الذي لم يكن بيده ضر ولا نفع، وأكثر ما كان يردد هو أن حزب الاستقلال عبارة عن جماعة من النفعيين إستمرؤوا حياة الدعة والنعيم، ولا يريدون تحرير المغرب بالسلاح إلخ إلخ..

ومهما يكن فإن فكرة تحرير المغرب بالسلاح التي كان يقول بها بطل الريف وقتها والتي ما ظهرت منه إلا بعد إنتخاب علال الفاسي أمينا عاما للجنة تحرير المغرب10/5/1948، بل ما شدد على الفكرة ولأول مرة بالتحديد إلا في أوائل عام 1949 أي بعد ما يقرب من سنتين على استقرار الرجل في مصر وانسياق الأولاد مع العصابة المدمرة والمتأثرة بما كانت تدبره دوائر السفارة الفرنسية وعملائها، ومنهم ناصر الكتاني الذي كان يبلغها ما يجري في مجالس الرجل وعلاقته برجال أحزاب المغرب العربي بل وعن أسرار الجامعة العربية أولا بأول إلى أن فضحه الله كما أشرنا، هؤلاء هم الذين كدروا صفو الرجل ثم دفعوا الأولاد المتهورين الذين كان لهم تأثير عليه إلى درجة أنه أصبح في نظر كثير من الصحفيين يستحق الرثاء لأنه كان يصرح برأي لأحدهم، وفي نفس الأسبوع يصرح بآخر مناقض من غير أن يدرك ذلك، ولا يدرك أحد من أولاده الذي كانوا في الغالب غير مثقفين باستثناء واحد منهم متوسط، هو ادريس الذي كان بعيدا عن الخوض فيما تعود إخوته الثلاثة أن يخوضوا فيه، أما محسن فقدكان في سن المراهقة وربما لا تحسب عليه أخطاؤه.

كان راي الزعيم الريفي حول تحرير المغرب بالسلاح وقتها رأيا فجا غير ناضج،

بل ولاهو ناتج عن معرفة الرجل بواقع المغرب الذي ابتعد عنه طيلة عشرين سنة هي الفترة التي استعملت فيها فرنسا وإسبانيا، ومن أجل إذلال المغاربة وإرهابهم قوة الحديد والنار، ولم يكن الرجل على علم بأوضاع البلاد وما كانت عليه أحوال الناس، حتى إن أحدا منهم لم يكن يملك بندقية صيد، وكل من تحرك كانت أعين الرقباء والجواسيس له بالمرصاد كما أشرنا، بل والبلاد العربية التي يمكنها نجدة المغرب بالسلاح غارقة، وغيرها من شرق أوربا مرفوض من المغاربة.

بل في الوقت الذي كان ابن عبد الكريم يقول باستعمال السلاح بدون تروى كان إلى جانبه عمه عبد السلام الذي رغم شيخوخته كان سليم العقل والتفكير، ثم هو على جانب من الخلق والدين لا يقول بشيء من ذلك، بل وحتى إن كان سيكون فهو عنده كما كان يقول في مجلس ابن أخيه ومع أعضاء مكتب المغرب الذين كانت صلته معهم طيبة وحسنة يحتاج أي رأي ابن أخيه حتى ينضج إلى زمان ومكان، وقبل هذا وذاك إلى إجماع المغاربة واتحادهم في أقطار المغرب الكبير، ولقد كان هذا رأي ابن عبد الكريم قبل أن يشتد الصراع بل أكثر من هذا قبل أن يتسمم تفكيره ضد حزب الاستقلال بمفتريات الجبناء وما تطرف في الرأي إلا من أجل إحراج الحزب وزعيمه أمام الآخرين، ونسي أنه قبل كان قد كتب رسالة إلى الأمين العام لحزب الاستقلال الحاج أحمد بلا فريج يؤكد عليه فيها بجمع الكلمة وتوحيد الصفوف حول سياسة العاهل والاعتصام بها لتحرير المغرب، كما نلاحظ من خلال الرسالة المشار إليها وهي منشورة في هذا الكتاب ص293 أعلاه والتي تسفه ماهو مزور باسم محمد بن عبد الكريم مما نشره الأستاذ الفاضل الوطني الغيور ج أحمد معنينو في مذكراته جـ 5 ص 32 وص 46 كتوقيع مزعوم لابن عبد الكريم وما هو لابن عبد الكريم كما افترى عليه المرتزقة بل هو لصنوه.

لقد كان الرجل حين يدخل في حوار مع زواره حول الفكرة يقول: إنها تحتاج إلى تكوين أطر، وتنظيم لم يتوفر عليه المغاربة، بل وإلى سند خارجي ومن يكون هل من الشرق أو من الغرب، وكلاهما كانا عنده عبثا، وإلى مال كثير لتوفير السلاح ومن أين، وحسب المغالطات التي كان المندسون يغالطون بها الرجل كان يعتقد أن الذي يستطيع كل ذلك إنما هو حزب الاستقلال الذي يحظى بتأييد الملك والشعب، وفي هذا تناقض، ولم

يكن يعلم أن حزب الاستقلال الذي يصفه بتلك القوة كانت كل وسائل تنظيمه وتكوين الأفراد المنتسبين إليه تعتمد في قاعدتها الشعبية العريضة على شيء معنوي روحي، وهو القسم بالله بعد وضع اليد على المصحف الكريم حتى يكون المقسم مخلصا للدين وللوطن وللملك ملتزما بمبادئ حزب الاستقلال التي منها الوفاء للعرش العلوي، وللجالس عليه محمد الخامس، وأن لا مفاوضات قبل الاستقلال، ولا قبول إصلاحات من الفرنسيين، وبالتالي لم تكن للحزب فلسفة تجر إلى التيه، بل كان مبدؤه واضحا بسيطا لايحتاج إلا إلى اتصالات شعبية بسيطة وسليمة، بعيدة عن التعقيد والجدل المذهبي، قريبة من العقل بحكم الثقة التي كانت قوية بين جميع أفراده الذين كانت تشدهم إلى الحزب بقوة تلك العواطف التي كانت مشتركة بين الجميع نحو الوطن وضد المستعمر المهين، والتي تمكنت بالحب المشترك نحو العاهل العظيم الأمين، كما كانت تنشطهم وتمكن لاستمرار إتصالهم بقضية بلادهم وما تقطعه من مراحل سواء فيما يتعلق بنشاط العاهل الذي كان برنامجه التمسك بحق شعبه، ورفضه لمخطط الإقامة العامة وصبره وثباته، وكذا فتحه للمدارس التي كان الشعب قد أقبل على تأسيسها بتوجيه من شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، وتأييد العاهل بتدشينها وفتحها في مختلف المدن والقرى، كما كانت الصحافة الوطنية تقوم بدور المنشط في هذا المجال وما لم تسمح به الرقابة ووحي الجاسوس المشهور التلمساني عبد الوهاب بن منصور كانت تتداركه بعض النشرات التي كانت تكتب باليد ثم تطبع بواسطة الورق الطابع حيث تستخرج منها مآت النسخ توزع سرا في عموم المغرب ليقرأها بعض الأفراد على جماعات الملتزمين لمبادئ الحزب، وكل هذا كان الذي إستفاد منه حزب الاستقلال هو تكوين الجماعات وفي الوقت الذي كان ابن عبد الكريم بسلامة طوية يؤاخذ على حزب الاستقلال عدم دعوته للتحرير بالسلاح وهو يعلم أن هذا الحزب في المغرب لم يكن يتوفر حتى على مثل ما لحزبي الشعب في الجزائر والحر الدستوري في تونس من تنظم سياسي بالمعنى المطلوب كجامعات وشعب وخلايا وليس هذا عن قصور في كفاءة الأنصار بل لأنه كان مضغوطا من الاستعمار الفرنسي مستهدفا للنكال أكثر، ولو عمل بنظام الجامعات والشعب والخلايا لتعرض للتمزيق والفناء، بل كل الذي كان يتوفر عليه من قوة أزعجت الفرنسيين وأقلقت راحتهم بطريقة لم يعرفوا طريقا للقضاء عليها إنما كانت تكمن فيما يتوفر عليه من رجال معلومين، وشبان

مؤيدين بحكم صادق وطنيتهم وبعاطفة نبل ووفاء تجاه العاهل الأمين الغيور الذي كان يؤيده ويناصره والذي وحد الصفوف بطريقة لم تستطع إدارة الحماية رغم كل وسائلها الجهنمية وما كان لها من عملاء أسال لعابهم الطمع والشره، أن تحدث في الصفوف التي كانت قوية البنيان متينة الأساس ولو أبسط الثغرات، وكم فكرت ودبرت وعملت من أجل التمزيق والتفريق لكنها باءت بالفشل ولقد كان من العوامل التي أضعفت رأي ومفعول الزعيم الريفي هو التدليس الذي دلس به عليه بعض الشوريين الذين أعماهم البغض والحسد ضد علال ولم يفكروا في القوة التي كانت تناصر علال حتى أنهم كانوا فقط ومن أجل ذلك يفكرون في كل وسيلة تحط من قدره شخصيا، وبالتالي إضعاف الحزب الذي هو قوته ووسيلته، ومن أجل ذلك كان الاتصال بابن عبد الكريم الذي غابت عنه كثير من الحقائق حول واقع الوضع في المغرب. ومن ذلك التفكير والتدبير والعمل، كان مشروع "الوزاني جوان" الذي سوف لا نتعرض له هنا رفقا بالوزاني ووضعه الأليم والذي وجده الجنرال كوسيلة من الوسائل التي حسب أنه إبتكرها باستهوائه للمعتدلين كما سماهم صاحب الحركات الاستقلالية لكن المشروع للأسف كان وباء على حزب الشورى الذي كان قد جمع في الأسفل جماعة وطنية قوية كان لها أثرها في المجال الوطني وهي نفسها أنكرت على محمد بن الحسن الوزاني ما جره على نفسه وعلى الذين ناصروه من الأذى بسبب النعوت غير المشرفة التي تعددت ضد الشوريين والتي منها الوصف بالطعن من الخلف في فبراير 1951 والعمل على تحطيم البناء الوطني حين أقبل المقيم العام والجلاوي على بعض الشوريين إقبالا، وجند المقيم كل وسائله الشريرة لاضطهاد الاستقلاليين وتشريدهم.و وقد استمرت هذه اللعبة ودام هذا النكال إلى نهاية عام 1952 بعد حادث إغتيال فرحات حشاد. حيث تم تشريد كل الذين كانوا في الطليعة من رجال حزب الاستقلال نهائيا. وذلك استعداداً للمسرحية التي مثلها الجلاوي وعبد الحي الكيتاني وابن عرفة، وأذناب الإقامة العامة، وفي هذه المرحلة التي بدأت كما عرفنا منذ زيارة طنجة وانتهت بإبعاد العاهل العظيم عن عرشه يوم 20 غشت عام 1953 وقتها كان لزعامة حزب الشورى أثناءها مواقف جد غير مشرفة منها موقف المشروع هذا، ثم موقف المنشور إثر حوادث 25 فبراير 1951. وما كان لمحمد بن الحسن الوزاني من بيان وتصريح سجله عليه عميد الصحفيين المصريين محمود عزمي حين قدم للمغرب على نفقة

جريدة الأهرام التي كلفته بكتابة التحقيق حول الحوادث التي شغلت العالم الإسلامي العربي وقتها، والتي كان بطلها محمد الخامس ولما قدم عزمي إلى المغرب، وكان قد إتصل بابن الحسن الوزاني ضمن الذين إتصل بهم صرح له هذا الأخير تصريحا ما كان ليصدر عن وطني في الوقت الذي كان حزب الاستقلال هو السبب الذي تعللت به الإقامة العامة لخلق الأزمة حتى إنها فرضت على العاهل أن يصدر تصريحا يتبرؤ فيه من حزب الاستقلال فرفض ذلك بكل شدة، وقتها صرح ابن الحسن الوزاني لعزمي أنه "لاعدو له في المغرب سوى الحزب الشيوعي وحزب الاستقلال" والقصد من ذلك هو تبرير منشور الطعن من الخلف، وهذا هو الذي جر الأذى من بعض المتهورين المندفعين بلا وعي ضد الأبرياء من أنصار حزب الشورى إلى درجة أنهم اختفوا من الميدان في سنوات ما بعد 1951 إلى1955 حين ظهر الذين فرضهم الفرنسيون في محادثات إكس ليبان، ولما عادوا بعد الاستقلال وكانت القاعدة الشعبية لحزب الشورى قد ساهم أفراد منها في معركة التحرير كفدائيين من غير أن يكونوا تابعين لحزب الشورى ومع ذلك حين أرادوا الوقوف بين الصفوف دفعوا الثمن غاليا بمجرد انتسابهم لحزب الشورى فكانت فظائع قتل عبد الواحد العراقي بفاس، وقتل الأبرياء بسوق الأربعاء الغرب بتدبير من التلمساني عمر بن عبد الجليل الذي كان ينصب شباكه على أموال ابراهيم الزهاني الذي فرض عليه أربعين مليونا. ثم حصل ما حصل من قتل لإبراهيم الوزاني والطود وبرادة وغيرهم بدار بريشة بتطوان كما فصل ذلك الجاسوس المشهور التلمساني عبد الوهاب بن منصور في اعلامه ترجمة ابراهيم الوزاني وبالتالي شمرت قيادة حزب الاستقلال على طرد الذين كانت الظروف التي صنعتها الحكومة الفرنسية قد فرضتهم للمشاركة في الحكومة(399) الإتلافية التي صنعت لها امبارك البكاي ولد لهبيل وهو العميل الفرنسي

(399) مما اضعف جانب حزب الشورى وقتها هو السرقة المكشوفة التي ظهرت على وزير المالية عبد القادر بن جلون في صفقة شراء الدار لمدير الأمن محمد الغزاوي شارع بني يزناسن التي اتفق كوزير للمالية مع صاحبها بثمن 13000000 سنتيم وصرح للعاهل وفي مجلس الحكومة بثمن 28000000 ولما اتصل المعني بالأمر وهو محمد الغزاوي بصاحب الدار كشف له عن الحقيقة، وتلك كانت أول فضيحة لوزير طرد بها في عهد الاستقلال. تليها فضيحة عبد الحميد ولد عبد السلام الفاسي الذي أصدرت الداخلية زمن ادريس لحمدي في حقه منشورابالطرد والحرمان الأبدي من العمل في إدارة الدولة، لكن ما حصل ولعشرات السنين وبالمكشوف كان أفظع وأعظم. خصوصا صناديق القرض الفلاحي والعقاري والسياحي التي بلغت مآت الملايير.

بلا حدود فكان ذلك مما أعطى للزعيم الريفي صورة على حقيقة الوضع الذي أصبح لحزب الاستقلال فيه حصة الأسد مما أعاد إلى الذاكرة أن نهاية الصراع الذي كان قد تطور بين ابن عبد الكريم وزعامة حزب الاستقلال لم يكن لولا دسيسة المنافقين والمدبرين، ورغم ما كان للرجل من تقدير وإكبار اتفق عليه المغاربة ملكا وشعبا ومنهم حزب الاستقلال قاعدة وزعامة، فإن المدلسين زادوا في وساوس الرجل حتى إنه أحجم عن الدخول للمغرب بعد الاستقلال، حيث قضى بقية حياته في مصر القاهرة بين عسر ويسر، وكان الأول مع الأسف أشد وطأة على الحر الأبي وعلى أسرته، رغم أن الوطن الذي جاهد في سبيل عزته قد تحرر وعادت إليه حريته، لكن ما عومل به الرجل من طرف العملاء الذين استفادوا من أخطاء السياسيين والزعماء ثم إندسوا وسيطروا فأهانوا الجميع، وبالتالي نكلوا بالجميع وبذلك أفسدوا حياة الجميع، ولذلك بقي الرجل في مهجره بالقاهرة إلى أن توفي رحمة الله عليه يوم الأربعاء 11 رمضان عام 1382هـ= 16ابريل1963م ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وإذا هو مر في هذه الحياة تاركا وراءه أجمل الذكريات كما تركها علال الفاسي رغم العثرات فإن ما حصل بين الرجلين مما سجله التاريخ في مذكرة كل منهما كان الخير وحب الوطن كما كان الشر من العملاء والمنافقين الذين لعب الزيغ والهوى بعقولهم فكانوا أداة طيعة في يد الاستعمار الذي كان همه التفريق والتمزيق، لكن ذلك كان وسيبقى ذكره في التاريخ رحمة من الله على الأوفياء بل ولعنة الله على العملاء بزيادة عذابهم الأليم الذي لا يلحقه فناء. كما سيبقى ذكر الرجلين مثال الوطنية والإخلاص والوفاء، وذلك نعيم أبدي ونعمة من الله ورجاء، بل ذلك لعمري مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي "أنا عند حسن ظن عبدي بي" وقوله صلى الله عليه وسلم "من أرخ مؤمنا فكأنما أحياه" وقوله صلى الله عليه سلم "المرء حي مادام يذكر" وما ذكر الرجلين بعد موتهما إلا بالخير، ولله عاقبة الأمور.

الباب الثلاثون

الفصل الواحد والتسعون بعد المائتين

محمد الخامس الرائد الذي كشف فرنسا في المغرب العربي وروع الاستعمار في العالم

قبل أن يشتد الصراع بين المغاربة ملكا وشعبا مع التيار الاستعماري الموتور والذي اشتد بطريقة هستيرية بعد زيارة العاهل لمدينة طنجة ، كانت فرنسا قد عرفت انتخابات رئاسية جاءت برجل ضعيف الإرادة هش البنيان، وكأن الرجعية الفرنسية ماجاءت به إلا من أجل أن تعود بالسياسة الفرنسية الى ما عرفت به من انحلال وتفسخ ومسخ ورذيلة وانحطاط. حتى كأنها لم تفد مما حل بها وما عرفته في الماضي القريب من ذلة وهوان على يد الألمان الذين فضحوا فرنسا والفرنسيين في أعراضهم وشرفهم وما كان لهم من خزي وبهتان في العالمين.

كانت الانتخابات الرئاسية قد جاءت بفانسان أوريول الذي أصبح رئيسا لفرنسا التي تنكرت للرجل الذي ساهم في تحريرها من ركل أحذية الألمان وهو الجنرال دي غول تنكرت له بحيث انتخب أوريول بتاريخ 1947/1/16 وبعد أقل من خمسة أشهر أمكن للمستعمرين الفرنسيين بالمغرب أن يحكموا إرادتهم بسحب إريك لابون وتعيين الجنرال اجوان الذي كان أول ما صرح به من كلام يدل على نواياه وما يحمله بين حناياه من حقد على نهج العاهل وكراهية للتيار الوطني. وإذا هو بيت على الشر. فإن كل أيامه التي قضاها في المغرب كانت كلها شر. ومهما يحاول المؤرخ السياسي وضع مذكرات لتلك التصرفات التي تدل على أصل ونشأة ابن الدركي من أم كورسيكية والذي ولد بعنابة من أرض الجزائر1889م وأنه بعد دراسته بمدرسة سانسير وتخرجه عام 1912 شارك في الحرب العالمية الأولى 1914 حيث جرح، ووقتها عرف المغرب بعد ليوطي وستيج والعهد عهد بناء الاستعمار وهدم الذاتية المغربية أيام لوسيان سنان الذي كان قد عين جوان

رئيسا لمكتبه الحربي. ومن وقتها قر في فكر الرجل الذي أصبح بعد جنرالا وقد عرف حقيقة وشجاعة المغاربة وحسبما تلقاه من معارف عسكرية وقتها، أن المغاربة وجب أن يكونوا في بلادهم على هامش الحياة السياسية والاقتصادية بله الثقافية والاجتماعية. وأنهم فقط يجب أن ينظر إليهم كقوة مادية للحفاظ على أمن فرنسا وتنمية اقتصادها، وتركز هذا المفهوم عند الجنرال أكثر بعد ما وقف على مشاركتهم في إنقاذ فرنسا من ركل أحذية الألمان. ولذلك لما عين مقيما بدل إريك لابون يوم 47/5/14 كان برنامجه التحطيم والهدم حتى يكون المغاربة كما أراد وأراد معه دهاقنة المستعمرين.

وإذا هو فعلا ومنذ حل بالمغرب لم يعرف غير الشر ضد المغاربة ممثلين في عاهلهم الذي صمم العزم وشمر الساعد من أجل النهوض بشعبه وتطوره، فإنه لم يكن على العاهل قبل أن يدخل في الصراع مع التيار الاستعماري بطريقة تقتلع جذوره لا في المغرب وحده، بل في القارة الإفريقية، ناهيك وأن حكومة بليفى ووزير خارجيتها جورج بيدو لم يكن لها رأي أمام جماعة المستعمرين بالمغرب وهم الذين اختاروا الجنرال اجوان. ولذلك كان على العاهل وحتى يشهد العالم كذلك على فظائع وفضائح الجنرال أن يكتب رسالة مفصلة إلى رئيس الجمهورية حتى يضع حدا لتلك التصرفات التي ماثبت قط أنها صدرت بتطاولها ممن سبقوا الجنرال اجوان، تلك التصرفات التي مهما حاولنا سردها بتفصيل والتعليق على مختلف مراحلها فلن يكون كما تبين لنا الرسالة الملكية إلى ڤانسان أوريول والتي نورد نصها الكامل فيما يلي: تقول الرسالة الملكية المؤرخة بـ 18محرم1367هـ/12/12/1947.

الحمد لله وحده

إلى فخامة السيد فانسان أوريول رئيس الجمهورية الفرنسية(1) في الوقت الذي عينت فيه حكومة الجمهورية الفرنسية السيد الجنرال اجوان ليمثلها لدى جلالتنا الشريفة. كنا نأمل لتسوية جميع القضايا المغربية أن يتأتى بالروح الجديرة بأن تصون العلاقات المغربية الفرنسية السمة المطابقة لتطور العالم الذي تلا حربي التحرير

(1) إن من خلال ما ورد في هذه الرسالة يستطيع المرء أن يتصور الجو العام الذي عاشه المغاربة ملكا وشعبا بعد نهاية الحرب العالمية بصفة عامة وأيام الجنرال اجوان بصفة خاصة. ثم راجع تعليق 126 بعد.

الاخيرتين اللتين شارك فيهما المغرب بكافة وسائله المادية والمعنوية. ولكي تبقى الصداقة التي توحد شعبينا دوما قائمة على أسس وطيدة فكانت لنا ثقة كاملة في معرفة الجنرال اجوان المستفيضة بجميع القضايا المغربية والاسلامية وفي حنكته الشديدة.

وإننا لآسفون إذ نلاحظ أن العلاقات بين المخزن والإقامة العامة ما انفكت متوترة منذ الأسابيع الأولى من شهر يونيو الماضي. وإنه كلما سعينا في تحسينها وظننا أننا وصلنا بالإقناع والتسهيلات إلى تخطي المصاعب عادت الى طبيعة توترها الأولى.

فلهذه الاسباب واعتبارا منا للعلاقات الحبية بين شعبينا. رأينا من الضروري أن نطلع فخامتكم على صورة من الأساليب التي تذرعت بها في الأشهر الاخيرة بعض مصالح الإقامة العامة، والتي هي أساس الخلاف الذي نرتئي من المفيد أن نلفت نظركم إليه.

فبينما كنا نترقب توطيد نفوذ المخزن، وإدخال إصلاحات حقيقية عليه، إذا بالسيد المقيم العام يعرض علينا يوم عاشر يونيو 1947 إقتراحات تحلينا في سبيلها بالكثير من الصبر، وبذلنا العديد من التنازلات لتبقى لعلاقاتنا روح التفاهم والوئام التي كانت بها دوما مسترشدة.

ففي مجال إصلاح جهاز المخزن وبعد إنسجام قطعي نكث السيد المقيم العام ما أبرم في قضية وزير العدل فأرضيناه مرة أخرى إرضاء تاما برهانا له على حسن إرادتنا.

وقد بعث لنا السيد المقيم للتعبير عن رضاه بالرسالة التي نوجه إليكم طيه نسخة منها بقصد إطلاعكم على جميع مساعينا المبذولة من أجل المحافظة على علاقات ودية بين عاهل المغرب وممثل فرنسا.

وقد عزل أربعة قواد في ظروف تعسفية لم يسبق لها نظير، فلم نغفل إطلاع السيد المقيم العام عليها في ختام رسالة وجهناها له يوم 24 يونيو الماضي1947.

لما ظننا في خاتمة المطاف أن كل خلاف قد صار مستبعدا سعدنا باستدعاء السيد المقيم إلى حفلة أقمناها بمناسبة نجاح أبنائنا في إمتحاناتهم الدراسية. بيد أن السيد المقيم العام لم يفته ان يتفوه في خطبه بعبارات جارحة لشعور حكومتنا، بل من شأنها

أن تؤول على أن شخصنا هو المقصود بها، كما أنه إستعمل كلمات إزدراء في حق الشعب المغربي "وقد جاء فيها ما يلي من قول اجوان في صلب الرسالة الملكية"

1) "إنني مصمم على التفرغ لمهمتي دون نفاق، ولكن أيضا دون ضعف ولن أقبل مساومة المخزن"

2) يتذكر الكثير منكم العهد الذي كان فيه سكان هذه البلاد يموتون ميتة الذباب. بينما كان قوتهم الوحيد هو الجراد الذي كان يسقط عليهم من السماء(2).

فانتهزنا الفرصة، ووجهنا الى السيد المقيم العام رسالة جديدة في 16 يوليوز 1947 ننبهه فيها الى حالة عبد الحي الكتاني "شيخ طريقة" الذي رخص له دون إذن المخزن في القيام بزيارات "لاستلام الهدايا" بالإيالة الشريفة، وإلى توقيف قائد بناحية مراكش توقيفا تعسفيا، فلم يكن لهاته الرسالة من جواب.

كما نود إحاطة فخامتكم علما بما لايسوغ من أساليب الرقابة التي تمنع منعا مفضوحا نشر بلاغات القصر، وتحرم إستعمال كلمتي "ولي العهد" كلما تحدثت الصحافة العربية عن إبننا البكر الذي ينعته بهما جميع خطباء الجمعة في كافة مساجد المغرب منذ 1931 عندما كان لا يبلغ من العمر إلا ثلاث سنوات، وقد تم دون علمنا المسبق إستدعاء الوزراء ورجال المخزن لتوشيح صدورهم بأوسمة، وسجن مغاربة لأنهم جاؤا متظلمين لدى المخزن من حيازة قمح أو لغير ذلك من الاسباب، ويهدد القواد بالعزل لعلل، وعين قائد فنصبه المقيم العام دون إستشارتنا.

وكان الإصلاح الاخير يتعلق بتعيين خلفاء الباشوات تعيينا مباشرا في أهم المدن المغربية. وقد لحق معاهدة الحماية تشويه بين لما نصبتهم سلطات المراقبة، قبل أن ينهي الى علمنا مشروع الإصلاح، وأسماء الخلفاء من أجل إبداء الرأي والمصادقة.

إننا لنسمح لنفسنا بعرض هاته القضية عليكم بجميع تفاصيلها إعتبارا للأهمية

---

(2) هذا منطق الجنرال الفرنسي ابن ما خور عنابة الذي اصبح بعد ماريشالا وهو الذليل الحقير الذي باع وطنه يوما ومرغ الشرف العسكري بتفاوضه مع الالمان الذين قبل أقدامهم في برلين، وبذلك أعادوا إليه حريته، أية خسة بعد هذا المنطق والمغاربة في الماضي القريب هم الذين حرروا وجوه إخوانه وأخواته من ركل الألمان: وامغرباه، بالله يا أحذية الألمان عودي فأدركينا. وأدركي دعاة لفرانكوفونية المغاربة معنا.

العظمى التي نوليها لتصرفات شططية من هذا القبيل.

وغداة شخوص السيد المقيم العام الى فرنسا في الأيام الاولى من شهر أكتوبر الماضي جاء السيد مستشار الحكومة الشريفة للحديث معنا في هذا الإصلاح الذي كنا طلبنا منه عرض مسودته علينا.

على أننا أمرنا الصدر الأعظم، بمقابلة السيد المقيم العام بمجرد عودته من فرنسا للكلام معه في هاته المسألة، فأجاب الجنرال اجوان الصدر الأعظم بأن المشروع قيد الدرس بمصالح الإقامة العامة منذ خمسة أشهر، وأنه كان يعتقد أنه عرض علينا وأعطينا موافقتنا على تطبيقه ووعد بإرساله الى المخزن، ولما جاء لزيارتنا لم يفتنا أن نحدثه عنه من جديد، فجدد لنا وعده بإحالته علينا. وبينما كنا ننتظر المشروع لبحثه، والإدلاء بنظرنا فيه إذا بنا نندهش لما رأينا جميع الصحف تتحدث عنه ناشرة بلاغ الإقامة العامة المحدد لتاريخ إجراء العمل بهذا الإصلاح وتولية الخلفاء المعنيين تطبيقا لمقتضياته.

كل هذا وقع دون أن يرفع مسبقا الى علمنا ويطلع عليه مخزننا بأية طريقة ودون أن نتمكن من معرفة أي شيء عنه كيفما كان.

لقد طلبنا من مستشار الحكومة أن يتكلم على ذلك مع السيد المقيم العام ويطلب منه وقف تنفيذه الى أن يتسنى لنا دراسته لنقره ونضفي عليه حلة المشروعية بظهير شريف، فرفضت الإقامة العامة هذا الإمهال، وعرض علينا مستشار الحكومة الشريفة يوم 4 نونبر مشروع ظهير هذا الإصلاح للإطلاع عليه، مع قائمة تتضمن أسماء الخلفاء المعينين عملا به.

وإننا لنلفت نظر فخامتكم لفتا خاصا إلى إستحالة إغفال هاته القضية المهمة المخالفة مخالفة صريحة لمعاهدة الحماية التي إعترفت بها حكومة الجمهورية. والتي من واجب الإقامة العامة احترامها.

وهناك في الأخير قضية التعليم التي أثارت مؤخرا حادثا مؤسفا بيننا وبين السيد المقيم العام. يعلم كل واحد منا أن المغرب لا يمدرس إلا زهاء 80.000 من أصل 2000000 تلميذ نريد إنقاذهم من الجهل الذي تذمه جميع الشعوب، وبما أن ميزانية المغرب لاتستطيع تلقين التربية المرغوب فيها لجميع الأطفال فقد خضنا باتفاق مع جميع المقيمين

العامين السابقين عدا الجنرال اجوان حملة واسعة لدعى رعايانا ليسهموا إسهاما كبيرا في تطوير التعليم بالمغرب، وبالفعل لبى الشعب المغربي نداءنا تلبية كانت من الحماسة بحيث يسعدنا أن ننوه بجهوده المحمودة فيها، وتشجيعا لهاته الحركة ترأسنا بنفسنا أو بأنجالنا وضع الحجر الاساسي للمؤسسات الدراسية أو تدشينها.

لقد حدث بعد أن قررنا تشييد مدرسة سلا، أن كلفنا نجلنا البكر برئاسة حفلة وضع الحجر الأساسي لهاته المدرسة حسبما جرى قبل في مناسبات متعددة، ولكم كان إستغرابنا عظيما لما أعلمنا باشا سلا(3) أن المراقب المدني صرح له أن الحفلة المقررة في نهاية الاسبوع الموالي لن تقع لأن الإقامة العامة منعتها.

وقد أخبرنا مستشار الحكومة الشريفة الذي كلفناه بالكلام في ذلك مع السيد المقيم العام بأن هاته الحفلات مدعاة لمظاهرات سياسية مؤسفة، فلا يمكن الترخيص بها ولا السماح بما يمكن أن يلقى فيها من خطب مغرضة، فاتخذنا الإجراءات الضرورية لمنع كل ضرر أو خلاف، وقررنا ألا تشتمل هاته الاحتفالات في المستقبل إلا على خطب تعرض مسبقا على مندوب الصدر الأعظم في التعليم الذي يكون مسؤولا عن كل كلام ناب، ولم يعزب عن بالنا إصدار الأوامر اللازمة لكي لايكون لهاته المظاهرات من غرض إلا تشجيع تنمية التعليم

وجرت حفلة سلا التي أخرت عن موعدها بأسبوع في هدوء تام وطمأنينة دفعت السيد المقيم العام إلى أن يبلغنا تهانيئه بواسطة مستشار الحكومة الشريفة.

ولما كنا نعتقد أنه ليس علينا إلا مواصلة جهودنا عملنا على أن يدشن بكرنا مولاي الحسن مدرستين بفاس ريثما نترأس وضع حجر الأساس لمدرسة بمراكش. وتدشين مدرسة بالرباط. ولشد ما إندهشنا لما قدم علينا السيد المقيم العام يوم الاثنين 9نونبر1947 على الساعة الحادية عشرة ليقول لنا أنه بما أن شبانا وطنيين نطقوا بكلمة

(3) يعني محافظ مدينة سلا وبالمناسبة نشير الى أن المدرسة المذكورة هي التي كان أهل سلا قد شاركوا في بنائها كل بما تيسر له بحيث جمعت أموال بنائها من المواطنين فردا فردا، بل وبيتا بعد بيت، ومن لم يجد مالا ساهم بالعمل ولما حصل المغرب على الاستقلال سطى عليها المسمى أبو بكر القادري وهو طرقي من المنتسبين لحزب الاستقلال ثم باعها للدولةبمآت الملايين بلا خجل ولا وجل. وذلك مثل من أمثلة الخيانة التي تعلل بها أولئك الذين فعلوا بالمغرب والمغاربة ما لم يفعل السابقون منه ولو10٪ أمثال أحمد رضا كديرة والمرتزقون من عصابته الذين فعلوا بالمغرب مالم يفعله المستعمرون بل والذين يضربون المثل ويتعللون بما فعله القادري وأمثاله مما سنكشفه في محله.

"الاستقلال" عند تدشين مدرستي فاس، فإنه مضطر لمنع جميع المظاهرات من هذا النوع لأن من شأنها أن تفضي إلى أحوال من الشغب والاضطراب لاتطاق.

وعبثا حاولنا أن نفهمه أنه لم يطرأ بفاس ما يستحق الملامة حسب كلام باشا هاته المدينة الذي اخبرنا بعدم وقوع أية حادثة غريبة، فأصر السيد المقيم العام على رأيه مصرحا لنا أنه ما دام الشباب المغاربة يتلفظون بكلمة "الاستقلال" فإننا نراه مستحيل التحقيق. لأننا لانستطيع منع المغاربة من حرية التعبير المعترف بها لجميع الشعوب(4).

وقد كرر السيد المقيم العام جوابه الأول، فأعطيناه مرة أخرى تطمينا على أننا لن نسمح بكلام يجرح كرامة فرنسا أو مشاعرها، وعلى أننا سنبذل جميع وسائلنا لتيسير تطور رعايانا. معتبرين أن التربية أساس هاته الوسائل. فتمسك السيد المقيم بموقفه الأول ولم تقع حفلتا مراكش والرباط اللتان كان المغرب كله يترقب بفارغ الصبر أن تجريا بحضور عاهله.

وختاما إنه لمن دواعي كدرنا وألمنا أن نصرح لفخامتكم أن ليس من شأن هذا السلوك أن يخلق بيننا ما يلزم من تفاهم، بل حتى ما ينبغي من وفاق جيد، وبما أننا سنظل أوفياء من صميم القلب لهذا الانسجام ولتوطيد الروابط الودية التي توحد شعبينا، نعرض على عقلكم الراجح كأمة مدى هذا الزيغ الموجود بين الحالة الراهنة والحالة التي كانت على الدوام سائدة بين المخزن الشريف والإقامة الفرنسية العامة بالمغرب سواء على عهد والدنا المقدس أوخلال العشرين عاما التي شاءت الاقدار الإلهية أن تنيط بعهدتنا فيها مسؤولية حكم هذا البلد.

---

(4) أتمنى أن يعيش القارئ مع محمد الخامس رحمة الله عليه ما كان يعانيه من وقاحة الاستعماريين وقتها حتى يتعرف كيف حصل المغرب على الاستقلال ومن هم الذين يتمتعون بالامتيازات في عهد الاستقلال حتى أصبح الذين حرروه يتصورن وكأنهم أجرموا كما عبر المقاوم عبد الله المرابط للحاج العربي القباج حين زاره وقد أدركته الشيخوخة ثم هو يعاني من غلب الايام وقهر الخونة والمجرمين السابقين وللتاريخ رويت عن القباج يوم اعلان حكومة العمراني الثانية بتاريخ 1992/8/11 وقد أصبح رأسمال العمراني بعد الفقر المهين وتوزيع حوت وادي سبو ثم إصلاح أجهزة الراديو القديمة بطالعة فاس يتوفر على مبلغ 754 مليون دولار كما نشرت الصحافة ج.م. المواطن السياسي ع146 بتاريخ 8يونيه1994 ص6.

وامغرباه. دون أيها التاريخ ثم تدبر أيها الشعب البئيس وردد قول الله تعالى "وتلك الايام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء" بل سجل للاجيال المقبلة لتذكر هذا الواقع الذي ما عرفه شعب مثل شعبنا.

وإننا لنبيح لأنفسنا أن نشير إلى أن قرارات من هذا الضرب مخالفة لمعاهدة الحماية لاتسامها بصبغة الحكم المباشر من لدن الإقامة العامة التي لا ترعوي عن أن تتدخل أحيانا في مسائل هي في جوهرها دينية.

وقبل الختام نود توضيح نقطتين أساسيتن:

يشاع في بعض الأوساط أننا نناوئ كل الإصلاحات التي قدمتها لنا الإقامة العامة. والحقيقة أن جميع الإصلاحات التي عرضها علينا السيد السفير لابون أحيلت من أجل الدراسة وإمعان النظر على لجان مختصة لم تلبث أن أدلت برأيها فيها، وقد أنجز بعضها ولا يزال البعض الآخر قيد البحث بالإقامة العامة.

أما الإصلاحات التي قدمها الجنرال اجوان فقد طبق جلها بعد الدراسة والتعديلات التي ظهرت فائدتها.

وإن دراسة هاته الإصلاحات ومراجعتها لمن أكيد الضروريات لإحترام المشروعية ورعاية المصلحة العامة التي هي من أهم الأمور لدينا، زد على هذا مبدأ العمل المقرر منذ تأسيس الحماية فليس بدعا ولا مبادرة خرجنا بهما عن إطار سلطتنا.

ومن جهة أخرى إشاعات زائفة ومغرضة من أننا نطمح الى السلطة المطلقة، وأننا نناهض المبادئ الديمقراطية، والحق أن الإصلاحات التي عرضت علينا لا تشتمل دائما على هاته الروح الديمقراطية التي نصبوا اليها بالذات، إننا نطمح كما صرحنا في مناسبات شتى إلى أن نخول رعايانا جميع الحقوق وكافة الحريات بشرط وحيد هو أن تكون حقيقة وأن يستفيد منها شعبنا برمته. ويجنى ثمراتها.

ففي هاته الظروف نرجو من فخامتكم أن تسهروا على أن تواصل حكومة الجمهورية سياسة إحترام حكومة المغرب وصيانة حقوق شعبه لتطمئن القلوب وتهدأ الأفكار ولتدوم العلاقات الممتازة التي كانت دائما قائمة بين المخزن الشريف والإقامة بالمغرب والسلام.

وحرر بالرباط في 18 محرم 1367هـ/12/12/1947.

راجع كتاب التحدي ص382-391

ط الملكية1983

لقد عرف محمد الخامس في حياته السياسية شخصيا تسع سنوات قضاها في أشد أنواع العنف وحدة الصراع مع الاستعمار الفرنسي، تلك هي التي بدأت بتعيين الجنرال اجوان مقيما عاما بالمغرب بتاريخ1947/5/14 إلى تاريخ عودته من المنفى1955/11/16م ولعل تاريخ المغرب السياسي قد تتبع تلك السنوات وما حصل فيها بالساعة واليوم والاسبوع والشهر والسنة، وذلك من قوة إهتمام الشعب المغربي بمحمد الخامس وحبه له بطريقة لم تعرف لغيره عبر التاريخ، وإذا كان المنتظر لهذه الرسالة أن تحقق اعتدالا في سياسة العسكري المتهور، فإنه على العكس ازداد عنفا بل وتطرفا في تصرفاته خصوصا وأن بونيفاص الكورسيكي وهو الذي كان يحكم بالقهر أعظم مدينة في المغرب تجمع فيها كل ما شيده المستعمرون في مجال الإقتصاد بالمغرب، كما كان وراء كل ما يجمع من الرشاوي التي كان المستعمرون يشترون بها رجال حكومة باريز وصحافتها، بل استطاع كذلك أن يأسر الجنرال جوان عن طريق زوجته التي هي الأخرى إتخذت من بونيفاص العشيق لأنه حقق لها ما عجز عنه الجنرال العليل الى درجة إنتهت إلى الفضيحة التي لم يكن أمام جوان غير أن يستسلم لسياسة المستعمرين الذين كانوا في سباق مع الأيام من أجل السيطرة على كل شيء في المغرب تشريعا وتنفيذا، الامر الذي دفع محمد الخامس المسلح بشعبه وحقوق أمته أن يتقدم خطوات شجاعة في ميدان الصراع لا مع المقيم وجماعة المستعمرين بل ومع حكومة فرنسا ووزير خارجيتها بيدو والذي افتضح أمره واشتهر أنه كذلك أصبح تحت رحمة المستعمرين بالمغرب ورشاواهم، ولعل من أهم العوامل التي دفعت بمحمد الخامس الى تحقيق النصر هو قوة سيطرته على النفس وجموح شهواتها الى درجة أنه لو قدر للتاريخ السياسي أن يتناول من حياته الخاصة ما يتعلق منها بالتاريخ الداخلي لحياة هذا العاهل العظيم لتعرف الناس منها على أن الرجل في كل ما يرتبط بالشعب من ظروف حياته سياسيا وثقافة واجتماعا واقتصادا كان عبارة عن قديس يراعي في كل ذلك إرتباطه بالخالق حتى إنه كان يعبر وبلا تحفظ أن الملك الذي لاتقوم عليه مصالح الأمة ولا تراعى من خلاله حقوق الشعب ثم هو يتحكم فيه الأجنبي الدخيل أولى أن يرفض ويداس بالقدم، وسوف يفعل ويختار المنفى السحيق.

كانت شدة الصراع مع محمد الخامس وكما رأينا من خلال الرسالة الموجهة من العاهل الى رئيس جمهورية فرنسا أوريول الضعيف قد انتهت بالجنرال اجوان ورعونته إلى تمزيق إدارة المغرب شر تمزيق بحيث لم يعرف المغاربة من الإدارة الفرنسية(5) غير

---

(5) لقد كان منه هذا التصرف في الوقت الذي صدر فيه الاعلان العالمي لحقوق الانسان، لكن متى قرر المغرب الاعتراف بحقوق الإنسان حتى بعد تحقيق الاستقلال بأربعين سنة.

في العاشر من ديسمبر 1948 أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة الاعلان العالمي لحقوق الانسان وأعلنته، وبعد هذا الحدث التاريخي دعت الجمعية العامة الدول الاعضاء الى ترويج نص الاعلان، والى العمل على نشره وتوزيعه وقراءته ومناقشته، وخصوصا في المدارس والمعاهد التعليمية بدون أي تمييز بشأن الوضع السياسي للدول أو الاقاليم.

ووقتها كان المغرب في صراع مع الاستعمار حتى إذا ما قدم المغاربة ملكا وشعبا من التضحيات ما تحقق به الاستقلال 1956 ومحمد الخامس هو الذي أعلن قانون الحريات العامة بتاريخ1958/11/15 ثم توفي محمد الخامس سنة 1961 وهو صاحب العهد الملكي. بقي المغاربة ينتظرون تحقيق أهداف إعلان حقوق الانسان وفي 20 غشت1992 وحين عدل دستور 1972 الذي كان بدوره قد حل عن دستور 1962 وهذا ميثاق حقوق الإنسان الذي رفضه شيخ الاسلام اقر حقوق الانسان حيث نص كما هو معترف بها دوليا منذ خمسين سنة:

الديباجة

لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الاسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية ثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم.

ولما كان تناسي حقوق الانسان وازدراؤها قد أفضيا الى أعمال همجية آذت الضمير الانساني، وكان غاية ما يرنو اليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفزع والفاقة.

ولما كان من الضروري ان يتولى القانون حماية حقوق الانسان، لكيلا يضطر المرء آخر الأمر الى التمرد على الاستبداد والظلم،

ولما كانت شعوب الامم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد ايمانها بحقوق الانسان الاساسية وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية، وحزمت أمرها على أن تدفع بالرقي الاجتماعي قدما وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية افسح.

ولما كانت الدول الاعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الامم المتحدة على ضمان اطراد مراعاة حقوق الانسان والحريات الاساسية واحترامها.

ولما كان للادراك العام لهذه الحقوق والحريات الاهمية الكبرى للوفاء التام بهذا التعهد.

فان الجمعية العامة تنادى بهذا الاعلان العالمي لحقوق الانسان على انه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والامم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع، واضعين على الدوام هذا الاعلان نصب أعينهم، الى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات من طريق التعليم والتربية واتخاذ اجراءات مطردة، قومية وعالمية، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الاعضاء ذاتها وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها.

المادة الاولى : يولد جميع الناس أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق وقد وهبوا عقلا وضميرا، وعليهم ان يعامل بعضهم بعضا بروح الاخاء.

المادة الثانية: لكل انسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الاعلان، دون أي تمييز=

الظلم والبغي والاضطهاد، فالإدارة كانت قد تفرنست، حتى انها أنشأت لها في المغرب خمس عشرة بلدية كل رؤسائها فرنسيون بما في ذلك المدن التي لا يوجد بها ولو

= كالتمييز بسبب العنصر او اللون او الجنس، او اللغة او الدين او الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء.

وفضلا عما تقدم فلن يكون هناك أي تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي للبلد أو البقعة التي ينتمي إليها الفرد سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلا أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أو كانت سيادته خاضعة لأي قيد من القيود.

المادة الثالثة: لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.

المادة الرابعة: لا يجوز استرقاق أو استعباد أي شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعهما.

المادة الخامسة: لا يعرض أي انسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة.

المادة السادسة: لكل إنسان أينما وجد الحق في أن يعترف بشخصيته القانونية.

المادة السابعة: كل الناس سواسية أمام القانون، ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة منه دون أية تفرقة، كما أن لهم جميعا الحق في حماية متساوية ضد أي تمييز يخل بهذا الاعلان وضد أي تحريض على تمييز يخل بهذا الاعلان وضد أي تحريض على تمييز كهذا.

المادة الثامنة: لكل شخص الحق في أن يلجأ إلى المحاكم الوطنية لانصافه من أعمال فيها اعتداء على الحقوق الأساسية التي يمنحها له القانون.

المادة التاسعة: لايجوز القبض على أن انسان أو حجزه او نفيه تعسفا.

المادة العاشرة: لكل انسان الحق، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، في ان تنظر قضيته أمام محكمة مستقلة نزيهة نظرا عادلا علنيا للفصل في حقوقه والتزاماته وأية تهمة جنائية توجه اليه.

المادة الحادية عشرة: (1) كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئا الى أن تثبت إدانته قانونا بمحاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه.

(2) لا يدان أي شخص من جراء أداء عمل أو الامتناع عن أداء عمل إلا اذا كان ذلك يعتبر جرما وفقا للقانون الوطني أو الدولي وقت الارتكاب، كذلك لا توقع عليه عقوبة أشد من تلك التي كان يجوز توقيعها وقت ارتكاب الجريمة.

المادة الثانية عشرة: لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعته، ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل او تلك الحملات.

المادة الثالثة عشرة: (1) لكل فرد حرية التنقل واختيار محل اقامته داخل حدود كل دولة.

(2) يحق لكل فرد أن يغادر اية بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة اليه.

المادة الرابعة عشرة: (1) لكل فرد الحق في أن يلجأ إلى بلاد أخرى أو يحاول الالتجاء اليها هربا من الاضطهاد.

(2) لا ينتفع بهذا الحق من قدم للمحاكمة في جرائم غير سياسية أو لأعمال تناقض أغراض الأمم المتحدة ومبادئها.

المادة الخامسة عشرة: (1) لكل فرد حق التمتع بجنسية ما. =

فـرنسي. كـمـا نظمت في تلك المدن وحسَب المناطق مـا اطلقت عليـه الغـرف الزراعيـة والصناعية والتجارية، وكلها مقتصرة على الفرنسيين ثم وضعت على رأس كل ذلك ما

= (2) لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفا أو إنكار حقه في تغييرها.

المادة السادسة عشرة: (1) للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب الجنس او الدين، ولهما حقوق متساوية عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله.

(2) لا يبرم عقد الزواج الا برضى الطرفين الراغبين في الزواج رضى كاملا لا إكراه فيه.

(3) الأسرة هي الوحدة الطبيعية الاساسية للمجتمع ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة.

المادة السابعة عشرة: (1) لكل شخص حق التملك بمفرده او بالاشتراك مع غيره.

(2) لايجوز تجريد أحد من ملكه تعسفا.

المادة الثامنة عشرة: لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الاعراب عنهما بالتعليم والممارسة واقامة الشعائر، ومراعاتها، سواء أكان ذلك سرا أم مع الجماعة.

المادة التاسعة عشرة: لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الانباء والافكار وتلقيها واذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية.

المادة العشرون: (1) لكل شخص الحق في حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية.

(2) لا يجوز ارغام احد على الانضمام الى جمعية ما.

المادة الحادية والعشرون: (1) لكل فرد الحق في الاشتراك في إدارة الشئون العامة لبلاده إما مباشرة وإما بوساطة ممثلين يختارون اختيارا حرا.

(2) لكل شخص نفس الحق الذي لغيره في تقلد الوظائف العامة في البلاد.

(3) إن إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة، ويعبر عن هذه الارادة بانتخابات نزيهة دورية تجرى على أساس الاقتراع السري وعلى قدم المساواة بين الجميع، او حسب أي اجراء مماثل يضمن حرية التصويت.«؟؟؟...»

المادة الثانية والعشرون: (1) لكل شخص بصفته عضوا في المجتمع الحق في الضمانة الاجتماعية وفي أن تحقق بوساطة المجهود القومي والتعاون الدولي، وبما يتفق ونظم كل دولة ومواردها، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي لا غنى عنها لكرامته وللنمو الحر لشخصيته.

المادة الثالثة والعشرون: (1) لكل شخص الحق في العمل، وله حرية اختياره بشروط عادلة مرضية كما ان له حق الحماية من البطالة.

(2) لكل فرد دون أي تمييز الحق في اجر متساو للعمل.

(3) لكل فرد يقوم بعمل، الحق في أجر عادل مرض يكفل له ولاسرته عيشة لائقة بكرامة الانسان تضاف إليه، عند اللزوم، وسائل أخرى للحماية الاجتماعية.

(4) لكل شخص الحق في ان ينشئ وينضم الى نقابات حمايات لمصلحته.

المادة الرابعة والعشرون: لكل شخص الحق في الراحة، وفي أوقات الفراغ، ولا سيما في تحديد معقول لساعات العمل وفي عطلات دورية بأجر.

المادة الخامسة والعشرون: (1) لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولاسرته، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة، وله الحق في تأمين معيشته في حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل =

أطلقت عليه مجلس شورى الحكومة، وما هو في الحقيقة إلا مجلس شورى الجنرال جوان الذي بعدما نظم مجلس شورى حكومته التي أراد فرضها بالقوة كأداة يباشر بها أعماله الإستبدادية، يشرع وينفذ مقرراته بالقوة والعنف، خصوصا وقد كون المجلس المذكور من ممثلين عن الغرف الفرنسية للتجارة والصناعة والفلاحة، ينتخب بعضهم بالاقتراع المباشر من جميع الفرنسيين المقيمين بالمغرب ذكورا وإناثا، والذين رفع الجنرال عددهم من 300000 قبل تعيينه إلى 410000 كما شارك في الانتخاب المذكور وبأوامر المقيم مغاربة منهم بعض الوطنيين الذين لم يكن للمقيم بد من ترك المجال مفتوحا أمامهم حتى يعطي لعمله صفة المشروعية.

= العيش نتيجة لظروف خارجة عن إرادته.

(2) للأمومة والطفولة الحق في مساعدة ورعاية خاصتين، وينعم كل الاطفال بنفس الحماية الاجتماعية سواء أكانت ولادتهم ناتجة عن رباط شرعي أم بطريقة غير شرعية.

المادة السادسة والعشرون: (1) لكل شخص الحق في التعلم، ويجب أن يكون التعليم في مراحله الأولى والأساسية على الأقل بالمجان، وان يكون التعليم الاولى الزاميا، وينبغي ان يعمم التعليم الفني والمهني، وان ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة.

(2) يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الانسان إنماء كاملا، وإلى تعزيز احترام الانسان والحريات الأساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية، وإلى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام

(3) للآباء الحق الأول في اختيار نوع تربية أولادهم.

المادة السابعة والعشرون: (1) لكل فرد الحق في أن يشترك اشتراكا حرا في حياة المجتمع الثقافي وفي الاستمتاع بالفنون والمساهمة في التقدم العلمي والاستفادة من نتائجه.

(2) لكل فرد الحق في حماية المصالح الأدبية والمادية المترتبة على إنتاجه العلمي أو الأدبي أو الفني.

المادة الثامنة والعشرون: لكل فرد الحق في التمتع بنظام اجتماعي دولي تتحقق بمقتضاه الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الاعلان تحققا تاما.

المادة التاسعة والعشرون: (1) على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذي يتاح فيه وحده لشخصيته أن تنمو نموا حرا كاملا.

(2) يخضع الفرد في ممارسة حقوقه وحرياته لتلك القيود التي يقررها القانون فقط، لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها ولتحقيق المقتضيات العادلة للنظام العام والمصلحة العامة والاخلاق في مجتمع ديمقراطي.

(3) لا يصح بحال من الاحوال أن تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة ومبادئها.

المادة الثلاثون: ليس في هذا الاعلان نص يجوز تأويله على أنه يخول لدولة أو جماعة أو فرد أي حق في القيام بنشاط أو تأدية عمل يهدف إلى هدم الحقوق والحريات الواردة فيه.

وعن ميثاق الدار البيضاء : راجع الموسوعة ع ص 1797 ط 1965.

إنه الجنرال جوان الذي عين مقيما عاما بالمغرب
والذي مذ عرف المغرب رذالة الاستعماريين
الفرنسيين لم يعرف أرذل ولا أخس منه

الجنرال جوان يغادر القصر الملكي

جوان في وازان

الجنرال جوان يوسم أحد الوزانيين أثناء حملته ضد
محمد الخامس 1947

جوان داخل مقبرة آل وازان يوم 1947/11/6

الفصل الثاني والتسعون بعد المائتين

دوافع زيارة محمد الخامس لفرنسا 1950 وشروطها

كانت من مهمة هذا المجلس وكما سبق زيادة على التشريع لفائدة المستعمرين من أجل اغتصاب الأرض وفي مجالات مختلفة دراسة الميزانية العامة، وأثناءها حصلت هزات عنيفة زعزعت الأعمدة التي بنى عليها الجنرال سياسته. كما عرفته وعرفت حكومة بلاده ان المغاربة ملكا وشعبا لم يعد في وسعهم تحمل ولا قبول السياسة التي تطبقها فرنسا في المغرب، الأمر الذي دفع حكومة فرنسا إلى أن توجه للعاهل المغربي دعوة لزيارة فرنسا. وذلك بعدما إستنفد الجنرال اجوان كلما عرف من طرق الخبث والعنف. وكان آخرها محاولة الانتقاص من سلطة الملك الشرعية بالنسبة لرجال السلطة في المغرب، حيث فصل بعضهم ووبخ آخرين كما رأينا وقاوم تعيين الوطني الصادق محمد الزغاري على رأس الديوان الملكي، ومن أجل ذلك كانت الزيارة مشروطة بقبول الشروط الملكية حتى يكون لها هدف غير الذي ترمي إليه فرنسا من ورائها. ناهيك وأن توجيه الدعوة كان بعدما تم الإتفاق بين التونسيين والفرنسيين حول تحوير نظام البلديات ثم وقع بتاريخ 1950/8/17م وبعدما كان الجنرال اجوان قد سمح لنفسه بالمشاركة في اجتماع وزاري بفرنسا بتاريخ 1950/8/13 وعلى مرأى ومسمع من الحكومة الفرنسية حيث تكلم بإسم المغرب وأعطى رأيه لوضع كيفية مشاركة المغرب في نظام الدفاع الأطلس وإدماج أقطار المغرب العربي في نظام الدفاع المشترك لدول الحلف، بل أعلن اجوان بوقاحة أن هذه الأقطار قاعدة حربية لتحرير الأقطار الأوربية الأمر الذي حدا بحزب الاستقلال وباتفاق مع العاهل إلى إصدار بيان استنكار في الموضوع بتاريخ 1950/9/11 كما سنرى، وإذا كان هذا العمل المخالف لواقع علاقة فرنسا بالمغرب بمقتضى معاهدة الحماية المفروضة قد قام به اجوان تحت سمع وبصر حكومة بلاده التي كانت

وقتها وكما سنرى في منتهى الضعف والتدهور، فإن الذي شجعه على ذلك أيضا هو القوة العسكرية التي كان يشعر أنها إلى جانبه بالإضافة إلى ما حول اليه المغرب الذي شوه إدارته واغتصب سلطته من أجل أن يحقق البرنامج الذي خططته له جماعة المستعمرين، وإذا هو استعمل ما كان يحذق من القوة والعنف، فإن العاهل الى جانب اتصاله بالحكومة الفرنسية قابل أعمال الجنرال بالاهمال وإذا علمنا أن الأمور سارت على هذا المنهاج من التوتر بزعامة اجوان ندرك كيف ستكون المحادثات السياسية التي اشترطها محمد الخامس حتى يقوم بالزيارة التي استدعى لها.

وفعلا تمت الزيارة بتاريخ 1950/10/5 ورغم الاستقبال الرائع الذي قوبل به وهو استقبال لم يعرفه من الشعب الفرنسي غير قلة من العظماء الذين زاروا فرنسا، وكان هذا من الفرنسيين كشعب تكريما لشعب ساهم في تحريرهم من ركل أحذية الألمان، وتلك حقيقة عرفها الكبير والصغير وقتها ودونها تاريخ تلك المرحلة.

كان فانسان أوريول رئيس الجمهورية الفرنسية هو الذي وجه الدعوة لمحمد الخامس. وكان رئيس الحكومة هو بليفن، ووزير الخارجية الذي حل مكان جورج بيدو هو اليهودي أو بالاحرى الصهيوني المعروف وعدو اجوان اللدود روبيرشومان الذي هو الآخر كان يطمح الى ترضية العسكريين ولو على حساب القيم والأخلاق وما تعارف الناس عليه من احترام للمعاهدات، وكما أشرنا غادر محمد الخامس أرض المغرب بحرا يوم 1950/10/5 متوجها إلى بوردو ثم حل بباريز يوم 11 منه.

كانت الرحلة على ظهر السفينة "جورج ليك" وكان على ظهرها أعضاء الوفد الذين صدر بيان بأسمائهم وهم محمد المقري الصدر، ومحمد لمعمري وزير القصور، وأحمد بارگاش وزير الأوقاف، ثم المستشار القانوني والعيادي بن الهاشمي عمدة قبيلة الرحامنة، والتهامي الجلاوي محافظ مدينة مراكش الذي كان وقتها بالحجاز ثم التحق بالركب.

كان على جلالة العاهل وقد عرفنا الدافع الذي أدى بحكومة باريز إلى أن تقبل شرط العاهل وهو أن يعرفها أن المغرب لم يعد يطيق ما انتهى إليه الوضع، ولذلك وضعت

مذكرة تفصيلية حول الوجود الفرنسي القائم في المغرب على معاهدة الحماية، وأن ما عرفه المغاربة ملكا وشعبا من فرنسا منذ عقد الحماية لم يتفق مع ما ورد في بنودها، وأن ما آل إليه الوضع مع وجود الجنرال اجوان لم يعد محتملا، بل إن المعاهدة لم تعد صالحة، وبالتالي كانت المذكرة التي نشرت بإسم العاهل مستوفية لعرض تاريخ إدارة الحماية بالمغرب بطريقة واقعية وكاشفة لمقاصد الفرنسيين الذين لم يخجل فعلهم الجنرال اجوان صاحب الفظائع والفضائح ضد العاهل والشعب، كما جاءت المذكرة عبارة عن استعراض للمواقف الملكية حتى تكون حكومة فرنسا على بينة من أن الزيارة لم ولن تكون في غير ما عرف للعاهل نحو شعبه وحرية بلاده، وكان تاريخ المذكرة التي صدرت قبل القيام بالزيارة هو يوم 1950/9/11.

كانت الزيارة ناجحة جدا بالنسبة للعاهل الذي كانت سياسته سواء بالنسبة لشعبه أو مع الفرنسيين تتسم بالوضوح، إذ ما كاد يعود الى المغرب وقد لقي من الترحيب والعناية الشيء الكثير، حتى صرح لشعبه وللعالم بحقيقة ما حصل، وأن نتيجة الزيارة لم تكن مرضية مما أدى إلى حماس الشعب وتقوية إيمانه بملكه، حيث قوبل العاهل بعد عودته إستقبالا رائعا أثار غيظ الجنرال اجوان كما دفع بالدوائر الرسمية في باريز الى التزام الصمت حيال المباحثات التي أصر فيها محمد الخامس على إلغاء الحماية كشرط لإستمرار العلاقات الودية بين بلاده وفرنسا، وهو ما أجمعت عليه الأمة بجميع طبقاتها في حين أن الفرنسيين إستمسكوا باستمرار الحماية مع إدخال بعض الإصلاحات الجزئية داخل نطاقها.

وحتى يكون الشعب على بينة من الواقع كان الديوان الملكي قد أصدر بيانا قبيل مغادرة العاهل لباريز جاء فيه: "في نهاية المحادثات التي جرت في قصر الإليزي يوم 11 أكتوبر سنة 1950بين صاحب الجلالة ملك المغرب ورجال الدولة الفرنسية الذين يهمهم الأمر سلم جلالته لرئيس الجمهورية الفرنسية مذكرة مصحوبة بملحقات إيضاحية عرض فيها المشكلة المغربية وعبر عن رغبته في البحث مع الحكومة الفرنسية عن حل مرض يقوم على أسس جديدة.

كان هذا التصريح جوابا على الرد الذي تلقاه العاهل عن المذكرة من وزير الخارجية بالنيابة بتاريخ 1950/10/31م(6) والتي كان الرد عليها من جلالته بعد الاجتماع الذي ضم جميع أعضاء الوفد المرافق لجلالته تحت رئاسته والذي لاحظ أن وجهة النظر المغربية مخالفة لوجهة النظر الفرنسية فيما يتعلق بحل المشكلة.

وبالنسبة لواقع المغرب وظروفه السياسة المضطربة التي إفتعلها الجنرال اجوان بدافع النزعة الاستعمارية والعقلية الرجعية المستولية عليه، لم يكن ثمة ما هو أبلغ مما ورد في هذا البلاغ من تعبير مركز أبان بوضوح اختلاف وجهتي النظر، فمن جانب المغرب أكد محمد الخامس رغبته في ضرورة إلغاء معاهدة الحماية وتغييرها بمعاهدة تعترف باستقلال المغرب في النواحي السياسية، والاقتصادية، والمالية، وتضمنت الملاحق التابعة للمذكرة وجهة نظر جلالة العاهل في الإصلاحات التي تتطلبها البلاد في جميع نواحيها وفي مقدمتها إطلاق الحريات العامة وإعطاء الحقوق الديقراطية والنقابية، وإصلاح أداة الحكم وتعميم التعليم، كما أوضح أن التجاريب الماضية قد برهنت على إستحالة القيام بهذه الإصلاحات في ظل الحماية الفرنسية مادام الفرنسيون هم المهيمنون على مقاليد الحكم في البلاد ولا يراعون مصلحة المغاربة، وإنما يعملون جادين بإصرار لتحقيق إشراك الفرنسيين المقيمين في المغرب حتى في الحقوق السياسية التي هي من حق المغاربة وحدهم بوصفهم مواطنين.

وقد ورد في مذكرة الحكومة الفرنسية جوابا على مذكرة جلالة العاهل والتي أشرنا الى تاريخها 1950/10/31 عبارات إعترفت فيها فرنسا بالتطور الذي وصل إليه المغرب، بيد أنها أعربت عن تشبثها بمعاهدة الحماية مع إقتراح بعض التغييرات الجزئية بواسطة لجان مشتركة بين الفرنسيين والمغاربة، وعقب تسلم جلالته لهذا الرد إستدعى مجلس

(6) لقد كان السبب في تأخر الجواب من الحكومة الفرنسية هو غياب الجنرال اجوان في الهند الصينية والذي وجهته إليها حكومة بلاده للقيام بمهمة عسكرية تبين بعد فشله فيها، وهذا ما كشف لنا بعد عن سبب حدة وتشنج أعصاب الجنرال التي خانته بعد حتى إنتهى إلى إنهزام أمام العاهل المغربي واحتقار من المناضلين الذين وجهوا إليه وإلى أذنابه من السهام القاتلة التي كانت السبب في إنهيارهم كما سنرى وللتاريخ فقد عرفنا كيف نحطم أعصاب هذا الجنرال الى درجة فقد معها التفكير السليم، والفضل يرجع الى مصر وصحافة مصر التي فتحت لنا المجال بلا رقيب كما سنرى منذ ما بعد 25فبراير 1951م وهو اليوم الذيَ حاصر فيه الجنرال القصر بواسطة الخائن الجلاوي.

وزرائه وعرضه عليه، وبعد دراسته قرر المجلس بالاجماع، والذي كان قد أبعد عن حضوره عضوي الوفد إلى فرنسا وهما التهامي الجلاوي والعيادي بن الهاشمي. وكان ذلك بسبب رائحة كريهة فاحت منهما وستعم نتونتها بعد لأن للرجلين ضلع "أصيل" في الخيانة وخدمة الاستعمار.

أجمع المجلس وعلى رأسه جلالة العاهل أن الجواب لا يتمشى مع وجهة النظر المغربية. ولذلك فلا يسعه قبوله، وعلى إثر ذلك أمر جلالة العاهل وزيره "الصدر" محمد المقري(7) أن يقدم إلى الحكومة الفرنسية مذكرة أعرب فيها المقري عن أسف محمد الخامس لتشبث الفرنسيين بمعاهد الحماية، الأمر الذي لا يرجى معه حل للأزمة المستحكمة، وتحت أثر هذه الضربات طلبت حكومة فرنسا من محمد الخامس إصدار بيان مشترك عن المباحثات، فرفض ذلك بسبب تباعد وجهتي النظر وعدم تلاقيها في نقطة يصح أن تكون أساسا لاستمرار المباحثات.

وما كاد الجنرال اجوان يعلم بنتيجة الزيارة والبيان الذي صدر عن المقري حتى عانق الخائنين الحقيرين التهامي الجلاوي مجرورا معه إبن الهاشمي العيادي عمدة قبيلة الرحامنة، جرهما كما تجر كلاب الحراسة، ثم قدمهما الى رئيس الجمهورية "فانسان أوريول" على أساس أنهما يمثلان التيار المعاكس للعاهل، وبالتالي للفكر الوطني بل والموالي لفرنسا، وبلاشك ردد عليه أسطوانة ما قيل عن قبائل بني مطير المفترى عليها

---

(7) يلاحظ وتمكينا للتاريخ أن جل الوزراء بل كلهم أظهروا التخاذل بعد عندما اشتدت المواجهة وحميت المعركة عام 1951و1953 وفي المقدمة محمد المقري الذي عرف المغرب إجرامه ضد المغرب والمغاربة طيلة 45 سنة كاملة، وهو الذي قام أيضا بأخبث دور ضد العاهل كما أورد ذلك "اكلود پايار" في كتابه "عش الزنبور" نقلا عن وثائق وزارة الخارجية الفرنسية. وأما الإجماع المشار اليه قبل فقد كان ضمنه أحمد باركاش وامحمد أبا حنيني رئيس الديوان الملكي ومحمد هذا يرجع اصلا الى قصر لبطاطحة بأوفوس تافيلالت، وأسرته من الأسر التي استقدمها المولى عبد الرحمن بن هشام كحرس له خاص بالقصر الملكي بفاس عام 1243هـ وأهل قصر لبلاغمة الذي يرجع اليه التهامي بن لحسن بن العربي الذي أصبح خلفه يعرفون بـ "الفيلالي" وهم اصلا من الحراثين استقدمو الفاس أيام خلاف السلطان مع الشراردة. وهو الخلاف الذي ورثه عن عهد المولى سليمان بعد حرب آيت امالو التي توفي فيها ولده ابراهيم، وتدخل فيهم محمد العربي الدرقاوي الزروالي كما سبق، ولعل في هذا كفاية حول ترجمة محمد أباحنيني الذي أصبح والده عدلا في سماط جامع الحمراء بفاس الجديد مما يستدل به على ما تحققه البيئة.. في حين أن إخوانهم وأبناء عمومتهم في كل من قصري لبطاطحة ولبلاغمة بأوفوس لايزالون على حالهم وما وسمتهم به البيئة «حراطين» بدل حراثين كما بينا قبل في عهد بني مدرار ثم راجع تعليق 45 بعد.

والمولى عبد الحفيظ الذي أنصفه التاريخ بالكشف عن فضائح الفرنسيين وقتها لأن الزمان والناس في نظر اجوان وبلا شك وحتى في نظر أوريول الضعيف الشخصية، لم يتبدلوا ولم يتطوروا، وهذا المفهوم هو الذي سيمرغ سياسة فرنسا في الوحل. بل وتلك كانت بداية المنطلق حتى "نريهم آياتنا في الآفاق" كما سنرى.

بهذه الحقائق انتهت زيارة محمد الخامس إلى فرنسا عام 1950 والتي لم يعرف تاريخ العاصمة الفرنسية عظمة ترحاب بزائر وإكبار من الفرنسيين كشعب والذين ذاقوا مرارة وآلام ركل الألمان ولذلك رحبوا بالعاهل الذي حارب معهم النازية بطريقة لم تكن لغير محمد الخامس أملا في تحقيق الحرية والاستقلال.

في هذه الزيار التي كانت هي الزيارة الثانية منه لفترة ما بعد الحرب(8) على أنه إلى جانب ترحاب الشعب كان ثمة كيد وتدبير سيئ من المسؤولين الفرنسين ولست هنا بصدد تدوين مذكرات بعض الذين رافقواالعاهل العظيم في تلك الرحلة وكانوا ألصق به من ظله، حتى أحيط بكل ما قامت به الدوائر الرسمية والاستعمارية من وسائل الدس ومحاولة التأثير على نفسية محمد الخامس ذلك الدس الذي حين أدركه سخر منه ومن مدبريه كما سخر منهم كل من حوله مما زاده قوة وصلابة، وحطا من قدر الذين كانوا يمكرون ويدبرون، خصوصا وأنه رحمة الله عليه لم يغير من العادات والطقوس وما إعتاده من برنامج في حياته اليومية قليل ولا كثير. وكان الساهر على البرنامج الرجل الصادق الأمين محمد لمعمري الزواوي. حتى إن أوقات الصلاة كانت في مواعيدها هي هي ووقت المحادثات السياسية لا يطغى على بقية الإلتزامات، بل وحفلات الدوائر الرسمية لم تشغل بغير البحث في وسائل تحقيق المطامح التي كانت الأساس لقبول دعوة رئيس الجمهورية . بل حتى الخمور لم يتجرأ الفرنسيون على عقرها فيما أقيم لجلالته من حفلات وتلك ميزة خصه التاريخ بها وحده في العالمين، وبذلك سارت الركبان منذ مؤتمره مع الحلفاء في آنفا وفي الحفل الذي أقامه على شرفه الرئيس روزفيلت كما سجل ذلك ولده أليوط وغيره كما سبق.

كان من أهم العوامل التي دفعت لتحقيق الزيارة الملكية لفرنسا بإلحاح من

---

(8) راجع مجلة باري ماطش عدد 83 بتاريخ 1950/10/21.

الحكومة الفرنسية هو ما انتهت إليه سياسة المقيم العام الجنرال اجوان التي إنتهت الى درب مغلق، والتي كان العاهل قد اختار لها ما يليق بها، وهو الإهمال وقفل الابواب ثم عدم الإكتراث بتهجماته وذلك ما أجج حقد الجنرال فعملت زبانيته للقيام بمختلف أنواع الدعاية ضد العاهل حتى إنتهى الأمر بالجنرال نفسه الى أن أصبح يصرح ضد العاهل انا توجه وحيثما حل وارتحل من باريز الى نيويورك، خصوصا بعدما شغر منصب حاكم طنجة ولم يوافق العاهل على كل الذين رشحهم المقيم الذي لم يكن في إمكانه ولا في إمكان حكومة بلاده والمجال دولي أن تفعل أي شيء من غير موافقة العاهل الذي هو صاحب الحق الشرعي بمقتضى العرف والعادة والحق والقانون وكان هذا كافيا ليعرف الجنرال وكل الذين ركبوا الطيش والتهور والاندفاع معه من أجل اغتصاب السلطة – حقيقة أعمالهم ومايدبرون الأمر الذي دفع بالجنرال وقد رأينا كيف بلغت أعصابه النهاية في التوتر إلى أن يصرح قبل لوكالة رويتر ومندوبي الصحف في باريز يوم 1948/1/24 بقوله: "إن الفرنسيين يعملون ويبطء على تحويل سلطة السلطان المطلقة في المغرب الى نظام ديمقراطي. وتصطدم هذه المحاولات أحيانا بآراء السلطان، وأول هذه الخطوات إنشاء مجلس بلدي منتخب، وتنظيم السلطة القضائية، ووضع قانون للعقوبات. ومنح حقوق النقابات للعمال المغاربة(9) لله ما أشد بلادة الجنرال.

وبسبب ما قوبل به الجنرال من العاهل وهو الإهمال وعدم الإكثرات تحطمت أعصابه إلى درجة أن تصريحاته على كثرتها كانت غير مهذبة ومتناقضة بشكل جعله سخرية حتى في نظر بعض الفرنسيين أمثال فرانسو امورياك، وجورج دو هامل. وأندري جوليان وغيرهم، خصوصا عندما تعرف هؤلاء وغيرهم على تصرفات الجنرال التي أصبحت في نظر الفرنسيين تزرى بكرامتهم وتعرض سمعة بلادهم إلى الاحتقار حينما صرح الجنرال في أمريكا أن المغرب يحاول الإنضمام الى الإتحاد الفرنسي ثم نشر التصريح في جريدة نيورك تايمز(10). وعنه نقلت جريدة المصري، وحالا ردت عليه بتسفيه كلامه لجنة تحرير شمال إفريقيا في نيويورك(11) وإذا كان الجنرال قد شدد من

(9) راجع جريدة الاساس المصرية 1948/1/26.
(10) بتاريخ 1948/1/27.
(11) نفس المصدر السابق.

حملاته ضد العاهل. فإنه في نفس الوقت كان بتصريحاته يعرف به لدى الرأي العام العالمي وبما كان يمثله في نظر شعبه. فقد قال عنه حين أجاب في رده عما ورد في الرسالة الموجهة الى رئيس الجمهورية "إن الشعب المغربي يستغل ظهور جلالة الملك أو أحد أفراد العائلة الملكية لإقامة المظاهرات الوطنية العدائية، ولذلك قررت أن أضع حدا لذلك(12) وفعلا طبق الجنرال اجوان سياسة الكبت فكانت وباء عليه وعلى الوجود الفرنسي في المغرب العربي.

الجنرال جوان وجماعته العميل الشرادي بأوسمته الفرنسية والعيادي

(12) المصدر السابق :الاساس. وكذا جريدة المقطم بتاريخ1948/1/26.

تسليم ميثاق اتفاق الاحزاب المراكشية الى عزام باشا في احتفال نقابة الصحفيين بتكريم البعثة التي سافرت الى طنجة

ج المصري ٢٧/٤/١٩٥١ / الاستقلال

اقامت نقابة الصحفيين فى دارها بعد ظهر أمس حفلة كبرى لتكريم اعضاء البعثة الصحفية التى اضطلعت بمهمة تحقيق الحالة فى مراكش تقديرا للجهود الجبارة التى بذلها اعضاء البعثة فى أداء مهمتهم على الرغم من تعنت السلطات الفرنسية معهم ؛ واعترافا بالنجاح العظيم الذى حققوه بتوحيد الاحزاب المجاهدة فى مراكش نحو غاية واحدة وهدف واحد ، وقد حضر الاحتفال جميع اعضاء النقابة كما حضره من الكبراء معالى الدكتور محمد صلاح الدين بك وزير الخارجية واصحاب السعادة محمد على علوبة باشا وعبد الرحمن عزام باشا وعبد الفتاح حسن بك وكيل وزارة الداخلية وفضيلة الشيخ عبد اللطيف دراز وكثيرون من رجال وزارة الخارجية واعضاء الهيئات الدبلوماسية والصحافة الاجنبية

معالى الدكتور محمد صلاح الدين بك فى حفلة نقابة الصحفيين لتكريم بعثة مراكش وقد ظهر فى الصورة الشيخ المحترم الاستاذ محمود ابو الفتح صاحب المصرى والاستاذ محمد زكى عبد القادر وسعادة فكرى اباظة باشا .

كلمة النقيب

وبعد تناول الشاى نهض سعادة فكرى اباظة باشا نقيب الصحفيين والقى كلمة حيا فيها البعثة واشاد بجهودها الطيبة الموفقة ، وهنأها بانتصارها على الاستعمار وذكر كيف قدمت البعثة قبل سفرها شروطا للقيام بمهمتها وافقت عليها الحكومة الفرنسية ولكن هذه الحكومة لم تلبث ان نكثت بما وافقت عليه ، وعمدت من بداية الامر الى تعطيل سفر البعثة ، ولكن البعثة سافرت على الرغم من هذا التعنت ، وكان اول ما توسلت به امر من الحكومة الفرنسية بعدم دخول مراكش فكان هذا فى الواقع اول انتصار للبعثة على السياسة الاستعمارية التى جبهت من مواجهة البعثة فى مهمتها ، ثم كان الانتصار الثانى اروع واوقع حيث استطاعت البعثة ان تؤلف بين قلوب رؤساء الاحزاب بعد ان هجرت اربعون عاما عن ان تؤلف بين هذه القلوب

اما الانتصار الثالث فقد تجلى فى فزع سلطات طنجة الدولية من وجود البعثة واقبال الشعب المراكشى عليها والمفاوة بها فاصدرت هذه السلطات قرارا بان لاتطول اقامة البعثة ، ولكن كان من توفيق الله ان البعثة قد رتبت امور سفرها قبل هذا القرار .

ثم عرض فكرى باشا لما يراه بعض الناس من ان مصر تورط نفسها فى قضايا امم اخرى والاجدر ان تلتفت الى قضيتها فقال : ان هذا كلام مردود ، لان قضية الاستعمار قضية واحدة ، واذا اقت المطامع بين الظالمين فقد وجب ان يؤلف الحق بين المظلومين

وختم فكرى باشا كلمته بالتوجه بالتحية الى جلالة ملك مراكش المجاهد لشعبه ولوطنه ، منيبجيدا بايادى جلالة الفاروق على ابناء العروبة واهتمامه السامى بقضايا الشعوب العربية والاسلامية

منعتنا من دخول المنطقة الشريفية فقد اضطررنا الى البقاء فى طنجة فافسحت لنا وقتا طويلا للاجتماع بزعماء الاحزاب المختلفة المبعدين من داخل البلاد الى المنطقة الدولية . كما مكننا بقاؤنا فى طنجة من تركيز ابحاثنا ، لان ظروفنا فى بلاد مترامية الاطراف كان من شانه تشتيت جهودنا ونقص المعلومات التى نحصل عليها

تقسيم البلاد وتقطيعها

ولو اردنا ان نصف لكم فظاعة النظام القائم فى تلك البلاد وقسوته وظلمه لما اسعفتنا العبارات ولا وقت بالاداء الكلمات بلاد قسمها الاستعمار الى ثلاثة اقسام : المنطقة الشريفية ويسمونها المنطقة السلطانية وهى الواقعة تحت سيطرة الفرنسيين ، والمنطقة الخليفية وتقع فى الشمال ويشرف عليها الاسبان ، والمنطقة الدولية وتتالف من مدينة طنجه والمناطق المحيطة بها . ولا يجوز لمغربى من اهل تلك البلاد ان يتنقل بينها الا بجواز خاص وتاشيرة خاصة وبعد دفع رسوم عن ذلك

الاحكام العرفية منذ ١٩١٤

بل لقد قسم الفرنسيون المنطقة الشريفية الى عدة اقسام لا يجوز لمغربى ان ينتقل من قسم منها الى غيره بدون اذن خاص ، واذا اضفتم الى هذا ان الاحكام العرفية مفروضة هناك منذ سنة

البقية على الصفحة الخامسة

حاكم طنجة يطلب من البعثة الصحفية عدم الاتصال بالاهالى

أرشيف الفتوى ، مصر ١٤/٤/٥١

اعتبار هذا العمل تعزيزا للستار الحديدي المفروض على مراكش

نظمت نقابة الصحفيين البرقية التالية من البعثة الصحفية المصرية فى طنجه :

منذ مدنا من طوان (عاصمة المنطقة الخليفية فى مراكش) مساء الاربعاء وجدنا فى الفندق رسالة من رئيس لجنة الاشراف الدولى على منطقة طنجه يطلب فيها ان يجتمع به الاستاذ محمود ابو الفتح صباح الجمعة، فرد عليه قائلا انه لن يكون فى طنجه يوم الجمعة ، وانه على استعداد لمقابلة الرئيس فورا ، لم يبث بهذه الرسالة اليه فحدد الرئيس الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الخميس ، ثم سلم الى الاستاذ ابو الفتح التبليغ التالى :

« باسم لجنة الاشراف الدولى على طنجه اشرف بان اذكركم بوصفكم رئيسا لهيئة الصحفيين المصريين الذين وصلوا الى طنجه بما يلى :

تلقيت فى ٢١ مارس برقية من معالى وزير خارجية مصر يطلب فيها من ادارة منطقة طنجه ان تاذن لهيئة الصحفيين المصريين بدخول المنطقة ، وقد رد المشرف على ادارة المنطقة ببرقية مؤرخة فى ٢٢ مارس قائلا ان جواز السفر المطابق للوائح والقوانين يخول لحامله ان يقضى فى طنجه مدة لاتتجاوز شهرا .

« والمشرف به بصفة دولية عامة ان الاجانب الذين تقبل اى حكومة دخولهم ارضها يتعهدون ضمنا باحترام القوانين والنظام العام وقد وصل الصحفيون المصريون الى طنجه فى ٥ ابريل ، ولكن لجنة الاشراف الدولى رات انهم خرجوا عن دور المحققين الذين يجمعون المعلومات والابناء وافقوا فى اماكن خاصة وعامة بتصريحات من النوع الذى يعكر صفو النظام العام بل تعتبر احيانا تحريضا مباشرا على الثورة وأعمال العنف

« وباسم لجنة الاشراف الدولى على طنجه اذكركم بان الدول الموقعة على القانون الاساسى لنظام طنجة الدولى ، والدول التى انضمت اليها بعد ذلك ، قد اتفقت فيما بينها على ان تخضع مدينة طنجة والمنطقة المحيطة بها لنظام الحياد الدائم طبقا للمادة العاشرة من القانون الاساسى المذكور ، وهى تنص بصفة خاصة على حظر القيام فى منطقة طنجة باى دعاية تثير الخواطر وتهيج النفوس ، وتنص ايضا على حظر اى عمل يراد به المس بالنظام السائد فى منطقه من مناطق مراكش او البلاد الاجنبية الاخرى ، وترى لجنة الاشراف الدولى نفسها مضطرة ازاء هذا الى ان تقرر ان الصحفيين المصريين قد خالفوا هذه النصوص بصفه خطيرة ، كما انهم اساءوا استغلال ضيافة المنطقة الدولية باقوالهم ومسلكهم على ما نصت عليه المادة العاشرة المذكورة انفا بشان المحافظه على النظام العام

« وليست لجنه الاشراف الدول مؤهلة لاتخاذ اى قرار فى المنازعات السياسيه التى لاتتعلق بمنطقة طنجه ، وفضلا عن ذلك فان المهمة التى اقتنعا الدول على مائدة اللجنه الدوليه لاتسمح بان تصبح منطقة طنجة منبرا لتقاتلين باى نوع من انواع الدعاية سواء كانوا من هذا الفريق او ذاك ، كما تمنع هذه المهمة ان تتحول طنجة الى مركز للمناقشات او النزاع السياسى

بعثة الصحفيين المصريين عقب وصولها الى طنجة ويرى معها السيد هلال القاضى الزعيم المراكشى

« ونتيجة لهذا الظروف كلفت ان ابلغ وفد الصحفيين المصريين برأسطنكم — بصفة ودية — انه يجب ان لايطول امد اقامتهم فى طنجة ، وارجو ان تغادروا المنطقة فى اقرب وقت تسمح به الظروف » انتهى التبليغ

وقد ابدى الاستاذ محمود ابو الفتح دهشته لتحبر اللجنة الدوليه ودحض جميع المزاعم التى تقول ان لوفد الصحفيين المصريين اغراضا لورية تسعى الى احداث اى انقلاب فى البلاد ، وانتهى الحديث مع رئيس اللجنة يقول الاستاذ محمود ابو الفتح : أن الصحفيين المصريين مسافرون من طنجة يوم الجمعة طبقا لقرار اتخذ من قبل . ثم بعث فى مساء الخميس بالرسالة التالية الى رئيس اللجنة

نتيجة للحديث الشفوى الذى دار معكم بشان تبليغ لجنة الاشراف الدولى على منطقة طنجة ارى لزاما على ان ابين لكم النقط التالية :

اولا — ان بعثة الصحفيين المصريين ترفض بشدة التهمة القائلة انها تقوم باى عمل يعكر صفو النظام العام ، ولا يسعنا ان نبدى دهشتنا لان لجنة الاشراف الدولى على طنجة لم تعد تطيق الصبر على وجود هذه البعثة التى اتت الى طنجة للتحقيق فى حالة مراكش وتحية

البقية على الصفحة الخامسة

الملك الصالح مولاي محمد بن يوسف

1948

يؤيد قضية العرب الكبرى

صورت يوم الخميس ٢٥ مايو ١٩٤٨ ١٣٦٧

رباط الفتح ـ اصدر جلالة الملك الصالح سيدي محمد بن يوسف عاهل السلطنة الشريفية العلوية المعظم تصريحا في يوم الاحد الماضي وجهه الى رعاياه من ابناء القطر الشقيق متحدثا عن قضية فلسطين . فاعرب جلالته عن تضامنه قلبيا وروحيا مع ملوك العرب ورؤسائهم واعلن مصادقته السياسية على التصريحات الصادرة عن الحكومات العربية ومؤداها ان العرب لا يحملون عداء لليهود وقد نهضوا لمحاربتهم بعد ما فشلت جميع المحاولات لحملهم على العدول عن برامجهم في اكتساح فلسطين المقدسة »

ولذا اصدر جلالة السلطان امره الى رعاياه المخلصين في الامساك عما من شانه تعكير صفو الامن والنظام العموميين بالمغرب الاقصى .

ويرى صاحب المملكة العلوية « ان الاسرائليين المغاربة المستقرين منذ قرون بالمغرب الاقصى حيث ظفروا بحمى منيع وابدوا اخلاصهم للعرش المغربي لبسوا على شاكلة اولئك اليهود الشرد الذين نزلوا بفلسطين رغبة منهم في الاستيلاء عليها ظلما وعدوانا »

وفي ختام تصريحه اصدر ملك المغرب الاقصى المعظم امره للاسرائليين بالامساك عن مساعدة العدوان الصهيوني »

الفصل الثالث والتسعون بعد المائتين

حماية محمد الخامس

لحزب الاستقلال قبل الاستقلال

ان حزب الاستقلال بعد الاستقلال. بل حزب الاستقلال الجديد المنهزم أمام الطبقة الجديدة وما تمثله من دخلاء وأغراب وعملاء اندسوا وسيطروا ثم حلوا باستعمارهم الجديد بقسوة قاسية وعنف عنيف هو أسلوب الاستعمار القديم. لا يمثل رجاله حزب الاستقلال القديم بأكثر من 10٪ لان حزب الاستقلال القديم الذي بنينا صرحه كان قوامه الحق والعدل والحب والخير والجد والتضامن والوفاء ولذلك نجحت الثورة التي تضامن فيها الملك والشعب، كما سنرى في الفصول التالية، ومهما يكن فقد رفعت الاقلام وجفت الصحف. وان كل شيء سجل في حينه الصدق والوفاء والأمانة وحسن القصد والتصنع والبهتان والاغراض وسوء القصد، وما على الباحث الجاد الا أن يقلب صفحات الماضي ومذكرات العاملين الصادقين بل وحتى مذكرات العسكريين من دهاقنة الاستعمار ليتعرف على الحقيقة الواضحة التي لم تعمل فيها أيدي الناقمين ولم تغيرها الأيدي الملوثة التي إندفعت في حمأة من "الهستيريا".. لتكوين الاحزاب الادارية من المغرضين ومرضى النفوس وذوي العاهات الذين هم إلى الامس القريب وهم يعملون علنا وفي الخفاء ضد أهداف الشعب ومقاصده، بل ملفاتهم وما قدموه للمستعمر من خدمات. لاتزال تحتل الرفوف المهملة في وزارة الداخلية حتى اليوم، بل وفي الخزانة العامة كذلك إن تركوها، ومع ذلك دونك أيها القارئ واقع حزب الاستقلال الذي بنينا صرحه في المغرب والمشرق، والذي يحفظ التاريخ لشعب المغرب ما قدم له وما ضحى به في سبيل انتصاره الذي حولته اغراض مسملة اليهود واعلاج النصارى ومقاصد السفهاء من بقايا الجيش الفرنسي والدخلاء في المغرب الذين حولوا سير القافلة الى انهزام وتراجع أمام

الاصهار والسفهاء المخلفين لتحقيق أغراض الاستعمار ومقاصد المستعمرين يتقدمهم الاسباني الاصل أحمد رضاگودير بالإضافة الى الشياطين: الاعور والاقرع، والاعرج والاسود،ثم الدخيل أحمد عصمان الذي أصبح أكبر مالك للعقار في المغرب والذي تملك به الشياطين كما تملك بهم كل مخلفات المعمرين من وجدة الى اجادير ومن الرباط إلى كاب نيگرو مضاف إليه إبن خاله ساعي البريد بوعمود الذي لم يكن له أن يتولى غير منصب أبيه ساعي البريد أصبح وزيرا للأشغال والتعليم في المغرب الذي انحط فيه منصب الوزارة بل أصبح أكبر مالك للعقار في الرباط أكدال. هذا في الوقت الذي جيئ بصاحبه أي عصمان وبالأمس القريب من الملجأ الخيري بتازة حيث كان أبوه يعرف بمحمد لعوج المعروف بين اهل تازة ثم بين أهل وجدة يبيع شميعات بباب المسجد الجامع الكبير بوجدة وأكثر منه المسمى عبد الكريم بن عمر "الخطيب"عميل قلم المخابرات الفرنسي لعهد ما قبل الحماية 1903 وربيب نعمة كاباص المعروف بـ"محمد الجباص" وهو الاسباني الأصل "التلمساني" الذي ترقد وثائق فضائحه بالمتحف الحربي الفرنسي وما قصص الابتزاز الذي مارسه قبل عبد الكريم الخطيب الجزائري المتفرنس قبل بخافية سواء مع خونة الماضي من آل الشرادي العيادي والعباسي والتازي الذي عرف قصة أرضه المسلوبة الرائح الغادي بل وفضائح ميزانية برلمان السنة والنصف تغمير 63 جوان 65 التي نحتفظ بها والتي ستقرؤ عنها الأجيال المقبلة ما لم يعرف لغيره قبل. ولسوف نتعرف بعد على ما قدمه عبد الكريم الخطيب لهذا البلد الذي أصبح بدعاواه الباطلة من رجاله. ثم العسكري بالجيش الفرنسي أحرطان التيلويني ثم الزعري الذي جعل منه الجاسوس المشهور بن منصور إدريسيا. وما هو إلا خرطاني أصلا من خدم أسرة عبد الله بن قدور المتخلف أحفادها. منهم الشيخ مصطفى بن قدور بعين اسبيت من أرض ازعير، هؤلاء وغيرهم الذين فرقوا الشعب المغربي بمقابل بخس ثم استولوا على ما اغتصبه المستعمرون من أرض وثروات نقول لهم ولغيرهم والشمس على أطراف النخيل دونكم والتاريخ الذي لا يرحمكم، بل ولا يرحم غيركم. أو كل من سار على دربهم من أزواج بنات المواخير والمولدين من بنات المواخير الى جانب الغرباء والدخلاء والمرتزقة من الذين ليست لهم جذور في هذا المجتمع. ولا تعنيهم مقدسات هذ المجتمع التي أساؤوا

اليها من قريب ومن بعيد.

كان حزب الاستقلال في هذه المرحلة مرحلة جوان الى عام 1950 وقد مضى على انشائه ست سنوات كلها عمل مثمر ونضال شعبي موفق. بل كان وقتها قد تمكن واشتد ساعده ثم أصبح قوة فاعلة في الميدان، وإذا كان العاهل حين قبل الزيارة لفرنسا قد وضع لها شروطا هي الدخول في محادثات سياسية من أجل تحقيق المطالب المغربية، وإذا كان للعاهل أثر قوي وقوي جدا في تكوين الحركة الاستقلالية منذ ما قبل تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال أي منذ ما بعد مؤتمر أنفا 1943 بل والدفع به الى الأمام والتمكين له بين المواطنين بالاقبال عليه جمعا للكلمة وتوحيدا للصفوف بتوجيه من شيخ الاسلام وفتحه للمدارس ثم إسناد الإشراف عليها للمنتمين اليه، فقد كان حزب الاستقلال ممثلا في الشعب قد اصبح أيام رعونة الجنرال جوان قوة فاعلة وله أكبر الأثر في رفع مستوى الوعي السياسي والتربية الوطنية، وهذا واقع لم ولن يستطيع إنكاره أحد من العملاء الاغبياء المجندين اليوم للهدم مهما إرتفعت حرارة مرضهم بالجحود، ذلكم هو حزب الاستقلال قبل الاستقلال وليس بعد الاستقلال وقد دمرته أغراض ومطامع مسلمة اليهود واعلاج النصاري، ولذلك كان على أن أبين أنني أؤرخ لحزب الاستقلال قبل الاستقلال وما كان له وللجماهير بإسمه من كفاح ونضال واجه الجنرال اجوان وحكومة بلاده وقت اشتداد المعركة بين العاهل والاستعمار ولعله من خلال هذا الفصل وما بعده ستعرف الاجيال ما ضيعته جماعة المرتزقة والدخلاء على المغرب بعد الاستقلال من إمكانات التطور والتقدم السريع لو حصل تحقيق الديمقراطية المفترى عليها حتى اليوم فلولا فظائع وفضائح جماعة المرتزقة أمثال الدخيل عمر بن عبد الجليل التلمساني الجزائري الذي سلب المواطنين ليؤسس البنك الشعبي، ومحمد اليزيدي بوشعب الذي أصبح المدير الرئيسي لمفاحم جرادة مدة حياته التي ختمها بتملكه قصرا تابعا للشركة102 شارع أنفا بالبيضاء بخمسمائة الف درهم منحة ثم بيع بعد بلمياريين ونصف، والطرقي الضال أبو بكر القادري الذي كان يعيش على ما يقدم للزاوية القادرية بسلا من صدقات، والذي باع مدرسة النهضة الإسلامية بمدينة سلا وهي التي قامت من أجلها الضجة مع الجنرال جوان وقد أشار اليها العاهل في مراسلته السابقة لفانسان

أوريول وقد إشترك في جريمة إختلاسها وبيعها للدولة مع وزارة المالية، التي فيها ولده خالد القادري الذي فاحت رائحته اليوم حتى أزكمت أنوف المغاربة والذي مهما طال زمن السلب والنهب لابد وأن يسأل القوم من أين لك هذا؟؟؟ وبالاضافة الى هؤلاء أكرر ذكر جماعة المرتزق كوديرة، والمعطي بوعبيد وأحمد عصمان واحرضان الخ.

إن حزب الاستقلال الذي أقصد في مرحلة النضال هو ذاك الذي كان الخير بين جموعه يغلب على الشر. هم أولئك الذي وفقهم القدر للمحافظة على رؤوسهم وقت حز الرؤوس يوم هبت ريح الطاعون الذي نتج عن جموح غريزة البهائم "أكل ونوم وذكر بالشر بين الآخرين.

في عهد اجوان كان حزب الاستقلال حزب نضال تمثل في رجال الرعيل الأول الذين سبق ذكرهم باستثناء قلة في طليعتها الثلاثة الذي سقطوا في البؤرة فنتج عنهم ما ظهر بعد من تعفن، بل إن حزب الاستقلال أمام ترهات اجوان وحكومة دولة اجوان أصبح تلقائيا عليه أن يتحرك بالعمل المناسب وفي الوقت المناسب، بل وعليه أن يتناول المواضيع الثورية وبالأسلوب الثوري الذي وإن كان لا يتفق مع الرسميات. فهو المطلوب من حزب يطالب بالاستقلال وتحقيق السيادة الكاملة التي كانت الإقامة العامة وقتها قد حاولت خدشها بطريقة ساقطة ودنيئة، هي تلك التي قام بها الجنرال اجوان الى درجة انه سمح لنفسه بتمثيل المغرب في المجلس الوزاري الذي انعقد في باريز بتاريخ يو1950/8/13 حول نظام الدفاع المشترك لدول الحلف الأطلسي ثم هو عن جهل وغباء صرح بما صرح به مما يعتبر اعتداء على السيادة المغربية ولذلك وتعزيزا للرحلة الملكية وباتفاق مع العاهل أصدر الحزب المذكرة التالية عن المغرب والحلف الأطلسي قبل مغادرة العاهل للرباط متوجها الى فرنسا جاء فيها مايلي وكان المصدر هو الحاج أحمد بلافريج وقد أضفت اليها بعض التوضيحات الضرورية.

اهتمت الدول الغربية بإدخال أقطار المغرب العربي في نظام الدفاع المشترك لدول الحلف الأطلسي، وقد إنعقد بفرنسا يوم 13 أغسطس 1950م إجتماع وزاري حضره ممثلو فرنسا في المغرب والجزائر وتونس ووزير الدفاع الفرنسي، وتقرر أثناءه الكيفية التي تشارك بها أقطار المغرب العربي عند الضرورة في نظام الدفاع الاطلسي وقد إتخذ

قرارات ثلاث:

أولا: إدماج أقطار المغرب العربي في نظام الدفاع المشترك لدول الحلف الاطلسي، بل وربما يتخذ الشمال الافريقي كقاعدة حربية لتحرير البلاد الاوربية إذا ما وقع احتلالها.

ثانيا: إنشاء معامل لصنع السلاح في شمال إفريقيا من أجل إمداد الجيوش المرابطة، وذلك تنفيذا لبرنامج التسليح الذي تضعه الحكومة الفرنسية.

ثالثا: وفيما يرجع للمشاكل السياسية والاقتصادية التي لها إرتباط وثيق بالشؤون الاستراتيجية تقرر فيها إبقاء ما كان على ما كان رغبة في الاحتفاظ بالنظام والاستقرار.

ومن الواضح أن هذه المقررات التي كان قد إتخذها المؤتمر الوزاري الفرنسي في شأن إفريقيا كانت لها خطورة كبرى حسب الظروف الدولية الحاضرة وقتها لأنها بالنسبة للمغرب تعتبر خرقا للمعاهدات الدولية التي تضمن السيادة المغربية، والتي تعلم دول الحلف أنها تحول دون تصرف فرنسا المطلق في أقطار المغرب العربي. إذ لاحق للحكومة الفرنسية من الوجهة القانونية أن تدخل المغرب بدون رضاه في أي حلف. وقد سبق لحزب الاستقلال أن أوضح ذلك في غير ما مناسبة، وخاصة في مذكرته المؤرخة بـ1949/2/27م أثناء المفاوضات المتعلقة بالحلف الأطلسي.

ولهذا كانت الخطة الإعلامية التي واكبت ما قبل وبعد زيارة محمد الخامس لفرنسا في 1950/10/5 قد ركزت على عرض تاريخ الحماية في المغرب وموقف المغاربة ملكا وشعبا منذ فرضها.

على أن ناحية الخطورة وقتها كانت ترجع الى موضوع مقررات المجلس الوزاري الفرنسي يوم 1950/8/13ذلك أن الشعب المغربي الذي كان يكافح الاستعمار الفرنسي كفاحا شديدا، والذي كان ينتظر من فرنسا أن تعترف له بما قدم في الحربين العالميتين، بيد أنها على العكس تنكرت لكل القيم ثم تطاول المقيم العام الجنرال اجوان ووافقت الحكومة على تطاوله الى درجة أنها إعتمدته كمتكلم لديها باسم المغرب ومن وراء أهله، ولذلك فإن الشعب المغربي في هذه المرحلة بالذات وقد عرف طفرة نحو الوعي بحقوقه وكان العامل الفعال هو الحلف المعنوي الذي تمكن بين العاهل وحزب الاستقلال من أجل

مقاومة السياسة الفرنسية التي كانت تحاول الاستفادة من الظروف الدولية حتى تمدد في عهد الاستعمار بدعوى مراعات الضروريات الستراتيجية من دون أن تحسب لمطامح شعوب المغرب العربي أدنى حساب. وإزاء هذا الاتجاه قام الحزب بحملة إعلامية ثم أصدر بيانا بتاريخ 1950/9/11 جاء فيه:

"إن حزب الاستقلال الذي يمثل الشعب المغربي ليعبر عن موقفه بالرفض لمقررات المؤتمر الوزاري الذي عقدته الحكومة الفرنسية يوم 1950/8/13 حول إدماج المغرب في نظام دفاع الحلف الاطلسي وإبقاء الوضع السياسي بالشمال الإفريقي على ما هو عليه يصرح بما يلي- وكان البيان طبعا بأمر من محمد الخامس وقد جاء فيه-:

أولا: إن الشعب المغربي لا يعتبر نفسه مقيدا بأي التزام تلتزمه الحكومة الفرنسية باسمه.

ثانيا: يؤكد بأن الشعب متشبث بوثيقة 11 يناير 1944م وأن همه الاول هو حريته واستقلاله قبل كل شيء.

ثالثا: يعرب عن اقتناعه التام بأن الإعتبارات الستراتيجية لا تقدم على الاعتبارات السياسية. إذ الوضعية الستراتيجية لقطر من الأقطار متوقفة على حالته السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

رابعا: يعلن بأن الشعب المغربي لا يمكنه أبدا أن يعتبر نفسه حليفا لمن ينكر حقه في الحرية والاستقلال .

ولقد كان هذا البيان أشد صفعة وجهت الى الجنرال وحكومة بلاده وجماعة المستعمرين بل بهذا الاسلوب من التشهير تعززت رحلة محمد الخامس الى فرنسا، كما أحرجت السياسة الفرنسية إحراجا، وأما بالنسبة للرأي العام الفرنسي المضلل والذي كانت حكومة باريز تحول دون تعرفه على واقع الفظائع التي كان المقيم العام يرتكبها في المغرب فقد توجه اليه الحزب بالخطاب التالي معرفا إياه بما قامت به إدارة الحماية في المغرب على مدى أربعين سنة مضت، والتي بدل أن تساعد على تقدم المغرب وتطور المغاربة عملت على الهدم والتمزيق واغتصاب السيادة وهدم الكيان كما عبر بيان الحزب بما يلي مستعرضا المراحل التي عاشها المغرب منذ ما بعد الحرب العالمية الأولى حتى

يتعرف الفرنسيون على حقيقة ما قدمته حكومة بلادهم لشعب تعهدت بمساعدته، بيد أنها عملت وبخسة ودناءة على استعماره واستعباده يقول البيان والمصدر هو المهدي بن بركة نائب حزب الاستقلال بباريز وقتها في مراسلة خاصة(13) 1949م.

«لقد كان المغرب عند نشوب الحرب العالمية الأولى ما يزال في أول عهده بنظام فرض عليه بالقوة أثناء ظروف دولية خاصة، وتلبية لنداء جلالة الملك إذ ذاك المولى يوسف رحمه الله توجهت فيالق مغربية الى خطوط القتال للمساهمة في معارك بلجيكا ولمارن والصوم وفردان وكان المغاربة يفهمون من هذه المساهمة أنه سينشأ عنها بعد إنتهاء الحرب تعاون ينتج على أساسه إحترام السيادة والنظم المغربية. غير أنه بمجرد ما تم النصر أخذت سلطات الحماية الفرنسية تعامل الشعب المغربي معاملة الغزاة فلم يعدالمغرب يعتبر بحليف وصديق بل كبلاد محتلة مغلوبة على أمرها.

وهكذا سلبت الحكومة المغربية تدريجيا وبكيفية محكمة سائر إختصاصاتها وحلت محلها في سائر المرافق إدارة فرنسية تباشر الحكم بنفسها بدون أدنى اعتبار للمعاهدات، وأصبح هم الإدارة الفرنسية الأول هو الإستيلاء على الأراضي بحيث لم تمض سنوات قليلة حتى كان أكثر من مليون هكتار من أجود الأراضي قد سلبت بطرق مختلفة من أيدي الفلاحين المغاربة وأعطيت لبضعة آلاف من المستعمرين الفرنسيين.

كما وجهت إدارة الحماية جهودها لتقويض وحدة البلاد المعنوية سواء من الوجهة السياسية والإدارية أو من الوجهة الثقافية والقضائية رامية من وراء هذا الهدم القضاء على الوحدة المغربية وتقسيم الأمة إلى فريقين متعاديين.

وأمام هذا السلوك المعادي والظالم المعتدي، أدرك الشعب المغربي أن نظام الحماية لا يكتفي بأن يعمل بجد على عرقلة تطوره، بل يسير به الى الإنحلال والفناء، بينما يضمن للجالية الفرنسية الاستحواذ على جل خيرات البلاد.

وبينما كان نصف المغرب ما يزال يقاوم الاحتلال الفرنسي في نواحي الجنوب تافيلالت وجنوب الأطلس مقاومة مسلحة إستمرت الى سنة 1934 أخذت النواحي التي قد

---

(13) ضمن مجموع مراسلات المؤلف. تراجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي المصادرة من خزانة بقوة الاستبداد بتاريخ 1968/6/14 بالخزانة الملكية أو مديرية الوثائق الملكية.

تم إخضاعها تنظم نفسها للتحرر من نير الحماية بشتى الوسائل، وتعتبر الحروب التي خاضها الشعب المغربي حتى عام 1934 دليلا قاطعا على رفض الحماية وعدم قبول الشعب المغربي للاستعمار والاضطهاد.

وحتى يكون الرأي العام العالمي عموما والفرنسي خصوصا على بينة من واقع السياسة الفرنسية في المغرب تعرض البيان لمراحل النضال السياسي الذي لم تستجب له إدارة الحماية بالمغرب بل والحكومة الفرنسية بغير العنف والاضطهاد وزيادة النكال كما يقول المرحوم المهدي بن بركة(14).

منذ سنة 1930، إتخذت المقاومة صبغة حركة سياسة منظمة، وأخذت "كتلة العمل الوطني" على عاتقها مهمة التشهير بمساوئ نظام الحماية امام الفكر العام الفرنسي. وقامت هذه الكتلة عام 1934 بعمل إيجابي فقدمت لجلالة الملك وللحكومة الفرنسية "دفتر المطالب" الذي كان يرمي للوصول بالمغربَ إلى تدبير شؤنه بنفسه، فكان جواب الادارة الفرنسية سلسلة من أنواع القمع كالحكم على الوطنيين بالسجن وإرسالهم الى معتقلات الاشغال الشاقة ونفي بعض الزعماء الى الصحارى حيث أقام البعض منهم تسع سنوات.

ومن وقتها أيقنت الامة المغربية بعد تجربة دامت خمسا وعشرين سنة أن حل المشكلة المغربية يستلزم إلغاء معاهدة الحماية. ثم جاءت الحرب العالمية الثانية التي كانت تعتبر دفاعا حاسما عن الحرية والديمقراطية، فأخمدت الحزازات وهب سكان البلاد قاطبة للمساهمة في المجهود الحربي مساهمة كاملة. إستجابة لنداء جلالة الملك المشهور يوم 3 سبتمبر 1939م والذي قال فيه "إنه ابتداء من هذا اليوم الذي إتقدت فيه نيران الحرب والعدوان الى اليوم الذي يرجع فيه أعداؤنا بالذل والخسران يتعين علينا أن نبذل لفرنسا وحلفائها الإعانة الكاملة، ونعضدهم بكل ما لدينا من الوسائل غير محاسبين ولا

---

(14) ظهر هذا التقرير بعد في كتاب أطلق عليه المغرب الاقصى مصدر سابق. أشرف المؤلف على طبعه في القاهرة بعنوان المغرب الأقصى "وأكثر" قبل الحماية عهد الحماية. إفلاس الحماية مطبعة دار الطباعة الحديثة أكتوبر1951 وأشير هنا الى أن المرحوم المهدي بن بركة كان كل ما يكتبه حول المغرب قبل الاستقلال ينشر باسم الحزب أحيانا وأحيانا من غير إسم إذ كان الذي يهمه هو التمكين للحزب، والمغاربة بوعيهم سيعرفون كل شخص بعمله...

باخلين. وكان هذا الاقدام وقتها يدل على شجاعة وقوة إرادة ولم يحد المغرب عن هذا الموقف ولو بعد الانهزامات العسكرية التي وقعت لفرنسا عام 1940.

وعند نزول قوات الحلفاء سنة 1942 وضعت بلادنا رهن إشارتها مواردها ورجالها ومراكزها الستراتيجية وكان لجنودها "البالغ عددهم 300000 قتيل غير المعطوبين" حظ وافر في تحرير تونس وكورسيكا وإيطاليا وفرنسا. وكان الشعب المغربي عند قيامه بهذا المجهود الحربي مقتنع بأن الحرب العالمية الثانية ترمي إلى تحرير سائر الشعوب من دون إستثناء. خصوصا وأن الحلفاء قطعوا العهد بذلك حين أعلنوا الميثاق الأطلسي. بيد أن معظم تلك الشعوب ومنها المغرب لا يزال يرزح تحت قيد الاستعمار الفرنسي البغيض. وهو البلد الذي صدر فيه ما عرف بميثاق الدار البيضاء "راجع الموسوعة العربية ص1757-1965ق". وفي تلك الظروف الدولية أعلن الشعب المغربي ممثلا في حزب الاستقلال وثيقة 11 يناير 1944 التي عبر فيها عن إفلاس نظام الحماية ونادى بحق المغرب في استقلاله ووحدة أراضيه، ولقد برهنت عرائض التأييد التي جاءت تحملها الوفود الشعبية من مختلف الجهات إلى القصر الملكي بهذه المناسبة عن إرادة الشعب المغربي في استرجاع حريته واستقلاله، وما كان جواب السلطات الفرنسية إلا أن عمدت الى إلقاء القبض على طائفة من الزعماء السياسيين وفي مقدمتهم الأمين العام لحزب الاستقلال ومآت بل آلاف من المواطنين كما نظمت أفظع وسائل القمع التي تسببت في قتل الكثير من الوطنيين بما نالهم من أنواع التعذيب في مختلف السجون والمنافي.

وفي نفس الوقت كان مؤتمر برازاڤيل يقرر بأن "الإصلاحات" أو "الإتجاهات" الجديدة التي ستسلكها فرنسا في سياستها الاستعمارية لا ينبغي أن تترك مجالا لأي أمل ولو كان بعيدا في الوصول إلى استقلال داخلي أو حكم ذاتي.

ورغم ذلك فإن المغرب لم ييأس من الوصول إلى إقناع الرأي العام الفرنسي بأن التعاون بين الأمتين لا يقتضي سيطرة فرنسا على المغرب.

وهذا ما دعاه يوم 11 يناير 1946 إلى توجيه نداء للشعب الفرنسي، وإلى إرسال وفد لباريز من بعد ذلك مكونا من ثلاثة منهم عبد الكريم بن جلون واحمد لحمياني ختات يشرح بوضوح وصراحة الاخطار التي تهدد العلاقات الفرنسية، ويبين المزايا التي

ستجدها فرنسا إذا ما تعاونت مع المغرب، وهو تام السيادة محرر من قيود معاهدة الحماية.

وقد كان في تصريحات جلالة الملك المختلفة وفي بلاغاته وخصوصا في تصريحه لرجال السلك الدبلوماسي بطنجة تأييد رسمي لهذه المطامح المشروعة إذ قال رحمه الله:

"إنكم على علم بأن المغرب شارك في الحرب الأخيرة بأبنائه وبجميع ماليه من الوسائل ولما صارت الأمم تطالب بحقوق تناسب الوقت الحاضر، فمن الحق أن ينال الشعب المغربي حقوقه الشرعية، وأن يقع تحقيق ما نتمناه ويتمناه الشعب المغربي من المطامح التي نتوق إليها كسائر الأمم".

غير أن الحكومة الفرنسية لم تر من المناسب أن تخطو خطوة نحو التفاهم، فعوض ما تسلك طريق السداد آثرت فرض خطتها بالقوة وإبقاء ما كان على ما كان، وزودت الجنرال اجوان ممثل فرنسا الجديد بالمغرب بتعلميات من هذا القبيل، مما يستدل به على مدى الإنهيار الخلقي والسياسي الفرنسي وقتها.

إذ منذ شهر مايو سنة 1947 والسلطات الفرنسية لا تفتأ تعزز نظام العسف والاستغلال الى حد أن نظام البوليس الديكتاتوري المطبق بسائر أنحاء البلاد أصبح لا يختلف في أساليبه ووسائله عن الديكتاتوريات الفاشيستية. بل يمتاز هذا النظام في الوقت الحالي بما يأتي:

أولا : وجود إدارة مباشرة تستحوذ يوما بعد يوم على ما بقي من إمتيازات الحكومة المغربية وأن ما تقوم به الإدارة الفرنسية من إعتداء متوال على السيادة المغربية يحدث توترا خطيرا مستمرا بين الإقامة العامة والحكومة المغربية.

ثانيا: حرمان المغاربة وحدهم من التمتع بأبسط حقوق الإنسان، فلا وجود لحرية الاجتماعات وحرية التجول، والحياة النقابية، وخصوصا حرية التعبير، إذ هي مقيدة بنظام الرقابة على الصحف والمطبوعات قبل نشرها(15) حسب تشريع سنة 1939 والذي

(15) كان يزاول هذه المهنة مهنة الرقابة بنكاية وحقد على الوطنية والوطنيين بعد الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور وبعده محمد التمساني المحكوم عليه بالحرمان الابدي من الحقوق الوطنية. وما الفرق بينه وبين سلفه بل الأول أحقر إذ الثاني لم يجرؤ على الحذف من ترجمة السلطان المولى الحسن رحمه الله ولم يذل الوطنيين بالانتظار في "البراكة" إلخ كما سنرى وإنما فقط عمل كلب حراسة ضد المغاربة في عهد الشدة.

لايزال العمل به جاريا لحد الآن 1950 ولاتوجد ضمانة للحريات الفردية لعدم وجود قانون جنائي.

ثالثا: إستئناف سياسة غصب الأراضي المغربية لفائدة المستعمرين الفرنسيين.

رابعا: تعزيز وسائل القمع بمضاعفة عدد رجال الشرطة الفرنسيين وإحداث مراكز الشرطة ومراقبة الأحياء التي هي شبكات جديدة للمراقبة البوليسية.

خامسا: إضطهاد الوطنيين واستفزازهم.

سادسا: الإستخفاف بمطامح الشعب المغربي السياسية، والاجتماعية وإعطاء الأسبقية لصالح الجالية الفرنسية، بل بدعوى المحافظة على النظام والاستقرار تريد فرنسا أن يبقى الشعب المغربي في هذه الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وفوق هذا وذاك تنوي إدماج بلادنا التي تعيش في جو قاتم في نظام الدفاع المشترك لدول الحلف الاطلسي.

لقد تحملت الامة المغربية عبء حربين بجانب فرنسا والحلفاء، وهاهي ذي اليوم بعد مرور ست سنوات على تحرير فرنسا تشعر شعورا قويا بأنها خدعت في ثقتها وخاب ظنها. فقد كانت الحرب العالمية الثانية حربا تحريرية بالنسبة لسوريا ولبنان والهند، والباكستان، والفيلبين، وأندونيسا، والحبشة، ولكثير غيرها من الشعوب. ولم يكن لهذه الانقلابات الهامة، ولا لما سبقت الإشارة إليه مما قدمه المغرب أي أثر على إتجاه السياسية الاستعمارية الفرنسية بالمغرب؛ تلك التي بقيت متشبثة تشبثا أعمى بنظريات القرن التاسع عشر التي حكمت عليها منظمة الأمم المتحدة بالزوال. بل إن الجنرال اجوان مبالغة في تحدياته عمل وبروح ملؤها الحقد على إنشاء نظام يمكن الفرنسيين من المشاركة بل السيطرة على المغرب. بل وحتى التشريع لإدارته وتسييرها فكان من ذلك ظهير 1947/10/13 الذي قيل إنه تنظيم للغرف الاستشارية المغربية التجارية منها والفلاحية، ورغم أساليب البطش وقوة الحديد والنار كان الفوز للجانب الوطني الذي عرف كيف يسيطر على الموقف ويختار للمعركة نفس السلاح الذي صنعته الإقامة العامة والذي كان عبارة عن كشف للميزانية العامة التي طبختها الإقامة العامة في دهاليزها فكان للغرف التجارية المغربية فيها دور بزعامة محمد الغزاوي ومحمد الزغاري فضحت

الإقامة العامة وكشف عورات زبانيتها يتقدمهم الجنرال اجوان. الذي بسبب طيشه وتهوره ظهر إفلاس الحماية. كما سنتعرف على ذلك بعد، والذي كان على محمد الخامس وقد أعلنها حربا على الاستعمار أن يختار أحد جنوده المقربين لإشعال الفتيل ولتوجيه الطعنة التي تزري بالجنرال جوان وتحط من قدره بعد الفضيحة والذي كان بطل التشهير محمد الغزاوي حين مناقشته لميزانية وزارة الأشغال العمومية، والتي انتهت إثارته للجنرال اجوان إلى طرده من المجلس، فكان ذلك الطرد هو السبب في تصعيد المعركة التي كان محمد الغزاوي الصديق الشخصي لمحمد الخامس بحق في مستواها كما سنرى بعد، بل إن ذلك التقرير هو الذي فضح سياسة الاستعمار الفرنسي.

محمد بن الطيب الصبيحي بأوسمته الفرنسية في ركاب الجنرال جوان

سياسة فرنسا في مراكش

كما يبسطها الجنرال جوان المقيم العام

مؤتمر صحفي في باريس

باريس في ٢٥ — لمراسل الاهرام الخاص — حضر كثيرون من الصحفيين المؤتمر الصحفي الذي عقده للجنرال جوان المقيم العام الفرنسي في مراكش امس في دار وزارة الخارجية .

الحماية ليست ابدية

وقد تكلم الجنرال مدة ساعتين عن الحالة في مراكش وبسط المهمة التي تمت في خلال ٣٥ سنة اي في اثنا مدة الحمايه . ولم يتورع عن الانتقاد . وقد قال ان الحماية ليست ابدية وانها تعد ملغاة في اليوم الذي تبلغ فيه مراكش رشدها ويصبح فيها رجال الادارة ورجال الاختصاص من الوطنيين .

الاصلاحات التي تمت في مراكش

وتكلم الجنرال مطولا عن الاصلاحات التي نفذها في الاشهر الثمانية الماضية منذ عين مقيما عاما . ثم اقام الدليل على وجوب تعديل النظام الفيديرالي بانشاء دولة ديمقراطية تستند فيها سلطة السلطان الى مجلس وزراء ومديرين فرنسيين يفسحون مجال العمل للوطنيين الذين يعينهم السلطان في المكاتب التي يديرها هؤلاء المديرون لكي يمكن تدريبهم تماما على الشئون الادارية .

وقال الجنرال جوان ان من الضروري توجيه المراكشيين الى السلكين الاداري والفني اللذين تحتاج اليهما مراكش الى اقصى حد . وقد انشئت مدرسة للادارة في رباط . وقال الجنرال جوان انه يريد ان يزيد عدد المراكشيين في المناصب الادارية ولكنه لم يجد مرشحين لهذه المناصب لان المراكشيين يفضلون مهنا اخرى .

بطء الاصلاحات الفرنسية

واعترف الجنرال جوان بان الاصلاحات سارت ببطء ، ولكن الاصلاحات القضائية والمدرسية وضعت كلها تقريبا وستكون قريبا موضع التنفيذ فتجهز مراكش حينئذ بمحاكم حديثة وقانون للجنايات وما شاكل ذلك مما ينقصها الان .

مراكش والجامعة العربية

ورد الجنرال جوان على سؤال في صدد مراكش وجامعة الدول العربية فقال ان تسمة اعشار السكان يجهلون وجود هذه الجامعة التي اتجهت اليها انظارهم من الوجهة الثقافية وان يكن عملها السياسي غير ظاهر تماما .

وقال عن حزب الوزاني : ان هذا الحزب وضع مشروعا لدستور البلاد وقدمه الي . فنصحته بان يقدمه للسلطان ، لانه رئيس الدولة ولان استشارته واجبة . وهو يقول اريد هذا او ذاك فانقل ارادته الى الحكومة الفرنسية .

وقد اثار مشروع الوزاني مباحثات طويلة مع الحزب . فان بابي مفتوح لجميع الناس ، حتى لاعضاء حزب الاستقلال .

حاجة مراكش إلى اختصاصيين

وسأله احد الصحفيين الامريكيين : هل يمكن تحقيق الاستقلال قريبا ، فرد الجنرال جوان بقوله :

حينما يتم تجهيز مراكش بجماعات من الفنيين يترك لهم الامر . وانا منذ ثماني سنوات لم اعتقل احدا من الوطنيين ولا من الساسة المراكشيين فمراكش هي دولة عصرية كبرى قائمة على ابواب العالم الغربي وتحتاج الى كثيرين من رجال الفن والمهندسين ورجال الادارة لكي تستطيع تامين استقلالها الذاتي .

ثم قال الجنرال جوان : لقد اعددنا مشروعا لتعديل نظام المراقبة تعديلا كبيرا ويجب علينا ان نتولى ارشاد بعض الشبان الوطنيين الذين يقتضي ان لانحقد عليهم فلو كنت مكانهم لكنت مثلهم في كل شيء فبعضهم عاقل وبعضهم متسرع . ونحن في هذه البلاد نحتاج الى موظفين مراكشيين اكفاء .

ثم واصل قوله : ان المطالب القوميه هي مطالب مشروعة يمكن استيعابها .

وقد غادر الجنرال جوان باريس الى رباط قبلما اليوم .

الجنرال جوان يفضح أسرار الذين اتصلوا به من وراء ستار

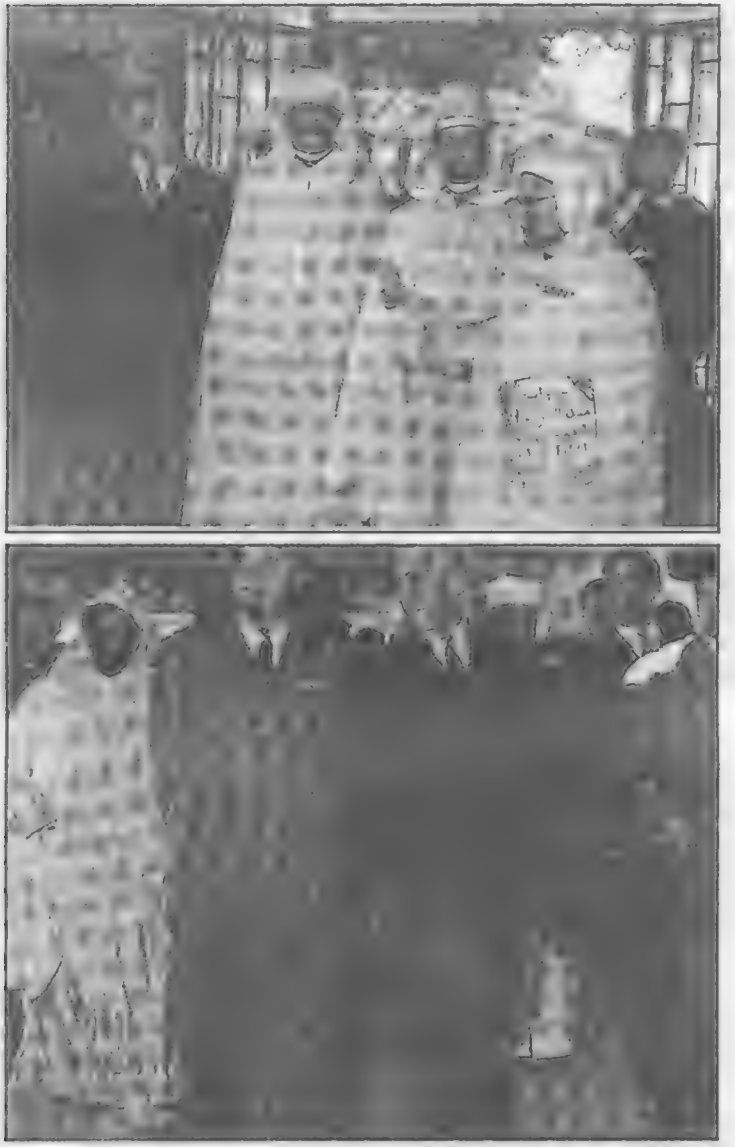

محمد بن الطيب الصبيحي يلقي خطاب الولاء وهو محافظ
مدينة سلا أمام الجنرال جوان وبجانبه العميل المحتسب بالمدينة صاحب المواقف المريبة عبد الحميد العلوي صهر
الجاسوس الجزائر المفترنس عمر الخطيب ربيب نعمة عبد الكريم ابن سليمان الذي اخرج من قبره بعد موته ثم أحرق
وعمر الخطيب أيضا ربيب نعمة محمد كاباص المعروف بالجباص الإسباني الأصل التلمساني الموطن العميل

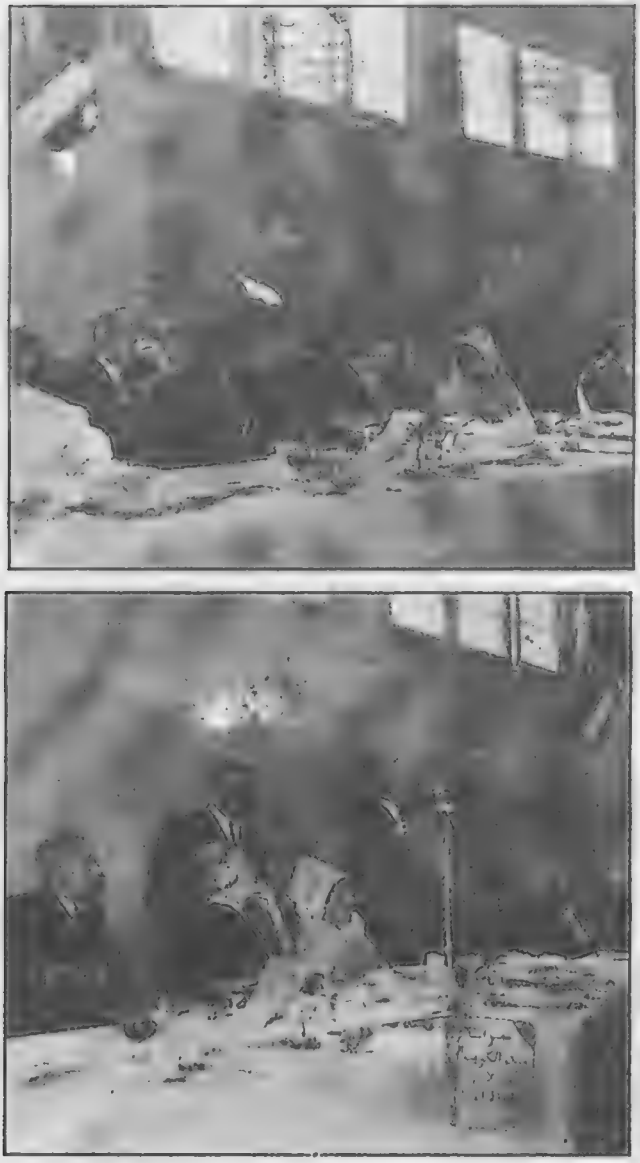

عبد الله الصبيحي الى جانب زوجة الجنرال جوان

محمد بن الطيب الصبيحي الذي رفع بيعة 150شخص بسلا لابن عرفة
راجع جريدة السعادة

العميل القائد دحان بالجديدة وهو الآخر له قصة ابتزاز مع الخطيب يعرفها أهل المنطقة بتفصيل

القائد دحان في استقبال الجنرال جوان أيام جولته ضد محمد الخامس، ويظهر في الصورة الجنرال جوان في مدينة الجديدة كما يظهر في الصورة المسمى المحفوظ بن عمر الخطيب الجزائري الفرنسي الجنسية وهو شقيق عبد الكريم الخطيب

كاباص= محمد الجباص. راجع ترجمته في جريدة السعادة بتاريخ 1917/09/07.
كاباص المعروف بمحمد الجباص وهو من الذين مهدوا للاحتلال الفرنسي ومكنوا له

وهذا إبن عمه

الإسباني كاباص الذي كان بمنطقة العيون بالساقية الحمراء

ترجمة عمر الخطيب أول عميل استورده الفرنسيون عام 1903 فكان لتقاريره السياسية التي بقيت نسخها محفوظة بوزارة الداخلية إلى عهد الاستقلال وتوجد بالمتحف الحربي الفرنسي كما توجد بمتحف وزارة الخارجية الفرنسية التي كان يعمل في ركابها ولي نعمته كاباص الذي هو محمد الجباص وهو الذي استورده بتوجيه فرنسي من العين الصفرا عرب الجزائر حين كان يرسم الحدود بين المغرب والجزائر عام 1902 حيث بقي يعمل في خدمة الاستعمار الفرنسي الى أن توفي

الجديدة

الى دار البقاء

الجديدة (15 شتنبر – لمراسلنا) ليلة السبت انشبت المنية اظفارها فى شيبة الحمد الفقيه الترجمان الشريف سيدى الحاج عمر الخطيب الجزائرى عن سن يناهز السبعين وما ان طرق نعيه الاسماع حتى توارد على منزله العدد العديد من اصدقائه واقاربه واصدقاء انجاله البررة من مسلمين وفرنسيين واسرائليين وقد حمل جثمان الفقيد فى موكب عجيب ضم مختلف الطبقات ، وبعد الوصول الى مرقده الاخير أبنه الم سكوفوني رئيس القسم الانتخابى الثالث ثم السيد احمد السباعى الجزائرى الكاتب العمومى فشكرهم على ذلك الاستاذ السيد عبد الرحمان احد ابناء الفقيد وقد كان الفقيد رحمه الله مثال الاخلاق الفاضلة والشيم المرضية وعلى جانب عظيم من الورع والتقوى

ترجمة الفقيد

ولد رحمه الله سنة 1880 بارليون فيل بالقطر الجزائرى ودرس اللغة الفرنسية بمسقط راسه والعاصمة الجزائرية ثم احرز الشهادة العليا فى العلوم الاسلامية ثم انخرط فى سلك المعلمين كاستاذ للعربية فى الجامعة الكبرى بالعاصمة . وحينما ادخل الى المغرب انضم الى الصدر «الاعظم» سابقا سيدى الحاج محمد الجباص كترجمان له أثناء قيامه بتحديد الحدود المغربية الجزائرية ولازمه اثناء تعيينه وزيرا للحربية فى عهد المولى عبد العزيز ثم رئيسا للترجمة لدولة الصدر الاعظم آنذاك بطنجة ثم مديرا للمطبعة الشريفة للتلغراف بطنجة ثم ترجمانا للصدارة ثم مراقبا لاحباس مدينتى الجديدة وءازمور ودكالة ثم ترجمانا مدنيا بالمحكمة الباشوية ودام بها الى ان احيل على المعاش وبعد ذلك قام بمهمة ترجمان محلف الى ان وافاه الاجل المحتوم تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنانه وعزاء لاقاربه وذويه وخصوصا انجاله الابرار الدكتور سيدى عبد الكريم والاستاذ المحامى سيدى عبدالرحمن والترجمان سيدى احمد واصهاره الاماثل جناب محتسب سلا الفقيه الشريف مولاى الحاج عبد الحميد العلوي وجناب الخليفة الباشوى بالدار البيضاء الامجد السيد الحاج عبد السلام حصار .

وزير الداخلية عبد الرحمان الخطيب

جريدة السعادة
بتاريخ 1953/9/17

اشتركوا فى السعادة

امبارك البكاي ولد لهبيل الذي تطوع بالتجنيد في الجيش الفرنسي تمكينا للاستعمار والذي أخلص للفرنسيين فوق العادة فصنعوا منه ما صنعوا كيدا لتحقيق أهدافهم، ويرى في مختلف الصور يؤدي واجبه نحو الذين صنعهوه

في اعتبار التاريخ ما كان مبارك البكاي ولد لهبيل يصلح إلا قيما على مربط اشفاقا على عطبه المخجل وفي الصورة يرى مع الجلاوي والجنرال جوان في جولته ضد محمد الخامس

امبارك البكاي يقدم ولاء ه لفرنسا في شخص الجنرال جوان الذي وسمه

الفصل الرابع والتسعون بعد المائتين

الجنرال جوان ومحمد الغزاوي الرجل الذي اشعل الفتيل ضد المستعمرين وضحى بالمال والأهل من أجل الاستقلال

عندما فكرت في كتابة هذا الفصل ضمن التاريخ السياسي كان علي وحسب منهج الدراسات الميدانية أن أرجع فيما يعني الفترة التي أُشعل فيها الفتيل وهي الفترة الساخنة التي كان التخطيط لها ضد الاستعمار الفرنسي البغيض وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية والتي أثناءها قام العاهل العظيم محمد الخامس بدوره الفعال الذي كان من نتائجه تأسيس حزب الاستقلال وظهور النهضة السياسية التي بدأت تظهر نتائجها التي كدرت صفوه جماعة المستعمرين الذين كان من تحركاتهم المضادة تبديل المقيمين نوجيس وبيو وإريك لابون ثم طالع النحس على فرنسا والفر نسيين، في المغرب الجنرال جوان الذي كان يحسب أن تعيينه بالمغرب إنما كان من أجل أن يعيد الأمور إلى نصابها كما زين له الغرورة وصرح بذلك، وإذا كان الذي أزعج فرنسا وكدّر صَفْو المستعمرين الفرنسيين في المغرب هو محمد الخامس، فإن التجربة التي مر بها الجنرال جو ان والتي كان مسرحها تونس ورجلها العظيم محمد المنصف باي الذي ابعد عن عرشها إلى مدينة ازرو بالمغرب ثم الى فرنسا قريبة عهد ولا يزال صداها يتردَّد في ربوع المغرب العربي الكبير، وإذا كان للجنرال الذي أصبح له في المغرب تخطيطه، فإنه كان للعاهل قبل ذلك تخطيطه كذلك، وإذا كان ضمن قافلة جنود المعركة محمد الغزاوي الذي يعتبر الصديق الشخصي بل والذي كان صلة الوصل بين العاهل وجماعة الوطنيين الذين دفع بهم لتأسيس حزب الاستقلال عام 1944 ولذلك كان علي أن أرجع فيما يعني تلك المعارك التي خطط لها جوان إلى الرجل الذي كان على قيد الحياة، والذي كنت عرفته زمن الطفولة أيام كان يتردد على القصر الملكي بفاس الذي ساقني إليه قدري.

وإذا ما قرب بيننا السكن وألفت بيننا الذكريات وجمع بيننا المسجد الجامع وقد أصبحنا جماعة نلتقي دورياً وحول مائدة الرجل أو مائدتي كل جمعة بعد الصلاة. الحاج محمد بن ناعوم والدكتور المهدي بن عبود، والدكتور المهدي المنجرة والحاج محمد المعزوزي صاحب مذكرات العامل السابق وصاحب كتاب سبتة ومليلية وأحيانا ولده الدكتور وجيه المعزوزي بحيث دام اتصالي بالرجل من أواخر العقد السابع الى أن توفى يرحمه الله في الساعة 12 من يوم الإثنين 4 شوال 1418 هـ= 1998/2/2 م وقد مضى من عمره الحافل 92 عاماً إذ هو من مواليد 1906م، بحيث لم أفارقه إلا بعد الدفن والتأبين حيث وُورى عليه التراب بمقبرة أسرته بباب الفتوح من مدينة فاس مخلفا ورآءه ترجمة يتغنى بها المغاربة بكل حب ووفاء لأنها جزء من ترجمة محمد الخامس رحمه الله، والتي لم أكتبها قبل كما أريد. وإنما فقط كتبت حول محمد الخامس بدافع ما ظهر وقتها في الميدان بعد مؤتمر إكس لي بان.

قبْل أكثر من أربعين سنة أي عام 1957 اندفعت للكتابة حول «المغرب ملكا وشعباً» وهو إسم الكتاب الذي نشرته بمصر القاهرة في السنة المذكورة، والذي كان السبب في تأليفه على عجل ورغم انعدام الإمكانات ماديا ومعنويا وقتها. هو الغيرة على المغرب عموما ومحمد الخامس خصوصا، ذلك أن كتاب «المغرب ملكا وشعبا» كان من وحي كلمة غاضبةٍ سمعتها من الزعيم القومي العظيم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر سقى الله ثراه. والتي قال فيها وقد وجه الخطاب الى بالإسم وقد كنا نحن جماعة من الطلبة المغاربة توجهنا إليه بمقر الرئاسة وفي مظاهرة احتجاج على كلمات نفاق وردت في مقال كتبه «أحمد حسن الباقوري» وزير الاوقاف وقتها، بعد ما عادٍ من زيارة تهنئة للعاهل العظيم محمد الخامس اثر عودته منتصراً عام 1956م، ولما عاد الباقوري إلى القاهرة كتب مقالا في مجلة الهلال 30 إبريل تحت عنوان «محمد بن يوسف النسر الأبيض كما رأيته» وإذا هو وجد بالمغرب عديم الأخلاق سعيد رمضان الذي كان وقتها مندس ضمن تنظيم «الإخوان المسلمين» ثم هو محكوم عليه بالإعدام ضمن الجماعة التي حاولت اغتيال جمال عبد الناصر في أكتوبر بمنشية البكري الإسكندرية، 1954 وأنه لم يكتفي بوجوده في المغرب الذي جره إليه جماعة من الشوريين كانت تربطه بهم علاقة مريبة لم يغادر هذه

الحياة إلا بعدما افتضح أمرهم مثله بين المغاربة، وإذا ما حاول القوم إتخاذ خطبه التي كان يتصنع فيها أسلوب الدعوة وسيلة للإشهار، فإن جماعة من حزب الاستقلال وقتها وقد كانت أقوى إستعملته في الإعلام بطريقة أزعجت الوزير المصري، خصوصا وقد ساهمت وسائل الإعلام المغربي في تقديم الرجل بطريقة لم تكن له، أولاً لأن الرجل عند المصريين خلقيا لا يمثل التنظيم الذي يدعى الانتساب إليه، رغم مصاهرته مع المرحوم حسن البنا سقى الله ثراه، وثانيا لأنه محكوم عليه في قضية محاولة اغتيال جمال عبد الناصر بالمنشية من الاسكندرية 26 أكتوبر 1954 ولذلك لما عاد الوزير من المغرب ورغم ما لقيه من تكريم العاهل الذي كان يرى فيه مصر التي يحبها الحب الكبير كما كان يعبر عن ذلك، فإن الباقوري وبوسيلته وأسلوبه «النفعي» بل الانتهازي الذي جره عارياً من حظيرة الإخوان إلى العمل كوزير، حتم عليه أن يدس في المقال كلمات لا يقصد بها من كتب حوله المقال. بقدر ما كان يقصد الإثارة حول سعيد رمضان وكذا الذين استعملوا سعيد رمضان، وهم الذين يعرفون ما للزعيم المصري مع الزعيم علال من حسابٌ قديم لم يكتفي فيه بما قام به إحسان عبد القدوس من تصفية له في حينه بل الجامعة العربية في عهده حرمتْ مكتب المغرب العربي من منحة الالف جنيه سنويا التي كانت تساعد بها المكاتب الثلاث سنويا.

ولما حصل في إكس لي بان ما حصل من غدر(1) وخيانة باسم الحزب، كان بطلها عمر بن عبد الجليل ومحمد اليزيدي بوشعيب، وبعد كتابة مقال الباقوري ذهبنا نحن الطلبة في مظاهرة احتجاج ضد ما ورد في المقال من سموم وبعد المدح الكثير والوصف الجميل الكبير، وجدها القايد المصري فرصة نعتٍ بالرذيلة وجهها إلى القوم الذين نشرت كل وسائل الإعلام المصرية قبل خبر تواطؤهم مع الفرنسيين وقبولهم الحكم الذاتي ثم تخليهم عن محمد الخامس. وهذا ما كان يعنيه بقوله. «مراكش بيعت للاستعمار أفلالي» وقد شعرنا أنه لم يكن منه ذلك تضامناً مع الباقوري بقدرما كان يقصد الذين جاء بخبر تهريجهم الباقوري، مما دفع بي للتفكير في تأليف للتعريف بالمغرب بل دافع آخر أيضا دفع بي لتأليف كتاب المغرب ملكا وشعبا هو أنه وقتها كان الشرق العربي رغم ما كان قد

(1) راجع المجلد العاشر من هذا الكتاب حول فضيحة إكس لي بان ومخلفاتها.

حققه محمد الخامس للمغرب من إشهار. لم يكن بعدُ قد تعرف على تاريخ النظام الملكي في المغرب، والذي يرجع إلى ألف ومائتي سنة مضت وإذا كانت سياسة زعيم الثورة قد بدأت معاركها مع النظم الملكية، في المشرق العربي. فإن المناسبة كانت تحتم علي أن أعرف القوم بحقيقة النظام الملكي في المغرب، والذي يعتبر واسطة عقده محمد الخامس الذي كان جمال عبد الناصر أول من كرمه وناصره ثاني يوم على اختطافه أي يوم الجمعة 21 غشت 1953 م، بل كانت تضحية محمد الخامس قبل أي عام 1951 والتي كانت مظاهرات الانتصار له في مختلف جامعات مصر. قد ناوأت فاروق وجاهرت بعد آئه كما سنرى هي التي ساهمت في التعجيل بثورة مصر. وهي التي كذلك كانت السبب في إنشاء صوت العرب حين تقدمنا نحن المغاربة، بطلب إلى جمال عبد الناصر حتى يخصص لنا زمنا معينا نخاطب فيه المغاربة. بعد نفي العاهل فقال «ولماذا لا تخاطبون العرب جميعا الخ الخ .

وقتها خطرت لي فكرة تأليف كتاب «المغرب ملكا وشعباً» وهو الكتاب الذي وجدتني مدفوعاً لكتابته بعد طول إقامة في مصر التي تحمس شعبها النبيل للدفاع عن المغرب العربي الكبير عموما، والمغرب الأقصى في شخص عاهله، وقت محنته خصوصاً وأن المصريين رغم ذلك، والمشارقة عموما لم يعرفوا حقيقة النظام المغربي وتاريخه الذي يمتد إثني عشر قرناً، بَلْ ونتيجة لمخلفات فضيحة إكس لي بان. بدأ بعضهم كرد فعل للخيبة التي أخذ يتجرع مرارتها وقد وجد في مجال الشرق وخصوصاً الصحافة التي لم تجد ما تنشر ولا يعنيها مفعول ولا أثر ما تنشر، خصوصاً بعض الصحافة في الشام التي ليست لها جذور ولا هي ذات اعتبار عند الآخرين، وإنما تريد الرواج فقط. وفعلا حقق كتاب المغرب ملكا وشعباً وقتها المقصود منه رغم أنني لم أتعمق فيه بالقدر الذي يليق بترجمة محمد الخامس والأصول التي يرجع اليها محمد الخامس.

وفي هذه المرحلة التي تفرغت فيها لكتابة التاريخ السّياسي للمغرب العربي الكبير موطني كواجهة للنضال الذي تحتم علينا القيام به ضد الظلم والبغي والاستعباد الذي فرضه الاستعمار الفرنسي، ولو فقط بتدوين فظائع الفرنسيين وفضائحهم، ومحاسن الكرام وشمائلهم، في هذه المرحلة من تاريخ مغربنا العربي الكبير، وذلك حتى نخلد

للأجْيال المقبلة تاريخا حقيقيا بعيدا عن أسلوب التاريخ المزور الذي دس له خونة الماضي المظلم من جانب، بل وتقويم ما وقع فيه تاريخ بعض الوطنيين من خطأ من جانب آخر، ذلك أن التاريخ الرسمي في مغربنا اليوم يكتب بواسطة أمثال موسخ المملكة، أي بيد ملوثة لها سابقة خزي وخيانة معروفة إلى جانب المستعمر، وأعنى بذلك الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور، الأمر الذي صير التاريخ الرسمي في هذه المرحلة التي هي مرحلة ما بعد موت محمد الخامس صيره موضع إهمال وشك وعدم ثقة من القارئ عموماً والشباب المتفتح أكثر خصوصاً الفئة التي لم تعش الماضي القريب لهذا الشعب، من جهاد تتقدمه صفوة من الرجال كانوا كالمهاجرين والانصار بالنسبة للرائد الراحل محمد الخامس والذين وجب أن يكون لهم ذكر في التاريخ، لأن في ذكرى لبعضهم وكما عشت أجمل ذكريات حياة بعضهم، وما كانوا عليه من خلق واستقامة ووفاء مع محمد الخامس والذين هم مثال ما كان عليه عهد محمد الخامس رحمه الله.

كما فكرت في أن أشعل النار في تراجم المخادعين والمنافقين الذين بطريقة أو بأخرى، عملوا من أعمال الخزي والشر، ما عرفنا وعرف الأخيار والاشرار، ثم أنكر الجميع عليهم ما فعلوه من خزي وعار وهم يعلمون، لكنني إذا لم أفعل بالقدر الذي يرضيني بالنسبة لهؤلاء وأولئك، لأن الانجاز يحتاج إلى عمل كثير وجهد كبير ونفس طويل، فلا أقل من العمل ولو بالنسبة للبعض من ذوي الفضل ومن هذا البعض محمد بن محمد الغزاوي الذي رغم عمله الوطني الكبير والمهم جدا. جر عليه وفاؤه وإخلاصه لمحمد الخامس بلا حدود، عدم الكتابة حول ترجمته بما يتفق وما قدم لأمته ووطنه، بل في بعض مراحل حياته وبعد موت محمد الخامس عرف المتاعب ونكران الجميل بطريقة ليس هذا مجال البسط والتوسع في ذكرها، وذكر تطاول الشيطان الاعور على أرض محمد الغزاوي بفاس ثم بيعها والاتجار فيها باسم المجلس البلدي.

محمد الغزاوي هذا هو الرجل الذي كان في المستوى لخوض أخطر معركة عرفها المغرب في المرحلة التي عين فيها الجنرال جوان الذي اكتوى المغاربة ملكا وشعبا بنار حقده وكراهيته التي اشتدت حتى وصلت الى إشعال النار في تراجم الذين ناصبوه العداء ولو بعدم ذكرهم أو التعرض لهم بما يليق من الذكر الذي يحييهم في الخالدين.

لكن لماذا بالنسبة لي محمد الغزاوي بعد أولئك الذين مضت تراجمهم في نطاق ترجمة محمد الخامس، وبالطريقة التي وصفتها ذاكرة طفل ومذكرات رجل، وهم شيخ الاسلام. بعد المربي عبد الدار مرجان، ومحمد لمعمري الزواوي. ذلك لأنني بملاحظة الطفل البريئ الذي عاش الطفولة والشباب قريبا من محمد الخامس، والرجل الذي اختار التاريخ هواية وبالتالي عاش المواقف وعرف الأسرار من الداخل، ثم هو تجمعت له من الوثائق حول مرحلة النضال وعلى مسيرة خمسين سنة مضت هي حصيلة ماقبل وعهد الاستقلال، وهي الفترة التي عاشها بصدق وأمانة قلة من الرجال أخذواْ في الانقراض من غير أن يحتفظ لنا قلم أحد منهم قط بما يتفق ويليق، والدليل على ذلك ما يقرأ في هذا الكتاب، ومن خلال الوثائق التي لم تتعرف عليها الاجيال الصاعدة، ومن جملة ما لم يعرف ولم ينشر علاقة محمد الغزاوي مع محمد الخامس، وكل الذي عرفه المغاربة هو ماكان بين العاهل ومحمد الغزاوي من حب جر على الرجل الحسد والنقمة من ذوي النفوس الساقطة والحقيرة، أمثال الشيطان الأعرج إدريس لمحمدي الذي عرفته وزارة الداخلية لفترة طويلة، كلها فسق وخمور وفجور لكنه لم يتمكن من الإشراف على إدارة الأمن التي هي حكما وعادة يجب أن تكون تابعة لوزارة الداخلية، لكنها لم تكن والسبب انحلاله وشذوذه وبقيت تحت إشراف نزاهة وخلق محمد الغزاوي، الذي كانت علاقته فقط مع محمد الخامس ولا سلطة للداخلية عليه بحيث بقيت إدارته بعيدة عن أغراض وسفه وفسق وخمور وفجور ذي المنبت الحقير إدريس لمحمدي، الذي كانت نهايته لا يريدها المسلم المؤمن بقضاء الله وقدره إلا لأمثال إدريس لمحمدي وهم الذين يكونون مجموعة الشياطين الخمس الأعور، والاقرع، والاسود وقزم الرباط، وكلهم في انتظار أن يلحق بهم الأسود أخذهم الله أخذا وبيلا.

عرفنا محمد الغزاوي الوسيط الذي اتخذه محمد الخامس لتوجيه الجماعة التي كانت مرشحة لتكوين حزب الاستغلال من أجل إعلان المطالب التي أصبحت ضرورية بعد الاتصال الذي كان لمحمد الخامس إثر ميثاق الدار البيضاء 1943 مع كل من رئيسي الولايات المتحدة وبريطانيا روزفيلت وتشولشير، وهو الاتصال الذي كان من نتائجه تأليف حزب الاستقلال للمطالبة بالاستقلال في 11 يناير1944م على أن كل تلك المواقف بالنسبة

لمحمد الغزاوي إنما كانت مقدمة للموقف الخطير الذي رشحه اليه محمد الخامس وهو الموقف الذي أشعل فيه الفتيل.

لقد عرفنا الظروف التي أدت إلى تعيين الجنرال جوان مقيما عاما بالمغرب نقمة على التحدي الذي قام به محمد الخامس بخطابه في طنجة 9 أبريل 1947م وأن الحكومة الفرنسية المعقدة والتي كانت وقتها تعاني من المركب الذي أذل الفرنسيين نساء ورجالا بالركل من أحذية الألمان، ثم جاءت بعدها أحذية الأمريكيين، مما جعلهم يتوهمون أن الكل يسخر منهم تشفياً، ومنهم المغاربة وعاهلهم، ولذلك جئ بالجنرال الجوان كمقيم عام بالمغرب وكما صرح يوم نزوله في الميناء الدار البيضاء وأنه «جاء ليعيد الامور إلى نصابها» الخ.

في هذه المرحلة من التاريخ ظهر محمد الغزاوي بصلابة عوده وأنه بحق أهل للوقوف كجندي إلى جانب العاهل الذي بادله حباً بحب في المعارك التي صمم محمد الخامس على خوضها مهما كانت النتائج، خصوصاً وأنه كان للرجل مقدمات في بناء الفكر الوطني.. ولعل القارئ لترجمة هذا الرجل بعد يقول: وإذا كان هو كذلك فلماذا لم يكتب عنه السابقون الذين تناولوا رجالات المغرب خصوصا في العقود الخامس وما بعده ولو بالقدر الذي كتبوا به على من هم دونه، بل ولو بالقدر الذي كتب به عنه بعض الأوربيين الذين تناولوا موقفه من الجنرال جوان وهو الموقف الذي اعتبره إشعال الفتيل ضد الاستعمار، والذي لم يطفأ إلا بالاستقلال،(1) وأخطر من ذلك اعتبره شارل أندري جوليان.

كثير من المغاربة وغير المغاربة لا يدركون ما تجره العلاقة القوية الصادقة مع محمد الخامس على كل من يتصف بذلك ولم يكن من السياسيين المحترفين الخلدونيين المكيافليين، وهذا ما عرض محمد الغزاوي وترجمة محمد العزاوي لعدم الاهتمام،

---

(1) راجع كتاب المغرب الأقصى للمرحوم المهدي بن بركة الطبعة العربية تحقيق المؤلف 1951 بالقاهرة ص . وإفريقيا الشمالية تسير شارل94 ط 1964 والتطورات السياسية في المملكة المغربية لدوجلاس ط البيضاء 188-187 أندري جوليان ط توس 1976 ص 409-410.

وتاريخ المغرب في القرن العشرين ط البيضاء 1963 ص 364. وسلطان مراكش ترجمه عبد المجيد بن جلون ط.ع 1951م وكتاب التحدي ط.ع ص 67 ونضال ملك لرشيد ملين 101/1 ط ملكية بالرباط1956.

خصوصا من ذوي النوايا الخفية، في الوقت الذي كُتِب الكثير عن الذين اشتراهم محمد الغزاوي ثم جرهم إلى ميدان الوطنية، بل إن عدم الكتابة كان ضمن خطة مدبرة منسقة سجلها بعضهم حيث قال في مجلس من أعلى مجالس الرفاق وقد عرض بعضهم ما كتب حول موقف الرجل ضمن ما كتب حول الاعلام الذي يرفع من قدر التنظيم ويحط من قدر الجنرال العليل وموقفه الانفعالي الهزيل، في مجلس شورى الحكومة 12 ديسمبر1950م ووقتها قال الموجه الذي كان له رأي في القرار. رغم أنه وبصدْقٍ كان لا يخفى حبه الكبير لمحمد الغزاوي ويشيد بأعماله. بل وبإقدامه ومغامراته رغم الخطر الذي يهدد مصالحه «إن الكتابة عن الرجل بهذا الأسلوب يجعل من الرجل خطراً على التنظيم لا يتفق مع السياسة التي يجب رسمها والعمل عليها، والتي تحتم عدم الإعلاء بأكثر من شخص وأحد يكون له القدرة والحق في التقديم والرفع بالقدر الذي تقتضيه سياسة التنظيم، ومحمد الغزاوي رجل الأعمال المتمول الممتاز في المغرب فوق العادة، والصديق الشخصي للسلطان فوق العادة، والوطني المخلص للسلطان وللوطن فوق العادة، إذا ما حصل تضخيم وتزكية هذه الإمكانات من التنظيم. وباسم المعتمدين من التنظيم، والناس في مجتمعنا كبقية المجتمعات الضعيفة أشد تملقا لصاحب المال ولو مع قليل من الوطنية والجاه، فكيف لوحصل ونشر ما سمعناه مما صور الجنرال جوان بهذا الضعف والخسة والنذالة. ثم أعلن من هذا الموقع والمعركة حامية. والناس يتطلعون لمعْرفة الأبطال الذين لهم قدم صدق وسابق وفاء في التخطيط الذي جعل الرجل في مقدمتهم، الأمر الذي يصبح معه قوة خطيرة ومخيفة بالنسبة للتنظيم، يزيده قوة حين يريد، ويؤثر فيه بالعكس حين يريد كذلك...

قيل هذا قبل الاستقلال في اجتماع من أجل تنسيق الإعلام ضم أربعة من المجندين من وقتها بمكتب المغرب العربي بالقاهرة، ووقتها وكما تحفظ الذاكرة ودون في المذكرات أدرك الكاتب أنه ما كان لهذا القول أن يقال. لولا ولاؤه الكبير، وكان ذلك هو الشأن مع كل من له ذلك النعت الذي لم يجد له اعترافاً حتى ممن يتحتم عليهم الاعتراف خلقياً. ويحسبون على القافلة في الظاهر وهم خصوم لها في السر والخفاء، والمثال الواضح الجلي ما حصل من تنكر العملاء المندسين لشيخ الإسلام الذي يعرف الكبير

والصغير والعزيز والحقير أن مساهمته في بناء المجتمع السياسي والتمكين له في المغرب ولسلامة الأخلاق والدين بين جموعه، وفي المقدمة محمد الخامس وبطريقة لم تعرف لغيره في العالم الإسلامي، وأنه سار وبثبات من بداية الدرب إلى نهايته، وأخيراً ويوم وقف الشيخ الإمام موقفه المعروف من الدستور الذي قاطعه الاتحاد الاشتراكي الذي استغل موقف الشيخ الإمام ثم تطاول عليه المنحرف وألعوبة مرضى الشذوذ أحمد رضا كديرة الذي أصبح في عهد طغيان الشر والبغي والظلم والفساد رجلا وله صحيفة أسماها «المنارات» كتب فيها بتاريخ1/12/1962 عدد12 ص1 حول الشيخ الإمام الذي رفض الدستور الذي وضعه رضا كديرة(1) ولذلك كتب في حقه «الضال عن الصراط المستقيم» وليس الإمام فقط هو الضال عن الطريق الذي مكن كديرة وقومه من القوة والجاه والسلطان الذي مكنه من أعلى أماكن اللصوصية التي مكنته من شراء مقهى ميدان الأوبرا بعاصمة فرنسا باريز، في الوقت الذي لما كان العوبة الكبار والصغار بفرنسا لم يستطع فقط ولو الجلوس فيها وتناول مشروب بها، بل وشراء سكن للزوجة الفرنسية المريضة الثدي بالسرطان في شارع هنري مارتان بنفس المدينة باريز وبثمن قدره ونهايته خمسة وعشرون مليون فرنك جديد يقول الصهر أي ما يقرب من ثلاث مليارات سنتيم. هذا في الوقت الذي تتضور والدته المسكينة فاطمة بوعلو ولولا ولدها ابن سليمان غير الشقيق له والذي حرفته النجارة ثم هو يعولها ضمن أولاده تارة والصهر عابد تارة أخرى، ولما توفيت المسكينة بقي السكير الذي لم يعد يرضى بها لم يتعرف على موتها إلا بعد ثلاثة أيام، وامغرباه؟ كدرة القير، و«مسلوخ م ر ش ن» ثم لعبة الضالين بمدينة الرباط. يأتي عليه زمان يكتب في الشيخ الإمام ما كتب. الشئ الذي كون التحول الخطير والسلوك السياسي الذي لم ولن يستطيع العميل المفعول به رد تياره مهما فعل، أهكذا يكون الجزاء وعلى مرأى ومسمع من الجميع ويبقى شبه الرجل بلا حساب. ولا عقاب لكن حساب هذا القلم والتاريخ هو أشد حساب.

---

(1) راجع بهتان عبد الكريم بن عمر الخطيب الذي سماه «مسار حياة ط 1997م؟ ص 115 116 فهو الذي أمدنا بالوثيقة التي تؤكد أن الذي وضع الدستور هو كديرة؟؟ وليس موريس دوفيرجي الذي لو كان لكان أشرف وفي مسار عبد الكريم بن عمر بن الخطيب من الفضائح مما يعني الهدم الكثير مما يخجل ذكره هنا راجع ت 21 بعد.

إنه لا ضير ولا عجب. فقد رأينا العميل وقد دفع به التطاول حتى انتهى الى الدس والكيد لكل الذين كانت لهم علاقة حب وود وصفاء مع العاهل الراحل. بل وإلى العزيز الذي كان عند العاهل عزيزاً، وكأن السفيه المريض ربيب أندية المواخير، لا سلطة تحكمه وترده إلى حيث يليق به الجلوس ضمن قافلة كلاب المزابل الذين سوف تردهم الأيام لا محالة مهما طالت، مصداقا لقوله تعالى «وتلك الأيام نُداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)) وقوله صلى الله عليه وسلم «الجديد انِ يبليان كل جديد».

كان هذا هو المثال الذي تبادر إلى الفكر عندما تناولت القلم للكتابة اليوم حول محمد الغزاوي. والذي يؤكد الرأي المقترح قبل. فقد كان الشيخ الإمام قوة أفاد منها حزب الاستقلال على مدى ما يقرب من العشرين سنة 1944–1962م إلى أن كان موقف الدستور الذي استغله جماعة الاتحاد، وإذا الشيخ أدى واجبه وبلغ رسالته ثم انتقل إلى رحمة الله، عاد وكأنه لم يكن ذاك الذي استغل إسمه من هؤلاء وهؤلاء وهو نفس الوزن والتقدير الذي كونته لي التجارب عن القوم جميعا منذ آخر منتصف العقد الخامس غشت1955 وبالتحديد بعد مؤتمر إكس ليبان.

ومهما يكن فإنني كنت وسوف أبقى وفياً مع كل الذين وفوا مع محمد الخامس إلى آخر نفس من حياتي ومن هؤلاء محمد الغزاوي، بل وآخرين من الخدم عرفتهم في أدنى الدرجات ولم يذكرهم أحد، منهم طباخين وفراشين ومساعدين وغيرهم من الذين عاشوا بالمثل وللمثل وفي تراجمهم من المثل السامية والسلوك النبيل ما يشرف الوطن ويرضي رغبة ذوي النفوس النبيلة كما قال الشيخ البشير الإبراهمي رحمه الله حين كتب مزرياً بالتهامي القلاوي على حد تعبيره، وعبد الحي الكايتاني، ومعليا بالطاهر بن عشور وأبو الأعلى المودودى ومحمد الخامس. تلك هي المذكرات المرتبة والتي تجمعت في ذاكرة طفل وبعض مذكرات رجل.

وبالتالي من هو محمد الغزاوي من هم قومه ماموطنه أين ولد وأين كانت نَشأته وكيف تطور في حياته حتى أصْبح علماً من أعلام المغرب ذوى الشان الذين كان لهم أبلغ الأثر في تاريخ المغرب المعاصر من غير أن يستعمل من وسائل الإشهار ما استعمله آخرون ادعاءً بل افتراءً ومن أجل المطامع التي كان محمد الغزاوي يتوفر عليها ثم هو

يغامر بها ولا يكترث بما كان يهدد مصالحه وأسرته وحياته. ذلك ما سنتناوله في مايلي.

أصله ومولده ونشأته ومسار حياته:

قبيلة غزاوة التي يرجع إليها نسب محمد بن محمد الغزاوي قبيلة من قبائل الجبل بالمغرب جوار مدينة وزّان، وأحيانا يكتبها بعض المؤرخين بالصاد. بل هم من آل غُزى بضم الغين وتشديد الزاي المكسورة، بطنٌ من عرب الحجاز، ذكرهم الحمداني في أحلاف آل مرّ من عرب الشام، ولم ينسبْهم في قبيلة(1) وقيل بطن من طيء من كهلان القحطانية، كانوا مرهوبي الصولة. بالشام والعراق، وكانوا في طريق الحاج بين العراق ونجد، وهو ما ورد عند ابن خلدون في العبر(2). وفي صبح الأعشى(3) وقيل هم بطن من المحارب إحدى القبائل العربية التي نزلت مصر في العصور الأخيرة كما ورد عند لطفي السيد، وبالتالي فإن غزاوة الذين هم بلا شك دخلوا المغرب مع الفاتحين، أصبحوا قبيلة بين قبائله المعروفة في منطقة اجْبالة جوار مدينة وزان حيث عرفوا منذ عهد بعيد. وقد ظهر منها فقهاء. وقراء في الروايات وعلماء ومجاهدون منذ عهد الموحدين كما هو عند المراكشي(5) في المعجب.

ومن الذين عرفوا في المغرب نسبة الى غزاوة الفقيه الفرضى الحيسوبي الذي ترجم له صاحب جذوة الإقتباس وفي ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس(6) وفيها توفى يوم 6 رمضان911هـ/1505م وهو نقلا عن الابتهاج(7) وفي دوحة الناشر(8) أورد فيها غزوان قبيلة عربية. بل وفي الجذوة كذلك وردت ترجمة لموسى بن علي بن العقدة الصلتاني الغزاوى. أنه أول من أدخل شامل(9) بهرام لمدينة فاس.

---

(1) نهاية الأدب في معرفة أنساب العرب للقلقشندى ص 110 ط القاهرة 1959.
(2) جـ 2/254– 7/6
(3) 157/1
(4) قبائل العرب في مصر 20/1 وعنه اخذ عمر كحالة جـ 883/3
(5) المعجب 273 ط القاهرة 1949.
(6) جـ 347/1 عدد 368 ط الرباط 1973م .
(7) 343 م .
(8) 96، ط 1976 .
(9) بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض قاضى القضاة بمصر الشيخ الصالح تاج الدين أبو البقاء الدميري أخذ عن الشيخ خليل والشيخ الرهوني، وله الشامل وشرحه، وشَرحَ مختصر الشيخ خليل 3 شروح الكبير والاوسط والصغير ولد عام 734 وتوفى عام 805 م.

ومن هذه القبيلة كذلك محمد الغزاوي المتوفى أول العشرة الثامنة ودفين جبل وزان على أميال من قرية إزّاجن كما ورد في دوحة الناشر(10) ثم أبو الحسن على الحاج البقال المتوفى عام 981 هـ 1573 م ودفين زاويته من بلاد اغْزاوة. وجده محمد بن أحْمد الغزاوي المتوفى عام 920 هـ 1514م والمدفون في بني مدارس بقبائل اعزاوة من بلاد اغْمارة كما في الدوحة (11) ونجد إسم الغزاوي في الطبقة الثالثة ممن أخذواْ عن محمد بن سليمان الجزولي في كتاب الطرفة في اختصار التحفة(12).

وعند بروكلمان(13)، ونجدُ ذكر إسم محمد بن علي الغزاوي من بين الذين قتلهم السفيه، زيدان السعدي في مدينة فاس أيام تسلطه ظلما وعدوانا على أهلها كما عند اليفراني(14).

ولد محمد بن محمد الغزاوي عام 1324 هـ 1906 م والده محمد الغزاوي أحد اعلام فاس كان ناظر أوقاف فاس الجديد زمن المولى يوسف، وكانت علاقته جد طيبة مع شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي كان يشغل منْصب قاضي فاس الجديد والناحية، وكلاهما كانَت لهما علاقة جد قوية مع محمد لمعمري الزواوي الذي كان يشغل منصب معلم الأمراء ابناء المولى عبد الحفيظ قبل ثم ابناء المولى يوسف.

أما والدة محمد بن محمد الغزاوي فهي فاطمة بنت عبد المجيد الشرايبي، كان مولده بحارة العيون من مدينة فاس وفيها نشاوشب وتعلم، إلا أنه لم يتخطى مرحلة القسم الثاني من الثانوية الادريسية مرورا بالكتاب والمرحلة الابتدائية، وقد وجدنا إسمه وكما سبق ضمن مجموعة طلبة الثانوية الإدريسية بفاس، في الجريدة التي نشرت أسماء أعضاء الجمعية الثقافية للثانوية المذكورة. والتي كان يرأسها محمد الزغاري رحمه الله عام 1920 كما مر بنا(15) في هذا الكتاب أعلاه. لكن محمد الغزاوي لم يستمر وغادر الثانوية بسبب حادث صفعة من مديرها الفرنسي «إيماريجون» تسبب له فيها حارس

---

(10) ص 139 ط 1976

(11) 39- 139 ط 1976

(12) خ.م 231

(13) 682/2-103 وفي المكتبة الوطنية بباريز 2046 تصوف

(14) نزهة الحادي في أخبار القرن الحادي 242- (15) 682/2-703

(15) 15 جـ 7 فصل 263 أعلاه من هذا الكتاب.

المدرسة وقتها العربي برادة لمزعْلك رحمه الله. ذلك أنه بسبب ما ارتكبه التلميذ من خطأ عوقب وبعض زملائه بكتابة عدد من الصفحات بإشراف ومراقبة الحارس بالمدرسة الذي استأذنه الطالب في الذهاب إلى المستراح، ولما عاد وفتح باب القسم صاح عليه الحارس قائلا بالفرنسية «فيرْمى لابورط» أغلق الباب، وإذا ما تبين التلميذ خطا المعلم في النطق بإشباع اللام وترقيق الباء والراء. فإنه اجابه بنفس التعبير «لاَبُورْطْ فِرْمِي» مما اثار انتباه التلاميذ ثم أحدث فيهم رجة ساخرة، الأمر الذي شعر معه المعلم الحارس بخدش في الكرامة. فما كان منه إلا أنه تَوجه غاضبا مُنْزَعِجاً إلى المدير الذي استقدم التلميذ، ومن غير أن يستفسره صفعه بشدة وعنف عنيف، إثرها عاد الطالب إلى القسم حيث جمع أدواته ثم غادر المدرسة ولم يعد إليها رغم كل المحاولات.

ومن وقتها بدأت مرحلة جديدة في حياة محمد الغزاوي وهو في سن السادسة عشرة؛ بحيث احترف التجارة وحده أولا بالبحث عن التحف وبيعها لارباب متاجر التحف «بازار» لكنها لم تثمر ثم انتقل إلى التجارة في الثياب شاركه فيها شقيقه إدريس حيث كان لوالدهما دكان بالقيصرية شغلاه، وإذا كان مجتمع فاس قوام اقتصاده التجارة مع ما حول المدينة من البادية وقُراها، فإنها كانت حرفة الكبير والصغير علماء وفقهاء ومثقفين وغير مثقفين، ومن لم يحترفها كان يتخذ له شريكا بالقراض، الأمر الذي يجعل ميدان المنافسة صعب وصعب جدا، لكن محمد الغزاوي أدرك بملاحظته أن الاتصال بسكان القرى وأهل البادية وفي أسواقهم الأسبوعية وحيث المجال أوسع فيه أكبر وأحسن فائدة. ومن الأسواق القريبة غافساي وتاونات. إليها أخذ محمد الغزاوي يرحل ببضاعته وقد بلغ سنه العشرون. ومعه شقيقه إدريس. وذلك حتى يقر بها من الزبائن أولا، ثم هو يتعامل بالطلق ثانية ويقنع بالربح القليل الذي يحقق له الرواج ثالثا. وفي فترة وجيزة كثر الزبائن وأقبل الناس على الشابين إقبالا بدافع توفر الحاجيات والمساعدة التي لم تسبق لغيرهما مع الزبناء، الأمر الذي جعل من محمد الغزاوي وشقيقه بدل الرحلة مرتين في الأسبوع تصبح أربع مرات، وفي تلك الرحلات ستكتشف موهبته ويعرف طريقه.

كانت وسيلة التنقل حافلة واحدة في المنطقة لا ثانية معها، وكان صاحب الحافلة

هو الذي يتولى قيادتها، وهو، إسباني متفرنس إسمه «باتينْيو» وإذا ما أصبح من أهم زبائنه محمد الغزاوي الذي كان يعامله بدماثة جد أثرت في الأسباني المتفرنس «باتينيو» الذي كانت أخلاقه جافة ثم هو لم يتجاوَب مع المواطنين الذين كانوا قريبي عهد بحرب وعداوة الفرنسيين ومثلهم الأسبان الذين كان عداؤهم أشد، ناهيك بإسباني متفرنس، إلا أن محمد الغزاوي الذي كان يعرف مقاصده لم يكن في معاملته مع صاحب الحافلة شيء من ذلك مما جعل باتنيو يُقبل عليه ولا يرضى بجلوسه حين سفره معه إلا بالقرب منه حيث يقطعان الطريق كله في المحادثة معا. إلى درجة دفعت محمد الغزاوي أن يطلب من «باتينيو» مساعدته على تعلم السياقة التي بعد ثلاثة أشهر أصبح محمد الغزاوي ماهراً فيها ويعرف الكثير من وسائل الإصلاح حين عطبها. لكن محمد الغزاوي الذي تفتحت مداركه مبكراً كان هادفاً ويعرف ما يقصد.

كان باتينيو كبقية الاسبانيين واقتداء بالفرنسيين فيه غلظة وجَفَاءً، واذا هو رأى معاملة الفرنسيين للمغاربة بروح الاستعلاء المتسمة بالقسوة القاسية والعنف العنيف، فإنه زاد عليهما حتى يخلق له رعبا في نفوس سكان تاونات ومنطقة ما حول فاس الذين هم زبناء حافلته. والذين كانوا لما استسلمُوا قبل بعد المقاومة المسلحة جُردواْ من السلاح ثم عرفوا أحكاما عسكرية قاسية، وحتى لا يجد منهم استعلاء وهم يسمعون عن حروب مقاومة أهل الجبل ضد قومه بقيادة الشريف أحمد الريسوني، ثم للفرنسي في مناطق متعددة من المغرب، ولذلك ساءت معاملات باتينيو وأخلاقه مع القوم. حتى إنه ذات يوم وقد أوقفه أحد المواطنين. وبحضور محمد الغزاوي ليسأله عن ثمن المواصلات إلى المدينة، ولما لم يركب لأنه استغلى الثمن، الشيء الذي أغضب باتينيو فنزل من الحافلة ليُشبع الرجل ركلاً ورفساً بطريقة عنيفة فيها إذلالٌ واحتقار" أثار كل الغضب في نفوس الراكبين. لكن لا حول ولا قوة مَعَ حكم القهر والظلم والبغي والعدوان.

وإذا ما عاش محمد الغزاوي ورأى تلك المعاملة وما آل إليه أمر باتينيو مع القوم من جفاء رداً على سلوكه السيء حتى إن شخصه أصبح منفراً وغير مقبول، وحافلته رغم أنها الوحيدة منبوذة إلا للضرورة ومَرْدُود رحلاته غير مشجع على الاستمرار، وقتها تقدم إليه محمد الغزاوي باقتراح أن يوجر له الحافلة التي أصبحت شبه عاطلة وغير مستفيد

منها، وإذا هو لم يجد بداً من ذلك استسلم وقبل العرض، وفعلا أصبح محمد الغزاوي يغدو ويروح بالحافلة الوحيدة التي لما عرفت به وعرف بها أقبل عليها المواطنون بشكل أصبحت معه غير كافية، مما دفع بمحمد الغزاوي وقد أدرك أسرار المهنة إلى شراء الحافلة من باتينيو. ثم بعد التطور اشترى ثانية. ثم كون له شركة مع بعض المواطنين بفاس قوامها حافلة أخرى في تجاه مدينة مكناس، اشترط للادارة والتسيير أن يكون له امتياز 15٪ من الأرباح، لكن هذه الشركة سرعان ما انحلت بسبب عدم قبول بعضهم استئثار الغزاوي بذلك الامتياز، وإذا ما حلت الشركة مع الاخرين فإن محمد الغزاوي أسس له شركة خاصة عرفت ب «شركة الغزاوي» عام 1928م، وإذا كان المجال وعدم المنافسة، وحيوية الشاب محمد الغزاوي ثم تفتحه مبكراً وبطريقة مكنته من تلك الانطلاقة التي في سنة 1935 كانت قد عرفت طريقها بشكل لفت أنظار إدارة الحماية ثم دفع بها للتفكير في وضع الحصّار حتى لا يَندفع المغاربة في ذلك المجال حيث اقترحت استصدار ظهير ملكي بمثابة قانون يجعل وسائل النقل قاصرة على الفرنسيين، متعللة بدعوى أن المغاربة لم يتطور وابعد بالقدر الذي يجعلهم يحذقون وسائل المواصلات وما تقوم عليه من صيانة وتسيير وتأمين. لكنهم لم يتمكّنُوا من تحقيق هدفهم الملفوف لأن الحركة الوطنية بعد حوادث الظهير البربري 16 ماي 1930 وظهور التيارات التي ظهرت مع ثورة الإسبانيين في الشمال التي اندس فيها بعض الاشتركيين الذين وجدوا لهم مجالا لدعايتهم أفاد منها بعض المغاربة، مما خلق نوعا من عدم التشديد وتفرغ الفرنسيين للانشغال بوضع الأسس للاحتكارات. وتأسيس الشركات ثم الفروع التي هي أصلا في فرنسا، إلى جانب شركة (لونا) التي شرقت في المغرب وغربت ثم استولت على كل شيء في المغرب الماء والكهرباء والمعادن والمواصلات. ولذلك بقى مشروع الظهير الذي يصير حافلات النقل لا يحصل عليها الا بظهير لم يخرج للوجود إلاَّ عام 1936م ووقتها كان محمد الغزاوي قد قطع شوطًا كبيراً جداً. لا في مجال المواصلات وما يرضيه من عدد الحافلات، بل وفي مجال الاقتصاد الذي سَلك لمجال التنمية فيه وسيلة عرفته عليها المهنة، ذلك أنه أصبح يدخر كل ما يتوفر له من المال في شراء الأرض بالأماكن المناسبة، والصالحة للتوسع في مختلف المدن.

لكن رغم كل ذلك ماهي الظروف المواتية غير الذاتية التي ساعدت الشاب محمد الغزاوي ثم دفعت به مسرعاً ليحقق ما حققه حسب الاستنتاج من الوضع الذي كان وقت انطلاقة محمد الغزاوي، إنه بلاشك صداقته للملك الشاب سيدي محمد بن يوسف الذي اختارته عناية الله بالمغرب والمغاربة بعدَ موت والده المولى يوسف حيث نُصِب خلفا له بتاريخ 1927/11/18م وهو الذي كانت علاقته به قد تمكنت قبل الملك بطريقة عفوية تلقائية وبلا هدف ولا قصد.

كان والد محمد الغزاوي يشغل وظيف ناظر أوقاف فاس الجديد، وهذه الإدارة مكانها جوار القصر الملكي الذي هو في نفس المنطقة التي فيها كانت إدارة قضاء شيخ الإسلام محمد بن العربي من 1915 إلى عام 1928 حيث نقل إلى رئاسة الاستئناف بالرباط. وفي نفس القصر قبل كان معلم الامراء منذ عهد المولى عبد الحفيظ وفي عهد المولى يوسف هو الشاعر الأديب المتخلق المثالي محمد لمعمري الزواوي، الذي كانت له صداقة جد قوية مع شيخ الإسلام. وإذا لم يكُن لمحمد لمعمري في حياته بنت ولا ولد. فإن طاقات حبه وعاطفة أبوته، وجهها للأمراء وكل الذين كان يشرف على تعليمهم عموماً، وما يوازيها خص به الأمير الذكي النبيل الوديع سيدي محمد بن يوسف أو سيدي "حمادة" ترخيم محمد كما يناديه الجميع بذلك اقتداء بوالده الذي كان إقباله عليه أشد بدافع ما كان لسيدي محمد من إقبال قوي على الدين واداء الواجبات التي كان للمربي الأول عبد الدار الأغامَرْجَان الحبشي الأصل الأثر الفعال في نشأة الأمير وتدينه وسلوكه.

كان محمد لمعمري المعلم حين يلاحظ حاجة الأمراء لبعض الضروريات في مجال عمله يُرفع الخبر إلى عبد الدار مرجان، وهذا بعد الاستشارة يقدم المطالب إلى المورد للقصر. وفي هذه المرحلة كان المورد هو ناظر الأحباس محمد الغزاوي الكبير الذي كان حين يجهز المطالب يرسلها مع ولده محمد العزاوي الإبن الذي كانت وسيلة مواصلاته دراجة هوائية، والتي كان حين يتوجه بها إلى القصر حيث الأمراء المقطوع حدهم فيه لا يغادره الواحد منهم إلا حين يتجاوز العشرين سنة من العمر، وكان من بينهم الامير سيدي محمد بن يوسف المتقاربُ في السن مع محمد الغزاوي الابن إذ هو من مواليد1909 حسب التوثيق وليس كما شاع1911، واذا كان وضعُ الأمير وماهو عليه من

الانقطاع وعدم الاتصال يخلق في النفس الكثير من الشوق والرغبة في الاطلاع على كل شيء غريب، ومعرفة ما لم يجد الوسيلة لمعرفته في مجتمعه الضيق والصغير، فإن ظهور محمد الغزاوي الابن كان يحقق الكثير من تلك الرغبات لدى الأمير المحبوب سيدي محمد بن يوسف الذي كان تعارفه مع محمد الغزاوي الابن هي العجلة الهوائية التي صمم الأمير على اتقان استعمالها ويكون المساعد هو محمد محمد الغزاوي، ودامت هذه الوسائل سنوات العقد الثاني أصبح موضوع العجلة أثناءها متجاوز إلى أن حصل الفتح المبين عام 1927م وأصبح بعدها بسنة إدريس الشقيق الوحيد لمحمد الغزاوي هو المورد المسؤل بالقصر الملكي بفاس خصوصا ما يعنى والدة العاهل «أم سيدي الياقوت» رحمها الله، أما محمد الغزاوي الإبن فقد أصبح، له مع العاهل الشاب دور جد مهم.

عندما أصبح محمد الخامس ملكا 1927 وذلك باقتراح من محمد لمعمري الذي كانت خبرته كافية لمعرفة أبناء المولى يوسف وهم الأمراء، إدريس والحسن وعبد السلام، المعرفة التي لا يتعرف عليها أحد أكثر من محمد لمعمري باستثناء عبد الدار المربي مرجان الذي نشأ وشب مع المولى يوسف منذ أن جئ به هدية من السلطان عبد الحميد الثاني من آل عثمان إلى المولى الحسن .

عندما أصبح لشركة محمد الغزاوي للمواصلات مجال في مختلف جهات المغرب منطقة الحماية الفرنسية، ونحن في سنة 1934 بدأت طلائع الرعيل الأول وكله تقريبا من الجيل المتقارب في السن مع العاهل الذي بويع ولما يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، والذي قبل كانت سياسة عهد الحماية تقصد من ذلك أنها تفعل ما تشاء وتحقق ما تريد بعد أن تكون قد نصبت له الكاهن العراف الدخيل محمد المقرى وصيا وله حق اتخاذ القرار الذي كان منه الظهير البربري 16 ماي 1930م الذي أعطت حوادثه للبلاد طفرة ظهرت نتائجها في الزيارة التي قام بها العاهل لمدينة فاس 1934 وما نتج عنها من صراع أبان أن مرحلة التدبير الذي بدأه استيج وزاد عليه لوسيان سان وبونصون وبيروتون، وما عاشه محمد الخامس من حصار وتضييق، كان عبارة عن مرحلة للدراسة والتكوين ساهمت فيها أطراف متعددة يتقدمها الشيخ الإمام شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي كان له كل الفضل في التكوين الأول للجميع وباعتراف الجميع.

وفي هذه المرحلة أيضا كان الذي يعرفه على كل تحركات الفرنسيين من جانب وعلى استعداد الجانب المعاكس كذلك هو محمد الغزاوي وهو الذي كانت علاقتُه قد تطورت مع محمد الخامس خصوصاً وأن محمد الغزاوي بعد وفاة والده 1934 كان قد أصبحت له في مجال السياسة أسرة وطنية جديدة مكنت لها العلاقة القديمة مع الوالد. وهي أسرة قيدوم الوطنيين الحاج العربي بوعياد الفلالي (17) أصلا الفاسي داراً ومنشأ، وولده الحاج الحسن المعروف بجهاده عموما وضد الظهير البربري، وكذلك ولده الثاني أحمد بوعياد، حيث كان للأخوين علاقة جد قوية مع شكيب أرسلان بحكم ما كان لآل بوعياد من معاملات تجارية في بريطانيا منسشيسطر منذ منتصف القرن التاسع عشر، وبحكم ما كان لهذه الأسرة من عمل إحسان مع شباب الرعيل الأول من الوطنيين ومنهم الزعيم علال الفاسي الذي كان يتمتع بعطف المرحوم بكرم الله أحمد بوعياد أسوة بوالده، فهو الذي عرف محمد الغزاوي على علال طالبا منه الإحسان إليه ماديا لأنه يستحق ثم هو أهل للتكريم، وقد فعل، وبقي مستمرا زمنا غير قصير معه ومع أسرته حتى بعد إبعاده إلى الجابون وفي عودته أي منذ 1934 رحم الله الجميع.

وفي هذه المرحلة كان قد مضى على محمد الخامس كملك سبع سنوات، عرف المغرب فيها من حوادث اليقظة مشكلة الظهير البربري المدبرة وما تلاها إلى عام 1934 حيث كانت نتيجة ذلك الصراع مجموع مطالب الإصلاح التي قدمت لإدارة الحماية. والتي كانت هي بداية الصراع الذي لم يتوقف بعد قط، وهو الصراع الذي جرف

---

(17) أصل أولاد بوعياد من تافيلالت كما كان ذلك معروفاً من الجيل السابق منهم وليسو من الذين ينتسبون إلى تلمسان. ذلك أن جدهم عياد حَلاَّقُ المولى علي الشريف والمعروف جداً في مختلف أطوار حياته، قبره جوار قصبة مولاي عبد الكريم بتافيلات كان آخر من جدّد بناءه هو الشريف مولاي الصديق المعْروف وكان الذي دمره وعدد من القبور معه، لتصبح موقفا للسيارات هو العميل الاستعماري محمد ولد أحمد بن عبد القادر لغريسي المعروف ب «أحمد العلوي» الذي استجاب الله فيه دعاء المومنين في عموم المغرب فسلط عليه العذاب من فوقه ومن تحت أرجله الشلل والبكم أطال الله عمره وزاده عذاباً فوق العذاب بقدر محاربته للفضيلة ونشره للخمور والفجور وكل أنواع الرذيلة التي كان يُرضي بها نقمة الناقمين من العملاء وكذا سيدُهُ وولي نعمته مسيو بانيي «أي القفة على لغة الزعيم علال وهو مدير قلم المخابرات الفرنسي الذي كان يعمل معه مقابل ثمانية عشر الف فرنك قديم سنتيم في الشهر حسب تقرير الشهيد المرحوم المهدي بن بركة عام 1949 حيث كان المهدي وقتها هو الممثل لحزب الاستقلال في باريز وتلك حقيقة يعرفها كل الذين كانوا وقتها في باريز عبد الرحيم بوعبيد وغيره.

الجميع والذي كان حتما يجب أن يتقدمه العاهل الشاب حسب مخطط شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي كان يرى ذلك حتما وضروريا في حق العاهل الذي سوف نرى بقية حياته إلى أن حقق الاستقلال، ولانهمل أن إدارة الحماية في هذه المرحلة، ومنذ تنصيب العاهل إلى أن أعلن العاهل انضمام المغرب للحرْب ضد المحور يوم 1939/9/3 بالخطاب الذي أذاعه ومثله الخطاب الذي ألقاه شيخ الإسلام فكان برداً وسلاماً. على سياسة العاهل الذي لو لم يفعل وظهر عليه ولو 10٪ مما كان عليه الشعب المغربي انتصار عاطفيا للألمان أعداء الفرنسيين لكان مصيره ومصير المغرب وقتها هو مصير المرحوم محمد المنصف باي تونس. والفضل يرجع إلى شيخ الإسلام.

في هذه المرحلة من تاريخ الحماية الفرنسية في المغرب كان الفرنسيون قد أحاطوا العاهل الشاب بسياج من حديد صنعوه من أمثال محمد المقرى ومن بعض آل الفاسي الذين كانوا على شاكلته من المندسين في المخزن والادراة، عبد الله الفاسي، بل حتى أحط الخدم المتفسخين أمثال الأخرق المنخرف الجلالي كوجان (18) نائب قائد المشور لم يتورعوا في استعماله جاسوساً رخيص الثمن، ولكم كنت زمن الطفولة ألتقط سمعاً من فضائحه وموبقاته التي كان يتبادلها مع الفاجر السكير عثمان بن يعيش، ولما يكترثان بالطفل الذي يلهو باللعب مع أترابه عبد الله بوخبزة، والمحجوب ولد أب عيسى، وعيسى ولد الطيب بن عيسى بن عمر العبدي، حيث كان كوجان لا يعرف الكلام مع مخاطبه وبصوته الحماري المنفر إلا بالصياح، ومن الكلمات التي سمعتها منه وقد وجه الخطاب لقرينه «هذا الشْريف كَيلْعَبْ بالنّار وَاشْ هُوَ يَقْدْ علَى النّصَارَى دَابَ يَقْتلُوهْ كيفْ قَتلُوا ابّاهْ... مَا كَيْدِيرْشْ كَلام لفقيه..)) يعنى المقرى.

لا أتذكر الشهر واليوم الذي كان فيه هذا الحديث ببهو قبة الخليفة السلطاني المامون في مَشْوَرْ اشْوِيرْ دَاتْ من مدينة فاس، وقد جرى بين الثلاثة كوجان وعثمان والقائد سعود. لكنه كان في الزيارة التي تمت بعد حوادث 1937م. بحيث كان المعلم المولى على الشريف لا يزال على قيد الحياة، وهذا توفي عام 1938م.

---

(18) الجلالي كوجان هذا كان نائب قائد المشور وقتها، وقد وضع إسمه ضمن أسماء الخونة الذين صدر في حقهم الحكم بالخيانة بعد تحقيق الاستقلال راجع لائحة التطهير 1958 على أنه اليوم ونحن في عام 1965 يوجد من هم أشد خيانة منه وقد أندسوا في القصر. أمثال الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور ومحمد ولد أحمد بن عبد القادر لغريسي أحمد العلوي، وأحمد رضا كديرة العميل المشهور وبطانته.

وفي هذه المرحلة من التاريخ أيضا حفظت الذاكرة تلك الزيارات التي كان يقوم بها محمد محمد الغزاوي للعاهل، بالقصر الملكي بفاس والتي بلا شك تحت غطاء مسؤلية الرجل عن حاجيات القصر ووالدة العاهل التي كان الشقيق إدريس بن محمد الغزاوي هو المسؤل المكلف بها، وكانت تلك الزيارات ولعلة وقت الظهيرة، وأحياناً بعد صلاة الظهر مباشرة، وعلى الشكل الذي عليه الرجل بلباس الصيف من بَزّة بيضاء وقميص أزرق وحذاء أبيض وفي هذه المرحلة أيضا يقول محمد الغزاوي كانت صداقته جد قد تمكنت في مجال السياسة، زيادة على آل بوعياد علال وبقية جماعة الزاوية، مع كل من محمد الزغارى. وأحمد لحميان ختات. ومحمد الفاسي وغيرهم من الذين يستدل على أثرهم في حياة الرجل، وفي الحياة العامة وحسب المثل السائر «قل لي من ترافق أقول لك من أنت».

ولعله من خلال هذا الواقع وما كان عليه المغرب وقتها ووضعية العاهل الشاب الذي أخذت مداركه تتفتح ندرك المهمة التي كان على محمد محمد الغزاوي القيام بها، والخدمات التي كان عليه القيام بها في ذلك الوقت، خصوصاً وأن الغزاوي وقتها كان قد توجه الوجهة الوطنية الصادقة، وأنه اجتاز مرحلة الاختبار من غير أن يعرف من المختبر من وراء ستار، وكان هو الشيخ الإمام الذي كانت مذاكراته مع العاهل على انفراد تدفع به إلى البحث عن مصدر الجديد من الأخبار التي كان يتوفر عليها العاهل رغم الحصار الشديد والرقابة المكثفة، وإذا هو علم أن المصدر محمد محمد الغزاوي فرح واطمأن كل الاطمئنان، إلى أن النتيجة المرجوة قريبة وقريبة جدا.

كان محمد الغزاوي لا يترك الخبر المفيد للعاهل سياسيا إلى أن يتقادم. بل وإذا كان بطول الاتصال قد خبر اهتمامات العاهل، فإنه كان ينتقى من الأخبار ما يتفق، ويبادر بنقلها عن طريق أحد الأثنين إذا لم يجد بُدّاً من ذلك. وكان الأول هو الملازم، للعاهل في الحل والترحال ابن سعود، والثاني هو أحمد بن مسعود الكاتب الخاص وهكذا لم ينته العقد الرابع حتى كانت مجالات محمد الغزاوي وبحكم اتصالاته قد اتسعت ثم هي توجهت الوجهة الوطنية الصادقة. ومن الأدلة على ذلك مذكرات الدكتور المهدي بن عبود أحد أصدقاء الندوة اليوم والمولود عام 1919م والذي هو الآخر ارتبطت مودته لمحمد الغزاوي منذ عام 1940 ذلك انه في يوم من أيام السنة قبله والحرب مشتعلة.

زاره الشهيد المرحوم المهدي بن بركة. ليخبره أن شاباً نابغة يتسم بنوع من العبقرية بين أتراب به وقد اجتاز المرحلة الثانوية «الباكلوريا الأولى والثانية علمي بتفوق مشرف، ولما يتجاوز العشرين سنة مضت من عمره إلا بقليل، وهو شيء وقتها عزيز ونادر، زمن الحصار حسب مخطط عهد الحماية. إلا أنه يقول المهدي بن بركة لمحمد الغزاوي عن المهدي بن عبود يتيم وليس له من الإمكانات ما يجلعه يستمر حتى يتم دراسته، وما كاد محمد الغزاوي يتَعرف على مقاصد نابغة أقرانه وعبقري زمانه المهدي بن بركة سقي الله ثراه حتى قاما معاً وذهبا تواً إلى مدينة سلا حسب رغبة الغزاوي ليتصلا بالشاب العبقري المسلم المتخلق ذي الأصل النبيل المهدي بن عبود، حيث تناولا عنده وجبه غداء، ووقتها إقترح عليه محمد الغزاوي أن يقبل منْه حتى يكون له الأخ الكبير، وأن يستعد لإتمام دراسته حسب رغبته حيث يريد وأنى يشاء، وأنه متسعد لتغطية تكاليف الدراسة، وفعلا تم ذلك وكان الدكتور المهدي بن عبُّود هو أول فارس في الجماعة التي عرفت بعد ب «الشباب المحمدي» والتي تضافرت عليها الجهود، وكان لمحمد الغزاوي الفضل في تأسيسها. وللعاهل كل الفضل في تبنيها بطريقة حقّرت من شان الفرنسيين الذين ضيقوا المجال قبل وشدّدواْ الخناق على المغاربة في مختلف مجالات المعْرفة، وقد كان من نتاج الشبيبة المحمدية عبد الرحمن بن عبد العلي الذي اختاره محمد الغزاوي لمصاهرته بعد بابنته البكر تكريماً لوطنيته وحسن سلوكه رحمه الله.

لقد كان محمد الغزاوي بعمله هذا قد خطا خطوة في الاتجاه الوطني الصحيح، مما جعله يحظى بالتقدير والاحترام من جماعة الوطنيين الذين كان لهم من الرأي ماهو محترم بين المواطنين لأنه بعمله ذاك بدأ العمل بالوسيلة الأهم التي هي النهوض بالشعب، لكنه لم يستمر حتى النهاية في ذلك الاتجاه بسبب تدخل بعضهم بعد من الذين أرادوا أن يبرمجوا عمله ذاك ضمن برنامج الحزب ثم يوجهوه غير الوجهجة التي كان يقصد، بل منهم من أراد ان يكون له التصرف والاختيار للأفراد وما على الرجل الا ان يدفع مبلغا معينا لكنه بلباقة عرف كيف يتحول الى الاتجاه الذي كان قد أقبل عليه، الشعب إقبالاً كبيراً، وهو المساهمة في بناء المدارس الحرة، خصوصا وأن العاهل نفسه كان قد أصبح هو المتزعم له بتأسيسه للمعهد الملكي وما تبعه من مدارس حرة في مختلف جهات

المغرب، وبذلك اتسع مجال اتصالات محمد الغزاوي الذي سوف يكون له دورٌ مهم في اتصال جماعة الوطنيين بمحمد الخامس حين فكر في تنظيم سياسي يقوم بواجب المطالبة بالاستقلال بعد اتصاله بالحلفاء الذين نشر وامیثاق الأطلسي وما نتج عن الإتصال المباشر بين العاهل والرئيس روزفيلت وهو ما توسع فيه ولده أليوت في ما كتب عن مذكراته مع والده التي سماها «قال ليَ أبي».

تلك المواقف وغيرها أهلت الرجل للقيام بالمهمة التي لم يكن ثمة من يقوم بها عندما صح عزم محمد الخامس، وهي المطالبة بالاستقلال بدل المطالبة بالإصلاحات التي كانت الشغل الشاغل للفكر الوطني منذ فاتح سبتمبر 1934 م ثم تكررت في مؤتمر الرباط الذي نتج عنه الحزب الوطني 1937/10/13 وهو الذي أدى إلى نفْي الوطنيين إلى جهات مختلفة من المغرب، وخارجه ومنهم علال الفاسي الى الجابون والوزاني الى قرية إيتزَرْ التي تبعد عن مدينة أزرو جنوبا بـ80كم ومحمد القرى إلى قرية كلميمة حيث قتل شهيداً بضربة على رأسه من حارس فظ غليظ أثناء خدمته المحكوم عليه بها وهي الاعمال الشاقة في تعبيد الطرق وقلع الأحجار، وقد دفن في القرية المذكورة حيث قبره معروف حتى اليوم سقى الله ثراه وربما عرف قاتله الذي هو مشهور بين المواطنين كما قيل وهو "بو، فو، س".

لقد عرف العاهل كيف يستغل ما أشاعه الحلفاء حول مقررات ميثاق الأطلسي الثمانية التي تقررت في مؤتمر 1941/9/14م والتعهد بمراعاتها في 1942/1/1 وبذلك أشار بل صرح الرئيس روزفيلت فرنكلين دلانو لمحمد الخامس في حفل العشاء الذي أقامه الرئيس المذكور على شرف العاهلِ بتاريخ 1943/1/21م وهو الشهر الذي حصل فيه ما سمي بمؤتمر الدار البيضاء 14–1943/1/26 والذي اتحدت فيه جيوش الحلفاء ثم تعهدت كل من أمريكا وابريطانيا وانضمت إليها فرنسا بمواصلة الحرب حتى تستسلم دولة المحور بدون شرط(19) ولذلك لما فكر العاهل في الموضوع كان في حاجة – الى رجل أمين يكون صلة الوصل بينه وبين جماعَة الرعيل الاول من الوطنيين الذين أصبح محمد الغزاوي من رجال الطبقة الاولى منهم، بحيث كانت الجماعة المؤهلة للعمل السياسي وقتها، وخصوصا ما يعنى تاييد المطالبة بالاستقلال، هم جماعة الزاوية

(19) راجع م.ع ص 1969 ط 1965م

الذين كان منهم علال المنفى إلى الجابون والهاشمي الفيلالي، الانصاري وعبد العزيز بن إدريس العمروي، ومحمد المختار السوسي وأبو الشتاء الجامعي. ومحمد غازي، وأحمد مكوار وغيرهم من الذين كانوا قد بدأوا نشاطهم السياسي منذ ماي عام أمثال الحاج11/9/1914 بمناسبة ترسيم الظهير البربري المرفوض خمس مرات منذ 1930 العربي بوعياد وولداه الحاج الحسن وأحمد، ومحمد الديوري الخاوة، وحمزة الطاهري، وإدريس برادة، وأحمد الشرقاوي بن الحفيان بالرباط والى جانب هؤلاء جماعة الثانوية الإدريسية يتقدمهم محمد الزغاري كما سبق.

وفعلا فقد قام الرجل بمهمته أحس قيام حيث كان الذين تقدموا الصفوف بعدما اقتنعوا بفكرة العاهل التي كان وراءها شيخ الإسلام محمد بن العربي المرشد والمنشط كذلك يقول لمعمري ويؤكد محمد الغزاوي، وأنه كان من رأي الشيخ الإمام: أنه لا فائدة تُرجى من فكرة الإصلاحات التي لا يمكن أن تتم بواسطة العدو الأول لتلك الإصلاحات، بل الأصح هو المطالبة بالاستقلال الذي به تتم الإصلاحات، ولقد انبهر الذين تلقوا الخبر بذلك الرأي الذي تبناه العاهل إلى درجة أن البعض من الوطنيين بُهت واعتبر ذلك من العاهل مجازفة يقول محمد الغزاوي الذي كان هو الرسول بين العاهل وجماعة الذين كانت اجتماعاتهم في الرباط بمنزل عبد الكريم بن جلون حي «ديور الجامع» وحتى إذا ما حصل الاتفاق بالإجماع، فإن بعضهم اعتبرها مجازفة من العاهل وذلك في الوقت الذي أقدم الفرنسيون على خلع ونفي محمد المنصف باي تونس الذي لم يقدم على شيء من ذلك، ولعل التفصيل أكثر في هذا الموضوع يبعد بنا عن الموضوع الذي سبق أن تناولناه قبل.

ومهما يكن فإن محمد الغزاوي كان من بين الذين وقعو على عريضة المطالبة بالاستقلال بتاريخ 11/1/1944 وبذلك استحق السجن في مقدمة العشرة الذين ألقي عليهم القبض في مدينة فاس خصوصاً وأن العريضة التي كتبت في المطاحن الإدريسية التابعة لمحمد الزغاري ضربت على الالة الراقنة بالفرنسية والتي هيء في ملك محمد الغزاوي، والتي هي الأخرى عرضت أمام المحكمة وإذا ما قضى الذين ألقى عليهم القبض مدة136 يوما بِحبْس برج النور المطل على مدينة فاس من ناحية الشمال، وهم،

محمد الغزاوي، وأحمد لحمياني ختات، ومحمد الزغاري، ومحمد الفاسي، وأحمد مكوار، وعبد الكريم بن جلون، والهاشمي الفيلالي، وعبد العزيز بن إدريس العمروي ومحمد فتحا السودى والرشيد الدرقاوي. وهم الذين بعدها نقلوا إلى سجن العاذر البغيض الذي التقى فيه كل الوطنيين من شرق البلاد وغربها، وفيه عرف القوم أشد أنواع العذاب خصوصاً وأن الزمن زمن الحرب والذي لم يغادروه إلا بعد انتهائها وزيارة العاهل لمدينة باريز التي وسمه فيها الجنرال دي غول عرفانا بمشاركة المغرب في الحرب ضد النازي، وإلى جانب الديمقراطية المفترى عليها من الحلفاء قبل وبعد، ووقتها ما كان للعاهل أن يقبل «الوسام» وينسى رفاق درب النضال الذين كانوا يرزحون في القيود، ومنهم أمين الحسيني مُفتي فلسطين الذي اعتبره العاهل من أسرته ولذلك طالب بِسراحه، كما طالب بطرد المقيم غابريال بيو. ليحل مكانه إيريك لابون وفعلا كانت الاستجابة وأطلق سراح الوطنيين المعتقلين والمبعدين كذلك، عام1946 ومنهم محمد الغزاوي الذي أطلق سراحه إلا أنه لم يسمح له بالعودة إلى مدينة فاس، وذلك بسبب تصلب حاكمها الجنرال سوفران الذي تعلل بتشدُّدِ محافظ المدينة محمد التازي، ولذلك حددت إقامة محمد الغزاوي بمدينة الجديدة عاصمة إقليم دكالة، وإذا ما طالت إقامته، بهذه المدينة فإنه كان عليه أن يشترى بها منزلا مجاوراً لمنزل الشريف الحسيني وهو الوطني المعروف قاسم العراقي شقيق أخينا الغالي العراقي أحد الرجال الذين حققوا الاستقلال وعضو مكتب المقاومة حاليا.

ولعل لتلك الفترة التي قضاها محمد الغزاوي في مدينة الجديدة والتي اختار لناديه فيها متجر الحاج عبد الله الدكالي، كانت هي الأخرى مليئة وساخنة بالحوادث التي زادت الرجل قوة وجرأة في مجال السياسة تارة بمشاغبة الرجل للمسؤلين الفرنسيين وأخرى استفزازا لهم. ما داموا قد شدّدوا عليه الحراسة ولم يسمحوا له بحرية الحركة حتى داخل المدينة، ولذلك كان رجال الجهاز السري حين يفتقدوه في النادي ثم في المنزل، تقوم قيامتهم ويروعون المنطقة وأهلها، وفجأة يظهر أن الرجل كان يشرب الشاي بمنزل أحد رواد النادي الذي لما يعود إليه تصبح نوادر التسلية وموضوع الثنكيت والضحك هو حال القوم وما عليه أجهزة القمع، أما حين يسمع الرجل أن والدة زوجته السيد كنزة بوعياد

توقيت في مدينة فاس، ثم يركب سيارته ويتوجه من مدينة الجديد إلى مدينة فاس ومن غير استئذان فذلك يوم تروع فيه كل المدن التي يمر منها. كما تشدد الحراسة بعنف على منزله في حي «مونفلوري» بفاس بل وعلى كل المنازل التي يزورها. واستمرت حياة الرجل والمسؤلين عن غدوه ورواحه، وعن ترحاله وإقامته على تلك الحال إلى أن أطلق سراح كل الوطنيين عام 1946م، ووقتها غَادَرَ محمد الغزاوي مدينة الجديدة مع أسرته مخلفا فيها أجمل الذكريات سواء بين الذين كانوا يستأنسون بحسن معشره من رواد النادي، أو جواره بالمنزل الذي كان يسكنه، والذين هم جميعا عرفوا من إحسانه وزوجته ما جعل منهم لسان صدق بين المواطنين، ومن ذلك أنه بعد السراح وقبل مغادرته مدينة الجديدة قدم المنزل الذي كان يسكنه هدية مشتركة بين كل من قاسم العراقي وعبد الله الدكالي.

ويقول محمد الغزاوي أنه بعد هذه التجربة تجربةُ السجن والنفي اعتبر نفسه فقط وقتها عرف ماهي قيمة الفرنسيين وأنه يجب العمل بكل الوسائل لمحاربة وجودهم في المغرب خصوصاً وأن القيادة أصبحت بيد العاهل الذي صمم العزم من أجل النضال. ولذلك لما عاد محمد الغزاوي إلى مدينة فاس لم يكن ليستقر ويستكين، بل ليقاوم من جديد وبأسلوب جديد كذلك، خصوصا وأن الفرنسيين استهدفوه ثم هم صمموا على محاربته وإضعاف الجانب المادي المهم في حياته حسب اعتبارهم وهو جانب شركة المواصلات التي حسبوا أن الرجل يستمد منها القوة والثراء، وفعلا حاولوا، لكن مهارة الرجل كانت أشد وأقوى، بحيث إذا كان الفرنسيون في المغرب جميعا لا ضمير للمسؤولين منهم ولا خلق، وأنهم جميعا يرتشون ويرشون، فإن ثمن أكبرهم هو ثمن مجموعة من الخنازير، وفعلا فقد استطاع الرجل أن يشترى كبار المسؤولين عن الأمن وهم الذين يمكن استعمالهم في التسلط على حافلات شركة محمد الغزاوي، وإذا كانت مواقف الرجل التي عرفها الكبير والصغير قد انعكست على حافلات محمد الغزاوي، فأصبحت هي المطلوبة والمختارة أنى وجدت وفي كل تجاه، خصوصا وأنه جعل للطلبة وللحركة الوطنية فيها امتياز، للطالب نصف الأجرة، وللحركة الوطنية نقل المناشر التي يعدها الحزب من أجل التنشيط، خصوصا وأن الرجل في هذه المرحلة 1946 أصبح يشرف على الغنى الكبير والثراء الكثير كذلك، بحيث مر على تجربته ونشاطه منذ تأسيس

الشركة قبل ثمانية عشر عاماً سلك فيها أقوم الطرق وأقربها لتحقيق الثروة وهو شراء الأرض كما سبق. وبذلك أصبح الرجل يملك عشرات الهكتارات في كثير من المدن وفي أحسن المواقع منها إلى جانب تأسيسه لعدد كبير من الشركات في مختلف المجالات، بل سوف يبقى هاجس استثمار الأرض يلازمه حتى في أمريكا حين يهاجر إليها عام 1952 فراراً من ملاحقة الفرنسيين بعد، فيكون شريكه الشريف محمد المنجرة والد أخينا الدكتور المهدي المنجرة الذي سوف يقوم بتصفيتها بوكالة في التسعينيات.

لقد كانت المدرسة التي كونت محمد الغزاوي أكثر هي مدرسة محمد الخامس الذي فُتن به الرجل الذي أكبره بحب وصدق ووفاء، ذلك لأن العاهل أصبح في اعتقاد محمد الغزاوي وبالتالي كان في اعتقاد شعبه عبارة عن قديس وطني لا يشغله شيء أكثر من إخلاصه للشعب الذي بادله حباً بحب ووفاء بوفاء، ثم هو يتعرض لما يتعرض له من معاناة ومضايقات من الفرنسيين ولا يبالي، حتى أنه ذات يوم وهو معه في حامة سيدي احرازم عام 1947 وبمحضر صنوه الأمير الحسن بن يوسف جرى الحديث حول ظلم الفرنسيين وتكالب المقيمين، فقال العاهل والرواية لمحمد العزاوي «ما قيمة الملك الذي يتحكم فيه المقيم. إنه ملك يد اس...» ثم حك رجله بالأرض يقول الراوي الذي هو الآخر أصبح يعتقد ويطبق أنه: ما قيمة الغزاوي وكل أمثال الغزاوي أمام عظمة محمد الخامس، وبهذا المفهوم تجرد الرجل من كل اعتبار إلا اعتبار واحد، هو العمل بكل الوسائل ضد الاستعمار الفرنسي الذي صمم المغاربة ملكاً وشعباً على مقاومته، واشتد ساعد الفكر الوطني بإنشاء المدارس الحرة التي كان شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي هو صاحب الفضل في اقتراح نشرها و التنشيط من أجل تعميمها باستثناء منطقة عميل الاستعمار الأول المجرم الغاوي التهامي الجلاوي، لكن ذلك النشاط تقلص وتراجع بعد إبعاد إيريك لابون، ففي عهد هذا المقيم استطاع حزب الاستقلال وقد اشتد ساعده بفضل نشاط المدارس الحرة والعطف الذي كان يتمتع به من العاهل أن يفكر في إنشاء جريدة تعتبر لسان حاله، وتصل بين أنصاره ثم بينهم وبين بقية أحزاب المغرب العربي الكبير، وبالتالي مع العالم العربي الذي أصبحت له منظمة إقليمية هي الجامعة العربية1945/3/22 التي تحمس لظُهورها المغاربة ملكا وشعبا.

في هذه المرحلة مرحلة الدعوة من أجل التمكين لحزب الاستقلال وتنشيط أفكاره ومبادئه بين عامة الشعب، كان العملاق القوي والشهيد الخالد المهدي بن بركة رحمهُ الله قد عاد من منفاه السحيق بقرية النيف أقصى الجنوب وعلى أبواب الصحراء الكبرى، فكان أول ما فكر فيه هو نشرة خاصة داخلية من أجل تنشيط الفكر الوطني، وحتى إذا ما تحقق ما كان يرجى من إقبال تحولت النشرة إلى جريدة اتفق على أن تكون هي لسان حال الحزب، وفعلا تم إنشاء الجريدة التي أطلق عليها إسم «العلم» وهو إسم عُرفت به جرائد في المشرق العربي الشام والعراق والحجاز، وقد كان منطلقها يوم 11 سبتمبر1946 وإذا كان المهدي بن بركة قد تميز وكما يعرفه جيلنا بموهبة لم يزاحمه فيها أحد هي معرفة الرجال وأقدارهم، وأشباه الرجال وأغراضهم ، فإنه سرعان ما تعرف على الأطر التي أشرفت على سير الجريدة والتحرير فيها. حيث كان المدير هو المسلم المؤمن الصادق المرحوم بكرم الله عبد الجليل القباج، ومعه في هيأة التحرير الوطني الغيور الصديق بن العربي شفاه الله، وعبد العزيز بن عبد الله وعلى باركاش، ومحمد لمدور وعبد الكريم الفلوس. كما عملت فيها جماعة من كرام الوطنيين ذكرنا اسماءهم حين كلامنا على الرقابة الفرنسية ضد الصحافة الوطنية التي كان يباشرها على رسالة المغرب الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور موسخ المملكة اليوم، والذي بسبب تقريره الفاضح ضد الذين اتهمهم بالتّعاون مع المحور أصبح هو الرقيب على الصحافة أيام مجلة الرسالة التي تحتفظ ببصماته الملوثة وما اشتهر به من نذالة وقتها يذكره بها الجميع حتى اليوم خصوصا أيام «البراكة» التي كان الوطنيون ينتظرون فيها جواب الرقيب.

وقتها وعندما أنشئت الجريدة عُرف أنه كان لأحد الأوروبيين دار بشارع تمارة وأنها معروضة للبيع، وكان الذي عرف الدار ثم فكر في مصدر ثمنها هو الانتهازي عديم الضمير الذي باستغلاله الفاحش جر الدمار على حزب الاستقلال، وهو التلمساني عمر بن عبد الجليل(20) خديم ابراهيم الزهاني قائد منطقة الغرب سابقا والذي كان له نشاط

(20) راجع ما كتبه ميشو بلار في مجلة المستندات المغربية في موضوع المهاجرين الجزائريين، وقد بلغ 60 صفحة، ثم كتاب المُعْرب عن تهافت الأجنبي على المغرب لابن الأعرج السليماني ص 36.30 ط الرباط 1971 وقد أورد عدد العائلات التي هاجرت من تلمسان وغيرها إلى مدينة فاس. لكنه ينقصه النص على أسباب الهجرة وهو ما تعرضت له بعض المصادر الجزائرية الهجرة مع الشرف أو مع الخيانة.

إلى جانب الجلاوي وعلى مجموعة العمداء «القواد» الذين تأمروا على العاهل بإشراف الإقامة العامة غشت 1953م والذي فرض عليه عمر بن عبد الجليل باسم الحزب أتاوة بل فدية قدْرها أربعون مليون فرنك دفع الزهاني منها 33 مليون ثم عجز، إبن عبد الجليل هذا الذي أصبح بعد من أثرياء المغرب بلا حرفة ولا سبب حتى إنه الذي أسس البنك الشعبي في المغرب كانت أول صفقة فتحت شهية الرجل ثم أصبح ينعت ب «مدير الحزب وأمين ماله، هي تلك الصفقة الصاروخية التي نتجت عن شراء الدار المشارُ إليها وقت تأسيس جريدة العلم حيث اتصل عمر بن عبد الجليل هذا بمحمد الغزاوي طالباً منه وباسم الحزب شراء الدار ثم يتبرع على الحزب باستغلالها كمركز لجريدة «العلم» ولم يتردد الرجل في القبول من غير أن يسأل عن الثمن الذي لم يقبله العقل الرشيد لتلك الدار ونحن في عام 1946م.

لقد كان الثمن الذي قبضه الواسطة السمسار عمر بن عبد الجليل الذي لم يترك البائِع حتى يتصل بالمشترى وهو محمد الغزاوي الذي دفع ثمانية ملايين 8.000.000 إلى عمر بن عبد الجليل يداً بيد، هذا في الوقت الذي لم يتوفر محمد الغزاوي وقتها على المبلغ كاملا بل ناقص منه ثلاثة ملايين اقترضها لمدة 3 أشهر من صديق له محمد العلمي، وحتى إذا ما تحول رسم الدار في اسم محمد الغزاوي الذي وضع له رقم بالمحافظة العقارية بالرباط تحت عدد25766 حرف الراء R كما وضع لها اسم هو «الساير» فإنها منذ1946 وهي تحت تصرف الجريدة باسم الحزب والذي يدفع ضريبتها حتى اليوم1995 هو محمد الغزاوي الذي لو كان في بلد غير المغرب لكتب عنه رجالات الحزب الذي يتلقى مثل ما قدم الرجل، ماديا وفي مختلف المجالات أكثر من كتاب، لكن هذا هو مغربنا السيء الحظ بتجار السياسة فيه وما اندس فيهم من مسلمة اليهود واعلاج النصارى الذين يتاجرون في كلّ شيء حتى سلط الله عليهم بعد موت محمد الخامس الشياطين الخمس، الأعور والأقرع والأعرج والأسود وقزم الرباط. مضافا إليهم حثالات الجيش الفرنسي وبقية عملاء الاستعمار، أولئك الذين أهانُوا الجميع، وداسُوا كرامة الجميع حتى أصبح الوطني النبيل الذي حقق الاستقلال بالتضحية والنضال وبالعرق والدم يعيش محروماً من أبسط ما كان ينتظر أن يحققه له الاستقلال، بل هو

يستغيث من شدة الظلم والبغي ولا مغيث، وما قسوة قلوب الفجار الذين اندسوا ثم استولوا وتمكنوا إلا بسبب ما عاشوا ورأوا من أعمال المنافقين الذين كانوا بالأمس القريب يتقدمون الصفوف باسم الوطنية، حتى إن بعضهم وقد لبس المسوح كان في نظر الشعب كأنه المنقذ الذي يعقد عليه الرجاء، بيد أنه في الحقيقة المجرم اللص المتصنع الذي لم يغادر هذه الدنيا إلا بعد أن كشفه الله عارياً أمام الكبير والصغير، ولقد أشرنا في أماكن متعددة إلى أمثال محمد اليزيدي بوشعيب وما فعله بمفاحم جرادة وعمال المنجم الذين شرد وابيد أنه وبخبرة مزورة اشترى المنزل التابع للمنجم حي أنفا رقم (102) الدار البيضاء بخبرة مزورة قد رت بـ 500.000 خمسمائة ألف درهم ثم بيع بمليارين ونصف، مع أن الرجل كان يتقاضى مرتب وزير منذ 1963 وله منزل يسكنه بزنقة الجبلي بالرباط رقم(9) بل حتى الخمسمائة ألف درهم دفعت له كتبرع بشيك محول على بنك المغرب موقع من الملك رقمه(1.090.340) وتاريخه 1986/4/24 هذا مع أن السابق واللاحق هما اللذان اتفقا مع الفرنسيين على مقررات إكس ليبان وباسمهما صدر البيان كما سنرى.

ومرت الأيام بعد رحيل محمد الخامس بتلك الفجائية التي أفقدت الغزاوي وعيه حتى أنه حين أخبر سقط مغمى عليه في قارعة الطريق، ولولا الإسعاف العاجل والمركز من الدكتور عبد الهادي مسواك"؟" لما كتب له النجاة.

توفي محمد الخامس فتبدلت الظروف بتبدل الوجوه، عرف الشعب من الأعمال المنكرة، ما تطاول به خونة الماضي القريب من المجرمين وعملاء الاستعمار الذين تفتحت شهيتهم للانتقام من الوطنيين والأحرار الذين كان وجودهم يكدر عليهم الحياة، وبذلك عرف الشعب من الشدة والعنف والظلم والبغي والقهر والحصار والتدمير المصطنع من القوم الفاسقين وكلاب المزابل المندسين المتهالكين تحميهم قوة الحديد والنار، ما لم يعرف لشعب من الشعوب في تلك المرحلة، حيث أصبح الطابع المميز وقتها هو الاضطهاد، والاختطاف والسجن، والقتل ولاحسيب ولارقيب وأهم أركان الدولة كانت بيد مخلوق لم يكن في حياته رجلا ولاشبه رجل، وكما يعرف أهل الرباط أيام كان يستعمله صاحبه «م.ر.ش.ن» وغيره أصبح العميل الاستعماري أحمد رضا كديرة الذي وضع قبل لموبقاته

ملفا يرشحه للتطهير جزاء خيانته التي قيل وثقها الرجل النزيه الحاج أحمد الشرقاوي مفتش حزب الاستقلال بالرباط عام 1956م والذي كان عليه في عهد الاستقلال وحسب تعليمات الحزب أن يحصى عدد الخونة في الرباط الذين أساؤا إلى الوطن والمواطنين والمقدسات زمن عتو المستعمرين فكان منهم أحمد رضا كديرة ولد التهامي وفاطمة بوعلو كما في الملف، وهو الذي تطاول على المقدسات في الاجتماع الذي نظمه بغاية المعمورة للمغاربة والفرنسيين المسيو «أدام» مدير المدرسة الادارية بعد اختطاف العاهل، حتى يقول المجتمعون فيه رأيهم، وهو الذي لم يعترف للفرنسيين بما قدموه للمغرب من خدمات يقول مسيو أدام عن محمد الخامس ثم هو أراد أن يلقي بهم في البحر كما عبر المدير وإذا كان من المتكلمين في التجمع الزموري عبد القادر الشنا إلخ.

لكن تبارك الله ما أكثر حلم محمد الغزاوي وأكثر صبره وتحمله فبعد عشر سنوات وقف على فضيحة أخرى لرجل آخر نصفه الثاني يهودية إنه عبد القادر بن جلون أول وزير للمالية في عهد الاستقلال، والذي هو الآخر لما عين محمد الغزاوي مديراً للأمن وكان على الدولة أن تدبر له سكنا بالرباط، أمر العاهل وزير المالية بذلك حتى يبحث أن كانت هناك دار تابعة للدولة وتليق، لكن عبد القادر بن جلون اختار البحث عن الشراء. فجئ إليه بخبر الدار الكبيرة التي كانت أول سكن لمدير الأمن بشارع بني يزناسن بالرباط، وإذا هو اتصل بصاحب الدار وهو فرنسي طلب الثمن ثلاثة عشر مليون سنتم. وإذا ما قبل الثمن فإن الوزير عبد القادر بن جلون دخل مع صاحب الدار في مجال المساومة. وهو أن يقدر للدار ثمانية وعشرون مليون سنتيم بزيادة خمسة عشر مليونا يوقع عليها البائع مقابل أن يتقاضى ثلاثة عشر في فرنسا، وفعلا تم الاتفاق الذي كان على الوزير أن يخبر به العاهل كتابة بالثمن قبل إتمام العقد، وقبل أن يتلقى الوزير الجواب من العاهل كان على العاهل أن يخبر محمد الغزاوي حتى يذهب وأسرته للدار ليرى إن كانت تليق أم لا، وإذا هي مساحة أكثر مرات ومرات من تلك التي اشتريت بواسطة السمسار عمر بن عبد الجليل قبل عشر سنوات، فإن محمد الغزاوي الذي خبر السوق اختار أن يتصل مباشرة بصاحب الدار، لكن هذا ما كاد يخبر بطلب مدير الأمن حتى اختل توازنه وارتعدت قوائمه، ثم هو أخذ يهذي وقد استبد به الوهم فتلفظ بكلام

يبرئ نفسه بطريقة لم تدر بخلد محمد الغزاوي الذي فوجئ بما لم يكن ينتظره ولم يكن في حسبانه. فما كان منه إلا أن خاطب صاحب الدار مستفهما عن المبلغ فرد عليه من غير مقدمات أنه فقط ثلاثة عشر مليونا سنتيم وأن التوقيع الذي سيكون على ثمانية وعشرين مليونا سوف لا يتقاضى منها هو سوى ثلاثة عشر، فقال محمد الغزاوي إذاً البيع بثلاثة عشر، وقتها أمر بذهاب الرجل الى الموثق الذي وثق عقد البيع بالثمن المذكور ولما عاد للإتصال بالعاهل الذي سأله: هل أعجبتك الدار قال نعم، وكان العاهل نفسه ذات صباح قد توجه إليها وتجول في كل موافقها. فقال لمحمد الغزاوي" وسوف نقول للسي بن جلون يحاول ينقص له من الثمن الذي هو ثمانية وعشرين لعله يقبل خمسة وعشرين بركة» فرد عليه محمد الغزاوي لقد تم الشراء وأنجز العقد أمس يا مولاي وبأقل من نصف الثمن الذي ذكرتم. كيف؟ وجئ بالرسالة موقع عليها من وزير المالية عبد القادر بن جلون وفيها النص على ما ذكر. ورغم توسل محمد العزاوي فإن العاهل أصدر أمره تواً بطرد عبد القادر بن جلون من منصب وزير المالية لكن هذا السلُوك انتهى بموت محمد الخامس حيث ظهر من البلاء ما هو أشد وأفظع حين أصبح أحمد رضا كديرة يحتل مناصب المدير العام للديوان الملكي ثم وزير الداخلية ووزير الزراعة. ووقتها استصدر كديرة عام 1963 ظهيراً بمثابة قانون يمنع المغربي من شراء أرض فلاحية من فرنسي إلا برخصة من وزارة الداخلية وأخرى وزارة الزراعة. فأصبح الرجل يساوي آلافاً من عمر بن عبد الجليل وعبد القادر بن جلون، وماهي إلا سنتين بعدها 1964 اشترى احمد رضا كديرة ولد التهامي وفاطمة بُوعلُّو وألعوبة المنحرفين هنا في الرباط وهناك في باريز اشترى له «مقهى الأبرا» بعاصمة الظلام باريز بخمسة ملايير، بل واشترى للزوجة الفرنسية المريضة بالسرطان في الثدي، مسكنا بشارع هنري مارتان بثمن قدره ونهايته خمسة وعشرون مليون فرنك جديد، أي ما يقرب من ثلاث مليارات وهو الذي أسميته من بين الشياطين الخمس قَزَمُ الرباط وهو الذي لما أصبح يصول ويجول ثم هو يتصرف في أرزاق الناس وخصوصاً الوطنيين بحقد وكراهية. والله العظيم ما عُرِف لدهانقة لإستعمار فالا، ولا بارا، وبونيفاص وبرونال وسُوفْران من بغيه ولو 10٪ ويكفي أن تقول إنه كان لا يخفي احتقاره للمغاربة وكراهيته لكل من له رابطة حب ووفاء لمحمد الخامس

حتى انتهى به حقده الى التطاول على العزيز عليه صاحب السمو الملكي مولاي عبد الله، ومع ذلك لم يجد من يردعه بعنف ويواجهه بحقيقته غيرعبد الكريم الفيلالي الذي كان يعرف فضائحه في ملف الخيانة الذي وضعه له الحاج أحمد الشرقاوي ابن الحفيان مفتش حزب الإستقلال بالرباط عام 1956، والذي فتش عنه محمد الخامس عام 1958 وكان الذي استخرجه من بين 4226 ملف وضعها الحزب للخونة في عموم المغرب هو الفيلالي الذي كانت مهمته وبرغبة من محمد الخامس دراسة تلك الملفات ثم عرض ما يدرس منها عليه حتى يتعرف فقط على تلك المرحلة من التاريخ، والدور الذي قام به المتهم، وقد كان الدور الذي قام به أحمد رضا كديرة في المؤتمر الذي دعى إليه مسيو أدام مدير المدرسة الإدارية ثم انعقد في غابة المعمورة عام 1954 حقيرا حقيرا جدا، وبحقائقه فضحه الفيلالي على منصة البرلمان عام 1965م، ويكفي أن تقول أن الطغيان الذي عرف به الكدرة بعد موت محمد الخامس هو الذي دفعه إلى أن كتب في حق شيخ الاسلام «الضال عن الصراط المستقيم» لأنه رفض الدستورالذي لم نكن نعرف قبلُ أن الذي وضعه هو أحمد رضا كديرة(21) الذي أصبح له هو الآخر احزاب وليس حزب واحد، وعندما يتجمع حوله القوم الذباب يصيح بأعلى شدقيه «إننا لوقمنا بالعمل من أجل نشر الفساد والخراب وعلى مدى عشرين سنة لم نحقق من التخريب ما فعله حزب الاستقلال في سنة وعلى هذا النهج استمر إلى أن أخذه الله بوباء لم يعرفه قبله في المغرب غير رجلٍ واحد اسمه «باعزت الغازي» الذي أصبح هو كل شيء بإدارة الأمن في عهد محمد أفقير حتى أنه كان يقتطع لنفسه من مرتبات رجال الشرطة ولا من يحرك ساكنا. تلك نفثات مصدور لم يجد وسيلة لدفعها غير ما يخطه القلم ويحفظ التاريخ للأجيال المقبلة حتى تتعرف على المحسن فتذكره بإحسانه ثم تتعرف على المسئ فتدكره بإساءته. مصداقا لقول رسول الله (ص) "المرء حي ما دام يذكر".

لكن هذه الصور القاتمة الملوثة. مهما تعددت، فإنها سرعان ما تذهب وتحرق، ولا يبقى ويدوم غير تلك الصورة الجميلة الرائعة التي عرف بها المغرب العربي الكبير

(21) راجع مسار الجزائري المتفرنس قبل عبد الكريم ولد عمر الخطيب ص 115–16 ط عام 1997م وهو الذي قال لنا إن حزب الجبهة كان الذي دعى إليه1963 هو العاهل نفسه راجع ص 78–79 بل وكل ما في مسار هذا المتفرنس القديم مما يعتبر هدماً للمقدسات في نظر الذين لم يكونوا مثله، ثم راجع ج السعادة 1953/9/17م ومن الذي وقف على قبر أبيه ورثاه يوم دفنه إنه السيو سكوفوني رئيس القسم الانتخابي الثالث الخ.

على مر التاريخ، بل يخبرنا التاريخ المعاصر خصوصا عن الجانب السياسي منه وما عشنا وعرفنا أن اجمل أيام الحركات الوطنية من الشرق إلى الغرب، من صفاقص الهادي شاكر وعلالة التومي وابن الأسود وغيرهم من رجالات تونس مروراً بجزاير مصالي الحاج والشيخ البشير الإبراهيمي وغيرهما إلى مدينة مراكش محمد المختار السوسي وعبد الله إبراهيم ثم بقية العاملين الكرام، أن أجمل أيام النضال هي تلك العشر سنوات من 1945 إلى 1955 في المغرب وتونس وفي الجزائر مروراً بعام 1954 إلى1962. وهي المرحلة التي اختبر فيها الرجال وعرف فيها الأولياء الأصفياء. فكان منهم محمد الغزاوي الذي لم يتبدل ولم يتغير بل هو من الفريق الذين أنعم الله عليهم بالكثير من نعمه التي في مقدمتها الوفاء الذي لازمه إلى أن انتقل إلى رحمة الله. وهو الذي مر بامتحان عسير عسير جدا، لكنه نجح وكُتب له الفوز في تلك المرحلة، مرحلة العشر سنوات التي وضعت الأسس التي أنتجت الصراع الذي أزعج الفرنسيين وقض مضاجعهم فعملوا بكل الوسائل التي أقلها الرشوة التي قدمت لحكومة باريز من أجل تعيين رجل عسكري حتى يقف في وجه التيار الذي أنتجه في المغرب الأقصى نجاح المغاربة ملكاً وشعباً، والذي كان كل يوم وأسبوع وشهر وسنة يشتدُّ ويدفع المستعمرين إلى الضيق والاختناق.

وفعلا نجحت خطة المستعمرين بفضل رشاواهم في إبعاد المقيم إيرك لابون وتعيين الجنرال جوان مقيماً عاما بالمغرب، حيث حل به يوم 1947/6/17، اي بعد خطاب محمد الخامس في مدينة طنجة يوم 9 ابريل 1947م وإذا كان الجنرال جوان هو ابن الدركي المولود بمدينة عنابة من أرض الجزائر، والذي حقق مختلف الرتب العسكرية على حساب أبناء المغرب حتى إن غروره وبلادة حسه في مجال السياسة التي كان الموجه له فيها بحقد وكراهية للمغاربة ملكا وشعبا هم جماعة المستعمرين يتقدمهم أمثال الدكتور إيرو وبونيفاص فإن وزير خارجية فرنسا وقتها جورج بيد و، كان أكثر منهم حقداً وكراهية وبلادة حس، بحيث كان يعاني من مرض خبيث إسمه مرض العنصرية من جانب، ومن جانب آخر كان حقده على الإسلام الذي يمثله عاهل المغرب أصدق تمثيل، وقد وصفه بالهلال الذي كان حقده عليه أشد، حتى أنه صرح بقوله أنه «لا يقبل انتصار الهلال على

الصليب» وحتى لا ينهزم وتتحقق أهدافه في المغرب كما وعد بذلك جماعة المستعمرين الذين جمعوا من المال ما قدموه له ولوزير الداخلية بطريقة مكشوفة فضحتها وسائل الاعلام الفرنسية وقتها، ومن أجل ذلك كانت مقدمات عمله في نفس الاتجاه تعيين الجنرال جوان مقيما عاماً بالمغرب، وهو الذي زُود ببرنامج محدّد وأهداف معينة في مجملها استقلال الفرنسيين بحكم المغرب، فكانت المقدمات هي عجرفة الجنرال جوان وتطاوله بتأسيس مجلس شورى الحكومة لفائدة الفرنسيين بالمغرب.

لقد أراد المتهورون من الاستعماريين الفرنسيين الذين كانوا وراء تعيين الجنرال، والذين وضعوا السلسلة في عنقه أن يؤسس لهم برعونته في المغرب وفي عام 1948 م ما سبق للسياسة الفرنسية أن أسسته في تونس عام 1922 م ثم أطلقت عليه المجلس الكبير، وهو المجلس الذي كان يمثل الحكم المباشر والسيادة المشتركة، وهو عبارة عن مجلس استشاري، كان نصفه من التونسيين والنصف الآخر من الفرنسيين، وأكثر من ذلك فرنسة كان يطبق في الجزائر، وببَلادة حس وغرور وسفه رأي لم يفرق القوم ولا جنرالهم بين عهد محمد الناصر 1922م وعهد محمد الخامس العاهل المقدس والوطني المتحرر الذي يقود نضال شعبه من أجل تحقيق الاستقلال ونحن في عام 1948 بل ولا بين ما حصل بين العهدين من تطور دفع بالتونسيين إلى التحرك والاتفاق على ميثاق العهد الكبير ميثاق 17 رمضان 1366 بل ولا ما عرفته فرنسا نفسها التي هي وقتها كالمكنسة في يد الأمريكيين الذين يَمُنُّون عليها، وأنه لولا نجدَة المغاربيين وسلاح الحلفاء لعاش الفرنسيون زمنا أطول نساءَ ورجالاً يعانون المهانة والعذاب من آلام ركل أحذية الألمان الذين ما عُرف احتقارهم لجنس كاحتقار الألمان للفرنسيين، كل ذلك غاب عن حس الجنرال المعتل الأبخر، والذين كانوا وراءه من دهاقنة المستعمرين.

كان الجنرال جوان وكما صرح بذلك قد حمل معه من باريز تفويضاً يجعله يتصرف كما يشاء ويفعل ما يريد بالمغرب والمغاربة حتى ولو أدى الأمر إلى خلع العاهل الملتف حوله شعبه والمحبوب فوق العادة، وكان الدافع بالجنرال إلى الغرور وقول هذا الهراء، هو التجربة التي سبقت له في تونس، والتي كان ضحيتها محمد المنصف باي تونس، الذي أشرف على خلعه الجنرال جوان ثم نقل منفياً إلى فرنسا حيث توفي غريباً

رحمه الله، على أنه لم يكن هذا المنطق من الجنرال جوان الذي لم يسبق به، بل كان هو منطق كل المقيمين بطريقة تختلف وبأسلوب ملفوف، ففي عهد الجنرال جوان كان المغاربة ملكا وشعبا قد انتبهوا إلى الحكم بما سجله التاريخ على كل المقيمين الفرنسيين الذين سُلطوا على المغرب منذ عهد الجنرال غور و1912 م والذين هم بالتتابع حولُواْ عقد الحماية إلى حكم مباشر واستعمار، ذلك لأن اللاحق منهم كان يعمل للتفوق علي السابق بهدم ما يستطيع من كيان الدولة المغربية، وكلهم كانت وسيلته العنف العنيف والقسوة والاضطهاد، لكن كان من سوء حظ الجنرال جوان أن شعوب المغرب العربي الكبير عموماً وقتها كانت قد شبت عن الطوق، وأنها جميعاً قد صممت على الاستقلال وأصبح تلقائيا لها برنامج عمل مشترك، وأن ما تعيش من معانات دفعت إلى اتفاقها وإجماع حركاتها على محاربة الاستعمار ومهما كان، ومن العجيب أن رعونة الجنرال جوان عملت كذلك على توحيد صفوف أبناء المغرب العربي، خصوصاً بعد قوله الفاحش الذي لا يصدر إلا عن معتوه أبخر مثل إبن الدركي الذي كان أكثر يشعر بالنقص ويتطاول على الاستعلاء بأقوال هي الفحش والسفاهة وعدم التقدير للمسؤولية، فبدون دافع وقد أراد أن يظهر أنه خبير بواقع ومميزات المغاربيين، قال قولته المشهورة التي وحدت جموع المغاربيين ضد دولته حين قال «المغربي أسد، والجزائري رجل، والتونسي امرأة» وقد كان يعنى ما عرف به المغاربيون في الحرب التي لولا هم لما كان للفرنسيين أن يقفوا إلى جانب الحلفاء. ولبقوا زمنا أطول يحيون ذل ركل أحذية الألمان.

كانت السهام التي قدم بها الجنرال جوان في جعبته هي فكرة تحقيق السلطة المشتركة في المغرب كمقدمة للاستقلال بها كلية لصالح الفرنسيين واستعجالا لذلك وتضييقاً على المغاربة ملكا وشعباً تقدم بالمراسيم التي تحقق له ذلك إلى صاحب السلطان الشرعي الذي هو جلالة الملك كما تنص على ذلك معاهدة الحماية حتى يوافق عليها، لكن أصالة العاهل وخبرته جعلته يزدرى الجنرال ويقابل تصرفاته الخارجة عن القانون بالاهمال، وبأسلوب صامت جد نكاية واستهزاءً لم تتحمله أعصاب الجنرال المغرور الذي كان وراءه جماعة المستعمرين بقيادة بونفاص والدكتور إيرو. وهما مما دفع به بقسوة قاسية وعنف عنيف نحو الانحدار، ولم يقبل من تلك الظائر "المراسيم" التي

قدمها الجنرال للعاهل سوى ظهير تنظيم الغرف التجارية والفلاحية الذي صدر بتاريخ 1947/10/13م والذي نص فيه على تنظيم غرف فلاحية وتجارية للمغاربة، وحتى إذا ما تكونت تلك الغرف كما أراد لها الجنرال الذي كان هدف الدافعين له هو الاستيلاء على السلطة في المغرب بطريقة جد مكشوفة، وبطريقة مفضوحة كذلك، حيث ما كادت تلك الغرف تنظم كما أريد لها من القوم حتى أقدم الجنرال على تكوين المجلس الذي أطلق عليه «المجلس الاستشاري» بل والذي كونه من قسمين فرنسي ومغربي، وزاده سوءُ الطالع أنه كونه من أرذل عناصر المغاربة التي قدمها اليه جماعة المستعمرين مختارة بواسطة خبرة رؤساء النواحي من الفرنسيين ومصادقتهم، والذين رصفوا ترصيفا فيما أطلقوا عليه:

الغرفة الفلاحية.

الغرفة التجارية.

الغرفة المختلطة.

المصالح المختلطة.

والمهن الحرة.

واذا كان ذلك هو تخطيط الجنرال جوان ومن ورائه جماعة المستعمرين، فإنه كان للعاهل ومن ورائه الشعب وجماعة من الوطنيين يتقدمهم محمد الغزاوي تخطيطه كذلك، ووقتها بدأ الصراع الذي أُعدت له العدة حتى يكدر صفْو الجنرال بتقديم جماعة من الوطنيين توصلوا إلى المجلس عن طريق الانتخاب كاعضاء في الغرفة التجارية وهم عشرة، يتقدمهم محمد الغزاوي كذلك.

وفي دورة يناير 1948 م، ولما يمضي على الجنرال بالمغرب سوى ثمانية أشهر كان المجلس يتكون كما يلي:

(أ) الغرفة الفلاحية: خمسة من الدار البيضاء هم: الرئيس الحاج عبد الرحمن بن الحاج التاغي، وخليفته الأول الغازي بن بوعزة والخليفة الثاني بوعَزّة بن أحمد، وعضوية الحاج محمد بن حمادي وعباس بن الحاج الطاهر.

وخسمة من فاس هم محمد المرنيسي، ومحمد السنوسي خ 1 وإدريس لحلو خ 2

وَعبد السلام العدلوني، ومحمد ولد البَغْدَادي، وخمسة من مراكش هم عمر العيادي، ومحمد بن الحاج عمر بوشركي، ومحمد بن عبد الله السكتاني، وأحمد بن محمد اعراب والكبير بن موسى. نائبان

ومن مكناس أربعة هم: أجانا. ر. ومصطفى انحوسة أمحزون، وم عبد القادر بن اعلى خ 2 وبوعزة ولد أمهروق.

ومن وجدة أربعة هم الحاج العربي عبد الله والعباس بودْشيشْ. وبن عمور بن الحاج الهدّار، ومحمد بن الحاج بوعديم

وخمسة من الرباط هم: عبد الله الزعري "ر" والحاج محمد بن مالك، والحراتي بن محمد، والحاج بوشتى بن علي، والتهامي بن قاسم.

(ب) الغرفة التجارية: أربعة من الدار البيضاء هم: محمد العراقي ر. محمد الزيزي خ ل واحمد السنْتيسي ومحمد بن عمر.

ومن مراكش ثلاثة هم: محمد بن عمر الورزازي، احمد بن قاسم الغنجاوي ج محمد بن التهامي.

ومن فاس أربعة هم: ج محمد الغزاوي ج عمر السبتي ج محمد بن الحبيب ومحمد الزكاري.

ومن وجدة محمد بن الهاشمي.

ومن الرباط ثلاثة هم: أحمد اليزيدي المهدي زنيبر ج عبد السلام بن محمد كديرة.

(جـ) الغرفة المختلطة: ثلاثة من أجاديرهم: محمد بن السيد، والحسن بن ابراهيم وأحمد الأمين. وثلاثة من السويرة هم: محمد بن العياشي وأحمد بن عبد الله القرمودي الحاجي، ومحمد بن الحسن بودَادحَ، وأربعة من الجديدة هم: أحمد بن اعلي، بوشعيب بن الطاهر، محمد بن الحاج حميد الهلالي، محمد بن الجلالي، ومن آسفي أربعة هم: عبد الرحيم بن الحاج الرهوني، عمر البوسُوني، الحاج محمد بن العربي السالمي، الحاج الغالي بن هيمة.

(د) المصالح المختلطة: نواب مجالس البلديات، عن فاس الطالب الجواهري عن وجدة محمد العربي الحسني، عن الدار البيضاء الهادي المختار بن عبد السلام، عن

الرباط. عبد الكريم بن عبد الله، عن مكناس مَ عبد الرحمن بن هاشم، عن مراكش أحمد السليطن.

ثم ممثلو قدماء المحاربين. عن مكناس محمد بن عبد الله وعن مراكش محمد بن محمد.

(هـ) المهن الحرة: أحمد زروق المحامي عن الدار البيضاء والتهامي العراقي عدل بفاس.

ممثلوا العملة: أحمد بن حمادى وعبد الله ولد ابراهيم عن الدار البيضاء النواب الإسرائيليون: دحّان ازّاكْ عن الرباط، العسري عن الدار البيضاء سمويل عن فاس، يوسف برديكو عن مكناس. ميمران دافيد عن مراكش، أُباديا موليو عن وجدة (22).

وفي هذه المرحلة التي جنَّد لها المستعمرون بقيادة الجنرال جوان كل طاقاتهم كانت ادارة الحماية بوسائلها القهرية ومن وراء المغاربة قد ضربت الرقم القياسي في اعتمادها على مقومات الدولة المغربية، ضاربة عرض الحائط بكل الالتزامات التي في مقدمتها معاهدة الحماية المفروضة منذ 1912/3/30 بل أصبحت طغمة من المعمرين هي وحدها المعنية بكل شيء. حتى الميزانية التي مصدرها الشعب المغربي. لم يعد منها للمغرب والمغاربة ملكا وشعباً أي نصيب إلا في أقل من 2٪ بل بالتحديد 1.92٪ في حين تستهلك إدارة الحماية في التسيير فقط 80.2٪ والباقي لفائدة المعمرين، وإذا الجنرال من جانب آخر شمر للاجهاز على كل شيء فإن الصحافة الاستعمارية في فرنسا وبمقابل مكشوف أخذت تساعد الجنرال في مهمته حين أخذ يؤول الظهائر «المراسيم» وما ينتج عنها من القوانين حسب هواه ورغبة المستعمرين، مما دفع إلى أن يصدر بيان من الكتابة الخاصة للعاهل، وذلك جوابا عن المذكرة التي رفعت إلى جلالته في الموضوع(23) من طرف حزب الاستقلال، زائد مذكرة بلافريج المشار إليها قبل حول إدماج أقطار المغرب في نظام

---

(22) المصدر مجلة المغرب الاقتصادي عدد، بتاريخ 9 ربيع 2 عام 1367 هـ= 1948/2/20.

(23) راجع الظهائر «المراسيم» الملكية التي صدرت بتاريخ 1947/6/21م في الجريدة الرسمية عدد 1810 بتاريخ 1947/7/24م ومذكرة حزب الاستقلال بتاريخ 1947/7/28م وبيان الحقيقة من الكتابة الملكية الخاصة بتاريخ 12 رمضان 1366 هـ= 1947/7/31م.

الدفاع. وقد كان ذلك هو الدافع بالجنرال إلى الحقد الشديد العنيف ضد الحزب والذي سيبلغ نهايته بعد في عام 1951.

وهكذا دخل الجنرال جوان مع العاهل شخصيا في صراع نقله الجنرال بطريقة فيها بلادة حس إلى باريز، حتى ينتزع الموافقة على ما كان يخطط ضد العاهل، ولقد فضح نفسه وكشف عن نواياه، حين وقف أمام رجال معهد العلوم الاستعمارية ثم أخذ يشرح لهم واقع الفرنسيين بالمغرب كأنه يتكلم عن مقاطعة فرنسية، وذلك يوم1949/11/18 م حيث قال بالحرف عن المغرب وواقع السلطات فيه:

«فمن جهة هناك سلطة المقيم العام والجالية الفرنسية.؟» ومن جهة أخرى هناك السلطة التقليدية للملك، أي أن هناك ما يعرف بالمسلسل السلمي المزدوج -يقول الجنرال جوان- ولا يمكن للجالية الفرنسية أن تقبل إعادة النظر في نظام الحماية على حساب مصالحها».

ووقتها نَادَيْنا بِأعْلَى أصواتنا «بالله يا أحذية الألمان أدركينا» بربك هل ثمة وقاحة أخَس، ونذالة احقر وأخزى من قول هذا المريض الذي لولا ريادة العاهل وتصميمه، ولولا تلك الرمزية التي تقدمت الصفوف إلى أن حققت الانتصار، ماذا كان سيحل بالمغرب؟

لقد كان الجنرال وباتفاق مع حكومة باريز يهدفون لا لتمكين السلطة في يد الجالية الفرنسية بالمغرب فحسب، بل كانوا يقصدون أكثر من ذلك وهو الاستقلال عن فرنسا وتكوين دولة فرنسية قوامها مجموع أقطار المغرب الكبير بعد أن يكون الاتفاق قد تم بين القوات العسكرية والسياسية في المنطقة. ولقد كانت تلك هي أهداف كل من دي لاتور في تونس، وسالان في الجزائر. والتي استهوت الجنرال، ومن أجل تحقيق ذلك الهدف دخل في سباق مع الزمن منذ الوهلة الأولى لاستلامه السلطة في المغرب، حيث بدا اتصالاته المفضوحة مع دارلا وسالان ودى لاتور.

وحيث رفع عدد المستعمرين في المغرب ولما يمضي عليه أكثر من سنتين من300000 ثلاثمائة ألف نسمة إلى أربعمائة وعشرة آلاف 410.000 وكانه بذلك كان يقرأ ويطبق سياسة الجنرال الإيطالي غارسيا المهزوم قبل ودولته في ليبيا، والذي كان هدفه إحلال الإيطاليين مكان الليبيين حين أكثر من عدد الإيطاليين بعدما أفرغ لهم الجبل الأخضر

وكدّس الليبيين خلف الاسلاك الشائكة «الشبردك» في منطقة الكفرة بالجنوب، وكأنى ببلادة حس الجنرال جوان أنه كان يعتقد إنما عين مقيماً عاماً بالمغرب ليقوم بإتمام ما تبقى بلا اغتصاب مما لم يحققه السابقون سواء انتزاع الأراضي أو تحويل ما تبقى من السلطة الصورية من أيدي المغاربة إلى أيدى الفرنسيين وأشباه الفرنسيين المسخرين للقهر والظلم والاعتداء.

وإذا نحن قررنا ما أكده التاريخ منَ حقيقة أن الاستعمار لا يتمكن في بلدٍ ما إلا إذا هو اتخذ له من أبناء ذلك البلد أعواناً وسدنه، فلقد استطاع الفكر الوطني الذي أسسه شيخ الاسلام محمد بن العربي العلوي على اخلاق ومبادئ الإسلام السليمة أن يجرد الفرنسيين كثيراً مما كان لهم من الأعوان بين طبقات، الشعب لكن بقي لهم بعض الصنائع من ذوي المصالح الذين كونوا منهم قوة يعتمدون عليها، لا في إرهاق الشعب وترويضه للخضوع والخنوع حسب إدارة المستعمرين فحسب، بل وللوقوف في وجه التيار الوطني ومحاربة ظهوره في الأماكن التي كان لهم النفوذ والسلطان فيها أشد وأعنف، وكان في مقدمة هؤلاء العبد الآبق الحقير الغاوى التهامى الجلاوي الذي كان الجنرال جوان اقتداء بكل الذين سبقوه يحسبه المركوب المدرب على تحقيق الوصول إلى أهداف المستعمرين بل وحارسا من حراسهم الصادقين المخلصين الأوفياء، إذ هو الذي تطوع وأخويه المدني قبل 1912 وحمو لمحاربة المغاربة وتطويعهم بالسلاح حتى يتمكن حكم الفرنسيين فيهم، وإذا كان المثل الصادق المؤكد يقول: إن الانهزام الذي يقتل طموح الشعوب ويذلها هو اليأس والاستسلام فإن الذي خبر العمل الدؤب ومقاومة الشر بعمل مستمر ونفس طويل ثم هو جرب حلاوة النجاح الذي يتحقق له من تلك المقاومة، لا يعرف الاستسلام مهما كان الطريق طويل والظروف قاسية والخصم عنيف وعنيد، وكان من هذا النوع من الرجال محمد الخامس الملك والزعيم الرَّمز الذي أصبح هو قدوة الشعب المسلم العربي الذي يضرب به المثل بين شعوب المغرب العربي الكبير عموما والمغرب الأقصى خصوصا، والذي حين توقف جهاد المغاربة بالسلاح ظهر جهادهم بالفكر، فتكونت منهم طبقة من الاحرار المخلصين، ومن أفراد تلك الطبقة الذي وقفنا على مسيرته الموفقة، ثم هو بالتزام أصبح من المجندين خلف العاهل الرائد بحب ووفاء، محمد الغزاوي الذي

سوف يندفع بعقيدة لإشتعال النار في رمز الاستعمار بواسطة الفتيل الذي كان يعده الجنرال لإحراق ما كان للمغاربة من أمل ورجاء، سيحرق به الجنرال هو رمز الاستعمار.

لكن التخطيط للمعركة دفع محمد الغزاوي للتفكير قبل كل شيء في موضوع لم يفكر فيه قبل قط أحد من المغاربة، ذلكم هو ترويض ضبوع متوحش شرس، يستعمله الاستعمار أقبح استعمال، ولعله بالنسبة لتجارب الإنسان من الهين ترويض السباع وليس من المقبول ترويض الذئاب والضباع، ومعنى ذلك، فقد أراد محمد الغزاوي الدخول مع المستعمرين وعلى رأسهم الجنرال جوان في معركة تجريدهم من الوسيلة التي يحارب بها المغاربة وهم العملاء، وأكثر العملاء تطوعا وتأثيراً هو العبد الابق الغاوي التهامي الجلاوي، الذي ما عرف بين العملاء المفلسين المتملقين للاستعمار والمستعمرين، من هو أشد قسوة وخبثاً ونذالة منه ضد المغاربة من أجل إذ لا لهم وإخضاعهم صاغرين للعدو، ورغم أن الرجل شاب وشاخ على ماشب عليه من بغي وظلم وفسق وعتو وفساد. فقد أراد محمد الغزاوي بدافع هاجس ذاتي أن يجره حتى يدخل باب التوبة ويترك جانب المستعمر، خصوصا والشمس على أطراف النخيل، وأن الرجل قد ارتوى من كل ما قدم له الشيطان وزين له الهوى من لذات ومتاع في هذه الحياة، لكن محمد الغزاوي الذي جرب ذلك مع آخرين ونجح نسي أنه لم ولن يحصل ذلك بالنسبة للجلاوي حتى يلج الفيل في سم الخياط، وما ذلك بدافع من وطنية محمد الغزاوي الذي أصبح يستمتع ويتلذذ بما حققه من نجاح بدافع عدم استسلامه لليأس الذي لم يعد له مكان في ذاكرته، ومن هذا المنطلق كانت انطلاقة محمد الغزاوي ومحاولته ترويض عميل الاستعمار الجلاوي.

في يوم من أيام خريف عام 1949م والجنرال جوان يعاني من حمأة الهستيريا وجنون الغرور بالعظمة التي رشحته ليعيد الأمور إلى نصابها في المغرب، وكلاب الصيد التي تلهث حوله وخلفه بلا خجل ولا وجل أصبحوا قلة من الصنائع أمثال الإسلامي المعروف بفضائحه الفاطمي بن سليمان، وابن الهاشمي العيادي قائد الرحمانة، والشاوش الأجرب الابخر الشرادي وابن داود، ولحريز بازمور، و«القضاة» أبناء عبد الله الفاسي الشهير بفضائحه قبل الحماية وأثناءها، وهم عبد السلام، وعبد المجيد، والبشير. والصديق ثم الطاهر الفاسي، ثم المجرم الجاني عبد الحي الكتاني، ومحمد بن الطيب

الصبيحي. وولده عبد الله، وذنبه المحتسب عبد الحميد العلوي الذي كرمته فضائح الخطيب التي سيتناولها التاريخ بعد بطريقة تشمئز القيم وتتقزز منها ثم تحفظ لهم الذكريات بالشر في الخالدين.

هذه الطغمة وما يلتحق بها شرقا وغرباً من سوس إلى وجدة حيث القذارة الممثلة في قتيل الفداء ابن الهاشمي، والعميل المحقور شاهد الزور ضد الوطنيين مصطفى الدرفوفي، بل وغيرهم من الأشرار الذين بهم أراد الجنرال جوان أن يضفى على فظائعه ما توهم من الأعتبار. مثلهم كمثل الرماد بلا نار، تذروه الرياح بين المزابل خلف الديار.

أولئك الذين وسمهم الجنرال جوان كلهم في نظر محمد الغزاوي إذا هم جردوا من زعامة الخبيث الغدار المنعوت بكبير المجرمين الفجار، العبد الابق الغاوي. التهامي الجلاوي، وإذا المغاربة كلهم بلا إستثناء يئسوا من العميل الرخيص الجلاوي الذي هو بدوره وبدافع حبه للوسواس الخناس، يئس من كل الناس، لأنهم حسب مذكرات حياته في الاجرام اقرب سلوكا لا يغترُّ به أحد ولا له في النفوس احترام، ومع ذلك فإن الرجل الذي قط ما كان اليأس يعرف الطريق الى نفسه وهو محمد الغزاوي أوحى إليه إيمانه، بل وخياله الخصيب كذلك، أن في استطاعته وربما بقليل من الجهد أن يروض الجلاوي حتى يتمكن الفكر الوطني من غزو منطقة حكمه، وبالتالي يجرد الجنرال الواهم المغتر من همزاته، بل ذهب به خياله أكثر من ذلك، وهو الذي بالفعل جر بعضهم وكانوا أقرب سلوكاً إلى التعاطف مع الفكر الوطني فأصبحوا مقبلين وقد كانوا قبل نافرين، وأن في استطاعته كذلك جر الجلاوي إلى التعاطف مع الوطنيين، خصوصا وأنه كان قد لونه له الحاج أحمد بلا فريج بلون أخضر بسبب افتعاله لمعاملة له أيام أبعد إلى مدينة مراكش، مما جعل الرجل يغتر وأن الجلاوي يمكن أن يوعظ فيتعظ، وأن له سابقة هي أنه كان قد أحضر لمجلس العاهل قبل في المجلس الذي تدارس القوم فيه وثيقة المطالبة بالاستقلال بإشراف العاهل يوم 13 يناير 1944م. ثم هو أبدى وقتها تعاطفه مع الفكر الوطني الذي كان رائده العاهل ولا يزال.

ونسي المتفائل المغرور أن المجرم وقتها ساير أيام الحرب، ثم هو كان يحسب أن أمريكا التي أقبل رئيسها على العاهل تقف وراء المطالب الوطنية، ناهيك أيضا أن

الجلاوي وقتها كان مهدداً وأمثاله من المقيم غابريال بيو بالإفلاس إن هو طبق عليه القانون الذي كان قد اقترحه زمن الحرب، وهو قانون « من أين لك هذا » كما سبق، ورغم ذلك ماكاد الجلاوي ينفصل عن مجلس العاهل حتى توجه إلى دار المقيم ليخبره حقيقة الأمر وما صدر من كل الذين حضروا المجلس فرداً فرداً، خصوصاً وأنه وقتها كان من تجار الحرب وزراعة الحشيش في تلوات، ومن الذين استغلوا تلك المرحلة أفحش استغلال، وأنه لولا موقف العاهل ضد مشروع المقيم غابريال بيو الذي اراده كوسيلة للردع والزجر وتمويل المتسعمرين الذين حِين توقفت الحرب وجدوا أنفسهم بل وإدارتهم في حالة إفلاس بلا تمويل بل ولولا موقف العاهل ضد مشروع المقيم لأصبح الجلاوي من المفلسين بحكم القانون الذي افترحه المقيم، والذي كان السبب في طرده من المغرب..

وهكذا فالعبد الغاوي التهامي الجلاوي منذ عهد ولي نعمته الأول الجنرال ما نْجَانْ قبل اليوطي إلى عهد الجنرال جوان وهو يعيث فسادا ويكون له من الثروات على حساب الاخلاق والقيم مالم يعرف لغيره قط في تاريخ هذا البلد، ما شئت من اتجار في المحرمات كلها بما فيها مواخير الدعارة، وبيع المخدرات «الكيف» والسطو على ممتلكات الاخرين بالظلم والقهر والاعتداء. وكل ذلك لم يكن خفيا على محمد الغزاوي الذي أراد ترويضه حتى يتحول من طريق الشر الذي شب وشاخ عليه إلى طريق الخير، بل زاد محمد الغزاوي قبل دخوله في تنفيذ خطته. فعرض الفكرة على العاهل الذي أجابه بقوله يقول محمد الغزاوي «جرب كل شيء ممكن..» وتناول الغزاوي الموضوع مع أصدقائه من الوطنيين الذين وصف بعضهم الفكرة بالخيال الذي لا يمكن أن يتحقق أبداً، وبعضهم أخذ الفكرة مأخذ الجد، وفي مقدمة هؤلاء بل الذين تحمسوا لها كل من محمد الزغاري وعبد الكريم بن جلون والحاج أحمد بلا فريج، ثم التحق بهم آخرون بعد عندما بدأ الرجل في التطبيق ومنهم بن بركة وبن عبد الجليل.

لكن الذي حير القوم هو كيف تكون البداية، وإذا الموضوع في نظر الغزاوي لا يختلف عن صفقة تجارية يحتمل أن تكون رابحة أو العكس، فإن الرجل الذي تعود كيف يصنع مقدمات الإغراء التي جربها كثيراً منذ البداية، مع الإسباني.. باتينيو» صاحب الحافلة مفتاح الربح ومع غيره من الفرنسيين والألمان وغيرهم يمكنه بكل سهولة أن يبتكر

الوسيلة للاتصال المناسب في الوقت المناسب، وما كاد يعرض الفكرة على القوم حتى هش الجميع لها وبشوا بل حسبها بعضهم المهدي بن بركة ومحمد الزغاري والبقية أحمد لحمياني ختات ومحمد أبا حنيني... فتحا يجب أن لا يضيعوا فرصة المشاركة فيه، والتكن المناسبة هي مناسبة عيد العرش الذي ألف المغاربة الاحتفال به فوق العادة، وأثناءه تتحول مدينة الرباط قبلة كل المغاربة كبيراً وصغيراً، بل وتشاركهم حتى الإقامة التي تتصنع المجاملة مرغمة، وكان من العادة أن كل الموظفين الذين يشاركون في احتفالات القصر الملكي يتوجه المتعاونون ذوي الشفوف منهم إلى دار المقيم العام الذي كان هو الآخر يومه يقيم حفل شاي مفتوح لكل ذوي الاعتبار، وفيه يحضر إلى جانب ادارة المقيم كبار المحافظين والعمداء من مختلف الجهات وجميع رجال السلطة الذين يوجدون وقتها في الرباط، وإذا كان التهامي الجلاوي من بينهم فإن محمد الغزاوي وضع خطة لتخدير أعصاب المقيم الذي هو الجنرال جوان والذي لم يسبق لسياسي وطني أن فكر فيها وهي خطة سيستهوى بها المقيم الذي لم يسبق له أن اتصل به أحد من الوطنيين الكبار الذين كان يعرف عنهم الكثير بواسطة الجواسيس الأشرار صناع الماسي أمثال الجاسوس المسمى عبد العزيز الفاسي، الذي وقفنا على تقاريره المتعددة التي احتفظت بها رفوف وزارة الداخلية منذ عهد قالا صاحب المنشور المشهور ضد العاهل عام 1948م.

كان اليوم 18 نفمبر من عام 1949م وهو من أيام فصل الشتاء التي تكون أشعة الشمس فيها دافئة في مدينة الرباط، وبقدر ما كانت الأشعة تنعس على وجوه القوم القرمزية المصفحة وثيابهم البيضاء، بقدر ما كان شموخ الجنرال المقيم بينهم يتعالى وكأنه يستمتع برقص فرقة من الفولكلور التي لا ينقصها وقتها إلا الشيطان الاعور الذي أصبح المغاربة كلهم عنده كذلك، وهو الذي أصبحت الرذيلة في سلوكه بالوراثة فضيلة.

وبينما الجنرال الأبتر المغرور كذلك والقوم في نشوتهم، وعلى غير العادة أقبل فريق من أكرم رجالات المغرب لم يتعود أحد من الحاضرين على رؤيتهم قط في ذلك المكان. وقد مر فيه كثير من المقيمين، إنهم أولئك الذين استهوتهم فكرة محمد الغزاوي وقد اختاروا مشاركته في الصفقة التي ان كانت مربحة فلسوف تعود عليهم بالذكر الجميل،

وإن كان العكس يكفيهم التعرف على نفسية الجنرال من قريب، ثم يتعرف عليهم هو كذلك من مستوى مذاكرتهم وتكوينهم الجيد، الشيء الذي لا محالة سوف لا يرضيه، خصوصا من المهدي بن بركة الذي كان يعرف كيف يستعد لمثل تلك المناسبات.

كان الفريق الغزاوي يتكون من: محمد الزغارى، وعبد الكريم بن جلون والمهدي بن بركة، وأحمد لحمياني ختات، وأحمد ومحمد أبا حنيني هؤلاء جميعا متكاتفين خرجوا من القصر الملكي بعد استقبالهم من طرف العاهل الذي كان على علم بما سيقدم عليه القوم وقتها. مما جعله ينظر إلى الغزاوي نظرة ومعها ابتسامة الدعاء بالتوفيق.

أقبل القوم على الجنرال الذي حسب أنهم ما فعلوا إلا أنهم عرفوا تصريحاته أنه سوف لا يكون مثل سلفه إريك لابون، بل جاء ليعيد الأمور إلى نصابها، وبذلك الوهم والغرور كان يصول ويجول بين القوم الذين كانت الساحة قد امتلات بهم، بل يومه كان قد مر عليه بالمغرب أقل من سنتين وأنه بعد سيتجول في مختلف جهات المغرب حيث وزع الأوسمة حتي كاد يعلقها على صدور أشباه الحمير وبذلك ينتشرصدى جبروته المرعب حسب وهمه، ولذلك وقف شامخاً في خيلاء ظاناً أنه حقق بتوارد تلك الجموع ومنهم قافلة الوطنيين، الذين ما أخذوا يتبادلون معه السلام فرداً فرداً وكله انشراح وسرور، بل أقبل على مذاكرة معهم فرداً فرداً ثم أعطى ظهره لكل ما كان حوله من آكلي الجراد وأشباه الذباب في نظره حتى إن موظفي إدارته كانوا يحولون بينه وبين الآخرين ما دام منسجما في حديثه مع الجماعة التي جلبت انتباه القوم جميعا بشكل فسره كل حسب مستواه.

وحتى إذا ما انقضى ما في جعبة المقيم، وكان بعضه بالمناسبة حول العاهل الذي كرر أنه لا يريد به شراً كما عبر وزين له وهمه وغروره، وقد رآه الجلاوي حين استأذن من الجماعة ثم تركهم تأدباً حتى يتحدثوا مع الاخرين وقد شغلهم وقتا غير قصير كان العبد الآبق وبدافع المركب الذي يثقله في مثل تلك المناسبات، ينتظر فراغهم بصبر حتى يتصل بهم ثم يراه الجنرال وقد أحاطوا به مثل ما فعلوا معه خصوصا وأن العبد الغاوي كان قد أشار على رفاقه الذين يستعملهم في تلك المناسبات بما يجب أن يفعلوه بعيداً عنه.

وفعلا ظهر بالقرب من الجلاوي رجل أعور قيل هو ابن أخيه، وكان يعرف ما يريده

منه عمه بالإشارة، كان للرجل قبل صلة مع محمد الغزاوي الذي كان ينفحه كلما زاره من أجل ذلك، وكان هو الآخر يرقب حركة الجنرال الذي ما كاد ينفصل عن الجماعة حتى أقبل الأعور على محمد الغزاوي وهو يردد كل عبارات الثناء والترحيب التي ختمها يخبر بحضور عمه وهو يتمنى رؤية الجماعة، وبينما هو كذلك انضم إيدار الوصيف إلى قرينه ثم قال له بعد تحية «هل أخبرت السادة أن سعادة الباشا يود رؤيتهم» وكانت مهمة الأعور وزميله محاسب البياز حارس المقيمات بعرصة موسى وعرصة الحوت اللائي يستثمرهن العبد الغاوي التهامي الجلاوي في مجال الدعارة كما قرر ذلك المستشرق الفرنسي «ماسينيو» وأوردته جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء بالجزائر كما سنرى.

وفعلا ما كاد محمد الغزاوي يسمع قول الأعْوَرْ وزميله حتى التفت إلى جماعته وكأنه يقول لهم. ما رأيكم؟ وهذه الخطوة في نجاح الخطة، وفعلا توجه القوم يتقدمهم محمد الغزاوي إلى حيث كان الجلاوي الذي وقف هو الآخر من مكانه ثم تقدم خطوات في تجاه الرجل المقبل الذي كان وحده في حين بقي القوم ينتظرون رد الفعل ما داموا لم يتوجهوا مع صاحبهم، وبينما هم كذلك لاحظوا إقبال الرجل ناحيتهم فتوجهوا نحوه بابتسماتهم مرحبين حتى لا يشعر بغير ما أظهر صاحبهم، وبذلك تلاشى ما كان القوم قد أضمروه وقت ذهاب صاحبهم استجابة للرغبة التي حملها الأعور وقرينه، وإذا الرجل كان هادفاً من وراء كل ما حصل فإنه سرعان ما ظهر أنه يبحث بنظراته تجاه سيده الجنرال الذي كان هو الآخر قد صوب إليه نظراته وكأنه يقول له «هنيئاً مريئاً» مما دفع بالعبد الغاوي إلى الشموخ أكثر، وإذا الرجل طويل القامة ووجهه الكاسف الأسود يظهر من خلال أرفع الثياب التي كان يرتديها وكأنه المشهاب الذي يحرك به مسخن حمام عقبة بن ناهض من المدينة التي شقي به أهلها، خصوصا وأنه زاد طولاً على رؤس ما حوله، وبذلك كان يحملق تارة هنا وأخرى هناك، وفي تجاه الجنرال الذي كان القوم معه قبل قليل، وأنه اهتماما بهم امتنع عن غيرهم كما كان مساعدوه يحرصون حتى لا يقرب منه أحد ما دام منسجماً في حديثه معهم، وهاهو أعنى الجلاوي قد استقل بهم جميعا وكذلك يفعل مساعداه الأعور وقرينه يمنعان الآخرين حتى لا يقطع أحد حديثه مع كبار

الوطنيين، وحسب علته رأى أن في ذلك دلالة على علوٍ مقامه وما يزنه في نظرهم، بل وقتها ما عرف للجلاوي وهو الذي يعرف ما يحمله من وِزْرٍ زاده مركبا أنه انشرح وابتهج كما حصل له في تلك الساعة التي استجاب له فيها القوم بحضور الجنرال وأمام تلك الجموع، وأراد ان يمدد زمن البهجة والانشراح أكثر حتى يراه الجميع وينقل ذلك إلى أهل مراكش، وقد حسبها فرصة لم ولن تدرك لذلك وجه الدعوة للجماعة ليقوموا بزيارة مراكش حتى يحتفى بهم كما يريد، بل طلب منهم وبإلحاح أن يستجيبواْ ويحددُوا معه الوقت حالا وقبل مغادرتهم وإذا العبد الغاوي كان يلاحظ ومن بعيد نظرات القوم وقد اتجهت نحوه بما فيها نظرات بونيفاص فإنه لما ودعوه في تجاه الجنرال حتى يرى مفعول التفاف القوم حوله كما كانوا مع الجنرال، وفعلا وبلا حاجة للفراسة أدرك ما كان يجول في خاطر الجنرال من قبول واستحسان من الابتسامة العريضة التي اتفق فيها كل من الجنرال وسجان المغرب وقتها بونيفاص، الأمر الذي جعل العبد الغاوي يشمخُ في خيلاء وكأنه حقق من الانتصار بشد خيط الاستمرار ما عجز عنه الجنرال، لأنه فتح قلوب القوم الذين هم قمة الحزب الوطني وتقدير المواطنين، الأمر الذي زاده إلحاحاً على القوم حتى يحددواْ له وقت الزيارة بمراكش، ومن أجلَ ذلك كان يغدو ويروح أكثر من مرة.

وفعلا حصل القبول من الجميع، وسيحدد وقت الزيارة مع إيدارْ بالاتصال في الوقت المناسب، وإن كان الكل قد اتفق وحسب اقتراح العبد الغاوي أن أول فصل الربيع هو أليق الفصول لزيارة مدينة مراكش، ولئن مضى ذلك اليوم الذي ترك له أثراً في النفوس بشكل أصبح القوم معه كل حسب تقديره وتصوره يكن الإكبار والتقدير لمحمد الغزاوي الذي عرف كيف يخطط وكأنه يتصرف في شيء كان معلوماً ومُحدداً من قبل، ولذلك ترك له الاختيار حتى يحدد الوقت المناسب للزيارة ثم هو يخبرهم بذلك، وإذا كان محمد الغزاوي لم يقطع حبل الاتصال مع العبد الغاوي الذي كان يبحث ويستقصى من حين لآخر، وكان منه ذلك أكثر عندما أخبر عن صدى ذلك الاتصال بين أهل مراكش ولذلك حسبها فرصة العمر لا ليباهي بها على الجنرال الذي كان ينتظر النتائج بعدما أخبر بانتظار الزيارة، بل وعلى الوطنيين المراكشيين الذين هم رغم سلطان القهر المتسلط عليهم من العبد الغاوي فإن احتقارهم له كان له مفعول وأثر في نفوس أحرار المنطقة

الذين لم يردعهم الجلد والسجن وكل أنواع النكال، ولذلك كان حرصه أشد حتى تتحقق الزيارة التي حدد لها بداية النصف الثاني من شهر فبراير 1950م وإذا لم يحدد العدد بل ترك الاختيار لمحمد الغزاوي، فإن الكثيرين من رجالات الحزب الذين سمعوا بالقصة وكيف كان التخطيط لها ثم هم تعرفوا على أهدافها ابدَوْاْ رغبتهم بإلحاح أن يكون لهم حظ في تلك الزيارة التي تكونت قافلتها من ثلاث سيارات ملئت بالذين اندفعوا للاعتقاد يقينا بتحقيق الفتح الجديد الذي إذا ما تم يكون هو أكبر انتصار للفكر الوطني وانهزام للجنرال الذي دخل في صراع عنيف ومن وراء ستار مع العاهل وحزب الاستقلال، مما أصبح يحتم تحديد الموقف الذي لابد فيه من فصل ذوي الوجوه المتعددة عن قافلة إدارة الحماية من جانب، ثم معرفة ما يبيته العملاء الكبار من جانب آخر، والذين لا شك يصبهم الشلل إن هم افتقدواْ كبيرهم الذي هو العبد الغاوي التهامي الجلاوي.

كان تفاؤل الجماعة يتقدمهم محمد الغزاوي كبير في تحقيق الهدف الذي هو ترويض العبد الابق الغاوي التهامي الجلاوي وإمكان رده رغم ماهو عليه إلى صفوف الوطنيين، وكان ضمن القافلة هذه المرة أحمد بلافريج الذي له سابق تجربة تافهةلا تذكرزينت العبد الآبق في نظره، وهي أنه قبل كان قد أبعد منفيا إلى مدينة مراكش، ولما أراد حاكم الناحية أن يُشدد عليه وقف في وجهه الجلاوي قائلا له: إنني المسول عنه وعن غيره في البلد ولا دخل لك في شأنه ثم هو ترك له حرية بعض الاتصال بالآخرين ضمنهم بعض الوطنيين، وهو عمل لا يغير من الواقع قليل ولا كثير، ثم هو في نفس الوقت وسيلة إعلام لفائدة العبد الغاوي التهامي الجلاوي، ولذلك وقتها كان بلافريج ممن لونوا للغزاوي وللقوم صورة العبد الابق في نظرهم باللوَن الأخضر، ونسي الرجل الطيب بلا فريج أن عود الثقاب لا يولع إلا مرة واحدة وأن من شب على شيء شاب عليه، وأن القوم يتقدمهم محمد الغزاوي الذي تفاءل بالنجاح في مقدمات المخطط إنما يضرب في حديد بارد، وأنه تزول الجبال ولا تزول الطباع.

امتد حبل الأمل في نفوس جميع أفراد القافلة ومن محمد الغزاوي صاحب التخطيط أكثر عندما حلوا بمدينة البهجة حيث وجدواْ الرجل في استقبالهم وقد وقف معه كل الذين هم تحت تصرفه حتى يكونوا في خدمة الجماعة التي قط ما اتفق أنها توجهت

بذلك العدد لناحية من النواحي، حتى أن القوم لما رأوا الترحيب من الكبير والصغير وقت تجوالهم بالمدينة حسبوا أنهم سيطر واوطنيا على مدينة مراكش وما حولها. وأن سكان تلك النواحي بعد سيصبحون في طليعة أنصار حزب الاستقلال، وأن فتح المدارس الحرة الذي هو برنامج العاهل المفضل وقتها سيعم تلك الجهات بما يحمله من جمع المال من المحسنين للبناء وأن حفلات التدشين سوف لا تنقطع.

أما العبد الغاوي فقد كان تصوره هو أنه مقبل على الزيادة في الاسهم بإقبال الجنرال المقيم وكل ما يتبعه على حسن سياسة العبد الغاوي الذي استطاع أن يكسب قلوب ذلك العدد من الوطنيين الذين هم سبب كل المتاعب التي تكلف إدارة الحماية من الانشغال ما يجعلها تضعهم تحت الرقابة في السر والعلن، وأن السيطرة عليهم بواسطة العبد الغاوي ستجرهم إلى دار الإقامة العامة والاقبال على المقيم، وإذاً ما على العبد الغاوي إلا أن ينتظر الجزآء كما قدر وأراد، ومن أجل ذلك شدد على إطالة زمن الزيارة ثم خصص لخدمة الجماعة والسهر على راحتهم كلا من البشير الشرايبي وإيدار الوصيف، لكن بعد أسبوع ملئ بكل ألوان المسرات كان محمد الغزاوي أكثرهم يحاول فيه التقرب من الرجل حتى يفاتحه في موضوع الترويض، بيد أن العبد الغاوي كان هو الآخر يريد شيئا من ذلك في الاتجاه الآخر، وإذا كان الغزاوي كلما استقل بقومه يحادثهم في الموضوع وأنه لم يتحقق له شيء من التخطيط، بل تأكد له أنه فشل كل الفشل في الترويض. وأنه لا فائدة ولا أمل مما دفع بعضهم أن يقترح لتكون المذاكرة من الجميع صراحة مع الرجل على مائدة الغداء وإذا ما استحسنت الفكرة من الجميع فإنه اختير لها وقت العشاء حيث أدلى كل بدلوه وما في جعبته من وسائل الوعظ والتحسين بل والتفاضل بين الموقفين حتى يكون الاختيار أحسن قبولاً وعاقبةً، لكن الرجل ظهر أنه احترم وجودهم في بيته، وإلا كان قد أمرهم بالخروج ومغادرة المدينة حالاً، ووقتها بقدر ما تأكد للقوم أن الضباع والذئاب والخنازير وحمر الوحش لا تروض، بقدر ما تبين لمحمد الغزاوي أنه فشل في مخططه، بقدر ما كانت صدمة العبد الغاوي الذي سقط في يده ثم هو ضاعت آماله، هذا مع أن محمد الغزاوي ومثله العبد الغاوي لم يكونا يعرفان أن مخابرات الجنرال وجواسيس بونيفاص الذين لا يخلو منهم ركن من أركان قصر العبد

الغاوي لم يكونوا من الغافلين، سواء عن مذاكرات رجال القافلة فيما بينهم أو مع العبد الغاوي، وأن الذين هم على صلة مع الإقامة العامة كانوا يبلغونها ما يحصل أولا بأول يوميا ومن حيث لا يعلم العبد الغاوي الذي لم يفعل، بل سوف يحاول كتمان ما حصل مما سيجر عليه عكس ما كان يرجو ويؤمل من وراء الزيارة التي تحولت إلى صدمة لا للعبد الغاوي فقط، وإنما للجنرال الذي بين له بونيفاص أكثر مما تبين هو عن مقاصد الاتصال وهدف القوم بمناسبة عيد العرش وما نتج عنه من الزيارة لمدينة مراكش، والتي ربما يكون القوم قد حققوا فيها لفائدة حزب الاستقلال ما لم تصلهم أخباره.

عاد القوم من مدينة مراكش بخفي حنين، وقبل أن يعودوا وحسب الاستخبارات المشار إليها. كان كل من جماعة الاقامة العامة، وبونيفاص وفالا ودو تهيل قد جندوا وسائلهم للمزيد من التحقيق إن كان العاهل وراء كل ذلك، خصوصا وأن محمد الغزاوي لا يتحرك إلا بأمره.

وتبين من الاستخبارات التي تمت من وراء العبد الغاوي أنه أخفى عن سادته حقيقة ما حصل وأنه في الحقيقة ما فعل إلا بدافع خيبة الأمل، ولذلك كان لابد من سؤاله. لا لمعرفة أكثر مما تحقق لدى الإقامة العامة، ولكن ليتأكد لها هل العبد الغاوي لا يزال صادقا أم هو دخله شيء من الوهم، لكنه ما كاد يسأل حتى أجاب بحقيقة ما حصل وأنه وقع في الشراك الذي نصبه القوم، وأنه لم يكن يقصد من كل ما فعل سوى خدمة الإقامة وسياستها، ولذلك سوف يري منه الجنرال ما يرضيه وأنه سوف ينتقم لنفسه قبل كل شيء.

وإذا كانت اتصالات الوطنيين عموماًومحمد الغزاوي لم تتكرر قط. لامع الجلاوي رغم ما قام به أثناء الزيارة. ولا مع المقيم الذي اعتبر الزيارة بداية لعهد جديد من المعاملة بين الحزب والإقامة، بل جاءت تقارير الاستعلامات ورجال المخابرات بما يؤكد العداوة الشديدة لبرنامج الجنرال وأهداف سياسته، وأن العداوة كل يوم تزداد شدة وعنفاً، ولذلك كان على المقيم أن يسجل أسماء الجماعة في مذكرات حقده على حزب الاستقلال، كما وان على الجلاوي القيام بما يؤكد أنه هو هو وفاء وولاء لفرنسا وللمقيم والاقامة العامة واهدافها، وكان الذي يضع البرنامج ويشرف على تنفيذه هو بونيفاص

فكان من برامجه جولات الجنرال في عموم المغرب وأن يكون الجلاوي والعيادي والشرادي في استقباله أنى اتجه في جولاته، والتي من مقاصدها الخفية بعد توسيم كل الذين عرفوا بوفائهم لإدارة المقيم وسياستها هو التأليب ضد العاهل وسياسة حزب الاستقلال، ولذلك زادت جولات الجنرال التي عمت كل جهات المغرب منطقة النفوذ الفرنسي، وفيها وزع وسام ليجون دونور الذي تعتز به فرنسا حتى أنه علق على صدر بائع الدج إبن الشرقي بمدينة الجديدة الذي وقف وبجانبه قاضيها البشير بن عبد الله الفاسي الشهير بفضائح خياناته قبل الحماية وأثناءها، بل علق على صدر لحريزي بأزمور، وهو غلام ليوطي المشهور بقوله لليوطي «بليه وزركيه» يقول القاضي عبد الغني، بل كان من برنامج تلك الجولات إشراف الجلاوي على وضع لائحة المستقبلين للجنرال ومدام جوان وما يجب أن يقوم به المستقبلون من مظاهر الحفاوة وضمنها في المقدمة حضور الجلاوي والهاشمي العيادي والشاوش الأجرب محافظ خريبكة الشرادي الذي فاحت سمسرة الخطيب له وللعيادي والعياشي والتازي محافظ مدينة الرباط وللتاريخ فقد دمر الله تلك البيوت وتشرد أهلها وضاعت معالمها.

وإلى جانب ذلك صدرت الأوامر للجلاوي بشدة وعنف وحتى يكفر عن كل ما حصل قبل من زيارة الجماعة أن يكتم أنفاس تحركات أنصار حزب الاستقلال في منطقة نفوذه، ودام تطبيق البرنامج بقية سنة 1950. وحتى إذا ما اتسعت الهوة بين العاهل والجنرال ولم يبق مجال للتفاهم قام رئيس الجمهور بدعوة العاهل إلى زيارة فرنسا حيث تمت الزيارة بتاريخ 1950/10/5م ورغم الحفاوة الكبيرة جداً، فإنها لم تعد بما يرضى أهداف ومقاصد العاهل الذي تشدّد من أجل تحقيقها، وبسبب هذا الموقف من العاهل توجهت الإقامة العامة بعد الزيارة إلى كل من الجلاوي والعيادي للقيام بما يملي عليهما ضد سياسة العاهل، وبدأ الصراع بمطالبة الجنرال من العاهل أن يتبرأ من حزب الاستقلال لكنه لم يحصل سوى على الرد الذي حقر من شأنه في نظر العاهل والشعب معا. ووقتها فكر الجنرال في مجال آخر للصراع مع الوطنيين من خلال عرضه للميزانية العامة للدولة لعام 1951م في مجلس شور الحكومة الذي نظمه حسب الطريقة التي تحقق اهداف المستعمرين في الاستقلال بالسلطة والاستلاء على السيادة.

كانت الانتخابات كما سبق والتي قبل الوطنيون المشاركة فيها من أجل التعرية والكشف، قد جاءت بحوالي عشرة من الوطنيين إلى المجلس كما سبق، وكانت الاتصالات المكثفة بين العاهل وحزب الاستقلال بواسطة محمد الغزاوي، الأمر الذي دفع كل جانب ليخطط حسب تصوره لميدان الجولات وبالسلاح الذي يليق، وانعقد الإجماع على أن يكون الميدان هو نفس المجلس، والسلاح نفس السلاح الذي يليق فيه، والتكن دراسة الميزانية العامة التي مصدرها الشعب المغربي ولا يصرف عليه شيء منها، وكان الذي رشح لاشعال الفتيل وكشف عورة الجنرال هو محمد الغزاوي الذي خصص له ميدان الاشغال العامة والطرق خصوصا وبقية الميزانية عموماً.

في هذه المرحلة كان العاهل قد أصبح هو المخطط والموجه للسياسة والنضال ضد الأهداف التي تحاول القضاء على الذاتية المغربية، ولذلك أصبح هو المستهدف من طرف الإقامة العامة وجماعة المتسعمرين منذ أعلن عدم موافقته على كل ما كانت الاقامة العامة تقدمه من اقتراح ظهائر «مراسيم» حتى أصبح عددا لموقوف منها يعد بالعشرات ولذلك أصبح لزاما على العاهل أن يتقدم الصفوف لخوض معركة النضال من أجل التحرير وتحقيق الاستقلال.

وفي هذا الموقف أمر العاهل ولأول مرة بتكوين لجنة من ذوي الكفاءة لدراسة الميزانية العامة، ولو بالطريقة المفتعلة والمخجلة التي اختارها الجنرال الذي ما كان يتصور أن الفكر الوطني وقتها قد بلغ ذلك المستوى من الإدراك لفهم مقاصد السياسة التي كان يكفي كشفها فقط لمعرفة أهداف ومقاصد الجنرال والذين كانوا خلف الجنرال الذي لم يكن يتصور أن الطريقة التي وضعت بها الميزانية لم تكن في صالح سياسته، في حين أن الفكر الوطني أدرك أنه من خلال الكشف عن مقاصدها وأهدافها ستحصل المواجهة مع الاقامة العامة التي ستظهر عارية من جانب، ثم كشف السياسة الفرنسية وأنها ضد المغاربة في المغرب من جانب آخر، ولكم كانت الخطة رائعة انبهر بها الجميع وباتفاق مع العاهل تجند لها كل من المهدي بن بركة وعبد الرحيم بوعبيد ومحمد الزغارى، ومحمد الغزاوي. بعد ما جلبت لهم المواد التي صيغت منها الميزانية من مختلف الإدارات ومن غير أن تعلم إدارة المقيم، وكان ذلك هو دور محمد الغزاوي الذي كان

دائما وفي مختلف المجالات يقوم بشراء الفرنسيين حتى يستعمل كل في المكان الذي يليق فيه. وبذلك كان يتحكم في الكثيرين منهم سياسيين وإداريين ورجال الأمن كيف يشاء، وبذلك حصل على المعلومات المطلوبة لتوثيق دراسة الميزانية مع نقد وكشف ماهو مدسوس فيها.

ومن خلال نص وثيقة الميزانية لعام 1951م والتي كانت بحق بمثابة إشعال الفتيل. بل من خلال التقرير العام حول مشروع ميزانية المغرب كما وضعتها إدارة المقيم العام بإشراف دهاقنة المستعمرين وحماية الجنرال جوان تتعرف الأجيال المقبلة على حقيقة ما كانت السياسة الفرنسية تسعى إليه من القضاء على الشعب المغربي لتحل مكانه مجموعة من خليط الألزاس واللوريين والكورس وغيرهم، وهذا هو نص التقرير الخاص بدراسة ميزانية المغرب لعام 1951م وهو التقرير الذي أشار الجنرال جوان إلى ان السيد محمد الغزاوي وزعه قبل تدخله بيوم، (24) وقد أنكر عليه ذلك لان ما ورد في التقرير من حقائق كشفت السياسة الفرنسية عارية بفضائحها التي من أهدافها ومقاصدها زيادة على الإرهاق عدم تحقيق ولو 10٪ للمغاربة مما حققته للجالية الفرنسية في مختلف المجالات من تعليم وصحة واقتصاد وفلاحة وشؤون اجتماعية وهكذا فقد كانت مهمة محمد الغزاوي في مجلس المقيم وهي فضيحة الجنرال جوان وسياسة إدارة عهد الحماية.

يقول التقرير: الذي كتب باسم محمد الغزاوي وهو التقرير الذي كشف الاسرار واشعل النار.

من الواجب علي الاعتراف بأنني لم أقبل وضع تقرير عام لمشروع ميزانية 1951 إلا وأنا كثير الحذر إذ لايمكن للإنسان أن يقدم على وضع تقرير فيه نقد لميزانية المغرب دون أن يحاول إزاحة الستار عن مشاكل هامة ماسة بالسياسة والاقتصاد والشؤون الاجتماعية، لأنها تتحكم في سياسة الميزانية وترسم لها خطتها وأن الوقوف عند البحث في الميزانية من الوجهة المالية الصرفة قد يكون ولاشك عملا ناقصا وسطحيا.

(24) راجع إفريقيا تسير لشارل أندري جوليان ص 410 ط تونس مصدر سابق على أن وثيقة التقرير هي من محفوظات وثائق خزانة المؤلف عبد الكريم الفيلالي.

وإن الملاحظات والانتقادات والرغبات التي أبداها المقررون الذين سبقوني في هذا الميدان لازالت صحيحة ولها الفضل في إثارة جوانب من مشاكل المغرب الجوهرية»إلا أن الملاحظ أن هذه الرغبات لم تقابل بما تستحقه من الاهتمام.

وعلاوة على ذلك فإنه لايمكن تحقيقها في نطاق الوضعية الراهنة لأن الميزانية وهي من عمل إدارة الحماية تحمل الطابع والاتجاه السياسي المتبع في هذه البلاد. ولذلك لاتسمح بتغييرات ولوطفيفة. وأن مسائل كمسألة أسبقية التجهيز الاجتماعي، ومسألة تعميم التعليم وتوسيع نطاقه، والحريات الأساسية ومسألة الاستعمار، ليس من شأنها تغيير نظام الميزانية فحسب، بل نظام إطار البلاد السياسي، وما يدعو إلى الأسى هو أنه كثيرا ما اتفق خلال مناقشات مجلس الشورى الحادة؛ أن لاحظنا أننا في واد ومختلف مديري الإدارات في واد.

وأنه يوجد شبه اتفاق ضمني على أن نستمر في هذا الجو بما فيه من تناقض والتباس.

ولذلك فإننا نرى أن الأوان قد حان لإثارة الجدال حول المقصود بالذات.

وسيشكر لنا إخواننا المغاربة عملنا هذا. وكذلك الفرنسيون المقيمون في المغرب لأن مستقبل العلائق الفرنسية المغربية تفرض أن يكونوا على علم من حقيقة الواقع.

وقبل الشروع في العرض إسمحوا لي بأن أقول لكم إن من الواجب علينا أن نبين ما لمجلس الشورى من صبغة واختصصات إذ هذا المجلس هو على الأصح مجلس خاص للمقيم العام.

وإني أرى من الواجب علي أن أقوم بذلك لأن البعض لم يتردد في تصوير هذا المجلس في صورة مقرر بالمعنى الصحيح بمكانة نوع من البرلمان. وما هو إلا مجلس خاص للمقيم.

والواقع أن«مجلس الشورى» هو منَ منشآت الإقامة العامة إذ لم يصادق قط على إحداثه بمرسوم قانوني على ما نعلم فليس هو إذن مجلسا للدولة المغربية وإنما هو مجلس ذو وضعية مهنية واستشارية محضة.

هذا وسيكون همى في التقرير العام الذي أتشرف بعرضه هذه السنة أن أبين

المميزات البارزة لميزانية المغرب بصفتها أداة تنفيذ لسياسة الحماية.

وألفت نظركم إلى أنه لاينبغي لكم أن تنتظروا منى بمناسبة هذا العرض أن أسطر برنامجا بعيد المدى أعارض به برنامج إدارة الحماية. فكلنا أصبحنا نعلم ان اقتراحات من هذا القبيل لا فائدة فيها بتاتا لهذا المجلس فأحسن المشاريع في دائرة الإطار الحالي عديمة الجدوى.

فمن الأفيد في رأيي أن ألفت النظر إلى المشكلة في جوهرها ومبناها وذلك استنادا على أوضاع سياسة الميزانية.

فدراستنا لمشروع ميزانية سنة1951إنما هو كمثال؛ وإلا فإن الميزانيات الأخرى التي وضعت ونفذت منذ سنة1912لها نفس مميزات ميزانية هذه السنة مع فروق طفيفة.

فالميزانية في بلاد تحكم نفسها بنفسها حسب نظم ديموقراطية، تكون معبرة سياسيا عن إرادة الأمة ومرآة للمسائل التي تهم الدولة وموضحة للجهود التي تبذلها في تحقيق حاجيات الشعب الأكيدة.

وإن أهم ميزة للميزانية المغربية هو أنها تعبر قبل كل شيء تعبيرا واضحا مدعما بالأرقام عن سياسة الحماية.

وأن الذي يدرس الميزانية في جميع جزئياتها لابد له مُن أن يعتبر شيئا أساسيا وهو أنه يوجد بالمغرب عنصران من السكان الشعب المغربي والجالية الأوروبية، وان السياسة الاقتصادية والاجتماعية للحماية وبالتالي سياستها في الميزانية، توضع وتنفذ اعتبارا لهذين العنصرين:

كان نظام الحماية يعمل بكل وسيلة للتضحية بحاجيات الشعب المغربي المستعجلة الأولية، ويقدم عليها حاجيات السكان الأوروبيين.

ويتضح لنا ذلك من درس مصاريف مشروع ميزانية سنة1951.

المصاريف:

نص في مشروع ميزانية سنة1951 على أن المصاريف حدد مبلغها37783 مليونا من الفرنك. وحدد مبلغ ميزانية التجهيز بماقدره26201 مليونا من الفرنك.

وفي هذين البابين تخصص أهم المصاريف كما يلي:

الميزانية العادية

1 ـ الديون العمومية 7,97,000 39,34 من الفرنك أي 1,4 في المائة.

2- المصاريف على الموظفين

أجور الموظفين 39.347.97.00 من الفرنك أي51,2 في المائة

أدوات الإدارة 000 343 309 8 من الفرنك أي21,9 في المائة.

الأشغال الكبرى 2.639.000.000 من الفرنك أي7,1 في المائة.

3- مصاريف الأشغال الجديدة والتأثيث الأولى3.550.000.000 من الفرنك أي9,4 في المائة.

مجموع الفرنك 000 000 37,783 من الفرنك اي مائة في المائة .

ميزانية التجهيز:

التجهيز الإداري 000 800 328 1 من الفرنك.

التجهيز الاقتصادي 000 400 666 18 من الفرنك.

التجهيز الاجتماعي 000 000 176 6 من الفرنك.

مصاريف السلف 000 000 29 من الفرنك.

والذي يلفت النظر قبل كل شيء أن سير مختلف إدارات الحماية يستغرق80,2 في المائة من الميزانية الاعتيادية.

وأن مصاريف الإدارة لازالت تتضخم باستمرار منذ1912 وخصوصا منذ سنوات كما يدل على ذلك البيان الآتي :

بيان تطور نفقات الموظفين

سنة1939	556ملايين	سنة1948	10569مليونا
سنة1945	2100مليون	سنة1949	14562مليونا
سنة1946	3695مليون	سنة1950	17724مليونا
سنة1947	6767مليونا	سنة1951	19250مليونا

وأن السبب الأساسي في تكاثر المصاريف هو تكاثر عدد الموظفين الذين يتقاضون أجورهم من الميزانية، فخلال12سنة من سنة1938إلى سنة1950ارتفع عدد الموظفين من 19145 إلى42450 أي مايزيد على1 في المائة.

وإليكم الجدول الآتي لبيان نسبة المغاربة في هذا الجيش من الموظفين.

الوظائف	الفرنسيون	غيرهم	المغاربة	مجموع الموظفين	نسبة المغاربة من مجموع الموظفين
الوظائف العليا	3831	6	282	4219	9%
الوظائف الرئيسية	6162	6	1262	7430	16,1%
الوظائف الثانوية	10433	42.	4085	14560	2,8%
الوظائف الوضيعة	523	33	14416	14972	96,3%
الموظفون المتقاعدون					
والمكلفون بمهام	258	6	5	2619	1%

وتبرر الإدارة الفرنسية هذا العمل بأن هذا التطور طبيعي وضروري لأن سير مختلف الإدارات واتساعها يستوجب الزيادة كل يوم في عدد الموظفين لتقدم البلاد الاقتصادي وحالتها الاجتماعية.

والواقع أن الإدارة الفرنسية لها هدف آخر وهو توسيع إدارتها وتكثير عددها اعتبارا لسياسة الهجرة والاستيطان قصد تدعيم نظامها السياسي فليست الوظيفة هي التي تستوجب الموظف في المغرب بل الموظف هو الذي يحدث الوظيفة.

وإليكم القائمة الآتية لتروا أن بعض الإدارات زادت في عدد موظفيها بكيفية معقولة بينما إدارات أخرى زادت فيه بكيفية مدهشة:

العدلية والمخزن 728 483

التعليم العمومي 260 5581

الصحة العمومية 828 2012

الإدارة الداخلية وإدارات المراقبة الفرنسية	1112	1946
الإدارة الداخلية (القوات المساعدة)	3358	9202
الأمن العام والجندرمة	1795	5017

ومما تقدم يتبين أن قوات البوليس(إدارة الأمن العام والجندرمية والقوات المساعدة) يبلغ عددها وحدها14219موظفا من مجموع عدد الموظفين الذين يتقاضون مرتباتهم من الميزانية وهو14,450وأن الدولة المغربية تصرف على هذه القوات 4,430 135, 000 فرنك أي مايقرب من15في المائة ممايصرف على التسيير الإداري.

وأن المتصفح لمصاريف أجور الموظفين يكتشف عددا مدهشا من التعويضات الدائمة أو الطارئة بقطع النظر عن المرتبات الأساسية.

تعويضات عن السكنى

التعويضات المضافة للتعويضات عن السكنى العائلية

التعويضات المضافة مؤقتا للتعويضات عن السكنى

التعويضات المعروفة بالإضافة المغربية

التعويضات عن المصاريف الاستثنائية للسكنى

تعويضات لوازم العائلة

التعويضات المؤقتة عن غلاء الأسعار

تعويضات الاقتبالات

تعويضات عن التخصص

تعويضات عن الساعات الزائدة

تعويضات عن الأشغال الزائدة.

تعويضات عن الوظيفة.

تعويضات عن ازدياد الأولاد.

تعويضات عن الصندوق.

تعويضات خاصة عن الإعانة العائلية.

تعويضات عن الرخص لأجل تبديل الهواء.

تعويضات عن السفر على طريق إسبانيا. وذلك زيادة على الاعتماد العام المتعلق بالرخص المنصوص عليها في الباب24.

وستصرف من الميزانية في مدة السنة201.000.000 من الفرنك على رجوع الموظفين الفرنسيين لوطنهم وتوظيف آخرين وتنقلاتهم أثناء الرخص.

ونصت ميزانية سنة1951 في بابها المعنون بمصاريف طارئة، على أنه سيصرف مايقرب من600 مليون من الفرنك على مصاريف تنقل الموظفين والإعانات والمصاريف الطارئة المختلفة.

وتصرف ميزانية المغرب على الأدوات8.309.343.000 فرنك أي21,9 في المائة من الميزانية الاعتيادية.

وتنص الميزانية في بابها المعنون بمصاريف التأثيث والأدوات العادية على أنه سيصرف مايقرب من800مليون في شراء وتعهد الأدوات والإنارة والتدفئة وحمل الأدوات وشراء الورق ومايلي ذلك.

وأن مصاريف الإدارة على المأجورين والخدمة الطارئة وغير ذلك من المصاريف المختلفة بلغت سنة1950 ما يقرب من 1.123.886.000 فرنك.

وهكذا كما ترون فأين نحن من الدولة التي يشبهونها بالرجل النزيه والتي تصرف على الأمة كأنها رئيس عائلة يدبر فيحسن التدبير.

فالإدارة زيادة على أنها وافرة العدد كثيرة التدبير خصصت لتوسعها في ميزانية التجهيز لسنة1951 قدرا يبلغ 1.328.800.000 فرنكا بقطع النظر عن 300.000.000 من الفرنك المخصصة لهذا الغرض نفسه لفائدة إدارة الفلاحة في باب التجهيز الاقتصادي.

ميزانية التجهيز الإداري :

1948	1949	1951	1951
1995 مليونا	1402,2	1452,2	1328,8

وأن مازادته بعض الإدارات كالداخلية والدرك والأمن العام في ميزانية تجهيزها الإداري ليدل دلالة قاطعة على نوع الإدارات التي تريد الحماية تجهيزها أكثر ما يمكن.

	1948	1949	1950	1951
الداخلية	2356 مليونا	256	160	229
الأمن العام	245	300	288	210
الجندرمة	76,5	150	144	133

فهذه الإدارات المختلفة تحظى ب572مليونا من الفرنك لتجهيزها الإداري من 1.303.800.000 فرنكا لشراء أو تسيير سيارات إدارة الداخلية مثلا سيكلف الميزانية 75.500 فرنكا وتسيير سيار الأمن العام والدرك سيكلفها000 65.500 فرنكا.

بل غير هذا فمنذ بضع سنوات حملت ميزانية المغرب بعض المصاريف من أجل إدارات فرنسية بحتة.

ومن هذا القبيل النفقات العسكرية واستراتيجية كاعتمادات المراقبة الآلية والقوات المساعدة والجندرمة والطرق الاستراتيجية.

وقد خصص في القسم الثاني من الميزانية(في المادة13من الباب العاشر) للنفقات (الدفاع عن المغرب).

100 مليون لسنة 1950.

200 مليون لسنة 1951.

لقد حاولنا في الجزء الأول من هذا العرض أن نبرر بعض الميزات التي تتسم بها الميزانية المغربية وبعد أن نستعرض بكيفية سريعة حاجيات الشعب المغربي من جهة والمجهود المبذولة لسد هذه الحاجيات من جهة أخرى فسنعلم إلى أي حد تفكر إدارة الحماية في إرضاء مطامحنا.

فماهي حاجيات الشعب المغربي؟ من المعلوم طبعا أنها غير محدودة كحاجيات جميع المجموعات البشرية، ولكننا لانتحدث هنا عن الحاجيات الضرورية الملحة التي نحس بها جميعا.

التعليم:

لسنا في حاجة إلى التعبير عن شديد اهتمامنا بهذه المسألة فذلك أمر يعلمه

الجميع وإنما نلاحظ أن المجهودات المبذولة في هذا الميدان غير كافية بل تافهة جدا.

ويجب أن نذكر دائما أن نسبة7٪ فقط من أبنائنا البالغين سن الدراسة يجدون مقاعد في المدارس وهناك مليون ونصف من أبنائنا يتخبطون في الجهالة لعدم وجود مدارس تأويهم.

اننا نعلم جواب الإدارة بأن نحو العشرة آلاف من التلاميذ المغاربة يقبلون في المدارس كل سنة فإذا سارت الأمور على هذه النسبة فسوف لاتصل إلى حل المشكل بعد مضي قرن من الزمان هذا بقطع النظر عن كون عدد السكان المغاربة يزيد في كل سنة بمقدار 250 ألف نسمة على الأقل.

نعم إن مشكلة التعليم سوف لاتحل تحت تأثير العصا السحرية ولكن من المحقق أنها لن تحل بدون أن يبذل مجهود قوى فعال.

لنلاحظ على سبيل المثال أن ميزانية 1951 تخصص4.719.022 ألفا من الفرنكات للتعليم12,61,1 في المائة من الميزانية العادية وتحتوي هذه النسبة على المصاريف الخاصة بالتعليم الأوروبي وهي تقدر بنصف نفقات التعليم.

فيتضح إذن مما تقدم أن المبالغ المخصصة للتعليم الإسلامي لاتتجاوز نسبة6في المائة من الميزانية العادية وهذه النسبة لاتتغير في مجموع الميزانية ولو أضفنا إلى اعتمادات الميزانية العادية اعتمادات ميزانية التجهيز.

هذا بينما تبلغ مصاريف التعليم في بعض الأقطار التي تحررت أخيرا من الحكم الاستعماري نسبة40 في المائة من ميزانيتها.

بهذه الإحصائيات يرتفع الالتباس الذي يراد به إيهام الرأي العام أن نفقات التعليم بالمغرب تبلغ20٪ من الميزانية.

وسيوضح لكم زميلي السيد محمد عمور مقرر ميزانية التعليم بتفصيل وتدقيق العمل الذي قامت به الإدارة في هذا الميدان وكذلك النتائج المحصلة. ولكن أرى من واجبي قبل الانتهاء من الحديث عن هذه المسألة أن أؤكد أن الاعتمادات المخصصة للتعليم الأروبي تسمح بقبول جميع أبناء الجالية الأروبية في المدارس سواء في القسم

الابتدائي أو الثانوي فقد كان عدد تلاميد المدارس المعدة للأوروبيين في10نوفمبر سنة1949 يبلغ 58645.

في حين أن عدد تلاميذ المدارس المخصصة للمغاربة كان يبلغ19,707.

ورغم كون التعليم الأروبي الذي لايتجاوز عدد تلاميذه37 في المائة من المجموع فإنه يحظى بخمسين في المائة على الأقل من الاعتمادات المخصصة للتعليم كله.

ومن جهة أخرى يشتمل سلك التعليم الأروبي على1917 من المعلمين والأساتذة أما عدد المعلمين والأساتذة الذين يعملون في التعليم الإسلامي(الابتدائي والثانوي) فهو1913.

ويبلغ معدل مصاريف التلميذ الأروبي000 133فرنك بينما لاتبلغ مصاريف التلميذ المغربي الذي يجد مقعدا بالمدارس سوى16,000 فرنك.

الصحة العمومية:

عندما يطلع الإنسان على بعض الاحصائيات الرسمية المتعلقة بتزايد عدد السكان المغاربة لايسعه إلا أن يعتقد أن مصالح الصحة العمومية بالمغرب بلغت درجة كبيرة من التوسع والازدهار.

ويكفينا لمعرفة الحقيقة أن نلقي نظرة على مختلف ميزانيات السنين الأخيرة. فإليكم نسبة ميزانية الصحة العمومية من الميزانية العامة:

1947 5,8 في المائة

1947 6,4 في المائة

1949 5,6 في المائة

1950 5,8 في المائة

1951 5,9 في المائة

ففي سنة 1950 لم يكن لادارة الصحة العمومية إلا ما يقرب من 181 طبيب ويظهر أن في هذه السنة سيبلغ عدد أطبائها ما يقرب من مائتين.

فيتحصل من ذلك أنه يوجد بالمغرب طبيب واحد لـ000 45 من السكان.

أما البوادي فلا يوجد إلا طبيب واحد ل000 120 من السكان.

ومن هذا يتعين أن الصحة العامة لم تكن تحظى من لدن الحماية بالعناية الكافية.

على أنه في البلاد الأخرى التي مر على تجهيزها الصحي وتنميته عشرات الأعوام تختلف ميزانية صحتها العمومية مابين15 و20 في المائة من ميزانيتها الاعتيادية. أما المغرب الذي لازال محتاجا إلى جهود كثيرة في هذا الميدان فإن له000 14 شرطي و200 طبيب.

العدلية:

سأكتفي في هذا الباب بأن اقرأ عليكم بعضا من كلام محامين فاهوا به خلال مؤتمرهم الذي عقدوه بالمغرب يومي27و28ماي سنة1949وخصوصا عميدهم الأستاذ نيجل وإليكم فقرات من ذلك:

إن مسألة تنظيم العدلية مسألة قديمة ولكنها مسألة هي حديث المجالس وستبقى كذلك ويالأسف مدة طويلة.

وكثير من القائمين بهذه العدلية أو من الذين يرجع إليهم النظر فيها يقفون حجرة عثرة في سبيلها ويبذلون قصارى جهودهم في سبيل تأخرها وجعل الإصلاحات الطفيفة التي أدخلت عليها عديمة الجدوى.

فليس هناك تفرقة بين السلطات، فالفصل بين الخصوم انما هو إحدى اختصاصات أصحاب السلطة، فالاعتبارات الإدارية والسياسية تسود هذه العدلية وتحط من قيمتها وتؤثر كثيرا في أحكامها وأنظمتها.

فالباشاوات والقواد يتولون الأحكام لابصفتهم قضاة ولكن بصفتهم رؤساء وليسو مستقلين ولو شيئا ما عن السلطة العليا. وهذا شيء واقع يلزمنا أن نتذكره دائما.

وهم يتعمدون جهل تلك القوانين القليلة البسيطة التي تجعل حدا ما لسلطتهم القضائية لأنهم يأبون إلا أن تكون كلمتهم هي العليا، كما أنهم لايعصون للإدارة أمرا.

فهم في الواقع لايطبقون نصوصا قانونية وإنما يعاقبون.

وان أول رغبة لنا هي احترام الحرية الشخصية والقيام بحق الدفاع في المسائل الجنائية، إذ لاضمانة يتمتع بها الخصوم.

وأن أهم ميزة للنظام الحالي هي الازدراء التام بالحرية الشخصية، فالمغربي يساق إلى السجن حسب ما توحيه الأهواء والأغراض.

وإنه لايمكنه استئناف الحكم الجنائي الصادر عليه إلا إذا كانت عقوبة السجن

تتجاوز ثلاثة أشهر وعلاوة على ذلك فإن الوقت الذي يختار لاصدار الحكم عليه قد يكون سببا في إفلاسه، فإن كان ذلك زمن الحرث فإن حرثه يتعرض للتلف، وأقبح من ذلك أن يكون وقت الحصاد والدرس لأنه يساق إلى السجن من فوره ويترك كل شيء عرضة للضياع فيستغل جيرانه متاعه ويتركون بهائمهم ترعى في حقوله ثم إن ذوي السلطة المغربية يستولون على مابقى له من منتوجات.

وان تحقيق القضايا الجنائية يجرى في طي الخفاء في حين أن حضور المحامي بجانب المتهم شيء ضروري جدا لاسيما والتحقيق يجري على أسوأ حال وحتى بالمحكمة العليا الشريفة. وقد طال أمد هذا التدهور ولايطاق استمراره».

وقد تعرض الأستاذ بونى عميد المحامين للمشكلة نفسها في الاجتماع العام للمحامين الذي جرى بالدارالبيضاء بتاريخ 10 فبراير1950 إذ قال:

لاوجود للمحاكم ولا للقضاة ولا للقانون ولالحقوق الدفاع ولاللحريات الشخصية وكم يقع من تعد في حدود السلطة بكيفية مراقبتها.

إنها لسخرية ومأساة في الوقت الذي لاحديث إلا عن احترام كرامة الإنسان أن يشاهد كثير من الناس يحجبون وجودهم حياء لسماع ماجرى من مظالم في عهد سدوم في حين أنه يوجد على مرأى ومسمع منهم ملايين من المتحاكمين فريسة للجهل وللجمود ولاعراف باطلة مخجلة ولجور لانجاة منه لأن المتهم يساق إلى السجن من فوره والتحقيق يجرى في طي الخفاء والدفاع إنما هو صورى والقانون لاوجود له.

ولاحاجة لنا إلى أي تعليق بعد قراءة صفحات كهذه حررها رجال من ذوي المقدرة هم عمدة في هذا الميدان.

ولندرس الآن الاعتمادات المخصصة للعدلية المغربية

إنه لم يخصص لها في الميزانية الاعتيادية سوي000 840 350 فرنكا أي9٪ وهذا المبلغ يشمل حتى أجور موظفي المخزن الصدر والوزراء والمناديب ومختلف الكتاب والأعوان وكذلك مساعدة لمايسمى بالمعهد الإسلامي بباريز.

ولن أقول لكم في هذا الباب أن إدارة الحماية تهمل إصلاح العدلية المغربيةبل الأمر أشد من ذلك لأن الإدارة الفرنسية تتجاهر برغبتها الأكيدة في المحافظة على نظام العدلية لأن نظاما كهذا صالح تماما للمحافظة على أمن الحماية.

أمـا السكنى الأوربيـة فـقـد حظيت منذ تأسـيس مـصلحـة السكنى إلى الآن 3,535,900000 000 فرنك مقابل 2,199 900 000 فرنك انفقت على سكنى المغاربة وقد سلمت للأوروبيين 2,270 مسكنا ولم ينجز بعد سوى211 مسكنا.

وإن أزمـة السكنى لم تبـتـدئ بالنسـبـة للأوروبيين إلا في سنة1941عندمـا فـتـحت الحماية أبواب المغرب في وجه الاستيطان الأروبي. ويتجلى أثر هذه الهجرة الأروبية في إحصاء عدد الأروبيين الذي كان سنة 1939 280 ألف نسمة

وأصبح سنة 1950 420 ألف نسمة.

وقـد أوجدت السكنى لعـشـرات الآلاف من الأروبيين منذ سنة1941وفي نفس الوقت تقوم مختلف إدارات الحماية بتشييد مساكن للموظفين الذين تجلبهم من فرنسا.

الفلاحة:

ان المغرب بلاد فـلاحية فـأكـثر من75في المائة من السكان فلاحون ويعـيشـون من منتـوجات الأرض وهناك فلاحـة مغربية حـاجياتهـا عظيمة وفـلاحـة أروبية وهي فـلاحـة المعمرين.

وكان الواجب أن يكون تحسين حالة الفلاح المغربي أحد الأهداف الرئيسية للإدارة وسنعرف مفعول الجهود المبذولة ومداها في هذا الميدان كما تجلى لنا في ميدان التعليم من النتائج الملموسة المتحصلة.

«إن إدارة الأمـور الاقـتـصـادية كـمـا لاحظ ذلك الأسـتـاذ المهندس الفـلاحي المسيودومون، كانت تدعى مدة طويلة (بإدارة الفلاحة والتجارة والاستعمار) وهذا الإسم يدل بوضوح على أن نشاطها يكاد يكون مقصورا على مساعدة الاستعمار بالخصوص وتوسيع نطاقه».

وتتجلى أثر هذا النشاط في مناظر البادية المغربية نفسها التي يصفها الجغرافي الأستاذ سيليربي بقوله.

«هناك(1) مظهران متقابلان لمناظر البادية كما أن هناك معامل عظيمة مقابل

(1) منظر البادية بالمغرب مقال صدر بمجلس هيسبريس الجزء30 سنة 1943.

دكاكين للصناعة التقليدية، ومدن أهلية بجانب مدن أروبية، ومراقبون إلى جانب قواد، وأناس يلبسون البرانس وآخرون يرتدون الزي الأوروبي».

ـالفلاحة التي تتطلب تجهيزا فنيا وتدريبا خاصا لاوجود لهما عند الأغلبية الساحقة من الفلاحين المغاربة.

أما مكتب التعليم الفلاحي الموجود بهذه الإدارة والذي يشرف على عدة مراكز للتعليم والتدريب فهمه الأول إعداد المعمرين بدلا من تهيء الفنيين المغاربة القادرين على تكوين الإطار الفني للفلاحة المغربية.

فهذا مركز (كزافبى بيرْنارْ) الذي خصص له في ميزانية التجهيز لهذه السنة 1951 30 مليونا من الفرنك فهو- حسبما ورد في وثيقة رسمية- يقبل الشبان الذين سبق لهم أن تلقوا دراسة فلاحية ويراد تدريبهم على ظروف الفلاحة بالمغرب وفي الواقع أن هذا المركز معد لتدريب الشبان الفرنسيين الذين يتأهبون ليصبحوا معمرين.

أما مركز تخريج المدربين بفاس فقد كان من الواجب أن تكون الأكثرية الساحقة فيه من المغاربة لأنهم أجدر بنشر طرق الفلاحة العصرية ببادیتنا ولكنهم لايقبلون فيه إلا بصفة استثنائية وذلك لأنه يشترط أن يكونَ المرشح لهذا المركز من قدماء تلاميذ المدارس الفلاحية بفرنسا ويحملون الجنسية الفرنسية.

وفيما يرجع للجهود المبذولة في صالح الفلاح فقد ظهر بعد التجربة أن عمل الشركات الاحتياطية غير مجدي بالمرة، حيث أنها تسعى في نشر استعمال المحراث الثقيل الأروبي من غير أن تنظر إلى تحسين وسائل جره، وتدعى أنها تنشر استعمال البذور المختارة ولكنها لاتفكر قبل ذلك في تسميد الأراضي وتحسين طرق الفلاحة.

وهذا الأسلوب المتبع الذي يدعى(بسياسة مساندة الفلاحة المغربية) إنما يعمل في الواقع على إبقائها على حالتها العتيقة لكي يكون مصير الإصلاحات التي يدعون أنهم يحملون الفلاحين على قبولها- الفشل التام.

كيف يمكن للإنسان أن ينكر هذه الحقائق وأن لايعترف بأنه- بالرغم عن تلك الجهود الضئيلة التي قامت بها الإدارة، وعما قد يكون استفاده بعض كبار الفلاحين المغاربة فإن وسائل عمل أكثرية الفلاحين ماتزال على ما كانت عليه منذ38 سنة بل إن

باديتنا تنذر بضعف قوة أراضينا وانخفاض إنتاجها وافتقار سكانها مما سيؤدى حتما إلى دمارها ويفسح المجال للمرابين والمختصين.

وإني أقتصر على ذكر رقمين لهما مغزاهما فقد بلغت المساحات التي يحرثها المغاربة في سنة 1939 4 645 000 هكتار.

ثم نزلت في سنة 1948 إلى 3 950 000 هكتار.

ومعدل المساحات التي حرثها المغاربة من سنة 1941 إلى سنة 1948 لايبلغ إلا 3,656,815 هكتار.

نعم هناك محاولة فريدة كان من الممكن أن تأتى بحل للأزمة التي تتخبط فيها الفلاحة المغربية، ونعني بها مؤسسة التجديد الفلاحي(بييزانا) فقد كان يعلق عليها أول الأمر بعض الآمال نظرا لتصميماتها الجريئة التي كانت ترمى إلى:

1) تطهير البادية وذلك بترقية الفلاحة عن طريق التراكتور الذي هو الوسيلة الوحيدة لحل مشاكل الفلاحة حسبما يقتضيه طقس البلاد وما تتطلبه الحاجيات المتزايدة.

2) ترقية الإنسان بواسطة التعليم والعمل الطبي والاجتماعي وضمان حرية المناقشات في المجالس الإدارية.

ولكن لم يقع شيء من ذلك كله بل إن الحركة اتخذت من أول الأمر صورة استعمار إداري، الأمر الذي أثار في نفس الوقت معارضة الرأي العام المغربي المعادي لأي شكل من أشكال الاستعمار ومعارضة المعمرين الذين كانوا يرون في هذه الحركة مزاحما قويا.

وإذا كان من واجبنا أن نسجل كنتائج محسوسة لهذه المؤسسة إنشاء نحو ثلاثين مركزا والقيام بحرث نحو عشرين ألف هكتار على سبيل المشاركة أو بأجر والإشراف على32 ألف هكتار وإرسال نحو العشرين طالبا إلى مدارس فلاحية بفرنسا.

فلا يمكننا أن لانستنكر ما آل إليه مصير الفلاحين الذين نصبت تلك المراكز في أراضيهم حيث حرموا من التصرف في ملكهم وتراث أجدادهم. فبدلا من أن يصبحوا فلاحين يتمرنون على الوسائل العصرية باستعمال الآلات التي وضعت رهن إشارة

الجماعة فإنهم صاروا في الواقع عمالا مأجورين في مؤسسة أجنبية تؤدى لهم كما ذكرت ذلك وثيقة رسمية إما(كراء عن الأرض) وأما(حظا في الاشتراك) وهذا تبشير بأن المؤسسة التي كان من واجبها أن تعينهم قد انتصبت كمكترية للأرض.

ولابد أن نلاحظ عدم التوازن بين المبالغ التي أنفقت من ميزانية الدولة (1.638.128.000) والنتائج الحاصلة، ونحن نرى الإدارة المركزية للتجهيز الفلاحي تقتطع مصروفات المستخدمين وحدها.

434 2, 758 فرنك عن37 من الموظفين الإداريين والفنيين بالمركز.

و095 16, 459 فرنك عن41 من المستخدمين الذين يعملون في الخزين وفي النقل.

لقد صدق الأستاذ بالمعهد الفلاحي (المسيودومون) الذي قام بتحقيق في هذا الموضوع عندما حدد شروط نجاح مؤسسة التجديد الفلاحي في العبارات الآتية:

إذا كان القصد الوحيد من مؤسسة التجديد الفلاحي وهو حرث 15000 هكتار ورعاية15000 هكتار أخرى فيما بعد فإن هذا القصد لايبرر إحداث هذه المؤسسة.

ولن تعمر طويلا من الوجهة الاقتصادية. ولايمكن أن يحكم لها أو عليها إلا بمقدار تأثيرها في الأربعة ملايين هكتار التي يحرثها المغاربة.

إن مختلف اتجاهات الرأي العام المغربي مجمعة على نقطة واحدة. الكل يطلب منا مضاعفة عدد الفنيين والتعجيل باستثمار المملكة التي ليست بعد سعيدة، وبودي أن أرى بالبادية فنيين في الري ومهندسين فلاحين أكثر عددا من رجال السلطة.

ذلك هو أصل الداء الذي أصيب به الفلاح.

مداخيل الميزانية:

يتضح من تحليل حاجيات البلاد الرئيسية ومن مقارنتها بالنفقات المنصوص عليها في مشروع ميزانية سنة1951أنه لاوجود لبرنامج للعمل ينبني على العقل والمنطق وتراعى فيه مراتب هذه الحاجيات حسب أهميتها ويتضح من ذلك أيضا أن المصاريف لم تحدد حسب ما تقتضيه الضرورات الحيوية لتطور الشعب المغربي.

وأن دراسة الموارد المالية التي تستمد منها الميزانية المغربية حياتها سيمكننا من معرفة أي عنصر من عناصر السكان يتحمل أفدح التكاليف المالية.

جدول المداخيل الاعتيادية:

ينص الجدول التالي على مقررات المداخيل الاعتيادية لسنوات1951 و1950 و1938 مع مقارنتها ببعضها.

وقد رتبنا المداخيل على الأبواب العادية الثلاثة:

- الضرائب المباشرة.
- الضرائب غير المباشرة.

محصولات الأملاك المخزنية ومؤسسات الدولة ومداخيل مختلفة.

لقد بدا لنا من المعقول أن تدرج الواجبات التي تؤديها للميزانية الشركة الدولية للتبغ والدخان في باب الضرائب غير المباشرة نظرا لكون الضرائب المفروضة على أثمان الدخان يمكن اعتبارها من جملة ضرائب الاستهلاك.

مقررات مداخيل الميزانية الاعتيادية

	1951	٪	1950	٪	1938	٪
الضرائب المباشرة						
الترتيب والكلف	3160		3088			
ضريبة التجارة وضريبة التجارة الإضافية	2685		3374		190	
مايقتطع من الرواتب والأجور	1100		1300			
ضرائب مباشرة أخرى	655		56			
	80105	21,2	7818	23,2		17,3
الضرائب غير المباشرة						
حقوق الجمارك	11200	٪	10885	٪	182	
الضرائب غير المباشرة	4020		3071		207	
التسجيل وطوابع البريد	2850		2720		51	
محصولات الدخان	9900		3300		64	
	21970	58,	11971	59,9	604	55,3

محصولات الأملاك المخزنية ومؤسسات الدولة ومداخل مختلفة	1951	1956	1938
محصولات الأملاك	639	557	20
محصولات البريد والبرق والتيلفون	2385	2031,410	57
محصولات الفوسفاط ومداخيل مختلفة	2800	1382	222

إن الذين سبقوني من المقررين قد نبهواهم كذلك على طابع الحيف الذي تتسم به موارد الميزانية المغربية هذا الحيف الذي يظهر بوضوح من الجدول أعلاه حيث تحتل الضرائب غير المباشرة مكانا ممتازا بينما الواجبات التي تستخلص من أملاك ومؤسسات الدولة ماتزال غير كافية.

ولن يكون من العسير علينا أن نبرهن على أن الشعب المغربي هو الذي يتحمل عبء الضرائب غير المباشرة بعد أن نبحث عن كيفية توزيع التكاليف على السكان فيما يتعلق بالضرائب المباشرة.

الضرائب المباشرة:

الترتيب

يحتل الترتيب خمسي مقررات المداخيل في باب الضرائب المباشرة، ويكفي الرجوع إلى الأرقام التالية المتعلقة بميزانية1949لترى النسبة التي يتحملها الفلاح المغربي من مجموع هذه الضريبة.

1) مايؤديه الفلاحون

أصل الضريبة	الحرث	2,542,310 435
	الأشجار	188421705
	الحيوانات	1 147 793 008
مجموع أصل الترتيب		2,878 524 148
يسقط منه التخفيضات		19 506 130
الباقي		2 859 018 018

الترتيب المؤدى بإضافة السنتيمات188 3,36,685فرنك.

2) مايؤديه المستعمرون

الحرث	302 720 121
أصل الضريبة الأشجار	168 617 877
الحيوانات	21 079 667
مجموع أصل الضريبة	665 417 533
تسقط التخفيضات	203 803 338
الباقي	329 615 327

الترتيب المؤدى بإضافة السنتيمات610 519 372 فرنك

مجموع الترتيب لسنة 1949 790 204 609 2 فرنك

وهكذا فإن تسعة أعشار الترتيب يتحملها الفلاح المغربي

وهناك حملة أخرى تستعمل في عرض هذه الإحصائيات وذلك بقسمة مجموع مايؤدى عن ضريبة الترتيب في كل قسم من القسمين (الفلاحين- المعمرين) على عدد التواصيل المقتطع فينتج عن هذه القسمة.

للفلاحين معدل2537 فرنك

للمعمرين33,113 فرنك

ولكن هذين المعدلين ينبنيان على التباس ومغالطة على عدد التواصيل لاتعتبر أهمية الحرث أو الأشجار أو البهائم التي فرض عليها الترتيب، وكثير من الفلاحين الذين يؤدون الترتيب ويدخل توصيلهم في القسمة يملكون أقل من هكتار.

نعم هناك طريقة أقرب إلى الحقيقة تقتضي مثلا- نظرا لكون الترتيب مبنيا على أساس الإنتاج الفلاحي- أن يقسم مايؤدى عن الحرث على المساحة المحروثة في كلا القسمين.

المساحة المحروثة سنة 1949	3 641 000 هكتار
أصل ترتيب الحرث	1 542 310 435 فرنك
يسقط منه التخفيضات	19 506 130 فرنك
الواجب في الحرث	1 522 804 305 فرنك

فيكون المعدل مايؤديه الفلاح المغربي عن الهكتار المحروث 419 فرنك.

المستعمرون:

المساحة المحروثة سنة 1949 457 000 هكتار

أصل ترتيب الحرث 121 303,720 فرنك

ولن نسقط من هذا القدر جميع التخفيضات التي منحت للمعمرين في تلك السنة وهي المذكورة أعلاه لأن قسطا منها يتعلق بالترتيب المفروض على الأشجار وإنما نسقط من أصل ترتيب الحرث نصفه الذي يرد للمعمرين على شكل(منحة تشجيع على الحرث بالوسائل الأروبية) بقطع النظر عن الأحوال التي تسمح فيها الإدارة بمجموع الترتيب كما يقع عند حصول المعمر على إنتاج القمح في الهكتار يقل عن 8قناطير.

فواجب المعمرين في الحرث للسنة المذكورة1949 هو060 151,860 فرنك

ويكون المعدل مايؤديه المعمر عن الهكتار المحروث332 فرنك.

يستنتج من مقارنة المعدلين أعلاه أن الفلاح المغربي يؤدى عن الهكتار المحروث أكثر من المعمر بنسبة42 في المائة.

وإذا رجعنا إلى سنتي 1947 و1948 وأجرينا نفس المعطيات الحسابية وجدنا أنه أدى عن الهكتار المحروث.

	الفلاح	السعر
سنة 1947	303 فرنك	301 فرنك
سنة 1948	602 فرنك	553 فرنك

إن هذا الظلم فادح خصوصا إذا تذكر الإنسان الظروف التي يشتغل فيها الفلاح المغربي والنتائج الضئيلة التي يحصل عليها وقارن ذلك مع المحصولات الحقيقية التي هي أساس ازدهار مؤسسات المعمرين.

وهكذا فإن تخفيض50 في المائة من واجب الترتيب الذي يستفيد منه المعمرون لايعادله ماكان ينتظر من زيادة في هذا الواجب لسبب وفرة الإنتاج، فهو إذن مناف للمبادئ الاقتصادية إذ لم ينتج عنه أي تحسن في مداخيل الترتيب كما أن تجربة38 سنة دلت على أنه لم يساعد قط على تصميم الأساليب الفلاحية الحديثة.

والواقع أن هذا التخفيض عبارة عن امتياز ويستفيد منه عدد ضئيل جدا من المغاربة بينما يشمل المعمرين فيضاف إلى مايتمتعون به من المساعدات العديدة على حساب جمهور الفلاحين المغاربة.

والانصاف يقضي بأن هؤلاء أحق من غيرهم بالتمتع بهذا التخفيض نظرا لما يعانوه من الكلف وما يطالبون به من الأداء غير الاعتيادية.

ويزيد في هذا الإجحاف كون الترتيب والكلفة بقيا مدة طويلة الموردين الأساسيين في الضرائب المباشرة كما تدل عليه النسب الآتية:

نسبة الترتيب والكلفة من مجموع الضرائب المباشرة.

سنة 1920 90 في المائة

سنة 1939 37 في المائة

سنة 1948 55 في المائة

سنة 1950 40 في المائة.

ومجموع مايجبى من هاتين الضريبتين المفروضتين على البادية في تزايد مطرد وإليكم تطور مداخيل الترتيب.

سنة 1920 77 161 853 فرنك

سنة 1929 125 176 267 فرنك

سنة 1939 191 963 763 فرنك

سنة 1947 2 031 400 000 فرنك

سنة 1948 3.773.000.000 فرنك

تقدير سنة 1949 3 609 204 790 فرنك

ولم يطرأ الانخفاض الملاحظ في النسب أعلاه إلا منذ بضع سنوات بعد تأسيس الضريبة الإضافية للتجارة وضريبة الرواتب والأجور.

الضريبة للتجارة الإضافية:

هي الضريبة المفروضة على أرباح المؤسسات التجارية والصناعية والمهن الحرة ويلاحظ تزايد في نسبة مداخيلها من مجموع الضرائب المباشرة.

سنة 1944 202 241 000 فرنك

سنة 1946 315 474 000 فرنك

سنة 1947 897.818.000 فرنك

سنة 1948 1 484 629 000 فرنك

سنة 1949 3 257 554 950 فرنك.

وقد يظن الباحث عند النظرة الأولى التي يلقيها على نسب توزيع هذه الضريبة أن توزيع عبئها فيما بيم المغاربة والأوروبيين يقع على عكس ماهو عليه في الترتيب إذ أنها وزعت سنة 1949 حسب النسب الآتية:

على الأفراد (المغاربة 308 633 654 فرنك أي 9,5 في المائة

(الأجانب 666 738 999 فرنك أي 20,5 في المائة

المجموع 3 257 554 940 فرنك

ويستفاد من المعلومات التي أدلى بها أمام لجنة الميزانية (القسم الفرنسي) في يوليو سنة 1947م. فرومون- مدير المالية إذ ذاك أنه في سنة 1946:

- 15 في المائة من الضريبة الإضافية أدى من طرف أفراد مغاربة

- زيد في عدد الذين أدوا هذه الضريبة من المغاربة بمدينة الدارالبيضاء وحدها ثمانية أضعاف ماكان عليه في السنة قبلها حتى بلغ فيما يخص المغاربة.

مقابل 3200 5000 أروبي

ولابد من التنبيه إلى أن الحظ الذي تؤديه الشركات(أي70 في المائة) يشمل ماتؤديه مؤسسات الدولة كمكتب الفسفاط الذي دفع وحده سنة1949 عن الضريبة الإضافية ربع المجموع المتحصل من هذه الضريبة.

وعلى هذا فإن القسط الذي تتحمله المؤسسات التجارية والصناعية الأروبية من الضريبة الإضافية أقل بكثير مما يراد إيهامنا به.

وان الضرائب غير المباشرة تكون العبء الثقيل الذي ينوء تحته المستهلك المغربي.

الضرائب غير المباشرة

يمكننا أن نقول بأن أساس الضرائب غير المباشرة في المغرب- باستثناء واجبات التسجيل يستخلص من المواد المستهلكة فلذلك فالمتحمل لها هو جمهور الشعب وخاصة طبقة العمال والعائلات الكثيرة العدد. وأكثر المواد استهلاكا بالمغرب،ما يستورد من الخارج هي بالخصوص السكر والشاي والثياب القطنية والتوابل دخولها إلى المغرب يؤدى عنها الواجب الجمركي وكذلك عند الاستهلاك.

ويقع عبء هذه الضرائب على الشعب المغربي الذي يكون96في المائة من مجموع السكان كما يتضح في البيانات الآتية.

الواجبات الجمركية:

يبلغ تقدير مدخولها لسنة 1951 1200 1 مليون

وفيها مدخول الواجب المفروض على البضائع المستوردة قدره 150 10 مليون.

وتفيد إحصائيات الواردات لسنة 1949 أنه من بين مجموع الواردات التي بلغت قيمتها .-

3321 1 مليونا من الفرنك

تبلغ قيمة مواد الاستهلاك مايقرب من النصف

51463 مليونا من الفرنك.

فيها: 11846 مليونا من الفرنك للسكر

2952 مليونا من الفرنك للشاي

4813 مليونا من الفرنك للثياب القطنية

3882 مليونا من الفرنك لبقية الأثواب.

أما الضرائب غير المباشرة فإن موردها الرئيسي هُو الواجبات المفروضة على المواد المستهلكة. فمن مجموع ماقدر لهذه السنة وهو:

4020 مليونا من الفرنك

2470 مليونا من الفرنك على السكر

150 مليونا من الفرنك عن التوابل.

وقد استورد سنة 1949 من السكر600 169 طن. وإذا علمنا أن معدل مايستهلكه كل مغربي من هذه المادة الأساسية للتغدية عندنا يفوق 20 كيلو في السنة (وتقول بعض الإحصائيات الرسمية أن هذا المعدل يبلغ 28 كيلو) كان القدر الذي يستهلكه الشعب المغربي في السنة160 ألف طن.

أي94 في المائة مما يستهلك في السنة.

وتقدر قيمة مايستورده المغرب في سنة 1950 بنحو 15 مليارا من الفرنك

فتستفيد الميزانية إذا من السكر10في المائة للجمارك وهو واجب الاستيراد أي1500 مليون.

ضريبة الاستهلاك2100 مليون.

بل3000 مليون إذا أصرت الإدارة على فرض الضريبة على أساس نسبة20 في المائة.

فيكون مجموع ما تستفيده الميزانية(بقطع النظر عن مدخول ضريبة المعاملات) 3600 مليون و4500 مليون وهو مبلغ يفوق مدخول الترتيب يتحمله الشعب المغربي عما تقدم على نسبة94في المائة على الأقل.

نعم لقد أدرج في الميزانية هذه السنة من جديد واجب الضريبة المفروضة على الكحول ويقدر له200 مليون.

المتحصل من التبغ:

لقد أصبح مدخول التبغ والدخان أهم مورد من موارد الميزانية بعد السكر بسبب تكاثر إستعماله في الأوساط المغربية.

ويتجلى تزايد الاستهلاك في الإحصاء الآتي:

	المقدر المستهلك	قيمته
سنة 1939	1,860 000 كيلو	129 مليونا
سنة 1949	2,944 222 كيلو	4544 مليونا
المقدر لسنة 1950	3 200 000	5 ملايير.

ودفع للميزانية مما بيع سنة 1949 .....3200 مليون أي أن70 في المائة من ثمن التبغ ترجع للميزانية.

وهذا القدر الذي تدفعه شركة التبغ للخزينة المغربية يشتمل على حظ الدولة في أرباح الشركة والضريبة المفروضة على ثمن التبغ ويقدرلسنة1951 بـ3900 مليون.

يتأكد من البيانات والإحصائيات أعلاه أن الحظ الأوفر من موارد الميزانية غير المباشرة يجبى من المواد التي نستهلكها نحن المغاربة بكثرة.

ولايجبى من المواد التي تستهلكها المعامل والمصانع بالنسبة لما تقدم إلا الحظ اليسير. وفي مجموع المستوردات لاتتجاوز قيمة مواد التجهيز الصناعي الخمس.

ولن أتعرض لدراسة بقية موارد الميزانية وهي التي لاتجبى من الضرائب ويكفي أن ألاحظ ضآلتها بالنسبة لثروتنا الوطنية وأهمية الأملاك المخزنية والمعادن وغيرها.

وسنحاول الآن بعد هذا التحليل أن نستخلص التوجيه الذي تسير عليه الإدارة عند وضع مشروع مداخيل الميزانية.

فهل نرى الإدارة تسعى ليكون في مقدمة من يتحمل أعباء موارد الميزانية أولئك الذين يربحون الأرباح الطائلة؟ وهل نراها تجتهد للوصول إلى توازن معقول بين مبلغ الضرائب وبين طائفة الذين تجبى منهم؟

اشتهر نظام الضرائب في المغرب بكونه أخف نظام في العالم، والحقيقة أن أصل هذه السمعة يرجع إلى التسهيلات التي يتمتع بها كبار الفلاحين وأصحاب المؤسسات الرأسمالية الصناعية والتجارية- والأغلبية الساحقة لهؤلاء فرنسيون- وذلك بسبب إعفائهم من ضرائب عديدة لاوجود لها بالمغرب كضريبة المداخيل، وضريبة ربح السندات، وضريبة الرواج التجاري، وضريبة ارتفاع ثمن الأملاك العقارية وبعض الضرائب غير المباشرة المفروضة على السندات.

أما الحقيقة عن فداحة الضرائب في المغرب، فقد رأيناها في التحليل السابق الذي تبين منه أن أربعة أخماس المداخيل المادية تجبى من الضرائب، وأن العبء الثقيل منها محمول على الفلاحين والمستهلكين المغاربة.

ليس في نيتنا أن نطالب هنا بزيادة في الضرائب الحالية فإن ذلك إنما يزيد في فداحة العبء الذي يتحمله السكان في الحالة الراهنة، ولكننا نريد أن ننبه إلى أنه ليس من الصدق أن كون الضرائب التي لاعمل بها في المغرب، إنما هي من النوع الذي يفرض على الثروة.

إننا لاننكر أن المغرب متوقف على رؤوس أموال أجنبية تهاجر إليه سعيا وراء فائدتها وتساعد في نفس الوقت على تطور البلاد الاقتصادي والاجتماعي، ولكن هل من المعقول أو من مصلحة البلاد الاقتصادية أن يتحمل الشعب المغربي وحده القسط الأوفر من نفقات تجهيز يستفيد منه أصحاب رؤوس الأموال قبل غيرهم؟

على أن هذا هو الواقع كما تبين من دراسة مشروع ميزانية سنة1951 واسمحوا لي أن أقرأ عليكم شهادة تدلكم على أن الإتجاه السائد في مشروع ميزانية سنة 1951 هو الإتجاه الذي كان يظهر من ميزانيةالمغرب منذ سنة1912 فقد جاء في دراسة للأستاذ كاتنوز حول(الضرائب في المغرب)....سنة1927 مايلي:

لانسبة بين ما يستخلص من كل عنصر من عنصري السكان لفائدة الميزانية العامة ومن المفيد أن نقدر هذه النسبة بالأرقام على وجه التقريب متخذين مداخيل سنة1924 أساسا للحساب».

يقدر مجموع مااستخلص من الأهالي بنحو300 مليون من الفرنك منها107 ملايين عن الضرائب المباشرة(من مجموع113 مليون) و223 مليونا من الضرائب غير المباشرة(من مجموع268 مليونا).

فتكون مساهمة الأهالي في مجموع الضرائب وهو38 مليونا من الفرنك.

94 في المائة في الضرائب المباشرة.

82,25 في المائة من الضرائب غير المباشرة

86,21 في المائة من مجموع الضرائب.(1)

رغبات لجنة الميزانية:

بقي على أن أعرض على أنظاركم رغبات لجنة الميزانية ومقترحاتها ولكني استسمحكم أيها السادة أن أقوم قبل ذلك باستعراض لأهم الملاحظات التي أبداها المقررون الذين سبقوني في هذا المجلس منذ سنة1948.

فقد طالب المقرر العام لميزانية1948 السيد محمد الزغارى بتخفيض نفقات تسيير الإدارة(الموظفين والأدوات) وأكد ذلك من بعده المقرران العامان لسنتي1949 و 1950 السيد الحاج عبد الله الزواوي والسيد أحمد زروق.

---

(1) انظر كتاب(نظام الضرائب المغربية) كاتنوز مع تقديم م بييترى مدير المالية بالمغرب سابقا ص229–230.

وكانت النتيجة هي تضخم هذه النفقات على مر السنين

وقد تعرض المقررون الثلاثة لمسألة ذات أهمية كبرى وهي مسألة الترتيب فلفتوا الأنظار إلى مافي نظامه من ظلم وإرهاق وطالبوا بأن يحصل حد أدنى للإنتاج لايفرض الترتيب على من لم يصل إليه ويراعى فيه المحصول في الهكتار والتكاليف العائلية.

وهانحن نرى اليوم أنه مايزال العمل جاريا بنظام التخفيض الذي لايستفيد منه إلا طبقه خاصة من المزارعين وليس له أي أثر لفائدة تطور صغار الفلاحين.

وأنتم تعلمون ما ينجم عن تأدية أجور المكلفين بحساب الترتيب وجمعه بنسبة مائوية من مدخول الترتيب من شتى أنواع المظالم وقد طالب المقررون السابقون بأن تؤدى أجور القواد والأشياخ كسائر موظفي الدولة.

وأن التعديل الذي قرر إدخاله هذه السنة لايغير شيئا في الواقع من هذا النظام المستنكر.

ولم نحصل على نتيجة كذلك فيما يرجع لمطالبنا بإلغاء التسخير بالنفس وتعميم العمل بالتسخير بالمال.

وقد كانت الضريبة الإضافية موضوع تحليل طويل من طرف هؤلاء المقررين ولكن مسألة النسبة المجعولة لكل مهنة ماتزال معلقة، وإذا كان الحد الأدنى لفرض هذه الضريبة قد وقع رفعه فإنه لم ينتج عن ذلك عمليا أي تخفيف لفائدة صغار التجار.

ومن جهة أخرى وقعت المطالبة بتنمية مداخيل الأملاك المخزنية وقد حصل تحسين فيها ولكنه لايتناسب مع أهمية هذه الأملاك.

وهناك مسائل أخرى وقعت إثارتها كذلك:

- التجديد الفلاحي
- تجديد الصناعات
- إصلاح التعليم ونشره، وهذه المسألة المهمة أساسية بالنسبة لمستقبل بلادنا.
- الإسعاف الطبي
- الحق النقابي
- تنظيم العدلية.

وفي الميدان الاقتصادي أذكركم بالقيود التي تعانيها تجارتنا وحرية المبادلات

التجارية التي طالما وقعت المطالبة بها كما تتطلبه حالة بلادنا الفتية التي تحتاج إلى تجهيز بأحسن الطرق الممكنة طبقا لعقد الجزيرة.

وأذكركم كذلك بالملتمس الذي صادق عليه أعضاء لجنة المزانية بالإجماع يوم 22نوفمبر1949 المنصوص عليه في تقرير الأستاذ زروق هذا الملتمس الذي يلح على رغبة المجلس في مشاهدة الميزانية تتوجه بأكثر مجهودها نحو تطور البلاد الاجتماعي حيث أن تجهيزها الاقتصادي تقدم على تجهيزها الاجتماعي.

ومن المفيد أيضا أن نذكر المخابرات الشفاهية والكتابية التي قامت بها جامعة القسم الثاني إذ كانت ترغب شديد الرغبة في تحقيق بعض المطالب التي أثيرت مرارا في هذا المجلس ومعظمها ورد في اللائحة المذكورة التي قدمتها لكم. وأذكر منها:

حذف المكتب المركزي للنقل وإعادة تنظيم النقل الذي ينتظر حلا كدنا نيأس من الوصول إليه.

التعويضات العائلية التي بقيت تصطبغ بصيغة الميز العنصري رغم الضوابط الأخيرة.

سن الحالة المدنية وجعلها إلزامية للجميع.

اعطاء حرية الاجتماع للهيآت ذات الصبغة الثقافية والرياضية.

حذف التأشيرة على جوازات السفر للتنقل داخل البلاد.

وضع أنظمة المجالس الاستشارية.

تنظيم كيفية الانتخا وعمليات التصويت.

-مشاركة غرفنا في معارض المغرب وماشابهها.

فهل يمكننا أن نقول بأن إحدى هذه المسائل قد وقع حلها، إن الإدارة لم تضن علينا بالوعود، ولكنها في الغالب لم تتعدى هذا الدور.

ولذا فإني أتردد الآن في أن أضيف إلى القائمة الطويلة المطالب التي استخلصناها من أعمال لجنة الميزانية خلال جلستيها الخاصتين.

وقد ألح على أعضاء لجنة الميزانية في ذلك. وهاأنذا أقوم بهذه المهمة.

(أ) التذكير بالرغبات التي قدمت في سنتي1949-1950

1- التخفيض في نفقات التوظيف الإداري.

2- تحويل الاعتمادات المخفضة إلى نفقات التجهيز الاجتماعي.
3- إعطاء الأسبقية للتجهيز الاجتماعي في مصاريف التجهيز.
(2) ملاحظات على مشروع ميزانية1951
المصاريف :
1) **في الميدان الإداري:**
أ- حذف الوظائف الجديدة التي لاتهم تعميم الإصلاحات الاجتماعية في البلاد.
ب- تخفيض خمسين في المائة من الاعتمادات المنصوص عليها في برنامج نفقات التجهيز الإداري(الخدمات الجديدة).
ج- تخفيض مهم في الفصل25 من نظام النقل.
2) **في الميدان الاقتصادي:**
أ- إرجاع بعض النفقات الواردة في التجهيز الاجتماعي إلى نفقات التجهيز الاقتصادي، السكنى المدارس التطبيقية.
ب- يجب ألا نقصر الاعتمادات الواردة من صندوق التجديد والتجهيز عى نفقات التجهيز الاقتصادي وحده.
ج- التخفيض من الاعتمادات المخصصة للسكك الحديدية والكهرباء والري.
3) **في الميدان الاجتماعي:**
أ- تحويل الاعتمادات المخصصة للمدارس القروية في ميزانية الداخلية إلى ميزانية التعليم العمومي.
ب- تحويل المساعدة المخولة للمدارس الحرة من ميزانية التعليم العمومي إلى ميزانية الشؤون الإدارية وإضافة زيادة مهمة في هذه المساعدة.
ج- الزيادة في اعتمادات الإسعاف.
د- الزيادة في اعتمادات المنح.
ه- استخلاص اعتمادات مهمة لإسعاف المنكوبين في شمال المغرب وجنوبه.
4) **المداخيل:**
- إبقاء ضريبة استهلاك السكر على ماكانت عليه أي بحسب ضريبة قارة.
- معارضة اللجنة في إحداث ضريبة على النقل.

أيها السادة

لن أطيل الحديث بعد أن تفضلتم بإعارة أذن صاغية لهذا العرض الذي حاولت فيه أن أوضح لكم مميزات الميزانية من وجهة المصاريف ومن وجهة المداخيل.

وأن هذه المميزات لتعبر عن الاتجاه الذي تسلكه السياسة المتبعة في بلادنا منذ38 سنة ونجدها في مختلف البرامج التي توضع لبيان ماتصرف فيه ملفات(قروض) الحماية سواء منها ماوضع قبل الحرب الأخيرة أو ماتم تصميمه تنفيذا لمشروع.

إننا نعلم أن تجهيز البلاد بالموانئ والطرق والسكك الحديدية والسدود والكهرباء يرجع فضل إنجازه لهذه البرامج كما أننا نعلم أن الموارد غير الاعتمادية الاتية من رصيد التجديد والتجهيز- الذي يتزود قسطا وافرا من اعتمادات مشروع مرشال- قد ساعدت المؤسسات العمومية والخاصة مساعدة محسوسة في استغلال ثرواتنا المغربية بظاهر الأرض وباطنها.

ولكننا نلاحظ بمزيد الحسرة والألم أن التوزيع المفروض في نظام التجهيز وعدم التأهل الفنى الذي تركت فيه طبقاتنا العاملة، كل ذلك من العوامل التي تجعل استغلال البلاد يتابع دون أن تسير الوسائل للشعب المغربي لكي يشارك فيه مشاركة فعالة، بينما يتحمل عبء أداء تلك السلفات ويتضخم واجبها سنة بعد سنة.

إن هذا التطور الاقتصادي يرمي قبل كل شيء إلى تعزيز الوضعية الحالية وتثبيتها ويؤدي إلى تقوية سيطرة الجالية الأروبية.

ولايسعنا أمام هذه الحالة إلا أن نحس ببعض القلق فيما يرجع لمستقبل بلادنا ومستقبلنا كأمة.

وإن عملنا وإن كان عبارة عن صبغة استشارية صرفة، لايمكن أن يكون مجرد مصادقة على أعمال إدارة تعيش في مأمن من كل مراقبة من لدن الفكر العام.

وقد يكون خيانة منا للثقة التي وضعها فينا منتخبونا إن لم نقل إن الميزانية كما تضعها الإدارة وتنفذها عاجزة عن رفع مستوى الشعب المغربي. ونحن لانتوجه بانتقاداتنا إلى الأخصائيين الذين وضعوا هذه الميزانية ولكن إلى السياسة التي هم مضطرون إلى الخضوع لها.

فانتقادنا إذن موجه إلى نظام الحماية بأجمعه.

وقبل الختام يسرني أن أعبر عن تشكراتي لجناب مدير المالية ومساعديه لما أسدوه لي من معونة، إذ تفضلوا فجعلوا طوع يدي مستندات سهلت علي القيام بهذا التقرير.

رأينا كيف درست الميزانية العامة للدولة في المغرب لعام1951 ولأول مرة بأسلوب كاشف لمختلف وجوه الصرف سواء في ميدان التسيير أو التجهيز بطريقة أبانت أن المغاربة كانوا غرباء في وطنهم، ثم خصص لكل واحد أثناء المناقشة مايعنيه منها. وهكذا ففي دورة ديسمبر من عام1950م انعقد المجلس الذي يرأسه المقيم العام نفسه، والذي ماكان يتصور حسب إدراكه الناقص أن المعركة ستكون حامية، وماهي في نظره إلا قرارات يقررها ثم تمرر على الحاضرين ليقول المنافقون في حقها موافقون. كان محمد الغزاوي يتقدم قافلة العشرة من الوطنيين الذين تم انتخابهم كما سبق وأثناء دراسة الميزانية كان قد خصص له ما يعني الأشغال العامة منها والمواصلات وكان موعد تدخله يومي8-9-/12/1950م وإذا هو قبلُ درس الموضوع بما يكفي من الشرح والتحليل مع كل من المهد بن بركة، وعبد الرحيم بوعبيد، ومحمد الزغاري، ثم هو ميدانه النقل ومعرفة أسرار التجهيز والتسيير بالممارسة ولفترة أكثر من عشرين سنة قبل، فإن تدخله إلى جانب أنه مُبَيَّتٌ من أجل الكشف والتعرية وإشعال الفتيل ضد إدارة الحماية وماكان يدبره المقيم المغرور الجينرال جوان، وذلك بالكشف أكثر عن الواقع المزري الذي انتهى إليه المغرب تحت سلطة الإقامة العامة والإدارة الفرنسية التي تطاولت على السلطة واحتكرت كل مقدرات البلاد. وكان للنقد المكتوب بكل دقة وبيان أثره الذي أزرى بالجنرال وإدارته لأنه اعتمد الكشف عن الحقيقة المزرية بالأرقام ولم يعتمد الكلام، وفي الجانب السياسي كانت الحقائق تؤكد أن السياسة الفرنسية بإشراف الجنرال جوان وتواطؤ وزارة الخارجية الفرنسية بإشراف جورج بيدو، لم تعد ملتزمة ببنود عقد الحماية كما صرح بذلك الجنرال جوان نفسه يوم 1949/11/18م في معهد العلوم الاستعمارية، وهو التصريح الذي سبق لنا إدراجه، وإنما أصبحت سياسة الحكومة الفرنسية والإقامة العامة ترمي إلى مشاركة الجالية الفرنسية للمغاربة في السلطة، وهو مالا يقبل عرفا وعادة، بل تعمل سياسة الإقامة العامة وبإشراف الجنرال جوان وغروره المتهور لتحل الجالية الفرنسية مكان المغاربة ولو بالقوة، وهذا عمل فيه اعتداء صارخ لا من الإقامة

العامة في المغرب فحسب، بل حتى من الحكومة الفرنسية التي أطلقت يد الإقامة العامة، وكذا الجالية الفرنسية التي لم تضع حدا لتعسفاتها، ولم يكن في استطاعة من كان أن يوقف ذلك الاعتداء المفضوح ويوجه التيار الجارف إلى السفينة الهشة التي تحمل الفرنسيين في المغرب، مقيما ومعمرين غير العاهل الرمز الذي جمد كل تحركات الإقامة ثم جعلها تتحرك في فراغ تدمره الزوابع التي يثيرها غرور الجينرال الذي أهمل وأهملت اقتراحاته لقوانين هدم الذاتية المغربية، ثم هويد ورحول الدوامة التي لاشك في النهاية ستجرف السفينة التي يركبها الجنرال وجماعة المعمرين الذين يخطط لهم أمثال الدكتور إيرو وبونيفاص، وفالا، ودوتهيل. وكان ضمن برنامج تعرية الجنرال وإشعال النار من حوله، مناقشة فصول الميزانية بتلك الطريقة في المجلس الذي صنعه ثم حسبه خطوة إلى الأمام في سبيل تحقيق الهدف الذي هو نزع السلطة نهائيا من يد المغاربة ملكا وشعبا، والتي من أجلها رفع عدد الفرنسيين بالمغرب وفي بَحر سنتين من300,000 ثلاثمائة ألف نسمة إلى 410.000أربعمائة وعشرة. وكان لمحمد الغزاوي الذي كان يعمل حسب إشارة العاهل الدور الفعال ..حين نشر التقرير على أعضاء المجلس وتمكنت منه الصحافة قبل أن يصل إلى يد المقيم، ثم هو قام متكلما في المجلس وبأسلوب كاشف وفاضح لم يكن الجينرال يتصوره ولادار بخلده وخياله. وإذا كانت الخطة مدبرة لاستدراج الجنرال بالطريقة التي ... تتحركه معها وسائل الإعلام تحرج الحكومة الفرنسية ويرفع الستار عن ألا عيب وزارة الخارجية ورشاورى الجالية الفرنسية بالمغرب، والتي تجند لجمعها الدكتور إيروو من حوله، فإن ذلك ماحصل حين اشتد غضب الجنرال وارتفعت حرارته وضاع صوابه إلى درجة أنه فقد الاتزان ثم صاح مخاطبا الرجل وكان بحق قد نجح في مهمة الإثارة100٪ مما دفع بالجنرال وبانفعال مكشوف إلى أن يصيح في وجه الرجل بقوله:

«السيد الغزاوي أسكت وآمرك بالخروج من القاعة...».

وفعلا وقف محمد الغزاوي ثم في توأدة نظر إلى الجنرال نظرة فسرها بعد شارل أندري جوليا كما سنرى، وماكاد يتجه نحو الباب حتى انسحب معه بقية الأعضاء الوطنيين وهم:

محمد الزغارى، ومحمد الزيزي، وألحاج عبد الله اعمار السلاوي، وعمر السبتي ومحمد العراقي ومحمد بن الحبيب الخراز، ومحمد بن الجلالي بناني، الخ.

وحول هذا الموقف الذي شبهه شارل أندري جوليان بحادث 18 برومير الذي أحدثه نابليون بونابارت كتب يقول:

«وجدت الحوادث الأكثر خطورة يوم 12 ديسمبر 1950 بمناسبة عرض التقرير الخاص بالأشغال العمومية الذي قدمه محمد الغزاوي وهو تاجر كبير بفاس إلخ..ثم يضيف:

ولم يكن موقف المقيم العام نتيجة دافع عصبي، بل نتيجة قرار مصمم، فإنه التفت نحو الغزاوي ولوح بقوله: «لقد عدتم إلى السب في تقريركم وهذا خطير، وإني أسجله، ولاأسمح لكم إذا بتلاوته، لأنكم سدد تم بعض الضربة بتوزيعه، وبذلك بينتم عن مدى مايحدوكم من الضغينة، سيدي لم يبق لكم مجال في هذه القاعة لأنه يوجد بكل المجالس حدٌ للوقاحة والتحدي. وعليكم أن تغادروا القاعة..» ثم قال أيضا شارل أندرجوليان: «ولم يمر هذا الحادث الشبيه بحادث 18 برومير Broumoir دون أن يقلق بعض خصوم حزب الاستقلال الذين رأوا فيه رعونة على أنه لاجدال في أنه أحرز على موافقة أغلبية الرأي العام الفرنسي التي شعرت بنفسها هكذا في مأمن، وأما في باريز فقد كان تأثيره سيئا وبمعابر وزارة الخارجية وقع الإصداع بأقوال فيها شيء من الصرامة فالحكومة لم تتخلص من مشقتها»(25).

كان المجلس الذي غادره محمد الغزاوي ورفاقه أغلبيته مكون من الصنائع والعملاء الذين اختارهم المحافظون ورؤساء النواحي من الفرنسيين، وكان من بينهم العميل الأول الرخيص العبد الغاوي التهامي القلاوى على حد تعبير الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله، والجلاوي هو الذي عرفنا كيف حاول محمد الغزاوي ترويضه لصالح الجانب الوطني، في الوقت الذي كان عميل الاستعمار يحسب أنه باتصاله مع الوطنيين سيحقق لسياسة الجنرال ما يعجز عن تحقيقه غيره، لكنه سقط في يده عندما تبين له أنها كانت محاولة من محمد الغزاوي حتى يجره بعيدا عن ساحة الجنرال جوان، وإذا كان ذلك الموقف يعتبر خطيئة في حق سيده، فها قد جاءت المناسبة ليثبت العبد الوفي لسيده الجنرال وسادته من المستعمرين أنه الخادم الوفي الذي لايزال على العهد القديم.

وقبل أن يغادر الغزاوي القاعة انتفض الجلاوي منافحا عن الجنرال المجروح في

---

(25) راجع كتاب افريقيا الشمالية تسيرشى أندري جوليان ترجمة المنجرى سليم ود. صادق المقدم التونسيان وآخرين ص410 وحول حادث برومير راجع تعليق39 من نفس الصفحة ط الدار التونسية للنشر عام1976م.

كرامته بالطريقة المعهودة في العملاء المتملقين كلما أراد الوفي منهم أن يزداد حظوة عند سيده، لكن عود الغزاوي كان قد اشتدت صلابته ومكنت له التجارب التي جعلته ينظر إلى الجنرال وعملائه وكأنهم القردة في ساحة حديقة للحيوان، فلم يزد على جوابه للجنرال بنظرة ذات معنى عميق عمق جرح الجنرال، حيث غادر القاعة بنخوة ثم توجه هو وصحبه توا إلى القصر الملكي، ليجدوا العاهل في استقبالهم على عجل، وقد شايعتهم استخبارات الجنرال إلى أن دخلوا أبواب القصر، وماكاد محمد الغزاوي يقص على العاهل ماحصل وكيف أمكن أن يتحول الجنرال إلى شبه معتوه فقد صوابه، حتى ابتسم العاهل ابتسامة إنشراح بالفوز وأنه نجح في جر الجنرال إلى ميدان المعركة التي لامحالة ستذله وبطانته ثم هو بهذا الكشف والفضيحة سوف لايتمكن ولاتستمر حكومته في مسايرته في تهوره واندفاعه خصوصا وقد تناولت وسائل الإعلام في الشرق العربي مصر التي مزقت أعصاب المسؤولين الفرنسيين بطريقة لم يتحملوها وقد شاركت فيها وسائل الإعلام الفرنسي وبعض أحرار الفرنسيين بطريقة افقدت بعض الساسة الفرنسيين أقل مشاعر الاحترام في نظر الآخرين.

ومن وقتها اشتدت المعارك وحمي الوطيس بين العاهل الرمز الملتف حوله الشعب الذي تجند لتأطيره حزب الاستقلال وجميع أطره في الداخل والخارج وتحركت الإقامة العامة ومن ورائها الإدارة الفرنسية، واشتد الحقد بطريقة مفضوحة على محمد الغزاوي ومن الجنرال أكثر، خصوصا بعد فشل كل الوسائل حتى يمكن الإتصال بمحمد الغزاوي من أجل أن يهدد في مصالحه التي وجب أن يحافظ عليها، والتي إذا ماعزم الجنرال على تدميرها فإنها ستدمر لامحالة، وقد وجه الجنرال بذلك إشارة حملها العميل الفاطمي بن سليمان الذي لم يعرف كيف يتصل بمحمد الغزاوي الذي دخل وقتها في مرحلة التقية لكن حملها إليه عمر السبتي الذي اختاره بن اسليمان لذلك، إلا أن الجنرال جاء متأخرا، ثم هو فاته أن محمد الغزاوي أصبح يعيش تحت تأثير القُدوة الرائد محمد الخامس الذي اختاره لصداقته، والذي كان الغزاوي يسمع منه وهو صاحب أعلى مصلحة في البلاد ما كان يردده أكثر من مرة وبمحضر صنوه الأمير الحسن بن يوسف وولي العهد الأمير الحسن «ما قيمة المال والثراء والجاه والملك إذا ما فقد المرء اعتباره وكرامته بين

مواطنيه، وبالتالي يقينه في الله ناصر الحق، ثم هو أصبح يحيا في هذه الدنيا بلاهدف ولا أمل ولارجاء الخ».

كان محمد الغزاوي يتغنى بهذه القيم والمثل التي استمدها من محمد الخامس إلى آخر فترة من حياته، ولذلك وقد رأينا الرجل في مرحلة النضال وقتها ما كان له أن يسلك غير النهج الذي سار عليه محمد الخامس الذي كان هو أحب الناس إلى محمد الغزاوي الذي وفى معه في حياته وبعد مماته بطريقة لم تعرف لغيره، حتى إن زوجة محمد الغزاوي هي الأخرى دخلت المعركة بطريقة كادت تجعل منها الضحية مكان زوجها عندما اختارت هي الأخرى تضامنا مع زوجها وكان لها تأثير عليه عملا برسالة والدها أحمد بوعياد، وجدها الحاج العربي بوعياد، وعمها الحاج الحسن بوعياد رحم الله الجميع، وهم الذين يعرف تاريخ الحركة الوطنية مابذلوه من جهود وماعرفوه من محين منذ ظهور حركة الظهير البربري. فكان عملها الذي قامت به والذي كان له تأثيره كما سنرى حتى تنسجم مع الروح المستمدة من جدها وأبيها والتي تمكنت من زوجها، ولقد كادت مغامراتها تلحق بها أشد أنواع النكال كما كان يريد ذلك الجنرال جوان الذي أمر بأن ينتزع منها جواز سفرها الأنجليزي، وهي المولودة بابريطانيا حيث كانت تجارة والدها وجدها منذ أواسط القرن التاسع عشر، ولولا دفاع السفارة الإنجليزية التي كان من الواجب عليها ذلك، لكانت السيدة كنزة من الهالكين خصوصا وقد تحقق للجنرال أنها ....كانت تحمل الأخبار والتعليمات من محمد الخامس إلى زوجها أيام إقامته بطنجة1951–52 وهي الأخبار المغربية التي روعت العالم في تلك المرحلة والتي وجدت فيها وسائل الإعلام في مصر وسيلة مزقت بها الستار الحديدي الذي كانت فرنسا قد شددته على المغرب العربي عموما والأقصى بالأخص.

لقد كنت قبل ومنذ زمن بعيد حين تخطر لي الكتابة حول مواقف محمد الخامس السياسية المبكرة أتذكر محمد الغزاوي الذي عرف ذاكرة الطفولة المبكرة زمن تردده على القصر من أجل زيارة العاهل وهو ماأكدته لي المذكرات السياسية لعهد الشباب والرجولة أنها تدخل في المواقف السياسية المبكرة للرجل كذلك، وأن الرجل استمر هذا الزمن الطويل لم يتغير ولم يتبدل، بل عمل وبمثالية لم أعرفها لغيره، ومع ذلك بقي الرجل على

حاله لم يطلب جزاء ولاشكورا، وهو ما جعلني أعجب واحتار في أمر القوم الذين كانوا يهتمون كل الاهتمام لبعض ماكان يصدر عن بعضهم، ثم يشيدون بذكره والإعجاب به حتى لكأنه أحد الخالدين القلائل الذين سجل التاريخ في حقهم من المثل ما يجعلهم يتعلقون به ذلك التعلق الذي يلفت نظر سكان هذا الكوكب بيد أنني بعد الخبرة بالممارسة والتجارب ومعرفة أحوال الذين انشغلوا بالسياسة والتدبرْ في مقاصدهم وأهدافهم، وجدتها مهما تصنع المتصنعون منهم، وتقول المتقولون في مختلف أزمنة الماضي البعيد والقريب، منذ عهد أرسطو مرورا بعهد الرومان وجاستينان إلى عهد ثورة الماسونية الصهيونية في فرنسا وقبلها الثورة الأمريكية إلى عهود المتهوسين ماركس ولينين و ماو، وفي الجانب الآخر منذ عهد معاوية إلى العهد الذي نحياه مرورا بعهد مكيافلى العرب عبد الرحمن بن خلدون إلى عهد مكيافلى الإيطاليين الذي عشق الناس فلسفته مع الأمير بحيث لانجد واحدا من هؤلاء وأولئك قصد من السياسة شيئا غير الجانب المادي ومايزينه من المال والبنين وكثرة المتاع الذي مهما كثر فهو كما وصفه الله قليل، وحتى إذا ماتحقق له منه مايريد بلاحساب أصبحت السياسة عنده وسيلة للمحافظة على ما تحقق من مال ومتاع. وهذا ماأكده التاريخ باستثناء قلة ضئيلة في تاريخ المحترفين للسياسة من أجل الوصول إلى الحكم حتى إن بعضهم أصبح إنجيله هو كتاب الأمير لمكياڤيلي(26) لايعرف المذاكرة مع الآخرين إلا عن وقائعه وماورد فيها وكأنه يريد أن يقول لمخاطبه أنت جاهل إذا لم تتقن ماورد فيه من أفكار ونظريات رغم أنها خاصة وعبارة عن نصائح أهداها مؤلف الكتاب للأمير حتى يتخذها قواعد لايحيد عنها الحاكم إن هو أراد أن ينجح، وبئس القواعد التي تقوم على أساس: الأثرة والغدر. والغاية تبرر الوسيلة، ولو أن الذي أعجب بكتاب مكياڤيلي الأمير الذي هو ضد الأخلاق واطلع على كتاب السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، لتقي الدين بن تميمية(27)، وهذا الكتاب كان شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي يشير على كل من ارتبط به أن

(26) هو نيقولا مكياڤللى له كتاب الأمير ترجمة خيري حماد علق عليه بنيتو موسولينى قدم له كريستيان غارس عقب عليه فاروق سعد ط1970ولقد كان التعقيب الذي وضعه له فاروق سعد والذي تناول فيه: الفكر السياسي قبل وبعد الأمير قيم جدا.

(27) ولابى قيم الجوزية كتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.

يدمن قراءته، وكان محمد لمعمري الزواوي عملا بتلك النصيحة بقربه لمحمد الخامس ويقر بمحمد الخامس منه، إلى درجة أنه أحيانا كان يتطرق إلى بعض أفكاره مع محمد لمعمري وقت انتظار حلول وقت الصلاة قبل اذان المغرب في الغالب.

وبدافع هذه الخواطر، ومالها من تأثير على العقل الباطني كنت أحيانا أسبح مع تاملاتي التي تستغرق مني الوقت في هذا الإتجاه الذي كان محمد الخامس بحكم تمسكه وخلقه واستقامته، قد عرف عنه أنه يقف عند الحدود التي يوقفه عندها الحق والعدل والخوف من الله، وبالتالي الخوف على الكرامة، وعندما فكرت في كتابة هذا الفصل حول الرجل الذي أشعل الفتيل وهو صديقه محمد الغزاوي دفعني التأمل في أخلاق الرجل الذي ليس له من الثقافة في مجالات الدراسات الإسلامية قليل ولاكثير، وإنما لما تجارب مشرفة وثقافة اجتماعية وسياسية كونتها له العلاقات البشرية المتعددة الأشكال والألوان، ثم هو سليم النشأة والطوية إلى حد بعيد، وله عقل نظيف يميز كل التمييز بين الصالح والفاسد لاعن طريق المحادثة وتبادل الرأي وإنما أحيانا بمجرد الرؤية والحركة وقبل الخطاب، ولهذا قلت ألا يمكن للرجل وقد كان دائم الإتصال بمحمد الخامس وتطول بينهما المذاكرة ألا يكون منها ما يتعلق بهذا الجانب الذي هو جانب القيم والأخلاق والمثل.

وأحيانا تحد ثنى النفس ثم أقول ألم يكن الأجدر لمحمد الغزاوي بدل هذا الصراع المنهك الذي يعيشه مع الجنرال جوان وبهذه الحدة، وهو رجل له مصالح متعددة يمكن أن تتضرر أن يستعمل ما يستعمله آخرون مثله من الوسائل السياسية بحيث لايمديده لإدارة الحماية، وإنما يسالمها فقط، محافظة على مصالحه كما يفعل آخرون مصالحهم دون مصالحه متعللين بذلك، وقد قبل الحزب وزعامة الحزب منهم ما تعللوا به ولم يلحقهم ضرر لا من هؤلاء، و لا من هؤلاء وهم كثيرون في المغرب من وجدة إلى سوس، فقط إنما يطلب الحزب منهم العطاء وعدم الانسياق مع الآخر، بل أحيانا يحصل توجيه من الحزب حتى لايشار لأحدهم بقليل ولاكثير من الأذى عندما تصدر منهم بعض الهفوات، وقد كان في استطاعة محمد الغزاوي أن يفعل ذلك ويجد القبول أكثر من الجميع، وكثير منهم أصدقاؤه ومعارفه، ثم هم أصدقاء بعض رجالات الحزب ومعارفهم.

لكن واقع محمد الغزاوي وماشب عليه ثم علاقته مع العاهل كانت تجعله كما هو يقبل بشدة وعنف عنيف على الجانب الوطني مهما كان الثمن، الأمر الذي كان ينتزع له التقدير والإعجاب من الجميع خصوصا وأن شجاعة وإقدام الرجل على التضحية بالمال بطريقة لم يكن ليستطيعها غيره، حتى إن بعض رجال الإدارة من الفرنسيين كان يتصرف فيهم محمد الغزاوي كما يتصرف السيد في عبيد على أن المال الذي كان يغدقه على حثالات الفرنسيين حتى يغضو الطرف عن حافلات شركة الغزاوي التي كانت متسيسة حتى النخاع، لم يكن يتوفر له من الشركة التي كانت عليها ديون، بل المال كان يوفره بواسطة استثمار الأرض الصالحة للبناء والتي كان يدخر فيها مايتوفر له من المال، ولكم كانت مساهماته في إنشاء المدارس الحرة التي أقبل عليها العاهل إقبالا خطط له شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي وأعطى ثمتره بطريقة جد كبيرة، حتى إن كل مدرسة كانت تؤسس في منطقة ما، إلا وتعتبر عبارة عن مؤسسة لإنتاج الجيل الذي يشتد به عضد الحركة الوطنية ويكون الرجال الذين سيناضلون في سبيل تحقيق الاستقلال، وبالتالي يكون الأطر التي تلتف حول العاهل وتزيده قوة تقف في وجه إدارة الحماية التي ناصبته العداء بحدة وعنفَ ، كما وأن شركة محمد الغزاوي حققت في مجال نشر الوعي الوطني ما لم يكن بتلك السرعة لو لم تكن حافلات شركة محمد الغزاوي هي التي كانت مجندة لتحقيق الربط من شرق البلاد إلى غربها، ومن شمال منطقة النفوذ الفرنسي إلى جنوبها، بما كانت تحمل من مناشر سواء من فاس أو الرباط، وهو شيء لم تعرفه إدارة المقيم الجنرال جوان إلا بعد حادث المجلس الاستشاري، وبسبب ذلك اندفع الجنرال بعنف عنيف وقسوة قاسية ضد محمد الغزاوي حيث دبر للقضاء عليه أخطر ما يتصوره المرء من وسائل الشر إلى درجة أدخلت الرعب والخوف على حياة الرجل، حتى إنه لما تحقق للعاهل ومن أقوى مصدر كان له اطلاع مباشر على تحركات الإقامة العامة، وان ما كان الجنرال جوابن يدبره من مؤامرة ضد الغزاوي، وربما النكال به حتى الموت ليضرب به المثل، وقد أعماه الحقد الشديد، لذلك وجه العاهل أمره سرا للغزاوي أن يغادر المغرب توا وبدون تأخير، لأنه مستهدف للخطر الكبير، بحيث تلقى الأمر يوم الأحد 1951/2/4م ثم غادر المغرب في اليوم

التالي1951/2/5م بعدما دفع كل ما كان يشرف عليه من تسيير لممتلكاته وشركة المواصلات إلى شقيقه الحاج إدريس الذي وكله مع التفويض لأن أبناءه الصغار كانوا في سن البراعم.

وهكذا كان فرار محمد الغزاوي من القتل، وحتى نتعرف على صولة محمد الغزاوي زمن الحماية، بل وتحكمه بالمال في إدارتها التي كانت مشددة إلى درجة أن السفر بين الحواضر والبوادي في المنطقة الواحدة الرباط وماحولها ومكناس وماحولها وفاس وماحولها كان وكأنه من دولة إلى أخرى تفصل بينهما حدود رسمية، وأما بين المناطق الثلاثة منطقة النفوذ الفرنسي وعاصمتها الرباط، ومنطقة النفوذ الإسباني وعاصمتها تطوان، والمنطقة الدولية ومركزها طنجة، فقد كان لايطمح للتنقل بينها أحد من المغاربة إلا إذا هو كان يحمل جواز سفر ومعه إذن، وهذا كان لايحصل عليه المغربي بسهولة.

في الأربع والعشرين ساعة التي تلقى فيها محمد الغزاوي الخبر بواسطة يوم الأحد 1951/2/4 حتى يغادر المغرب وأن لايستمر فيه ولو ليوم واحد، بل لم يسمح له حتى العاهل بالزيارة ليودعه، وأن يغادرالمغرب توا مادامت أوامر المقيم العام الجنرال جوان بعد لم تصدر بحصار المغرب حتى لايخرج منه محمد الغزاوي لأنه في اعتباره لم يكن له علم بما كان الجنرال يخطط له مع بونيفاص والجلاوي، ويقوم به من تدبير للفتك بالرجل انتقاما من العاهل، وما حصل عليه محمد الخامس من معلومات مرعبة حول ما كان سيحل بصاحبه المتهم بالعمل حسب مخططه، كان مصدرها لايتسرب إليه الشك لأنه كان فرنسي وفي خدمة الإقامة له اتصال كبير بأحد المقربين جدا من القصر ومن الناقمين على سياسة الجنرال، بل ومن الفرنسيين كذلك من كانوا مستعدين للبيع والشراء في أسرار الإقامة العامة وسياسة الحكومة الفرنسية في المغرب، وهذا النوع كان في كل مكان بالمغرب، وفي مدينة فاس موطن محمد الغزاوي كانت سلطته على إدارة الأمن فيها أهم من أومر الجنرال سوفر ان رئيس الناحية وخديمه محمد التازي أو الفاطمي بن اسليمان بعد، لأن محمد الغزاوي منذ عهد طويل كان قد اشترى المسؤول الأول عن الأمن في المنطقة. وكان السابق يترك وصيته للاحق ووقتها كان عميد الأمن في

المنطقة هو السيد«بودري» الذي كان محمد الغزاوي قد خصص له مرتبا شهريا حتى لايضيق الخناق على حافلات شركته التي كان مركزها بمدينة فاس مركز نشاط حزب الاستقلال الثقافي أكثر، بل ومركز تصدير نشرات التوجيه السياسي التي كان يتطلبها التنشيط المستمر بين طبقات الشعب، والتي كانت توجه إلى مختلف الجهات بواسطة حافلات شركة الغزاوي من وجدة إلى سوس، ومثل العميد بودرى في المرتب كان مساعده السيد«لان» ولذلك قام العميد بودرى وبمقابل مهم بتهيئ الظروف الملائمة حتى يغادر محمد الغزاوي المغرب إلى باريز في أحسن الظروف، ومن غير أن يعترض طريقه أذى، وفعلا كان الأمر كذلك من وقت مغادرة فاس إلى الخروج من أرض المطار بباريز، وفي مدينة باريز إتخذ الغزاوي له مخبأ هو منزل الصحفي المعروف السيد كلودبورديه» وهو المعروف بكتاباته عن المغرب عموما وعن الجلاوي بالأخص(28) وما انتشر وقتها من فضائحه، وكلودبورديه هذا كان محمد الغزاوي قد رتب له رحلة استطلاعية إلى المغرب على حسابه امتدت في عموم التراب المغربي عام1948م وكان قد كلف به الطالب وقتها محمد أبو ستة الأمين العام لحزب الاستقلال حاليا. لكن إقامة محمد الغزاوي بمخبئه لم تطل رغم الإكرام الفائق الذي لقبه من كلودبورديه وزوجته الأميرة التي فتحت ببتها حتى لزواره، وفيه كان يزوره كل من بومهدي والدكتور الكوهين وعبد الرحمن بن عبد العلي يوميا، ذلك لأن الجنرال جوان بعد ما أمر بالبحث عن الرجل في المغرب وتلقى الأخبار بعدم وجوده أصدر أمره بالقبض عليه، وقد كانت العادة في أمر مثل هذا بمجموع أقطار المغرب العربي الكبير أن يوجه كذلك إلى فرنسا، وإذا ما عرف أن الأمر وصل إلى فرنسا فإن وفاء السيد كلودبورديه لم يتركه حتى يواجه ما يحصل إن اكتشف أمره، بل بذل له من المساعدة ما أدى إلى أن حملته السيدة «بيرنار» وهي يهودية مغربية الأصل تزوجها المحامي هانس بعدما طلق زوجته، يقول محمد الغزاوي أما أبوها فقد كان من تجار الحبوب في المغرب وبدافع المغربة وصداقة كلودبورديه حملت السيدة بيرنار محمد الغزاوي في سيارتها من باريز إلى مدريد، ومنها انتقل إلى مدينة طنجة حيث التحقت به

(28) راجع جريدة البعث العراقية تعريب إميل سويري بتاريخ 1951/11/25 ففيها ما كتبه بورديه حول التهامي الجلاوي وقد نشرته جريدة لواء الاستقلال لسان حال حزب الاستقلال العراقي عدد1214بتاريخ1951/11/25.

زوجته، وفيها اشتد نشاطه السياسي إلى جانب كل من علال الفاسي وعبد الخالق الطريس اللذين توفرت لهما الامكانات المادية بشكل كثف من عدد برقيات الإعلام التي كانت توجه من طنجة إلى القاهرة حيث مكتب المغرب العربي وكان من المجندين لكتابتها عبد الرحمن انكاي رحمه الله، وبعضها للتعمية كانت تكتب بلهجة مغربية وحروف لا تيتية(29).

اشتد نشاط وسائل الإعلام صحافة وإذاعة صوت العرب في مصر والشرق ضد تصرفات وإرهاق الفرنسيين للمغاربة وعاهلهم خصوصا والمغرب الكبير عموما، وقد كان لزوجة محمد الغزاوي وهي السيدة كنزة بوعياد دور مهم وقتها في الفترة1951–52 كما أشرنا قبل أزعج الجنرال بل دمره وأرهقه، لأنه روع حكومة بلاده، مما جعله يفقد صوابه بسبب مصدر الأخبار الموثقة بالحقائق التي كنت الإقامة العامة وغرور الجنرال يحسب أنها وراء الستار الحديدي المحكم بالشدة والعنف العنيف، بيد أنها بحقائقها كانت تنشر في الصحافة المصرية وأحيانا طرية ومنها كانت تستمد صحافة المشرق العربي والعالم الإسلامي الأمر الذي أحرج وكالات الأنباء العالمية فلم تعد تتستر على جرائم الفرنسيين في المغرب، وتمزق الستار ثم ظهر كل من الجنرال جوان وجورج بيدو وزير الخارجية عاريا أمام العالم عندما اشتد الصراع وتم حصار القصر الملكي بالدبابات يوم25 فبراير1951م أي بعد فرار محمد الغزاوي بعشرين يوما، ثم إن السيدة كنزة الغزاوي كانت تتردد على الحْمى الملكي وأخيرا كشفتها المراقبة الفرنسية، لكنها لم تفعل إلا بعد فوات الوقت. بحيث كانت السيدة كنزة تتوجه إلى منزل السيد فرجى الروكي نائب الحاجب الملكي لتجد الأمانة عند زوجته السيد الكاملة، وهذه لا تعرف أي شيء عما تحمله زائرتها، وبالمثل زوجها السيد فرجى.

(29) أغلبها توجد ضمن وثائق خزانة المؤلف بالخزانة الملكية أو مديرية الوثائق وقد بلغ فقط ما كتبته الصحافة المصرية حول صراع محمد الخامس مع الاستعمار الفرنسي من عام 1947بعد خطاب طنجة إلى عام1955 مما جمع المؤلف ثم قدمه لقسم الصحافة بالديوان الملكي من أجل تكوين متحف يسجل ذلك الصراع للأجيال وللتاريخ حوالي9000 قصاصة لكنها أتلفت بدافع الغرض الهادف أتلفت بواسطة العملاء إرضاء لسادتهم بأقلام المخابرات الفرنسية التي كان يغضبها الإعلام المصري الذي كانت تتوعده على لسان الجنرال جوان وقد حققت وعدها بالمساهمة في العدوان الثلاثي عام1956م راجع العدوان الثلاثي على مصر لحمدي حافظ مكتبة الانجلو القاهرة بدون تاريخ.

بل ولاأحد سوى السيد أحمد بن مسعود وزوجته السيدة زبيدة مما يستدل به على مدى حكمة تدبير العاهل العظيم محمد الخامس رحمه الله بحيث عاش الجنرال جوان ومن حوله من المسؤولين عن الإقامة العامة في المغرب، بل والحكومة الفرنسية عموما، ووزير الخارجية جورج بيدو خصوصا، على أعصابهم يصارعون الشكوك والظنون وما تسلط عليهم من أوهام أن هناك وسائل اتصال متطورة بها يتصل القصر مع جهة ماو ربما تكون أوروبية أو أمريكية مما جعلهم يشددون الحصار على كل مداخل الحمى الملكي ويقطعون عنه الهاتف مما دفع بالسيدة كنزة إلى أن تنقطع قبل أن يعرف عنها أي شيء لكن سفرها ولمرات كثيرة إلى مدينة طنجة حيث كان زوجها يقيم وقد وفدت بعثة الصحفيين المصريين على المدينة مما جعل الفرنسيين يشكون فينزعون منها جواز سفرها الأنجليزي لأنها مولودة بابريطانيا، الأمر الذي دفع السفارة الإنجليزية إلى التدخل في الموضوع.

وهذه أمثلة مما نتج عن نشاط محمد الغزاوي وزوجته أيام إقامتهما في مدينة طنجة، وقد وجدت الصحافة في مصر منه مادة لفضح أعمال الجنرال جوان وفضائح المستعمرين وقتها حيث كان من الغزاوي البدل والعطاء بلاحساب.

1) مجلة آخر ساعة 1951/3/8م أزمة مراكش بدأت في المجلس التمثيلي.

2) مجلة الزمان: 51/3/10 محكمة طنجة المختلطة تستدعي علال الفاسي لمحاكمته.

3) ج.المصري 51/4/8 مذكرة الجامعة العربية عن مشكل مراكش والصحفيون المصريون المسافرون إلى مراكش يسببون أزمة جديدة مع فرنسا.

فرنسا تمنع الصحفيين المصريين من دخول مراكش.

جلالة ملك مراكش يشكر البعثة ويعرب عن عواطفه لأعضائها.

البعثة تبقى في طنجة لتواصل تحقيقاتها ورغم حظر نشاطها تعقد مؤتمرا صحفيا وتزور مراكش الإسبانية.

4) ج.المصري 1951/10/4م بعثة الصحفيين المصريين تحقق الوحدة بين أحزاب مراكش زعماء الأحزاب يوقعون ميثاقا وضع صيغته صاحب ج.المصري يقصد محمود أبو الفتح..

5) فرنسا تعلن عدم قبولها تدخل مصر في مسألة مراكش .

6) ج،المصري 1951/4/11 توقيع الميثاق بين أحزاب مراكش أقوى ضربة للاستعمار الفرنسي في مراكش، حفلة كبرى يقيمها الزعماء- الغزاوي- للصحفيين وسفر البعثة إلى تطوان. على حسابه بدعوة من سمو الأمير الحسن بن المهدي الخليفةالسلطاني وقتها.

7) ج الأهرام 1951/4/12 مصر تطلب إلى فرنسا في مذكرتها استقلال مراكش وضمها لهيأة الأمم المتحدة الدول العربية ستقدر موقف فرنسا إذا جاء مطابقا لمبادئ الأمم المتحدة..نص مذكرة لوزير خارجية فرنسا..الدول العربية تحدو حدو مصر..متحدث رسمي يبرر أسباب تحريم زيارة الصحفيين المصريين لمراكش.

8) ج المصري 1951/4/20 عودة الصحفيين المصريين إلى مصر ليجدوا في استقبالهم بالمطار جمع من المغاربة حيث ألقى المؤلف فيهم خطابا ترحيب وشكر، قالت عنه صحيفة المصري:

إندفع من وسط جموع المستقبلين شاب مراكشي واعتلى أحد المقاعد وألقى كلمة فياضة بالحماس أعرب فيها باسم شباب مراكش عن التقدير العميق والشكر الخالص..الخ وقد شكره محمود أبو الفتوح باسم زملائه الخ.

9) ج المصري : 19-أ-ب البحث عن خلف للجنرال جوان.

10) ج المصري 1951/5/5 زعماء مراكش يستنجدون بمحامين مصريين للدفاع عنهم أمام محكمة المراقبة الدولية.(30)

ج الزمان وصول المحامين المصريين إلى مدينة طنجة.

هذه أمثلة مما كانت تنشره صحافة مصر التي كان محمد الغزاوي يرسل برقيات الأخبار على حسابه وهو الذي استقبل بعثة الصحفيين التي كانت مدة إقامتها كذلك وتنقلاتها على حسابه، وحتى تمت التعرية على فظائع وفضائح الجنرال جوان مما عجل باقتلاع جذوره، وحتى إذا ما أصبح محمد الغزاوي كذلك مستهدفا وقد حصل إتهام

---

(30) وأما عن الصحف العربية في مصر والمشرق العربي التي تجندت لقضايا المغرب العربي عموما والأقصى وقت أزمته خصوصا فسوف ندرجها بعد في ملحق آخر الكتاب.

علال الفاسي وعبد الخالق الطريس ثم حصلت محاكمتهما، وأن محمد الغزاوي لاشك سيلاقي نفس المصير وبالتالي لامفر يقدم للإقامة العامة التي كانت وراءه بكل ما كان لها من حبال المكر والكيدوالدس، وهكذا إذا الرجل وزوجته كذلك أصبحا مستهدفين للأخطار فما عليهما إلا أن يدبرا أمرهما للرحيل من مدينة طنجة التي ضاقت هي الأخرى رغم صبغتها الدولية، وليكن الرحيل إلى القارة الأمريكية بعيدا كلية عن مناطق النفوذ الفرنسي ومايقرب منها، وفي أمريكا استأنف محمد الغزاوي نشاطه الذي تعزز أولا بالزوجة التي تتقن لغة الطبقة الارستقراطية من الأنجليز الذين هم أساتذة الأمريكيين في هذا المجال، حيث تمكن نشاط الزوج والزوجة الأمر الذي أفقد الفرنسيين كل صوابهم عندما اشتد ساعد الرجل باخوة كرام هم: الدكتور المهدي بن عبود الأخ القديم للرجل، والدكتور المهدي المنجرة، وعبد الرحمان بن عبد العلي السلاوي..

وحتى إذا ما أصبح للرجل منزلا به ست عشرة غرفة فإن كل من أمكنه الوصول إلى نيورك ويقصد الرجل إلا ويجد المأوى الذي يستقبله بترحاب وبلامن ولا انزعاج مهما طالت إقامته، وإذا كان الرجل الطيب والنزيه الباهي الأدغم الذي ترجع صداقته لمحمد الغزاوي لعام 1948 حيث زارالمغرب بدعوة من محمد الغزاوي وهو وقتها يخوض المعارك التي كانت في طريق الانفجار ضد الجنرال جوان الذي كان على الغزاوي تقية أن يبعد الباهي عن كل الأماكن التي للجنرال فيها عيون وأعوان، فكان هو حي سيدي التركي بمدينة سلا حيث كان به فندق بعيد عن الأضواء، وفيه انزوى الباهي، وفي زيارته للمغرب عام 1992 أراد الأدغم أن يعيد برؤيته ذلك الفندق ذكريات الرعب وما عرفه في تلك المرحلة، والباهي الأدغم هذا هو الذي فتح لتونس في تلك المرحلة مكتبا في نيويورك، هو عبارة عن حجرة كان ينام فيها ويطبخ فيها ويستقبل الزوار فيها، ولا طالما ردد ما كان محمد الغزاوي يعامله به من معاملة كريمة أيام كان الرجل في نيويورك ولا رحيم إلا الله، الباهي الأدغم هذا هوالذي لم تعرف تونس له ثان غير الصادق المقدم في خلقه واستقامته ونزاهته كما يردد كل التونسيين بلا استثناء. والذي في مذكراته أن الملاذ الذي وجده في تلك الديار الأمريكية، بل وفي تلك المرحلة كان هو محمد الغزاوي الذي قط ما كان يذكر شيئا من هذا، سواء بالنسبة للباهي أو غيره، وإنما الباهي نفسه

هو الذي ردده بعد ماقدم لي ولصاحبه مذكرات نضاله عليها من العبارات ما يؤكد ذلك(31).

تلك بعض الصفحات من تاريخ رجل عظيم قط ما كان يهتم بالكتابة عنه بقدر ما كان يرجو الجزاء من الله. حتى إنه في أخريات حياته وقد تبدلت الأحوال بعد موت محمد الخامس سقى الله ثراه وأصبح الناس غيرالناس حيث انحطت الأخلاق وضاعت القيم وقتها اختار محمد الغزاوي الإنقطاع والإنعزال ثم هو، عرف كيف يختم حياته بالإستفادة من النصيحة وكله أمل ورجاء في الله، شيد المساجد في جهات متعددة، وحقق آمال الضعفاء من الأرامل واليتامى والشيوخ والعجزة الذين شيد لهم الكثير من المساكن، وقبل هذا وذاك كان في عمل البر قبل كل شيء يتوخى العمل بمقتضى توجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول «لاتقبل صدقة وذي رحم محتاج» بحيث كان يحفظ لذوي الرحم كرامتهم قبل كل شيء وقد دام على ذلك إلى آخر نفس من حياته، وبه اقتدت زوجته التي انطوى فيها أبناؤه منها. بحيث اعتبرت من واجب وفائها للمودة التي ربطت بينهما عدم مخالفة ما سنه في حياته مما لم يطلع عليه أحد قط، وما كان لي أن أعرفه من بعيد ومن غير تفصيل إلا لأن الرابطة امتدت بيننا ومن غير انقطاع قط مدة عشرين سنة كان ماعرفته أثناءها عن الرجل ومادونته من مذكراته يدفع بي وفاء لمحمد الخامس الذي أحبه محمد الغزاوي بقدر حبه له والذي كان ذلك الحب من عوامل حسد الحاسدين ونقمة العملاء الذين عز عليهم أن يحفظ له من الذكر بين الناس مايجعله في تاريخ المغرب من الخالدين بحق وعن جدارة ويكفي أن يعرف الناس أنني ما كتب هذا الفصل من الكتاب إلا بعد موت الرجل إذا الرجل له بين المواطنين الكثير من العز والتقدير والمثل العربي يقول ما العز إلا ما كان للمرء بين أهله، إذ الذي يصنع الحاضر والمستقبل إنما هوالماضي القريب والبعيد كذلك الماضي الذي تتمنى له طبقة الفقاقيع الطافحة اليوم، والتي تمثل بالنسبة للتاريخ السياسي في هذا البلد طبقة "كلاب المزابل المفضوحة،" تلك التي رغم كل وسائل بنائها بالتزوير والافتراء على الشعب بتسلطها

(31) ثم راجع سلسلة مذكرات الباهي الأدغم مراسلات1952-1955 والتي ناب عنا فيها بذكره لبعض مواقف المغاربة في المشرق العربي. وإن كان لم يتعمق تورعا منه ط1990 دار سراس للنشر تونس القسم العربي1-4.

عليه من وراء القانون تتساقط اليوم وقد كشفتها الأيام في البؤرة العفنة كأوراق الخريف يغطيها الردم بما أنتجت من القاذورات مخلفة أنتن الروائح وأقبح الوصف وأوسخ النعوت، الأمر الذي دفع مرضى النفوس المتطفلين على التاريخ أن يحاولوا ولوا صبغها وتقديمها لغير العارفين بهم وبها متجاهلين أن حبل الكذب هش وقصير.

السيد محمد الغزاوي
والصورة تمثله في شبابه

المغرب الاقتصادي

مجلس شورى الحكومة

(دورة يناير سنة 1948)

أ) الفرقة الفلاحة

خمسة من الدار البيضا هم السادة: الحاج عبد الرحمان بن الحاج التاغي (رئيس) الغازي بن بوعزة (خليفة اول) ابو عزة بن احمد (خليفة ثان) الحاج محمد بن حمادي عباس والحاج الطاهر بن الحاج الطاهر (نائبان).

وخمسة من فاس هم السادة: محمد المرنيسي (رئيس) محمد السنوسي (خليفة اول) ادريس الحلو (خليفة ثان) مولاي عبد السلام المدلوني ومحمد ولد البغدادي (نائبان)

وخمسة من مراكش هم السادة: الحاج عمر العيادي (رئيس) محمد بن الحاج عمر بوشرگي (خليفة اول) محمد بن عبد الله السكتاني (خليفة ثان) احمد بن محمد اعراب والكبير موسى (نائبان).

واربعة من مكناس هم السادة: محمد احمد اجانا (رئيس) مصطفى نجوها (خليفة أول) [illegible] (نائبان).

بسرور وفخر ان اخواننا المصريين قد خطوا خطوات لا باس بها في سني الحرب وما بعدها نحو التقدم والاتقان مهتدين في ذلك بتجارب الامريكان.

ولهذا شعر جمهورنا الافريقي بالحاجة الاكيدة الى التعاطي لانتاج الاشرطة العربية لا مزاحمة لمصر الشقيقة بل حبا في المشاركة معها في رفع شان الفن العربي في نظار من يتجاهل قيمته والسعي في المحافظة على الروح العربية لهذا الفن خصوصا في شمال افريقيا.

(للكلام صلة)

مولاي عبد القادر بن علي (خليفة ثان) بوعزة ولد امهروق (نائب).

واربعة من وجدة هم السادة: الحاج العربي بن عبد الله (رئيس) العباس بونشيش (خليفة اول) بن عمور بن الحاج الهدار (خليفة ثان) محمد بن الحاج بوغديم (نائب).

وخمسة من الرباط هم السادة: عبد الله الزعري (رئيس) الحاج محمد بن مالكم (خليفة اول) الحراني بن محمد (خليفة ثان) الحاج بوشتة بن علي والتهامي بن قاسم (نائبان).

ب) الفرقة التجارية

اربعة من الدار البيضا هم السادة: محمد العراقي (رئيس) محمد الزيزي (خليفة) احمد السنتيسي محمد بن عمر (نائبان).

ثلاثة من مراكش هم السادة: محمد بن عمر الوارزازي (رئيس) احمد بن قاسم الجنجاوي (خليفة) محمد بن التهامي (نائب).

ثلاثة من فاس هم السادة: الحاج عمر السبتي (رئيس) محمد الزقاري (خليفة) محمد بن الخديوم (نائب).

اثنان من مكناس هما السيدان: الحاج احمد بن عبد الجليل (رئيس) والحاج محمد بن العربي التازي (نائب).

وواحد من وجدة هو السيد محمد بن الهاشمي (رئيس).

وواحد من مينا ليوطي هو السيد الجيلالي ابن محمد بناني (رئيس).

ثلاثة من الرباط هم السادة: احمد بن البزيدي (رئيس) والمهدي زنوبر (خليفة) والحاج

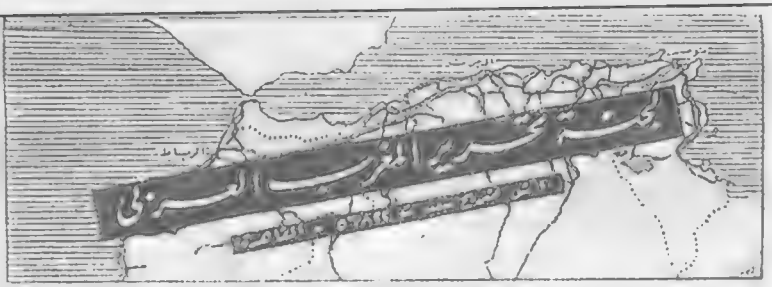

شتم مراكش النشرة الاخبارية رتم

(١)

السبت ٥ اغسطس سنة ١٩٥٠

النواب المراكشيون يقاطعون " مجلس شورى العكسرة "
احتجاجا على عدم تحقيق المطالب المراكشية

الرباط في ٥

عقد مجلس شورى العكرة دورته الجديدة في جو يسوده القلق وينذر ببوادر توتر جديد بين السلطات الاستعمارية المهيمنة على هذا المجلس وبين اعضائه المراكشيين . وقد اعلن الممثلون المراكشيون للغرف التجارية والصناعية وهم النواب المراكشيون المنتخبون في هذا المجلس ، مقاطعتهم له بعد اجتماع خاص عقده اتحاد هذه الغرف واستعرض فيه الجهود التي بذلها النواب المراكشيون بمجلس الشورى خلال دوراته الماضية لاجل اقناع السلطات الفرنسية بانتهاج سياسة تحقق للمراكشيين مطالبهم المشروعة في النواحي التجارية والصناعية والاجتماعية . ولكن هذه الجهود لم تسفر عن اية نتيجة ايجابية في اية ناحية من هذه النواحي ، الامر الذي حدا بالنواب المراكشيين الى اعلان مقاطعتهم الاجتماعات لهذا المجلس اظهارا لتصميمهم على تحقيق مطالبهم المشروعة .

والمعروف ان مجلس الشورى المشار اليه يتكون من قسمين قسم يضم ممثلي الجالية الفرنسية وآخر يتكون من اعضاء مراكشيين ، والرغم من انه ليست له صفة تشريعية وانما تنحصر مهمته على ابداء النصح وبذل المشورة فان السلطة الفرنسية تنزل دائما عند رغبات الاعضاء الفرنسيين ، بينما لا تعير أي التفات لرغبات الأعضاء المراكشيين .

وقد رأى ممثلو الغرف المراكشية للتجارة والصناعة بعد مجهود ثلاث سنوات قدموها في هذا المجلس أن وجودهم فيه لم يحقق اية فائدة لناخبيهم وذلك بسبب تعنت السلطة الفرنسية وخضوعها التام لتوجيهات انصار الجالية الفرنسية الذين يعارضون بشدة في تقرير اي شيء لصالح المراكشيين بل يبلغ بهم الامر في بعض الاحيان الى حد المقاومة والتهديد بالثورة .

هذا وقد أصدر النواب المقاطعون للمجلس بيانا شرحوا فيه الاسباب التي دعتهم الى مقاطعته وعددوا المشروعات الاصلاحية التي عرضوها على المجلس في دوراته السابقة في جميع النواحي التي تدخل في اختصاصه دون أن تعيرها السلطات الفرنسية اي التفات بالرغم من شدة الحاجة اليها والرغم من اعتراف الكثير من الفرنسيين انفسهم بالحقيقة وختم النواب بيانهم بقولهم " ان مطالبنا ورغباتنا لا يناقش احد في وجاهتها وقد اعترفت شخصيات كبيرة بذلك وانما الذين ينازعوننا فيها هم بعض ممثلي الجالية الفرنسية الذين يبلغ بهم

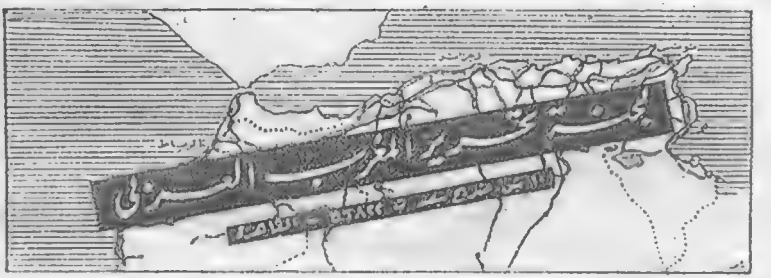

قسم مراكش النشرة الاخبارية رقم ١٧

خزانة عبد الكريم الفيلالي
A. EL FILALI

حملة اعضاء حزب الاستقلال على السياسة الفرنسية

فى مجلس " الشورى " بمراكش

الرباط فى ٦

اصدر الجنرال جوان المقيم الفرنسى العام امرا بالغاء عضوية الاستاذين السيد محمد الزغارى رئيس اتحاد الغرف التجارية والصناعية والسيد محمد الغزاوى احد اقطاب الاقتصاد المراكشى من مجلس الشورى كما اوقف عددا آخر من الاعضاء الى اجل غير مسمى .

وقد لجأ الجنرال جوان الى هذا التصرف الشاذ على اثر الحملة التى قام بها الـ... الاعضاء المنتمون لحزب الاستقلال على السياسة الفرنسية اثناء انعقاد الدورة الاخيرة لمجلس الشورى ... المقرر العام للجنة ميزانية سنة ١٩٥١ ، وقد ذكر فى تقريره ان " مسؤولية فساد الحالة فى مراكش تقع على الوضعية القائمة بها ، وان السياسة الاقتصادية التى تسير عليها الادارة الفرنسية ترمى قبل كل شىء الى تعزيز الوضعية الاستعمارية فى البلاد وتقوية سيطرة الجالية الاوربية ، ولا يسعنا ازاء هذا الا ان نحس بالقلق بالنسبة لمستقبل بلادنا ومستقبلنا كامة ."

وبعد ان ناقش الغزاوى ... فصول الميزانية وبيّن بالارقام المستقاة من الادارة الفرنسية نفسها فداحة العبء الذى يتحمله المراكشيون فى موارد الميزانية والحيف الواقع عليهم فى مصروفاتها حيث تنال الجالية الفرنسية منها نصيب الاسد ، بينما لا تساهم فى مواردها الا بقدر ضئيل — قال: " ان اتهامنا اذن موجه الى نظام الحماية الفرنسية باجمعه . وان تحقيق الاصلاح المنشود لا يتأتى الا بتغيير نظام الميزانية فحسب بل لا بد من تغيير النظام السياسى القائم بالبلاد "

وقد ثارت ثائرة الجنرال جوان ووصف التقرير بانه (عريضة اتهام) لا يمكن السكوت عنها ولكنه بدلا من ان يدحض ما اشتمل عليه من اتهامات خطيرة وجه الى المقرر العام ومؤيديه من أعضاء المجلس عبارات نابية لم يصدر مثلها عن ممثل فرنسى فى المجلس فى تاريخه كله .

ولم يقف طغيان الجنرال عند هذا الحد ، ذلك انه حدث عندما تقدم السيد محمد الغزاوى المقرر العام للجنة الاشغال العمومية أن صاح به الجنرال جوان " اننى امنعك من الكلام " وامره بمغادرة المجلس ، كما اصدر امره الى مدير الرقابة على الصحف بمنع نشر هذا التقرير . وعلى اثر ذلك اعلن الاعضاء الآخرون تضامنهم مع المقرر وانسحبوا معه من الجلسة فقوبل هذا التضامن بارتياح كبير من الرأى العام واقيمت لهم حفلات تكريم عدة واستدعاهم جلالة الملك محمد الخامس للتشرف بمقابلته ، كما ارسلت الغرف التجارية والصناعية والزراعية وغيرها من الهيئات المراكشية إلى جلالة الملك والى المقيم الفرنسى مئات من البرقيات تجدد فيها ثقتها بنوابها الاحرار

السيد محمد الاغزاوي مدير الأمن العام الوطني يقدم لصاحب الجلالة ضباط أقسام مراكز الأمن في طنجة وتطوان والرباط

السيد محمد الغزاوي مدير الأمن العام الوطني يقدم الى صاحب الجلالة الفوج الأول من رجال الأمن المغاربة الجديد

في مجلس شورى الحكومة: السيد الغزاوي في طرف الصف الأول الى اليسار، وهو الذي انتقد سياسة المقيم العام في المغرب، وقد اعتقلته السلطة الفرنسية

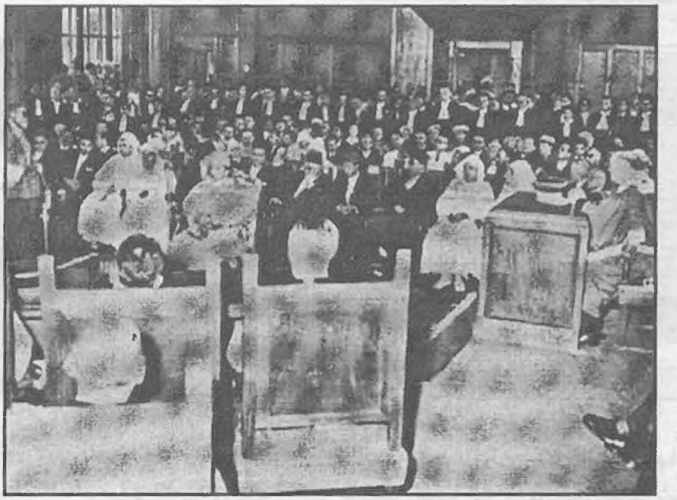

صاحب الجلالة يفتتح السنة القضائية الجديدة بالقصر العدلي بالعاصمة

الفهرس

الجزء العاشر

* **تتمة الباب السابع والعشرون :**

الفصل الرابع والسبعون بعد المائتين: شيخ الإسلام وانقاذه للمغرب بتأييده لبيان إعلان الحرب ضد النازية والمحور 7

الفصل الخامس والسبعون بعد المائتين: محمد الخامس والمطالبة بالاستقلال بعد إعلان الميثاق الأطلسي 21

* **الباب الثامن والعشرون :**

الفصل السادس والسبعون بعد المائتين: محمد الخامس والاتصال مع الحلفاء الذي نتج عنه حزب الاستقلال للمطالبة بالاستقلال 45

الفصل السابع والسبعون بعد المائتين: السر المجهول عن أسباب حوادث 29 يناير 1944 75

الفصل الثامن والسبعون بعد المائتين: اليوم الذي له في كل حي تاريخ المغرب 107

الفصل التاسع والسبعون بعد المائتين: مدينة فاس يوم 31 يناير 1944 121

الفصل الثمانون بعد المائتين: صدى الجامعة العربية، وأثر مصر في المغرب العربي بعد تمزيق الستار الحديدي 141

الفصل الواحد والثمانون بعد المائتين: في المغرب العربي بعد الحرب العالمية الثانية فرنسا تمكن للاستعمار بقوة الحديد والنار 151

الفصل الثاني والثمانون بعد المائتين: فرنسا والجراح التي لا تندمل في تاريخ المغرب العربي بسطيف وگالمة 8 ماي 1945 وقتل 45000 بالجزائر 157

الفصل الثالث والثمانون بعد المائتين: أول الصراع بعد الحرب فضيحة غابريال بيو وتجربة اريك لابون في المغرب الأقصى 171
الفصل الرابع والثمانون بعد المائتين: المغرب العربي وأهداف فرنسا في الوحدة الفرنسية بدل الجامعة العربية 191

*** الباب التاسع والعشرون**

الفصل الخامس والثمانون بعد المائتين: زيارة محمد الخامس لمدينة طنجة ما قبلها وما بعدها 205
الفصل السادس والثمانون بعد المائتين: جذور لفرانكوفونية والوحدة الفرنسية 217
الفصل السابع والثمانون بعد المائتين: فضيحة فرنسا في المغرب وصدى اعتداءاتها في الأمم المتحدة 227
الفصل الثامن والثمانون بعد المائتين: قضايا المغرب العربي بين انتصار القاهرة وانهزام باريز 245
الفصل التاسع والثمانون بعد المائتين: محمد بن عبد الكريم الخطابي وبطل قصة انقاذه بإنزاله في مصر 263
الفصل التسعون بعد المائتين: الصراع بين المغاربة في مصر من خلال مذكرات المؤلف 281

*** الباب الثلاثون**

الفصل الواحد والتسعون بعد المائتين: محمد الخامس الرائد الذي كشف فرنسا في المغرب العربي وروع الاستعمار في العالم 323
الفصل الثاني والتسعون بعد المائتين: دوافع زيارة محمد الخامس لفرنسا1950 وشروطها 339
الفصل الثالث والتسعون بعد المائتين: حماية محمد الخامس لحزب الاستقلال قبل الاستقلال 351
الفصل الرابع والتسعون بعد المائتين: الجنرال جوان ومحمد لغزاوي الرجل الذي أشعل الفتيل ضد المستعمرين وضحى بالمال والأهل من أجل الاستقلال 371